

تقى الدين الجعفرى

# تَخْجِيلُ مَنْ حَرَفَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ



مكتبة النافذة

دراسة وتقديم  
خالد محمد عبده

## تقي الدين الجعفري (٥٥٨١هـ - ٦٨٨هـ)

ارتبط اسم تقي الدين الجعفري بثلاثة مؤلفات في علم الأديان المقارن، هي:

- ١ - تخجيلٌ من حَرَفِ الإنجيل.
  - ٢ - البيانُ الواضحُ المشهود من فضائح النصارى واليهود.
  - ٣ - الردُّ على النصارى.
- ومثلت هذه المؤلفات مجموع ما خطّه الجعفري في شتى فروع العلم، فلم تذكر كتب الطبقات والتراجم شيئاً له في فروع العلم الأخرى، فمن هو الجعفري؟! - هو<sup>(١)</sup> صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي.
- تكتبى بـ (أبي البقاء)، واشتهر، بلقبين، هما: تقي الدين<sup>(٢)</sup> - قاضي قوص.
- سكن (منطقة الجعافرة) بمصر، وتقع هذه المنطقة في إسنا إحدى المدن الكبرى بمحافظة قنا بالصعيد الأعلى<sup>(٣)</sup>.
- ولد المؤلف في سنة إحدى وثمانين وخمسائة هجرية<sup>(٤)</sup>.
- سَمِعَ من الشيخ المسند أبي الحسن علي بن البناء ت سنة ٦٢٢هـ<sup>(٥)</sup>.

---

(١) راجع بخصوص ترجمته : تاريخ الإسلام للذهبي (خ)، رقم (٤٢) تاريخ دار الكتب المصرية ورقة ٢٣ ب جزء ٣١، ذيل مرآة الزمان لليونيني ص ٤٣٨ ط حيدر آباد الدكن بالهند، الوافي بالوفيات للصفدي جزء ١٦ ترجمة رقم (٢٨٣) ط ١٤٢هـ.

(٢) حسب الذهبي واليونيني والصفدي.

(٣) راجع ما ورد عن الجعافرة في معجم البلدان، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكاملة (١ / ١٩١).

(٤) حسب الذهبي واليونيني .

(٥) راجع ترجمته في : سير الاعلام (٢٢ / ٢٧)، النجوم الزاهرة (٦ / ٦٣)، شذرات الذهب (٥ / ١٠١).

- حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الدِّمِياطِيُّ أَحَدَ نَقَّادِ الْحَدِيثِ ت سَنَةِ ٧٠٥ هـ<sup>(١)</sup>.

- هَذَا أَقْصَى مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ مَعْلُومَاتٍ تَخْصُ تَعْرِيفَ هَذَا الْعَلَمِ، وَلَا غَضَاضَةَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ حِظُهُ - كغیره من الشخصيات البارزة التي ألفت في علم الأديان المقارن، أمثال علي بن ربن الطبري، ومحمد بن هارون الوراق، وغيرهم، وقد يظهر هذا عدم احتفاء المسلمين بمثل هذه الشخصيات التي تكتب في فنون غير مشهورة، وقد ألف البوصيري المادح الأعظم للنبي ﷺ منظومة في الرد على اليهود والنصارى، لكنها لم تنل ذيوعاً مثلما نالت البُرْدَةُ، على أن البوصيري كان معاصراً للجعفري، هو وقطب الصوفية سيدي أحمد البدوي، وكذلك لم يشتهر شخصاً كالقرافي بكتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة»، و«أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية» بقدر ما اشتهر كفقيه أصولي.

على أن هذا لا يعد تقليلاً لجهد الإسلاميين في هذا الحقل، اهتماماً وتأليفاً، ربما كان ذلك راجعاً إلى أن المؤلفات وجهت إلى غير المسلمين، ويكفي أن الحكام قد تبنا فكرة الحوار أو الجدل أو الدفاع عن الإسلام، فقد أهدى الجعفري كتابه (البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود) إلى الملك الكامل، وحسبما ذكر هو بنفسه أن السلطان كلّفه تكليفاً رسمياً بالرد على النصارى فقال:

«... كان طاغية الروم الإمبراطور قد أرسل إلى السلطان الملك الكامل رحمه الله في سنة ثمان عشرة وستمائة عدة مسائل يطلب من المسلمين الجواب عنها... فأشار من أمره واجب وطاعته ضرب لازب، أن أصنع مسائل تتعلق بدينهم الباطل، ومذاهبهم... وكشف أسرارهم... وأوضح اضطراب مذهبهم... وما اشتملت عليه صلاتهم...»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع ترجمته في: سير الأعلام (١ / ٥٠٢)، والنجوم الزاهرة (٨ / ٢١٨).

(٢) راجع: ورقة (٥) من المخطوط، نقلاً عن ص ٣٦ من النص المحقق، نسخة غير مطبوعة، رسالة دكتوراة أعدها الباحث خليل شوكت سنة ١٩٩٦، كلية أصول الدين بالقاهرة.

- مرة أخرى أشير إلى أن صورة المؤلف تبدو غامضة، ويرجع ذلك إلى ندرة المعلومات<sup>(١)</sup> الواردة بشأنه في تراثنا، إلا أن نصوصاً أوردتها المؤلف في مصنفاته، قد تبرز لنا إلى حد ما - بعضاً من جوانب شخصيته، ومدى تفاعله مع عصره.

يقول الجعفري، في بداية كتابه «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»:

حضرت محفلاً تحفّل بالمعارف أخلافه، وتكفّل بالعوارف أُلأفه، فأذاعوا مزايد الفوائد، وأعادوا ودائع العوائد، وأفاضوا في العلوم الدينية، وأضافوا إلى ذلك ذكر الأمة النصرانية.

فتعجب من حضر: كيف زلت بهم القدم؟! حتى اعتقدوا اتحاد العدَم بالقدم، ومن أين قادهم الخبيث إلى القول بالثلث، وروّج عليهم المحال، فدانوا بعبادة الرجال؟! واستبعدوا أن يعتقد لبيب أن الإله يصلب على صليب، أو يستقر في الأحلام أن تشتمل على القديم الأرحام.

فقلت: . . . . . ربما خلف من بعده (المسيح) خُلُوف كالحلوف، واستعوص عليهم كلامه فتناولوا بأيدي التحريف الحروف، وأتاهم العدو من قبل الألفاظ وعدم الحفاظ، فيتعين على من له دُربة بهذا الشأن حل إشكالهم وفك الشبهات التي أعانت على ضلالهم، فزعم الجماعة:

أي عارف بكتبهم خبير بمخاريقهم وكذبهم دَرِيّ بمرادهم بالجواهر والأقنوم، دَرَبٌ بالفرق بين فرق النسطور واليعاقبة والروم، وقالوا: لو أنرت لمعاً تكون على الحق علماً؟ فربّ كلمة تهدي أمماً، فأجبتهم لوجوب حقهم، ورجوت الحيا عند وميض برقهم، واستخرت الله تعالى، وشجعت جنائناً جباناً، وأطلقت من ضعيف العناية عناناً، ودأبت في تحصيل ما لم أقف عليه من كتب القوم، ولم أجتز بما كان في يدي منهما، حتى استكملت التوراة و...».

(١) أظن أن هذه الصعوبة واجهت كلاً من الباحثين: خليل شوكت، ومحمود قدح، فكلاهما قد حصل على درجة العالمية (الدكتوراة) لتحقيق الأول البيان الواضح، في مصر، وتحقيق الثاني كتاب التخجيل في السعودية؛ كذلك واجهت هذه الصعوبة د. محمد حسنين حين تحقيقه لكتاب الرد على النصراني للجعفري.



ويقفنا هذا النص عند تحليله على عدة أمور، هي:

**أولاً:** انشغال العامة بما عليه حال النصارى من معتقدات يدينون بها، فهل أتى هذا الانشغال من قبيل التَّرفِ الفكري؟! أم أنه نابع من زواجع الحروب الصليبية؟! أم كانت هناك حملات تشكيكية، قام بها النصارى الأفرنج والعرب، ضد الإسلام ونيبه، مما جعل المسلمين هم أيضاً يقومون بردة فعلٍ لهذه الحملات؟!!

- لعل هذه التفسيرات كلها يمكن قبولها؛ فالتاريخ وقتها لم يكن في صالح المسلمين على الإطلاق، فلم يكن للخليفة العباسي إلا السلطة الاسمية على بغداد وما جاورها، وكانت هناك دول كثيرة تتقاسم السلطة الفعلية للبلاد الإسلامية (دولة السلاجقة - دولة الغزنويين - دولة الموحيدين - دولة الصليبيين) وفي مصر كان الحكم للفاطميين، مما أضعف الدولة بشكل عام وأدى إلى اضطرابها في مواجهة الصليبيين والتتار.

- وقد عاش الجعفري في ظل الدولة الأيوبية ودولة المماليك، وقد تولى أمر القضاء والولاية على مدينة قوص، والتي كانت تُعدُّ وقتها أولى مدن الصعيد، وثانية المدن المصرية، فأهلها أرباب ثروة واسعة وهي محط التجار القادمين من عدن، وقد كانت من إحدى المدن الكبرى لتجمّع عدد كبير من النصارى واليهود فقد كان بقوص وحدها ثلاثمائة يهودي<sup>(١)</sup>، كما كان بقوص - أيضاً - وأسوان وحدهما إحدى عشرة كنيسة للنصارى<sup>(٢)</sup>، مما يجعل مولدات الجعفري في الجدل الديني، مولدات طبيعية اقتضتها بيئته الاجتماعية، وحالته الدينية، والسياسية.

**ثانياً:** من الأمور التي يمكن استخلاصها من كلام الجعفري، علو العاطفة الإيمانية لدى المسلمين حين اشتداد الأزمات، فإذا كانت هناك شبهات أثرت من قبل أهل الذمة الموجودين بين أظهرهم، ومن قبل الأفرنج وملوكهم؛ فإن المسلمين وإن ضعفوا على المستوى السياسي، فقد علت وتأججت عاطفتهم الدينية، كما هو الحال في عصرنا الحاضر، ولما رأى المسلمون ذلك استنجدوا بمن ارتأوه كفيلاً

(١) حسب بنيامين التيطلي في رحلته ص ١٧٣ ط بغداد سنة ١٩٤٥ م.

(٢) حسب المقرئزي.

للقيام بأعباء ذلك الدور في الدفاع عن الإسلام، وبالفعل استجاب تقي الدين الجعفري لدعوة إخوانه، ولأمر السلطان الكامل فقد قام بعملية جمع للمصادر الخاصة بالديانة اليهودية والنصرانية، وبالمدونات التي صدرت من قبل عصره في علم الأديان المقارن.

- ومن ميزات الجعفري أنه قد ذكر لنا مصادره ومراجعته في الكتابة، وعلى العكس من غيره، وتمثلت مصادره في التالي:

(التوراة «الخمسة الأسفار» - نبوة داود - نبوة أشعيا - نبوة ميخا - نبوة حبقوق - نبوة صفنيا - نبوة زكريا - نبوة أرميا - نبوة حزقيال - نبوة دانيال).  
(الأناجيل الأربعة - رسائل التلاميذ المعروف بفراكسيس - رسائل فولس الرسول)

(صلوات النصرى، وشريعة الإيمان الملقبة بالأمانة).

(سير الحوارين).

كانت هذه مصادر المؤلف الخاصة بالديانتين اليهودية والنصرانية، أما بالنسبة لمراجعته التي قرأها يقول الجعفري:

«وقد وقفت على كثير من مصنفاتهم وتوالتهم في نصره دينهم، واحتجاجهم لأغالطهم، وما ردّت به كل فرقة من الفرق الثلاث الملكية والنسطورية واليعقوبية على الأخرى وما نصرت به مذهبها، وقرأت عدة ردود لأصحابنا عليهم، مثل:

كتاب الرهاوي، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ، وكتاب عبد الجبار المعتزلي، ومقالة أبي بكر، وكلام الجويني، وكتاب لبعض المغاربة، وكتاب لابن الطيب، وكتاب للطرطوشي، وكتاب لابن عوف، وكتاب الدمياطي، وكتاب لبعض معاصرنا، ثم نظرت جزءاً من كتاب لابن ربن من المتقدمين».

فها نحن أولاء نرى أن المؤلف قد جمع من المصادر ما كان يمكن أن يتيسر مثله<sup>(١)</sup>، مما يجعله عالمًا بمعظم وجهة نظر كل من

(١) فقد توافرت خزائن الكتب آنذاك في المساجد والمدارس، ولدى الخاصة من العلماء، فوجدت

الفريقين<sup>(١)</sup>، ومواطن الضعف عند الخصم، والمناهج المختلفة في الرد عليهم، بغية جعل مؤلفه جامعاً لكل ما يمكن أن يتجه إلى النصارى من نقد، وما عسى أن يكونوا قد استندوا إليه في نصرة دينهم مما يستوجب التفنيد والرد<sup>(٢)</sup>.

### موقف الجعفري من الكتب المقدسة:

بدأ موقف الجعفري مضطرباً تجاه الكتب المقدسة، فعلى حين ذكره أن مشكلة النصارى أتت من قبل الألفاظ، بمعنى أنهم قاموا بعملية تأويلية لظواهر النصوص المقدسة على غير المعنى الذي نزلت عليه، ومن ثم فيقوم هو بإعادة صياغة لكثير من المعاني، ويستدل من خلالها على صحة آرائه الخاصة بنقد اليهودية والنصرانية. ربما أدى مثل هذا إلى القول بأن الجعفري قام بتثبيت النصوص الكتابية، ولم يقدح في صحتها الوثائقية، فاعتبر التوراة والإنجيل غير محرفين، ولعل مما يدعم ذلك نقله لتواريخ كتابة الأناجيل الأربعة كما وردت عند أصحابها، ودون تعليق كعادته. لكنه مما يفسد هذا المؤدى، أنه يخصص فقرات كبيرة في كتابه للحديث عن تناقضات الأناجيل وتكاذبها ووهائها وتحريفها، ومع ذلك تجده يقول عبارات بعد هذا من أمثال:

«وأما الزامير والنبوات فكلها توحيد، وليس فيها من كفر النصارى شيء ألبتة»  
كما يذكر ذلك عن كلام السيد المسيح.  
هل هذا يؤول تحت باب الإلزام!!؟

---

= المدارس، التي نظن أن الجعفري قد استعار منها تلك المصادر، أمثال: المدرسة الناصرية، المدرسة الصلاحية، المدرسة الفاضلية، المدرسة الشريفة التي وكل أمرها إلى أحد الجعافرة، المدرسة الكاملة، المدرسة الصلاحية، المدرسة الظاهرية.

(١) اطلع المؤلف على ما كتبه النصارى آنذاك، فقد كانت هناك طائفة نشطة في الكتابة عن المسيحية، من أمثال: جبرائيل بن تريك، ومرقس الضرير بن موهب ابن القنبر، وميخائيل مطران دمياط، وسمان بن كليل، ومن كان للجعفري صلة بهم أو بمؤلفاتهم: الرشيد أبو الخير الطيب، كيرلس بن قَلْتَق، يوحنا بن مينا، الوجيه يوحنا القليوبي، وأولاد العسال الثلاثة.

(٢) انظر محمد حسانين في مقدمته للرد على النصارى ص ١٧ ط مكتبة وهبة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه المسألة، أن الجعفري قام ببحث فقهي، ألا وهو:

هل يجوز الاطلاع على التوراة والإنجيل وقراءتهما<sup>(١)</sup>!

ويبدو هذا السؤال بالنسبة لي غريب سواء إذا ما كان من العامة، الذين وصفهم الجعفري بالحرص على الدفاع عن الإسلام وذب الشبه عنه أو كان من الفقهاء، وسبب غرابتي مقصورة هنا بحسب، بمعنى أن بحث المسألة فقهيًا يدل على تحري العلماء مسألة الحلال والحرام وهو أمر محمود لا غضاضة فيه، وإنما المشكلة أن يثار مثل هذا التساؤل في وقت كانت ترسل فيه الإشكالات والشبه للمسلمين من خارج أراضيتهم، وتثار في داخلها، فينشغل جمعٌ من الفقهاء بالقضية الفرعية، ويتركون فرض العين.

بل وجهت كتابات للفقهاء رأسًا في هذه الفترة، فكتب ميخائيل مطران دمياط رسالة إلى أحد علماء المسلمين، ووجه أبو ياسر بن أبي سعد بن القسطال ردًا على المسلمين ودفاعًا عن المسيحية، وهذا طرفٌ منها:

«أوجب لفقهي شريعة من الشرائع الثلاث الموجودة الآن أن يذكر شريعة ويفضلها على غيرها من غير أن يعلم ما ذكرته الشريعتان اللتان ليستا له؟» فيجيب طبعًا لا. فإذا ادعى فقيه الملة المالكة لهذه الديار أنه يعرف الشرائع الأخرى فيسأل: من أي استقى معرفته؟ هل من علماء هذه الشرائع؟ هذا غير ممكن لأنهم مشتتون في العالم ويتكلمون لغات شتى. فإذا لا يستقي معرفته إلا مما هو مكتوب في شريعته.

كما كتب الرشيد أبو الخير بن الطيب في هذه الفترة كتابه: معتقد الملة المسيحية والرد على طائفتي الإسلام واليهودية من موضوعاتهم وأصل مذاهبهم.

لعل هذه الكتب وغيرها التي خطها النصارى توضح دورهم البارز في الأدب الدفاعي والجدل، كما أنها تبرز اهتمامهم بالقضية الرئيسية لا الفرعية، فلا ينبغي

(١) لاستبيان آراء الفقهاء والمحدثين في هذه القضية راجع ما كتبه البقاعي ت ٨٨٥هـ في كتابه «الأقوال القوية في حكم النقل من الكتب القديمة» مخطوط دار الكتب المصرية.

الانشغال بالفرعيات، وقد تنبه بعض الفقهاء لهذه الدقيقة فقاموا يناظرون النصارى في إشكالاتهم، لكن هل قاموا بنخطة معينة للدفاع عن الإسلام؟!

هل أَلْمُوا بمصادر النصارى واليهود وما كتب في هذا الباب؟!

هل كانوا مستعدين بالفعل؟ أم دفعتهم العاطفة الدينية إلى المخالفة فحسب؟!

أظن أن دور الفقهاء في الجدل يحتاج لبحث خاص يستجلى فيه الأمر، لأن نصوصاً وردت تجعل موقفهم حرجاً للغاية.

فحوار الفقهاء مع علماء النصارى ثابت تاريخياً، فقد كتب كيرلس بن لُقْلُق مجادلته مع جماعة من المسلمين بمجلس الملك الكامل بن العادل بن أيوب حضر فيها القس بولس البوشي، أو بطرس البوشي، وهذا البوشي - كما يذكر الأب جورج قنوتاي في كتابه المسيحية والحضارة العربية ص ٢٧٥ - اشتهر في أواسط القرن الثالث عشر على عهد البطريرك كيرلس السابق ذكره، وحضر مجادلته عند الملك الكامل ابن العادل، فقد ورد في نسخة دير السريان، ما يلي:

«وعقدوا له (كيرلس) مجلس مع القس بولس البوشي بحضور أنبا نيقولا البطريرك للملكية بين يدي الملك الكامل بالقلعة، بحضور جماعة كبيرة من فقهاء المسلمين وعلمائهم. ورجحه السلطان في العلم، وشكر تعليله المسائل التي أوردها السلطان والفقهاء وغيرهم عليه».

هل هذا يجعل موقف الفقهاء موقفاً خالياً من القوة، بحيث لم يجد الملك الكامل بن العادل بُدأً من أن يَكِلَ مهمة الدفاع إلى غيره، فيكل الأمر إلى تقي الدين الجعفري.

لكن هنا سؤال هام : لماذا لم يتصدَّ الجعفري مباشرة لمناقشة علماء النصارى دون دعوة من الملك أو الإخوان؟!

هل كان يجد حرجاً في ذلك؟ أم لم يكن بعد مؤهلاً لهذا الدور؟!

لقد ورد في كلام الجعفري ما يدل على أنه لم يكن قد هيا نفسه لهذا الدور بعد، وعندما وكلت إليه هذه المهمة قام بجمع المصادر والمراجع اللازمة وأعدَّ نفسه، وقام بالرد على جميع الشبه، وأثار تساؤلات واستشكالات كثيرة

ضد النصارى .

لكن ألا يقدر هذا في فطنة الملك الكامل، لأنه أوكل الأمر إلى رجل غير قادر وقتها على الدفاع؟!

### أثر الجعفري في علم الأديان المقارن

غاية الأمر أن الجعفري بثالوثه الكتابي «الرد على النصارى - تخجيل من حرف الإنجيل - البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» قد وضع نفسه في دائرة من الأدب الدفاعي، جمَع فيها الجعفري ما ورد في المؤلفات السابقة عليه، وكانت هذه الميزة الكبرى التي اتسمت بها كتابته فحسب، حتى أن فقيه المالكية أحمد بن إدريس القرافي حينما أراد الكتابة في نفس الموضوع لم يجد أمامه سوى كتب الجعفري فاختصر منها ونقل وألف كتابين: (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة - أدلة الوجدانية في الرد على النصرانية).

وقام بإهداء الكتاب الثاني إلى السلطان الكامل أيضاً.

بل تعدى الأمر إلى ما بعد عصر المؤلف، يقول الدكتور محمد حسنين بصدد هذه المسألة:

«والحق أن المؤلف لم يترك عقيدة من عقائد النصارى الأساسية إلا وجه إليها من النقد ما يدل على خبرته، وعلى مدى استفادته من كل ما ذكره من مراجع، إلى الحد الذي يمكن معه القول، دون خوف الوقوع في محذور المبالغة، بأن الذين تناولوا هذا الموضوع ممن جاء بعده من المجادلين المسلمين لم يضيفوا شيئاً إلى ما جمعه في مؤلفه.

والذي يقرأ كتابه (الذي بين أيدينا)<sup>(١)</sup>، ويقارن بينه وبين كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» الذي كتبه ابن تيمية في أربعة أجزاء، يجد أنه لا

(١) يشير الدكتور محمد حسنين إلى كتاب الجعفري في الرد على النصارى، لأنه عبارة عن مختصر لكتاب التخجيل، فإذا طُبع على الأصل فينبغي الرجوع إليه.

يعدو أن يكون تكراراً لما ذكره مؤلفنا قبله بحوالي قرن من الزمان»<sup>(١)</sup>.

### وأعود إلى السؤال الخاص بحكم الاطلاع على التوراة والإنجيل:

**فإن قيل:** كيف أجزت النظر إلى هذه الكتب، وصحبتها محظورة، والأمة بالنظر فيها غير مأمورة، وقد نهي الصحابي عنها<sup>(٢)</sup>، وبحر منقوله عجاج، وبينه معقوله مركبة من أعدل مزاج؟

**قلنا:** المحظور هو: النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم، وإجراؤها على ظواهرها الموهمة<sup>(٣)</sup>، لا سيما للعامي الغر والحدث الغمر، فأما من نظر فيها على المقصد الذي قصدته، والنحو الذي أردته وأوردته، فهو إن شاء الله من أمهات القربات... وبالجمل على الأعمال بالنيات<sup>(٤)</sup>.

### فوائد الكتاب:

لن أذكر هنا قيمة الكتاب العلمية؛ فذاك بحث مستقل يحتاج إلى ربط بين عصر الجعفري وسابقه، ومن أتوا بعده من علماء المسلمين، وعلى المقابل علماء المسيحية. لكني أشير هنا إلى الفوائد التي ارتأها الجعفري لمؤلفه وهي:

١ - رسوخ الإيمان للمسلم بموافقة ما في أيديهم للقرآن، ويقصد الجعفري بذلك قضية التبشير بالنبي محمد ﷺ في كتبهم، فإذا اطلع المسلم على

(١) مرجع سابق ص ١٧ ، ١٨ . ولعل مما يؤكد كلام الدكتور حسانين أن من ترجموا لابن تيمية ذكروا ضمن مؤلفاته كتاب تخجيل من حرف الإنجيل، أفلا يدل ذلك على شيء!!

(٢) يقصد بالصحابي الذي نهي عن الاطلاع عليها: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه .

(٣) هل يعني هذا أن النصوص تمثيلية، قصد بها معان أخرى تحتاج إلى تفسير، والمشكلة وحدها هي التفاسير؟

(٤) النظر في الكتاب المقدس قرينة كبيرة إلى الله ما دام المقصود الدفاع عن الإسلام؛ بل إن بعض الفقهاء اعتبرها من أعظم القرب حتى قيل:

«كلام الله واحد: إن عبّر عنه بالعبرانية فتوراة، وإن عبّر عنه بالسريانية فإنجيل، وإن عبّر عنه بالعربية فقرآن»، راجع كتاب البقاعي السابق ذكره.



النصوص المستخرجة من التوراة والإنجيل والتي تتوافق مع صفات النبي ﷺ وزمانه ومكانه ورسالته وأصحابه، ويجري تأويلها حسب آيات القرآن التي تنص على وجود اسمه الشريف بالتوراة والإنجيل ومعرفة الكتابيين به أكثر من أبنائهم؛ يطمأن المسلم لقرآنه، ويثلج صدره.

٢ - تَعَلَّم الحجة عليهم من كتبهم، وإلزامهم على مقتضى أصولهم، وذلك أفحم لهم.

٣ - الدعوة إلى طريق الهداية، وهو الإسلام، وذلك عن طريق إرشادهم؛ بإيقافهم على احتمالية تفسير ألفاظ الكتاب المقدس بأمر غير التي فهموها مما أوقعهم في الغلط.

٤ - إظهار جانب العظمة والنقاء والصفاء في الشريعة الإسلامية، والتأكد من صدق مقولة النبي ﷺ: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية»، وذلك من خلال إظهار ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل، وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية، والجعفري هنا يُثَبِّت النصوص الكتابية الموجودة، وخاصة الترجمة العربية في تبين أصول المسيحية، على حين أنه في مواضع كثيرة يقول بتحريف النص النصي لا التأويلي، ويعتمد على حديث ضعفه بعض المحدثين، وهو نفسه قد أوَّل معناه ليتوافق مع رؤيته حين الحديث عن حكم النظر في التوراة والإنجيل، ومن المفترض إسلامياً، بل من المؤكد أن شريعة الأنبياء واحدة، توصف كلها بالنقاء والصفاء، لأنها نابعة من مصدر إلهي واحد، لا من عندياتهم، ربما قصد الجعفري ما أقوله، لكن ظاهر نصه يدل على غير ذلك.

وهنا نقول: هل نجاح الجعفري في إيصال هذه الفوائد إلى جمهور المسلمين؟ والإجابة طبعاً بنعم، مما أثلج صدر الجعفري لتحقيقه بغيته، ورؤيته لحصاده أمام عينيه، مما جعله يقول عن كتابه «تخجيل من حرف الإنجيل»:

«هو كتاب وضعته في أيام الشباب والنشاط، وجودة القريحة والانبساط، فأكب على نقله علماء أهل الفسطاط، واغبتوا به غاية الاغبتا، . . . ، فجاء الكتاب

ندرة في فنه، غاية في بابه لا يسمع به أمير أو مأمور إلاَّ حصَّله واقتناه، وبلغ من مناظرة أهل الكتاب مناه<sup>(١)</sup>.

يبرز النص السابق ذبوع الكتاب وانتشاره في مصر، وفي منطقة قوص مدينة نفوذ الجعفري، فهل سكت النصارى وأفحموا بهذا الكتاب؟! فمن المفروض أن الكتاب موجّه إليهم لا إلى المسلمين لكي يفرحوا ويغتبطوا، فتلك فائدة واحدة من الفوائد التي ذكرها الجعفري، وأين غرض الدعوة إلى الإسلام الموجه من قبل الجعفري إلى النصارى!!؟

### الجعفري وكتابه ونصارى عصره:

ذكرت من قبل أن علماء النصرانية المعاصرين لتقي الدين الجعفري كانوا نشطاء للغاية، فكانوا من المقيمين لفنون الجدال في الشفاهية والكتابية، وكثيراً ما جادل الجعفري النصارى وحاورهم واستشارهم في تفسيرات لبعض الألفاظ والأفكار الواردة في التوراة والإنجيل وقصص الحوارين، وقد ذكر ذلك في كتبه:

(سألت حبراً من أحبار اليهود عن هذا المزمور - سألت حبراً من أحبار اليهود عن قول داود - لقد فاوضني أحد الرهبان يدعى بنانا في البيان، فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة - قال مؤرخهم - قال المنبجي أسقف منبج - صرّح لي بهذا بعض النصارى، وكان معنا في المجلس رجل من عقلائهم).

لكن هل خلّفت كتابات تقي الدين الجعفري ردوداً نصرانية؟ أم أفحم بها النصارى وسكتوا؟! الحق أنها تركت وراءها ردوداً من قبل النصارى، وتمخضت الردود على الجعفري بطريق مباشر وغير مباشر، فمثال الأول:

ما قام به (الصفى أبو الفضائل ابن العسال)<sup>(٢)</sup> فقد كان عمله الأساسي - كما

(١) راجع: «البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» للجعفري، مرجع سابق ورقة (٥) من المخطوط.

(٢) ابتداءً الصفى ابن العسال عمله العلمي سنة ١٢٣٥م، وتوفي سنة ١٢٦٠م، اهتم بجمع =

يقول الأب جورج قنواتي في كتابه المسيحية والحضارة العربية ص ٢٧٧ - الدفاع عن العقيدة المسيحية وتوضيحها، وقد خصص ابن العسال (الصفوي) كتاباً للرد على تقي الدين الجعفري وأسماءه:

(نهج السبيل في تخجيل مُحَرَّف الإنجيل، ردًا على أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري)

ومثال الثاني: ما كتبه المؤمن أبو إسحاق إبراهيم بن العسال في كتابه :

(مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين) خاصة الجزء الثالث من الكتاب حيث يورد الرجل الاعتراضات والشبهات والشكوك والردود، ويجب عنها بحلها ودفعها وإبطالها.

وأخيراً:

فقد طال الحديث في مقدمتي هذه، لكن أجد من واجبي لفت نظر الباحثين والدارسين في هذه المقدمة إلى أمور جديرة بالدرس:

- ١ - دور الفقهاء في القرن السادس والسابع من الأدب الدفاعي.
- ٢ - دور النصارى ومدى تفاعلهم وبروزهم على مسرح الأحداث بقوة.

---

= وشرح قوانين الكنيسة القبطية، وبجانب هذا كان يعظ عظات، وقد ساعده أخاه المؤمن بترجمة عدد كثير من المؤلفات اليونانية، خصص جزءاً من مؤلفاته مناهضة للجانب الإسلامي منها:

- كتاب الصحائح في الرد على النصائح، ويروي (الصحاح في جواب النصائح)، وهو رد على أحد المسلمين.

- كتاب يرد فيه على «اللمع المضيئة لمنصور بن فهمي الدمياطي»، وهو على شكل حوار بين فقيه يثير الاعتراضات ومجيب يجيب عليها.

- الكتاب الأوسط، وهو دفاع عن ألوهية المسيح ردًا على الأنباري الناشئ ت ٩٠٦ م في كتابه المقالات (راجع قنواتي، المرجع أعلاه ص ٢٧٥ - ٢٨٨، وللوقوف على دور أولاد العسال الثلاثة).

٣ - المقارنة الجادة بين أعمال النصارى وأعمال المسلمين في الأدب الدفاعي .

٤ - دراسة الجعفري وجهوده كحلقة وصل بين من سبقوه ومن أتوا بعده كابن تيمية، مع المقارنة (الجادة) بين مؤلفات الجعفري ومؤلفات الصفي العسال والمؤمن العسال .

كتبه

خالد محمد عبده

٢٢ / ١١ / ٢٠٠٥

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الكتاب

الحمد لله الواحد الذي لا يتكثر بالأعداد، الماجد الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد، المنزه الذات والصفات عما يقول أهل الإلحاد، الصمد المتعالى عن الأكل والشرب كما اعتقد من حاد، القديم لا بمرور العصور ومرور الدهور والآباد، العظيم لا يكبر أجسام وأجساد، القيوم الذي لو نام؛ فشا فى الكون الفساد، خالق الآباء والأبناء. الأزواج والأحفاد، سامك السماء بالملائكة الكرام وماسك الأرض بالأطواد، مظلم الليل ومضيء النهار ومفجر الأنهار من الصلدة الجماد، مُقدر الأوقات ومدبر الأوقات. الانتقاص والازدياد، مالك السماوات والأرض وواهب الرفع والخفض والبسط والقبض. الملك الجواد، مرسل أنبيائه بلطائف أنبائه؛ لإرشاد العباد.

مُهَلِّك كِسْرَى وَقَيْصِرٍ وَتَيْعٍ وَحَمِيرٍ وَعَادٍ وَشَدَادٍ، وَوَاهِبِ مُوسَى النَّصْرِ وَالْعُونَ وَخَاذِلِ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ.

وجاعل ابن مريم وأمه آية للعالم. وما هما بأعجب من حواء وآدم. فتعسا لعباد الأنداد، ضلّوا بالمشى على الماء، وصعود السماء وإحياء الموتى وتكثير الأزواد، هذا موسى قد فلق وإدريس قد صعد وإلياس قد أحيا من أنتن وداود، ولم يكونوا أرباباً بذلك، فكيف يغلط فيما هنالك. لولا الشقاء والعناد؟  
أحمده على ما أسدى وأفاد، وأمدحه على ما أبدى وأعاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضمن للصدر الثلج، وكلمة تعصم المهج بأوفى الدرّج وأقوى الحجج.

وأشهد أن محمداً عبده الذى نصي عليه موسى، ونبى الذى طرّق بين يديه عيسى، وصفيه الذى أخدمه جبريل، ونحيه الذى رسمه فى التوراة والإنجيل.  
صلى الله عليه وآله وصحبه. صلاة تزيدهم تبجيلاً إلى تبجيل، وتخلّد جيلاً بعد جيل.

قال عفا الله له عن ذنبه وحباه بحبه: حضرتُ محفلاً تحفلُ بالمعارف أخلاقه وتكفل بالعوارف آلافه فإذاعوا مزائد الفوائد، وأعادوا ودائع العوائد. وأفاضوا فى

العلوم الدينية، وأضافوا إلى ذلك ذَكَرَ الأمة النَّصْرانية<sup>(١)</sup>، فتعجب من حضر. كيف زلت بهم القَدَم، حتى اعتقدوا اتحاد العَدَمَ بالقَدَم؟ ومن أين قادهم الخبيث، إلى القول بالثلاثية. وروج عليهم المحال، فدانوا بعبادة الرجال؟ واستبعدوا أن يعتقد لبيب، أن الإله يُصلب على صليب. أو يستقر في الأحلام، أن تشتمل على القديم الأرحام. فقلت: إن من المستحيل أن يضلَّ السالك مع وجود الدليل، وعيسى عليه السلام فهو خِريَّت عارف بالطريق، وله من ربه تعالى أوفى رفيق. وقد شهد له المصطفى. — وهو الزُكِّي المعدل — بأنه بلغ عن الله، ولم يبدل. قال ربنا جل اسمه حكايةً عنه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ...﴾ لكن ربما خلف من بعده خُلوف كالخُلوف واستعوص عليهم كلامه فتناولوا بأيدي التحريف الحُرُوف. وأتاهم العدو من قبل الألفاظ فغلطهم، وجرَّاهم على الكفر بإجرائها على الظاهر فورطهم. ومعلوم: أن كل تنزيل لا يخلو عن جملة من الظواهر لغرض التأويل، يضلُّ بها الجاهلون ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾.

وهذا كما هفا قوم في لفظ الاستواء، والنزول إلى سماء الدنيا. ولفظ الوجه والعين واليد والقَدَم. وغير ذلك. فحملوا الأمر في هذه التسميات على ما يتندر إلى أفهام العَوَام فزلوا. وإذا كان النصارى إنما أوتوا من قِبَل الألفاظ، وعدم الحفَاط. فيتعين على من له ذرية بهذا الشأن؛ حلَّ إشكالهم، وفك الشبهات التي أعانت على ضلالهم.

فزعم الجماعة: أنى عارف بكتبهم، خبير بمخاريقهم وكذبهم، دريِّ بمرادهم. بالجواهر والأقنوم، درِب بالفرق بين فرِّق النسطورية واليعاقبة

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول: ذكر الأمة المسيحية. وذلك لأن أتباع عيسى عليه السلام من زمان إلى زمن التحريف في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م يعرفون بالنصاري. وهم كانوا صالحين ويشرون بمحمد ﷺ ومن لقبه في التوراة والإنجيل لقب «المسيح» بالآلف واللام وقد بشر به عيسى عليه السلام بهذا اللقب كما روى متى في آخر لقاء بينه وبين علماء اليهود وجموع من آمن به [متى ٢٢: ٤١ إلخ] وفيه يقول: «ماذا تظنون في المسيح؟» «لأن معلمكم واحد؛ المسيح» وفي هذا المجمع أقر الضالون بأن عيسى هو «المسيح» المنتظر، لا «مسيح» كسائر المسحاء. فلذلك أطلق عليهم زورا المسيحيون. ثم إنهم يقولون إنا نصارى تمويها على الناس وخداعا، حتى لا يفطنوا إلى الانفصال التام بين الذين كانوا قبل نيقية وبين الذين حرفوا في نيقية.

والروم. قالوا: لو أنرتَ لُمعًا، تكونُ على الحقِّ علمًا، فرب كلمة واحدة تهدي أُمَّاً. فأجبتهم لوجوب حقِّهم، ورجوت الحيا عند مبيض برقمهم. واستخرتُ الله تعالى وشجعت جنانا جبانًا، وأطلقت من ضعيف العناية عنانا. ودأبتُ في تحصيل ما لم أفد عليه من كتب القوم، ولم أجترئ بما كان في يدي منها، حتى استكملتُ التوراة - الخمسة الأسفار - ونبوَّة داود ونبوَّة إشعياء ونبوَّة مِخيا ونبوَّة حَبَّقوق ونبوَّة صَفَنيا ونبوَّة زكريا ونبوَّة إرميأء ونبوَّة حزقيال ونبوَّة دانيال.

والأناجيل الأربعة ورسائل التلاميذ، المعروف بفراكتيس ورسائل فوئس - الرسول - وصلوات النصارى، وشريعة إيمانهم الملقبة بالأمانة، وسيرَ الحوارين؛ فقلبتُها ظهرا لبطن دفعات. فإذا ظواهرها مؤوَّلة، وكلماتها على غير النحو الذى صار إليه أربابها منزَّلة.

فأجدتُ فى تأويل ما أجراه النصارى على الظاهر، وبينت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكفر. بعد أن قدرتُ صحة كتبهم وإن كانت سقيمة، وسلمت وجودها وإن كانت فى حكم العديمة. وأظهرتُ من كتبهم فساد معتقدهم، وكشفت ما أخفوه من بشارة الأنبياء عليهم السلام - بمحمد ﷺ - وأكذبتهم. فيما نسبوه إلى المسيح عليه السلام - من نقائص وذنابل يجعلُ قدره عنها، وأوضحت أن ما جاء به من الخوارق والمعجزات قد سبقه بها من تقدمه من إخوانه الأنبياء، ونهتُ على إنكاره قول من غلأ فيه ونسبه إلى ما لا يليق من الربوبية، وأكذبت اليهود فى تخرصهم عليه وعلى والدته العذراء البتول بما حققت من معجزاته. وأبديت تناقض الأناجيل الأربعة التى بأيدى النصارى وتكاذبها، وفضائح القسيسين ومخاريق الرهبان وما أحدثه النصارى بعد المسيح - عليه السلام - فى صلواتهم ومتعبداتهم وردَّ جوابهم من المدكَّات والمخاريق على ضعفائهم؛ ليقوِّوا به واهى أباطيلهم، وبينت بالأدلة الواضحة تناقض شريعة إيمانهم التى يزعمون أنه لا يتم لهم حرب ولا سلم ولا عيد ولا قربان إلا بها. ومجانبتها لما كان عليه المسيح وتلاميذه، وأفسدت عليهم ما أجمعوا عليه القول بالثالوث بما أبديته من التوحيد المحفوظ عن المسيح وأصحابه، وأبديت عوار صلواتهم الثمانية، وما اشتملت عليه من الكفر والضلال وعبادة غير الله تعالى، وأوضحت زلَّهم فيما صاروا إليه من قتل المسيح، وبينت من الإنجيل أن المفعول به ذلك غير



المسيح. تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شِبْهَ لَهُمْ﴾ فاشتمل الكتاب على فوائد.

منها: رسوخ الإيمان للمُسلم بموافقة ما فى أيديهم للكتاب العزيز، كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى﴾ وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾، وكثرة الأدلة توجب الطمأنينة وتلج الصدور.

ومنها: تعلّم الحجة عليهم من كتبهم، وإلزامهم على مقتضى أصولهم. وذلك أفحم لهم.

ومنها: قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التى اقتضت غلطهم، فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: الوقوف على سرّ قول نبينا - عليه السلام - وقد رأى فى يد بعض أصحابه صحيفة من كتبهم، فغضب عليه السلام «وقال له: ألقها. فوالله لقد جنتكم بها بيضاء نقية» (١).

وأنت - رحمك الله - إذا شاهدت ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل، واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل. وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية؛ عرفت سرّ قوله - عليه السلام - «لقد جنتكم بها بيضاء نقية» إلى غير ذلك كما يوضحه الكشف.

فإن قيل: كيف استجزت النظر إلى هذه الكتب، وصحبتنا محظورة، والأمة بالنظر فيها غير مأمورة. وقد نهى الصحابى عنها وبخراً من قوله عجاج، وبنية

(١) الحديث: فيه مجالد بن سعيد. وقد ضعفه الإمام أحمد بن حنبل وغيره. وأقرهم الحافظ بن حجر فى فتح البارى على تضعيفه. والنظر فى كتب أهل الكتاب لا بد للمسلم منه؛ لأنهم لن يفيدوا المسلمين بشيء من كتبهم يقوى الإيمان، ولأنهم إذا قال الله فى القرآن: إن عندهم كذا وكذا، يقولون ليس عندنا. بغية تشكيك العالم فى صدق محمد ﷺ. ولذلك يضطر المسلمون إلى دراسة كتبهم ليستخرجوا منها ما يدل على صدق محمد ﷺ فى كل ما أخبر به. وقد أخبر الله تعالى عنهم قولهم: ﴿وَأِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنْتَحِدُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ وأمر الله المسلمين بقراءة كتب أهل الكتاب بقوله ﴿فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦) فَمَنْ التَّرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ...﴾

معقوله مركبة من أعدل مزاج؟

قلنا: المحذور هو النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم وإجراؤها على ظواهرها الموهمة. لا سيما للعامى الغرّ، والحدث الغمر. فأما من نظر فيها على المقصد الذى قصدته، والنحو الذى أردته وأوردته؛ فهو إن شاء الله من أمهات القربات. فأما نبيه عليه السلام الصحابى عن ذلك: فلأن الأمر كان فى ابتدائه، والشرك بعد لم يمت بدائه. فلعل رسول الله ﷺ رأى أن غير ذلك أولى بالصحابة فى ذلك الوقت، ولأن الصحابة - رضوان الله عليهم - هم أعيان الأمة فلو أكبوا على تلك الكتب المبذلة، والصحف المحرفة. لأوشك أن يتابعهم الناس فى ذلك. وقد قال - عليه السلام - لأصحابه: «إنكم أئمة يُقتدى بكم» وقال: «أصحابى كالنجوم» فهذا نهى الصحابى، وندبه إلى الاشتغال بالكتاب العزيز بقوله: «لقد جتتكم بها بيضاء نقية».

قلت: وقد ذكر الفقهاء تردداً فى جواز استصحاب هذه الكتب للوقوف عليها، وتوجيه وجوه الرد إليها.

ويالجملة فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها خطبها، ومطية تنهج سواء السبيل بمن ركبها. وربنا المسؤول أن يصحح منا المقاصد، ويبعث رائد التوفيق فيقف لنا بالمراصد. وقد كنت وقفت لجماعة من العلماء على عدة كتب فى هذا الباب. وأرجو ألا يكون هذا المختصر مقصراً عن شأوهم. وقد سميته «تخجيل من حرف الإنجيل» ورتبته فى عشرة أبواب. والله الموفق للصواب.

الباب الأول: فى كون المسيح عبداً من عبيد الله، بقوله وفتواه. لقول ربنا - جل اسمه - حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ... ﴾ - ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَالِدُ الَّذِي أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ - ﴿ لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ... ﴾ ونظائرها.

الباب الثانى: فى إثبات نبوة المسيح - عليه السلام - وتحقيق رسالته. نذكر فيه من أقوال المسيح وأفعاله ما يشهد له بالنبوة والرسالة، ويخصم اليهود فى افتراءهم عليه وعلى والدته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

إليكم... ﴿ وقوله ﴿ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ ونظائرها.

**الباب الثالث:** في تأويل ظواهر الإنجيل. نبداً فيه بعون الله تأويل لفظ الأب والابن والإله والرب والسجود والغفران. وغير ذلك. ومساواة المسيح غيره من أنبياء الله تعالى وأصفيائه؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ — ﴾ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ — ، ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ ونظائرها.

**الباب الرابع:** في تعريف مواضع التحريف. نحكى فيه: تكاذيب الأناجيل الأربعة التي بأيدي النصارى يومنا هذا. وتناقضها بحيث يقطع من وقف على ذلك أنه ليس الإنجيل المنزل من عند الله؛ ليتحقق قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾<sup>(١)</sup> — ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ونظائرها.

**الباب الخامس:** في بيان أن المسيح وإن قصد وطُلب. فما قتل وما صلب. ونذكر فيه حماية الله — تعالى — لنبية المسيح عيسى ابن مريم من أعدائه، واشتباة أمره على اليهود الذين أرادوا قتله، ووقوع شبهه<sup>(٢)</sup> على رجل سواه، شُغِلُوا بِهِ

(١) التحريف اللفظي ينقسم إلى قسمين: ١ - تحريف الكلم من بعد مواضعه. مثل كتابتهم عن النبي محمد ﷺ أنه سيكون من بين إخوتهم. والكلمة الأصلية من بنى إسماعيل . ٢ - ولبس الحق بالباطل. مثل وضعهم «إسحق» بعد لفظ الابن الوحيد البكر المأمور إبراهيم بذبحه. وهذا التحريف بقسميه قد تم حال إعادة كتابة التوراة في «بابل» ثم إنهم من بعد انتشار التوراة في العالم وصعوبة تحريفها لفظياً، يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة.

(٢) الحق: أنهم لم يصلبوا المسيح، ولم يصلبوا شبهه. وأنهم هم الذين اختلقوا رواية قتل المسيح وصلبه؛ لأغراض منها: ١ - وضع نبوءات من التوراة عليه . ٢ - وتقوية عقيدة غفران الخطايا. وبيان ذلك: أن من أوصاف محمد ﷺ في التوراة: أنه يتألم من إغراض الناس عن دعوته وصددهم عن سبيل الله ومحاربه ظلمًا وزورًا، ثم من بعد الحرب، يتصر عليهم. ولأن المسيح لم يحارب ولم يتصر، تحايلوا في وضع الصفة عليه بقولهم هو تألم بالصلب، ثم انتصر على الموت، وقام من الأموات. وقد طبقوا عليه الزمور ٢٢ وغيره لهذا السبب. وأيضا: طبقوا على يهوذا مزمور ٦٩ و١٠٩ لهذا الغرض، وهو إبعاد المزمورين عن =

عنه. فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه ورفع الله نبيه المسيح؛ ليتحقق قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الآية، ونظائرها.

**الباب السادس:** في الأجوبة المسعدة، عن الأسئلة الملحدة. ونسطر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها ونشفعها بالجواب؛ ليتفجع بذلك من أحب مكالمتهم. عملا بقول ربنا جل اسمه: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ﴾ — ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ — ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ...﴾ ونظائرها.

**الباب السابع:** في إفساد دعوى الاتحاد. ونحكي فيه مقالات فرقههم في اتحاد اللاهوت بالناسوت وتناقض الروم والنسطورية واليعاقبة. ثم نكرّر على الجميع بالإبطال؛ ليتضح قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ — ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ ونظائرها.

**الباب الثامن:** في الإبانة عن تناقض الأمانة. ونبين فيه: فساد أمانتهم التي يقبونها بشريعة إيمانهم، ويسمونها التسيحة. وهي التي لا يتم لهم عيد ولا قربان بدونها، وكيف أكذب بعضها بعضا وناقضه وعارضه، وأنه لا أصل لها في شرع المسيح البتة، وإنما ألفها قوم من بعده بدهر طويل. قال ربنا تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ونظائرها.

**الباب التاسع:** في الواضح المعهود من فضائح النصارى واليهود، ونذكر فيه حيل القسيسين ومخاريق الرهبان ومدكاتهم، وما يقرءونه في صلواتهم الثمانية من السخف والهديان، وما افتراه اليهود على أنبياء الله الأبرار وصفوته الأطهار، مما ذلك مزبور مسطور في توراتهم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

= محمد ﷺ فقد كتبوا عليه: «لنصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن» {مز ٦٩} «لياخذ وظيفته آخر» {مز ١٠٩} وقد بينا ذلك في كتابنا الاقتباسات. وبيننا أن التشبيه معناه: أن اليهود شبهوا لأهل الروم أن أمر المسيح كأمر الديانات الوثنية القديمة المثلثة؛ ليسهل على أهل الروم عمل دين يوحد المملكة كلها تحت اسم الأب والابن والروح القدس، كما قال تعالى: ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ...﴾

الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ وَقَالَ :  
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا  
إِلَهًا وَاحِدًا ... ﴾ ونظائرها .

**الباب العاشر:** فى البشائر الإلهية بالتسمية المحمدية. ونذكر فى هذا الباب ما  
اشتملت عليه التوراة والإنجيل ونبوءات الأنبياء من البشرى بسيدنا محمد رسول  
الله ﷺ والتنصيب على اسمه وأرضه التى يُبعث منها وبلده ودينه وملته. وأنه  
خاتم الأنبياء، وأن أمته أفضل ملة وأن شريعته تدوم إلى قيام القيامة؛ ليتحقق قول  
ربنا تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ونظائرها .

## [فصل تمهيدي

في

### التعريف بالأناجيل]

اعلم أن الكتاب الذى بأيدى النصارى اليوم ليس هو إنجيلا واحدا. بل هو أربعة أناجيل: إنجيل متى – وهو من الاثنى عشر حوارياً – وكتبه بالعبرانية بفلسطين، وكتبه بعد صعود المسيح إلى السماء بثمانى سنين. وإنجيل مرقس – وهو من السبعين – وكتبه بالرومية، بالروم بعد صعود المسيح إلى السماء باثنتى عشرة سنة. وإنجيل لوقا – وهو من السبعين – وكتبه باليونانية بالإسكندرية، وإنجيل يوحنا – وهو من الاثنى عشر حواريا – وكتبه باليونانية، بمدينة أفسس بعد صعود المسيح بثلاثين سنة.

وعدة هذه الأناجيل تسعة آلاف واثنان وستون آية.

وعدة فركس أربعة آلاف ومائة وتسع وأربعون آية.

وعدة كتاب فُولُوس ستة آلاف وأربع مائة وإحدى وسبعين آية. وقد ذكر أن لهم إنجيلا خامسا ولم أقف عليه، وذكر لى بعض النصارى أنه يسمى إنجيل الصبوة<sup>(١)</sup> ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح عليه السلام فى حال طفولته.

\* \* \*

(١) إنجيل الصبوة يسمى إنجيل الطفولية. وهو مترجم إلى اللغة العربية من النصارى من أكثر من خمسمائة سنة ومطبوع فى فينسيا وله مقدمة بالألمانية. ومنه نسخ بمصر وهو غير إنجيل توما القبطى الذى يتكلم عن المسيح فى صباه. ولتوما إنجيل آخر وهما مطبوعان فى مصر باللغة العربية. وكل الأناجيل المرفوضة مجموعة فى كتاب باللغة الإنجليزية. منه نسخ فى مصر، وقد ترجم منه إنجيل يعقوب وغيره إلى العربية.





## الباب الأول

### في كون المسيح عبداً من عبيد الله بقوله وقتواه

#### [الدليل الأول]

قال متى الحواري في الفصل الثامن من إنجيله: قال الله في نبوة إشعيا -  
يعنى المسيح -: «هذا فتاى الذى اصطفيته، وحببى الذى ارتاحت له نفسي. أنا  
واضع روحى عليه، ويدعو الأمم إلى الحق»<sup>(١)</sup>

قلت: سماه الله عبداً مصطفى على لسان إشعيا وابتعته مأموراً بدعوة الأمم  
أسوة غيره من الأنبياء؛ أورد ذلك متى في معرض الاستشهاد على أهل العناد حيث  
نسبه الفجار إلى يوسف النجار. فقد تضافر الإنجيل، ومحكم التنزيل على عبودية  
(١) المؤلف لا يرى: أن نبوة إشعيا هذه خاصة بمحمد ﷺ. وبيانه أنها خاصة به: هو أن علماء المسلمين  
طبقوها عليه. ومنهم الشيخ ابن قيم الجوزية والشيخ ابن تيمية والشيخ القراني والشيخ أبى العباس القرطبي  
صاحب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام والشيخ الخزرجي ومؤلف تحفة الأريب. ومن  
أعجب العجب: أن المؤلف نفسه قد طبقها على محمد ﷺ في البشرى الثانية والعشرين. وهذه البشارة  
مطابقة لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صفة رسول الله ﷺ كما هو عند الإمام أحمد  
والبخارى رضى الله عنهما. وفيه: «أنت عبدى ورسولي... الخ» والنبوة في سفر إشعيا ٤٢: ١ - ٩  
وبدؤها: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سرت به نفسي. وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق  
للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف... الخ».  
وكتاب الاناجيل الأربعة الذين حرفوها في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م طبقوها على عيسى عليه السلام مع  
جميع نبوات التوراة عن محمد ﷺ.

واعلم أن المؤلف يقول: إن هذه النبوة في الفصل الثامن من إنجيل متى. وفي عصرنا هذا تغيرت الفصول  
وأرقام الآيات ٥٠ والنص في متى موجود في الأصحاح الثاني عشر ١٧ - ٢١ وهو منقول من إشعيا من  
أول: «هو ذا فتاى» إلى قوله «رجاء الأمم».

وقد تطابقت هذه النبوة مع القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾  
﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾.

ورد في التوراة لفظ الفتى على الابن من الصلب، خلافاً للمؤلف. ومن ذلك:

١ - «فقال الملك ليوباب: «هأنذا قد فعلتُ هذا الأمر؛ فاذهب ردّ الفتى بشالوم» {صم ٢١: ١٤} وبشالوم  
هو ابن من الصلب لداود الملك عليه السلام.

٢ - في سفر التثنية: أن أى رجل يتزوج امرأة بكراً، ويشيع كذباً أنها ليست عذراء. يأخذ الفتاة أبوها  
وأُمها، ويُخرجان علامة عذريتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب، ويقول أبو الفتاة للشيوخ: أعطيت هذا  
الرجل ابنتى زوجة؛ فأبغضها... الخ» {ث ٢٢: ١٣}.

عيسى، وجعله داعياً للأمم كداود وموسى. والفتى هو العبد والخادم لا الولد، والدليل عليه من التوراة في السفر الأول منها: قول موسى «ولما بلغ إبراهيم أن الملوك أغاروا على سدوم وسبوا لوطا ابن أخى إبراهيم عباً فتياته وعدتهم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا، وسار فى طلب العدو واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ما له»<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن إبراهيم الخليل – عليه السلام – لم يكن له يومئذ هذه العدة من الأولاد. فمن ادعى ذلك أكذبه أهل الكتابين. فقد شهد موسى عليه السلام: أن الفتى هو العبد أو الخادم. وقال موسى فى السفر الرابع من التوراة؛ ما هو أجلى من ذلك فى قصة بلعام بن بعور وهو «أن بالاق بن صفورى الملك أرسل إلى بعام ليلعن له بنى إسرائيل ويدعو عليهم. فأجابه بعد مفاوضات وسار إليه راكبا أتانه ومعه فتیان من ممالیکه<sup>(٢)</sup> فقد شهدت التوراة أن الفتى هو العبد والمملوك، لا كما تخرصه متأخرو النصارى فى حمل هذه اللفظة على الولد.

والدليل على أن لفظ الفتى ليس موضوعا للولد: قول الإنجيل «إن المسيح بعد قيامه وقبل رفعه مرَّ على جماعة من تلاميذه وهم يصيدون السمك فقال: يا فتیان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت وشيئا من شهد العسل»<sup>(٣)</sup> فقد وضح أن لفظة الفتى ليس فيها مستروح للنصارى فيما يرومونه من النبوة بل هى لا تستعمل إلا فيما قلناه، وقد قال ربنا جل اسمه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ يعنى خادمه يشوع. وقال سبحانه ﴿مَنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقال نبينا ﷺ «لا يقل أحدكم عبدى وأمتى، وليقل فتاى وفتاتى»<sup>(٤)</sup> فقوله تعالى فى نبوءة إشعيا «هذا فتاى» مكذب للنصارى فى دعواهم ربوبية المسيح وألوهيته، إذ أضافه – سبحانه – إلى نفسه إضافة الملك. فقال جل من قائل «هذا فتاى وحبيبي» أنا أفعل به كذا وكذا. وهذا تصريح من متى الخوارى بأن المسيح ليس هو الله، وأن الله ليس هو

(١) تك ١٤: ١٤ + .

(٢) عد ٥: ٢٢ + .

(٣) يو ٤: ٢١ + .

(٤) البخارى ومسلم .

المسيح، وأن الله قائل، والمسيح مقول له، وأن الله مُعْطَى ومنعم، وأن المسيح مُعْطَى ومنعم عليه، وأنه فتى من فتیان بنى آدم، وأن الله مالكة، وأنه عبد، وأن الله سيده.

وقد روى النصارى فى الأصحاح السابع والأربعين من إنجيل ماركس «أنه بينا بطرس فى الدار يستدفئ»<sup>(١)</sup> إذ جاءت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فنمت عليه، وراته أخرى فذكرت مثل ذلك». فهذا تصريح منهم: أن الفتى هو العبد والفتاة هى الجارية، فكيف يحملون ذلك على غير محمله. وهذه التوراة والإنجيل تكذبهم وتخطئهم، وتصرح بالرد عليهم؟

وقد حكى لوقا أيضاً فى إنجيله «أن مريم – عليها السلام – لما رأت أم يوحنا قالت لها وهى تثنى على الله: إن الله أنزل الأقوياء عن الكراسى ورفع المتواضعين وأشبع الجياع من الخيرات، ورد الأغنياء صفراً وعضد إسرائيل فتاه»<sup>(٢)</sup> يريد: عبده، وعبودية إسرائيل متفق عليها، وذلك يهدم ما تعلقوا به من حمل الفتى على الولد، وفى ذلك رد على النصارى، وتشويش لأمانتهم وإفساد لصلواتهم، وتكذيب لمشاخ دينهم. إذ يقرءون فى صلاة الساعة الأولى من صلواتهم: «المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعى الكل إلى الخلاص» ويقرءون فى صلاة السحر: «تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا» ويقرءون فى صلاة الساعة الثالثة: «يا والدة الإله مريم العذراء افتحى لنا أبواب الرحمة». ويقرءون فى أمانتهم وتسبيحة دينهم: «المسيح الإله الحق الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء».

وينقلون عن مشاخ دينهم وعلماء أهل ملتهم مثل أفرام وغيره قوله: «إن اليد التى جبلت طينة آدم هى التى سُمِرت على الصليب، وإن الشبر التى مسحت السماوات هى التى سُمِرت على الخشبة، وإن من لا يقول إن مريم ولدت الله؛ فهو بعيد عن ولاية الله».

وذلك كله باطل وزور وإفك وبهتان بقول متى حوارى المسيح عن الله: «هذا فتى الذى اصطفيت» أهُمُ – وَيْلُهُمُ – أعلم بالمسيح من تلميذه متى وسائر

(١) فى الأصل: «ينظر الغاية» أى حال المسيح والنص فى مرقس {١٤: ٦٦} + .

(٢) لوقا ١: ٥٢ + .

أصحابه الذين عاصروه وشاهدوه، فليس فيهم من يتحل هذا الهديان الذي صار إليه المتأخرون من النصارى.

وإذا قال إشعياء النبي - عليه السلام - : إن المسيح مضاف إلى الله. فقد عُلِمَ وعُرِفَ أن ما سوى الله تعالى فهو عبدهُ وخلقٌ من خلقه، وكون المسيح حبيباً من أحبائه وفتى من فتياه؛ لا يُخرجه ذلك عن العبودية. وقد دللنا من التوراة والإنجيل على أن الفتى هو العبد والخادم. فلا التفات بعد ذلك إلى جهلة النصارى.

### [الدليل الثاني]

وقد صرح فولس - فصيح النصارى ومفسرهم - بأن المسيح عبد مخلوق. فقال في الرسالة الثانية عشرة: «انظروا إلى هذا الرسول رئيس أحبارنا يسوع المؤمن عند من خلقه مثل موسى في جميع أحواله غير أنه أفضل من موسى»<sup>(١)</sup> فأى بيان وأى تصريح أوضح من شهادة فولس بأن المسيح مخلوق، وأنه مؤتمن عند خالقه تعالى.

### [الدليل الثالث]

دليل آخر على عبودية المسيح من قوله وفعله: قال متى: (٢) جاء يسوع المسيح إلى يوحنا المعمدانى من الأردن إلى الجليل ليتعمد على يده. فقال حين رآه: هذا الذى قلتُ إنه يجيء بعدي. وهو أقوى مني، وأنا لا أستحق أن أحل معقده خُفُّه. ثم قال للمسيح: إني لمحتاج أن أتعمد منك. فقال يسوع: دع الآن هذا. فإنه ينبغي لنا أن نكمل كل برّ فسمح له. فتعمد المسيح»<sup>(٣)</sup>.

قلت: هذا المسيح - عليه السلام - متقيّد بالعبادات، متطوِّق عهدته

(١) عب ١: ٣ + .

(٢) متى ٣: ١٣ + .

(٣) كان يحيى عليه السلام يقول عن محمد ﷺ: «يأتى بعدي من هو أقوى مني، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حدائه» (٧: ٨ - ٧: ٨) ومحرف الإنجيل فى مجمع نيقية قال على لسان متي: إن يحيى لما رأى عيسى قال: إن عيسى هو الذى كنت أقصده بقولى يأتى بعدي. والدليل على كذب المحرف: أن يحيى وعيسى كانا معا فى زمن واحد، وأنهما دعوا معا إلى اقتراب ملكوت السموات. ففى متى: «فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدانى يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت»

التكاليف، مُلتزم وظائف الخدمة، قائم بما يجب ليوحنا من الحُرمة، مساوٍ في تعمده وتعبده سائر الأمة. فكيف تُعتقد فيه الربوبية والألوهية وهو يتعمد من عبد من عبيده برّه؟ وهل يفتقر إلى التكميل إلا ناقص، ويُدعى إلى فعل الجميل إلا من هو عنه ناكص؟ والتكليف: عبارة عن التزام ما فيه كُلفة، ورُتبة الموجب فوق رتبة الموجب عليه. فالتزام المسيح وظائف العبادة؛ دليل على عبوديته.

وقد صرح يحيى المعمدانى بعبودية المسيح قولاً وفعلاً. وأما تصريحه قولاً: فإذا يقول: إن المسيح أقوى منه. والتفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر. ولا يحسن التفضيل بين الإله والآدمي. وأما تصريحه فعلاً: فتعميده للمسيح أسوة أمثاله من الناس، وكيف يحسن من نبي الله يحيى بن زكريا أن يجهل ربّه فلا يعرفه حق معرفته، فيعامله معاملة المخلوقين والعييد الربوبيين؟ وإن كان قد عرفه؛ فهلا نصح لعباده، وأرشدهم إلى معرفة بارئهم، وقام خطيئاً في الناس حين رأى المسيح وقال: اعلموا أن الله تعالى قد رحمكم، وتجنّس لخلاصكم، وجاء إليكم؛ لينقذكم من الخطية، ويفديكم من أعدائكم. وها هو ذا الذي جاء ليتعمّد مني. كما يعتقد النصارى يومنا هذا. وحاشى ابن زكريا عن أمثال هذه الترهات.

فإن قيل: إنما تعمد وتعبد ليعلم الناس العبادة، إذ ليس المتابعة في الأقوال مثل المتابعة في الأفعال.

فنقول: أو لم يكن الناس يعرفون العبادة قبل مجيء المسيح؟ فما زادهم على أن قال: تعلموا العبادة يا من هم بها عالمون. فصار ذلك كمن يقول لحاسب ماهر: اعلم أن خمسة وخمسة عشرة سواء. ثم هذا السؤال ينزل منزلة من يدعى أنه إنما جاء ليعلم الناس الأمور الناسوتية من الأكل والشرب والنوم وأمثاله. وذلك لا يقوله لبيب، فتعمده وتعبده - عليه السلام - دليل ظاهر على عبوديته. فمن

«السّموات» {متى: ٤: ١٧}

والتعميد: هو صبغ اليهودى التائب القابل للإيمان بمحمد ﷺ في حال ظهوره. وكلمة صبغ العبرانية تنطق بالعين المهملة لأنه ليس عندهم غين معجمة. والعين المهملة تنطق همزة فيقال صبأ. ومنه (والصابئون) أتباع نبي الله يحيى عليه السلام.

عذيري من قوم دُفَعنا معهم إلى أن يُستدل على أن القديم الأزلي ليس بآدمي يأكل ويشرب ويجيء ويذهب ويستريح ويتعب.

\* \* \*

فإن (١) قيل: فقد قال متى في تمام هذا الكلام: «إن يسوع لما تعمّد وخرج من الماء؛ انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت إليه في شبه حمامة، وإذا صوت من السماء قائلاً: هذا ابني وحيبي الذي به سُرَّت نفسي» وذلك دليل على ما يتحلّه النصارى من نبوته وألوهيته.

قلنا أولاً لا نُسلم صحة هذا النقل؛ لضعفه. والدليل على ضعفه ووهاه: أن صدور مثل هذه الآية العظيمة الآتية عند التعميد، واجتماع الغويّ والرشيد . سبيلها: أن تشتهر وتنتشر بحيث ينقلها الجم الغفير، والخلق الكثير. فلما لم ينقلها غير واحد تبيناً بطلان ذلك وكذب ناقله. على أننا لو سلمنا ذلك؛ فليس فيه مُستروح للنصارى فيما يرومونه؛ لأن بفتح السماء وسماع النداء ونزول الروح الذي هو الملك. كل ذلك من المعجزات الدالة على صحة النبوات، ولا غرو أن يأتي المسيح بخارق قاطع لشغب اليهود نازل منزلة قوة الله: صدق عبدي. فأما

(١) هذا الاعتراض وجيه. وقد أورده المؤلف عن النصارى وهو غير فاهم لعناه، ولذلك لم يحسن رده. وبيان ذلك: أن محرف الإنجيل أخذ من التوراة نبوتين عن محمد ﷺ ووضعهما في هذا النص. نص متى ١٦: ٣ - ١٧ على عيسى عليه السلام النبوة الأولى: هي نبوءة المزمور الثاني لداود عليه السلام والنبوءة الثانية هي نبوءة العبد المسالم في الأصحاح الثاني والأربعين من سفر إشعيا التي ذكرها المؤلف من قبل وهي: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضعت روعي عليه؛ فيخرج الحق للأمم» أما النبوءة الأولى ففيها يلقبون محمد ﷺ بلقب «الابن» هكذا: «إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني... إلخ» وقد طبقها الشيخ ابن تيمية والشيخ القرافي على محمد ﷺ. وأما النبوءة الأخرى ففيها أن «الذي سُرَّت به نفسي» أي أن الله يسر بإرساله إلى الأمم. والمحرف نسب النبوتين إلى عيسى عليه السلام. وكان يجب على المؤلف رفع النسبة عن عيسى عليه السلام بإبراز الصفات في كل نبوءة وتوضيح انطباق الصفة على محمد ﷺ ومثال ذلك: أنه في المزمور الثاني يقول عنه: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسّره» والمسيح لم يحارب أعداءه، ولم يكسّره. وأنه في نبوءة العبد المسالم يقول: «لا يكلّ ولا يتكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته» والمسيح لم يحارب ولم يكن معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى عليه السلام.

الروح: (١) فتارة يكون جبريل وتارة يكون ملكا غيره يقوم يوم القيامة صفا وحده وسائر الملائكة صفا آخر وتارة يكون عبارة عن العَلْم والحكمة وتارة يكون عبارة عن روح الأدمي. وتارة يكون كناية عن سرّ الشيء ولبّسه. وتارة يكون بمعنى الوحي. فهذه عدة محامل.

(١) الصحيح في (الروح): هو أن عيسى عليه السلام نطق باسم «أحمد» «بيراكليت» ووصفه بالروح القدس وبالروح الحق. فإذا قال إنسان «بيراكليت» فكأنه قال «الروح» وإذا قال الروح فكأنه قال ببيراكليت. فقولته تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ يقصد بالروح محمدا ﷺ (والملائكة) يقصد الملائكة الأربعة (صفا) وذلك ليشهد على الخلائق أنه بلغ رسالة الله. وفي سورة القدر يقول: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ على أهل الأرض. في الوقت الذي بُعث فيه محمد ﷺ المشار إليه (والروح فيها) يؤكد أنه بعث حقا. ثم قال: (سلام) أى شريعته شريعة سلام. ثم قال: (هى حتى مطلع الفجر) أى سيظل الجهاد بهذه الشريعة إلى أن يمحي ظلام الكفر من العالم بواسطةها. وقال تعالى: (وأيدناه بروح القدس) يعنى: أن الناس شكوا فى أمر المسيح. فأيد الله المسيح وصدق قوله الذى قاله عن محمد ﷺ بإرسال محمد. فصار عيسى مؤيدا بمحمد الملقب بروح القدس فى الإنجيل. وقال تعالى: (قل الروح من أمر ربي) يسألون عن الروح الذى هو لقب محمد فى إنجيل يوحنا. ثم قال للنصارى خاصة: (وما أوتيتم من) عيسى ابن مريم (من العلم إلا قليلا) ذلك لأنه قال لهم عن محمد ﷺ: إنه إذا جاء سيعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم. ويريد المؤلف أن يقول: إن روح الله ليست جسما وليست أقنوما. سواء أقلنا إن روح الله هى المسيح أو غيره. وإذا ثبت أنها ليست جسما، يثبت أنها لم تنزل بهيئة حمامة على المسيح أثناء تعميده من يوحنا المعمدان. هذا هو مراد المؤلف. ثم ساق أدلة على أن الروح القدس تأتى بمعان مترادفة يجمعها كلها توفيق الله وإعانتة لشخص ما وإلهامه لفعل من الأفعال.

واعلم: أن مذهب الأرثوذكس هو أن الله نزل من السماء ودخل بطن مريم بقوة الروح القدس ثم خرج طفلا هو فى نظر الناس طفل، وهو فى الحقيقة الله - عز وجل - ثم بعد ثلاثين سنة بلغ الرسالة إلى اليهود، والناس يظنون أنه هو يسوع لا الله. ثم بعد قتله وصلبه؛ دخل القبر ومن القبر هبط إلى جهنم لمدة ثلاثة أيام. ثم ارتفع إلى القبر، وارتفع من القبر إلى السماء، وجلس كما كان أولا. فالله على هذا المذهب هو المسيح. والمسيح على هذا المذهب هو الله. وعنهم يقول الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وقبل نزوله يسمى بأقنوم الأب، وبعد نزوله يسمى بأقنوم الابن، وبعد ارتفاعه وجلسه على العرش يسمى بأقنوم الروح القدس.

ومذهب الكاثوليك والبروتستانت هو الانفصال والتميز بين الأقانيم. فإله أقنوم مختص بالخلق. والمسيح أقنوم مختص بالروح، والروح القدس أقنوم مختص بالإحياء والإمامة. وعنهم يقول الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ وجميع النصارى يقولون بالأب والابن والروح القدس. وقد نهاهم الله عن هذا القول بقوله: ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم﴾ وفى بلاد الغرب طائفة تثلث بأربعة أصابع والرابع يشير إلى مريم تعظيما لها



والدليل على الأول: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ وفي الإنجيل «روح القدس نحل عليك»<sup>(١)</sup> يقول لمريم. والدليل على الثاني: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ والدليل على الثالث: قول الإنجيل: «إن المسيح أبرأ الناس من الأرواح النجسة فخلصوا»<sup>(٢)</sup>. والدليل على الرابع: قول التوراة لموسى «يصنع لك قبة الزمان بصليبي الذي ملأته روح الحكمة والعلم»<sup>(٣)</sup>. والدليل على الخامس: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ والدليل على السادس: قول القائل: هذا روح المسألة، أى سرها ولبها. والدليل على السابع: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ، ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .

وقول المعمداني: «إن روح الله. نظرها جاءت إليه» يريد الملك الآتى فى صورة طائر واختصاصه بالحمام، لأنه ميمون غير متشائم به، ونسبتها إلى الله نسبة ملك كقولهم فى التوراة: «إن موسى رجل الله»<sup>(٤)</sup> و«العصا التى بيده قضيب الله»<sup>(٥)</sup>، «وقبة الأمد التى بنيت فى التيه، خباء الله»<sup>(٦)</sup> و«أورشليم التى هى البيت المقدس بيت الله»<sup>(٧)</sup> فكذا قول متى: «ونظر روح الله جاء إليه» يريد ملك الله .

والدليل على مساواة المسيح غيره فى هذه الروح والتأييد بها: قول لوقا فى إنجيله: «قال يسوع لتلاميذه: إن أباكم السماوى يعطى روح القدس للذين يسألونه»<sup>(٨)</sup> والدليل عليه من التوراة قول الله لموسى: «اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التى عليك، فيحملوا عنك ثقل هذا الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبؤوا لساعتهم»<sup>(٩)</sup> وفى التوراة أيضا فى حق

(١) لوقا ١: ٣٥

(٢) من هذا كثير ومنه فى مرقس ٩ ولوقا ٤ ومتى ١٢ .

(٣) خر ١: ٣١ .

(٤) تث ١: ٣٣ .

(٥) خروج ٤: ٢٠ .

(٦) نح ١١: ١١ .

(٧) تك ١٧: ٢٨ .

(٨) لو ١١: ١٣ .

(٩) عدد ١١: ١٦ .

يوسف الصديق: «يقول الملك: هل رأيتم مثل هذا الفتى الذى روح الله حال فيه»<sup>(١)</sup> والدليل عليه من نبوة دانيال: «أن روح الله حلت على دانيال»<sup>(٢)</sup> وفى التوراة أيضاً: «أن موسى لما توفى امتلأ يوشع خادمه من روح القدس؛ لأن موسى كان يضع يده على رأسه»<sup>(٣)</sup>. فقد استوى الحال بين المسيح وبين من ذكرنا فى تشريفه بهذه الروح.

وقد قال الله فى الكتاب العزيز فى حق إخواننا من المسلمين: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ فما أجاب النصارى به عن حلول الروح على هؤلاء؛ فهو جواب لنا عن حلوله على من يدعونه. فإن تجاهلوا وقالوا: الروح الآتى إلى من عدا المسيح هى الملك والعلم والحكمة، والروح الآتى إلى المسيح هى حياة الله. قلنا لهم: الويل لكم. إن كان ما تقولون؛ فقد صار البارى ذاتا ميتة لاروح فيها، وإذا كان قد صار ذاتا صار ذاتا خالية من الحياة؛ فكيف يقولون إنه قال: «هذا عبدى وهذا ابني؟» فقد آل ما تدعون إلى نفى ما تدعون.

ثم نقول لهم: بيم تنكرون على من يزعم أن الروح الآتى والنداء ليس هو لعيسى بل لأستاذه الذى عمّده وهو يحيى بن زكريا؟ لأنه بشهادة الإنجيل أفضل منه، إذ هو الذى امتلأ من روح القدس وهو جنين فى بطن أمه ثم تنشأ سيّدا وحصورا<sup>(٤)</sup>. وقد قُلتم فى إنجيلكم: إن يوحنا هذا لا يأكل ولا يشرب ولا يتناول خمرا ولا مسكرا<sup>(٥)</sup> ولا يلبس سوى جلود الحيوان<sup>(٦)</sup> وأنه انتهض قبل المسيح إلى الدعاء إلى الله وعمّد الخلق حتى عمّد المسيح فيمن عمّد. فأما المسيح فلم تأته الروح - فى قولكم - إلا بعد الثلاثين سنة من عمره. على يد يوحنا، ولم يتصف بما اتصف به يوحنا. شيخه وأستاذه بل أكل الخبز واللحم وشرب الخمر - فى زعمكم - وحضر الدعوات<sup>(٧)</sup> وتناول نفائس الطعام، وصبت عليه امرأة دهنا

(١) تك ٤١: ٢٨. (٢) دانيال ١: ٩. «وأعطى الله دانيال نعمة ورحمة».

(٣) تث ٣٤: ٩. (٤) السيد: معناها: المعلم الدينى. والحصور: المنذور لله من الصغر. يقول المسيح لتلاميذه: «وأما أنتم فلا تدعوا سيدي».

(٥) لو ٧: ٣٣ وعدم تناول الخمر. يدل على أنه كان منذورا [راجع سفر القضاة فى نذر صموئيل].

(٦) مر ١: ٦.

(٧) يو ٢.

قيمته ثلاثمائة مثقال؛ فلم ينكر عليها<sup>(١)</sup>.

كل ذلك يشهد به إنجيلكم.

وإذا كان الأمر على ما وصفتم من حال الرجلين - سلام الله عليهما - فلا خفاء بكونه أفضل منه، وإذا ثبتت أفضلية يوحنا، فمن أين لكم أن الروح الآتى والنداء المسموع لم يكن ليوحنا؟ فدلوا أنتم على أن ذلك كان للمسيح، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلا.

ثم نقول لهم: أليس قد زعمتم أن الروح إنما جاءت فى شبه حمامة، فعرف شكلها وكميتها وقدرها وفرغتها حيزاً وشغلت آخر وتنقلت فى الجهات؟ وذلك صفة المخلوق الحادث، ويتعالى عن ذلك القديم - جل جلاله - ثم لفظ النبوة معارض بلفظ العبودية، فقد سماه الله عبده، واختار له ما عنده، وسواه فى العبودية بمن كان قبله ومن جاء بعده.

#### [الدليل الرابع]

دليل آخر على عبودية المسيح - عليه السلام - لله قال متى: «أخذ إبليس يسوع المسيح وأخرجه إلى البرية ليجربه وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً، فقال المسيح: إنه مكتوب: «أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من الله» فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل فى الأرض وأراه جميع ممالك العالم وقال: هذا كله لى وأنا أعطيكه إن سجدت لى سجدة واحدة. فقال: اغرب عنى يا شيطان فإنه مكتوب: «للرب إلهك تسجد وله وحده تعبد» فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انظر من ههنا إلى أسفل، فإنه مكتوب: «أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رحلك بحجر» فقال المسيح: ومكتوب أيضا: «لا تجرب الرب إلهك، فمضى به إبليس وتركه، وجاءت ملائكة تحرسه. وصام المسيح عند ذلك ثلاثين يوماً لبليالها وجاع أخيراً».

(١) قيمة الطيب ثلاثمائة دينار فى إنجيل يوحنا ١٢ «لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء؟» .

قلت: هذا متى الخواري قد ذكر هذه القصة، وهي شهادة على المسيح – بصريح العبودية – وافتقار البشرية، وسلوك سنة المتعبدين، وطريق المتبتلين من المجتهدين. ودأب الأولياء ومقدمات أمور الأنبياء؛ ينقطعون إلى مولاهم في قن الجبال، ويفرغون البال بمواصلة الوصال. ألم يأتكم نبأ ابن عمران إذ طوى الأربعين لا يفطر، وفعل من الخوارق بمصر وغيرها ما لا يجحد ولا ينكر. ولقد أربت آياته في النقل الصحيح، على آيات المسيح، وإذا انتهينا إلى ما يليق بذلك، أشبعنا القول فيها إن شاء الله. والعجب كيف يجرب إبليسُ يسوعَ ويمتحنه ويسحبه معه من مكان إلى مكان، ويسومه السجود له وهو في زعم النصارى خالقه وخالق كل شيء؟ فنحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، والمقهور في يده والشيطان طامع في استتباعه وصيرورته عبداً له؛ أهو إنسان مخلوق أو إله اتحد بإنسان أو سكن في إهابه واتخذه محلاً له؟

فإن قالوا: إنه إنسان مخلوق. وافقوا شرعنا وخالفوا شريعتهم وأمانتهم. إذ يقولون فيها: «إن المسيح إله خالق غير مخلوق، وإنه الذي أنقن العالم بيده» وإن قالوا: إنه إله خالق أو إله اتحد بإنسان أو حلّ فيه وسكنه. فقد حكموا أن الإله الأزلى سحبه الشيطان، وردّده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له. وفيه امتهان الرب القديم، والإله العظيم في يد الشيطان الرجيم. وقد شهد متى: أن المسيح قد جاع، والإنجيل يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد» وإذا ثبت بقول أصحاب المسيح: أن المسيح قد جاع، وتضافرت عليه الآلام والأوجاع. فقد ثبت بذلك أنه عبد لله. إذ ثبت أن ما سوى الله؛ فهو عبد له.

فإن قالوا: لا ننكر أن المسيح جاع وشبع، واطمأن وجزع. وناله النفع والضرر، واعتورت عليه أحوال البشر. غير أن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته.

قلنا لم يدعى الاتحاد الذي تدعونه ناسوتا متميزا عن لاهوت، حتى يُخصَّصَ بالعطش ولا الجوع والأرق والهجوم؟ بل صار المسيح بالاتحاد الذي يدعيه أهل الإلحاد شيئاً واحداً. والشيء الواحد لا يقال إنه جاع ولم يجع ومات ولم

يمت. على أن القول أيضا بذلك مفسد للاتحاد الذي يدعونه؛ لأنه قد كان المسيح قبل الاتحاد تدركه عوارض الآدميين من الجوع والعطش والطمأنينة والدهشة وغير ذلك، فإن كان بعد الاتحاد، كهُوَ قَبْلَ الاتحاد؛ فلا معنى للاتحاد. فقد صار الاتحاد الذى يُدعى له؛ مجرد تسمية ساذجة عن المعنى. وإذا ثبت أن المسيح قد تناول الطعام، وصلى وصام، والتزم الأحكام؛ فقد أربى فى العبودية على سائر الأنام. والعجب أن الشيطان لا يثبت مع وجود المَلَك، فكيف يطمع فيمن يعتقد ربوبيته حتى يسومه أن يجعله من الأتباع ويُوصَف عليه السجود الذى هو نهاية الانضاع؟ ألا تنظر النصرارى إلى قول المسيح: «ولله وحده نعبد» فإنه أثبت لربه الوحدة والانفراد، ونفى عن خالقه سائر الأنداد، من الشريك والصاحبة والأولاد. فالمسيح يقول: لا ينبغى السجود إلا لله الواحد، والنصارى تقول: لا يسجد إلا لثلاثة آلهة. لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح.

### [الدليل الخامس]

دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام: قال متى: «سمع هيرودس ملك اليهود خبر يسوع فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعتمد معه. وكان هيرودس هذا قد قتل يوحنا المعمدانى فى السجن وأعطى رأسه لابنة هيروديا وكانت قد تمت عليه ذلك، يوم رقصت فى مجلس مولود وُلد له، فجاء التلاميذ وأخبروا يسوع بمصاب يوحنا، فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضوع الذى كان به منفردا» .

قلت (١): اشتبه أمر المسيح على الناس، والرب لا يقع التشابه بينه وبين خلقه، وإنما شبهه الناس بيوحنا لاشتراكهما فى أعلام النبوة، وأخبر التلاميذُ المسيح بالقصة قبل أن يعلم بها. والرب تعالى يجب أن يكون عالما بجميع المعلومات، محيطاً بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

(١) المؤلف علق على حسب الترجمة التى بلغته. والترجمة التى هى الآن فى زماننا، تنقض تعليقه. فإنه هو الذى قال لغلمانه: «هذا هو يوحنا المعمدان. قد قام من الأموات، ولذلك تُعمل به القوات» وقصة قتل يوحنا فيها القرآن نفيًا باتا. وذلك لقوله عن يحيى مثل قوله عن عيسى =

خلق ﴿. وخرج المسيح عقب هذه الأخبار مؤثراً للاستتار معملاً مطايا الذار، من الأشرار. ومن دأب البشر، عند توقع الضرر، الأخذ بالخذر. وقد اتفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء ولم يجدَّ بهم الهلع بزمامه ولا أنزلهم عن غارب التوكل سنامه. قال بعض السلف: «نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله».

واعلم: أن يسوع هو عكس عيسى، وكأنه يَسُوعُ أُشْبِعَت الضمة قليلاً فصارت واوا، وكذلك يشوع في التوراة هو يوشع. فأما المعمداني فهو يحيى بن زكريا - وهو نبي ابن نبي - وُلِدَ بالبشرى من الله، وهو أكبر في السن من المسيح بستة أشهر أو نحوها، وقد تولَّى التعميد قبل المسيح وعمد المسيح فيمن عمده من الناس، والتعميد: هو غمس التائب في الماء، يشيرون بذلك إلى الانغماس في الطاعة والتجرد عن المخالفة كما ورد شرع الإسلام بتطهير الكافر حين يسلم. فأما هيرودس فهو أحد الأربعة الذين كان يدور عليهم أمر الشام من جهة قيصر، وكان قد رام نكاح ابنة أخيه <sup>(١)</sup> وقيل: ابنة زوجته فحال بينه يوحنا المعمداني وبين ما أراد من ذلك، فاعتقله هيرودس ثم قتله بالتماس أم الصبية. إذ رأت أنه راغم مقصودها. فذكر أن دم يوحنا هذا لم يفيض مذ وقع على الأرض حتى حرك الله داعية بعض ملوك بابل، قال أصحابنا: يقال لهذا الملك حردوش البابلي فسار إلى اليهود يجر الشوك والشجر فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، وحرق قراهم وعضد شجرهم، وأجلاهم عن البيت المقدس، وأعطى الله عهداً ألا يكف عنهم حتى يفيض ذلك الدم. فلم يفيض حتى كاد يستأصل اليهود واستاق السبي معه إلى بابل. وفيهم أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ ﴾ فكانت المرة الأولى على يد بختنصر بسبب قتلهم نبي الله إشعياء في زمن إرمياء النبي - عليه السلام - ثم رد الله إليهم ملكهم، وكانت المرة = ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا ﴾ أثبت لكل منهما موتاً ونفى القتل.

والقصة في متى ١٤ ومرقس ٦ ولوقا ٩.

(١) القصة كلها مختلقة. لان زوجة الأخ لا تحمل. وقيل: إن كان يزني بها إلى كلام طويل رده القرآن بإثبات أن الممعدان لم يقتل.

الثانية على يد طيطوس الرومانى بسبب قتلهم يحيى بن زكريا وذكر أن بين الوقعتين أربعمائة وإحدى وستون سنة (١) .

وينبغى أن يقال للنصارى: ما الذى دفعكم إلى عبادة مخلوق يفزع عند الضرار، إلى التقية والحذار، ويلجأ عند توقع المكروه إلى الفرار والاستتار فى الجدار؟ أين قولكم إنه حين تعمّد جاءته روح الله؟ وأنتم روّيتم لنا: أن موسى قد قاتل الجبابرة، وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالقة، وقتل عُوج مبارزة، ولم يفر من خصمه، وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون وإن اشتدت شوكته. وقد كان يدخل على فرعون فينغص عليه سلطانه، ويُرغم مجاهرةً شيطانه، ويحقر عند أهل مملكته شأنه، ثم جرّعه أليم اليمِّ، وأباد جنوده فى اللجم الخضم. أفكانت الروح التى مع موسى أقوى من الروح التى ادعيتموها للمسيح؟ فما نرى موسى إلا أحق من المسيح بالربوبية إذ كان لم يخف والمسيح قد خاف، وكذلك يشوع وداود قد قهر الصناديد، والمسيح قاتم إنه قتله اليهود.

### [الدليل السادس]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال فُولُس الرسول فى الرسالة الأولى: «وأنا أحب يا إخوتى أن تعلموا أن رأس المرأة الرجل، وأن رأس كل رجل المسيح، وأن رأس المسيح الله» (٢) .

فهذا فولس قد نطق بأن المسيح مرءوس وأن الله رئيس عليه، وذلك منه ردّ

(١) يسوع: فى الأصل العبري: يهو شوع. ومعناها: الله مخلص.

وكلمة عيسى من الكلمة اليونانية «إيسا» وتنطق فى حالة الرفع «إيسوس» والمعمدان: أى الذى يصبغ المؤمنين من اليهود بمحمد رسول الله هو يحيى بن زكريا عليهما السلام. وطائفته هى الصابئة المذكورون فى القرآن. وكان التعميد من أجل محمد فقط؛ لقوله: «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» يقصد بالصبغة تغيير المعتقد إلى الأحسن كتغيير لون الثوب. وما ذكره المؤلف من إفساد اليهود فى الأرض مرتين ليس بصحيح. والصحيح أن المرة الأولى حدثت فى سنة ١٩٦٧م والثانية ستكون بعدها والنص على الأولى فى الأصحاح الثامن من سفر دانيال والنص على الآخرة فى الأصحاح الأخير من دانيال والمؤلف كتب خردوش اليونانى، وصحتها طيطوس الرومانى وكان فى سنة سبعين بعد الميلاد.

(٢) كورنثوس الأولى ١١: ٢ + .

على النصارى وإفساد لأمانتهم وشريعتهم .

### [الدليل السابع]

دليل آخر: قال متى: «أصعد يسوع تلاميذه سفينة وصعد هو إلى الجبل يصلي، فلما كان فى الهجعة الرابعة من الليل جاء ماشيا على الماء طالبا السفينة فخاف التلاميذ وتصارحوا. فقال يسوع: لا بأس عليكم. فقال بطرس له: يا رب إن كنت أنت هو، فادعنى آتيك على الماء. فقال تعال. فنزل بطرس له يمشى على الماء فاشتد الريح فكاد أن يغرق. فصاح: يا رب نجنى. فمد يسوع يده وأخذه، وقال له: يا قليل الإيمان لم شككت؟ ثم صعد يسوع فسجدوا له» (١) .

قلت: هذا الفصل معرب عن تعبد المسيح وتبته وتهجده لمولاه وتذله، وحركته فى الجهات وتنقله وصعوده قن الجبال وتوقله، وهذه كلها أفعال دالة على حدثه .

فأما مشيه على الماء فليس فيه مستروح فى دعوى ربوبيته. فغاياته: أن التحق فى ذلك بموسى وإلياس واليسع - صلوات الله عليهم - والتوراة تنطق: أن موسى ضرب البحر فانفرك طرقا وفرقا، فكان كل فرق لفريق من بنى إسرائيل، حتى عبره ستمائة ألف رجل من بنى إسرائيل سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان (٢) . وهذا أعجب من مشى عيسى وصاحبه على الماء إذ السفن تساويهما فى ذلك، فلو كان عيسى ربا بذلك لكان موسى أولي، لما ظهر من عظيم فعله وجسيم نبله .

وقد جاء فى سفر الملوك (٣) من كتبهم: أن إلياس - عليه السلام - انتهى إلى الأردن، ومعه صاحبه اليسع؛ فنزع إلياس عمامته وضرب بها الأردن؛ فبيس له الماء وناول عمامته إليسع صاحبه. فلما رجع الآخر ضرب بها الماء؛ فبيس أيضا حتى مشى عليه راجعا .

فلم يكن واحد منهما رباً بذلك، وقد خاف بطرس صاحب المسيح الغرق،

(١) متى ١٤ : ٢٢ + بتصرف .

(٢) الخروج ١٤ +

(٣) الملوك الثانى - الأصحاح الثانى



ولم يخف منه اليسع، وقوة الضاحب تدل على قوة حال المصحوب.  
مناقشة على قول بطرس «يا رب إن كنت أنت هو»: اعلم: أن هذا من الكلام الخُلف. وذلك أن بطرس إن عرف أنه المسيح، فكيف يقول: إن كنت أنت هو؟ وإن لم يكن عرفه، فكيف يقول له يا رب؟<sup>(١)</sup>

### [الدليل الثامن]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «قال رجل للمسيح: يا معلم صالح؛ فقال له: لا تقل لى صالحاً، لا صالح إلا الله الواحد»<sup>(٢)</sup>.

قلت: أضاف المسيح لربه الوحدة، واعترف له بالألوهية وحده، وفي ذلك رد على النصارى فى دعواهم التثليث وعبادة المسيح، إذ نفى الصلاحية عن نفسه وأثبتها لله وحده، ولو كان الأمر فى ذلك على ما يعتقد النصارى لبيته للرجل ولقال له: لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة. وفى قول المسيح عليه السلام «لا صالح إلا الله الواحد» تكذيب للنصارى فيما يقرءونه فى بعض فرائضهم: «الإله الصالح الطويل الروح الداعى الكل إلى الخلاص» ويقرءون فيها: «يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضع من خلقت بيديك لا» ويقرءون فى شريعة إيمانهم التى لا يتم لهم قربان إلا بقراءتها: «نؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح الذى بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء» وهذا كله مخالف لقول المسيح - عليه السلام - «لا صالح إلا الله وحده» وإذا كان هذا قول المسيح، فقد ثبت أنه ليس هو الله ولا صفة من صفاته، وإذا ثبت أنه غيره، ثبت أنه عبده، لأن ما سواه فهو عبده وخلقته، وتبين فساد الأمانة التى لهم، وجعل من ألفها بدين المسيح وشريعته.

[الدليل التاسع] - دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «قال يسوع: من أراد أن يكون منكم كبيراً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون أولاً فليكن آخراً. إن

(١) يزول الخلف بتفسير الرب بمعنى السيد وهذا هو الحق والسيد هو المعلم الدينى وعيسى ليس هو المسيح الرئيس وإنما هو مسيح.

(٢) النص: «أيها المعلم الصالح...» متى ١٩ : ١١ + ١.

ابن الإنسان لم يأت ليُخدم، بل ليخدم ويذل نفسه عن كثير<sup>(١)</sup>».

قلت: هذا دأب المتقين وعباد الله المشفقين، قام عليه السلام بوصفه الاتضاع، ولزم مناهج إخوانه من الأنبياء في رعاية الأتباع. وصرح بأنه إنما بعث خادماً والرب يجب أن يكون مخدوماً، وأنه باذل نفسه ويتعالى القديم أن يكون عديماً.

### [الدليل العاشر]

الدليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «مر يسوع بشجرة تين وقد جاع فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق. فقال: لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد. فيست الشجرة لوقتها فتعجب التلاميذ وقالوا كيف يبست؟ فقال: الحق أقول لكم: إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل: تعال واسقط في البحر لفعل وكان كل ما سألتموه<sup>(٢)</sup> تنالوه».

قلت: أدركته - عليه السلام - عوارض البشر من الجوع والعطش. وما أكثر ما يصفه الإنجيل بذلك، ولما سبق في علم الله - تعالى - ما سُدعى فيه من الربوبية والإلهية؛ حفظ هذه المواضع من الإنجيل، وحرسها عن التغيير والتبديل؛ لتكون وازعة ذوى الأحلام، عن عبادة رجل من الأنام، يفتقر إلى الشراب والطعام، فقل للنصارى: يا معشر من بخس حظّه من المعقول، كيف خفى عن يسوع حال الشجرة وهو فى زعمكم الذى غرسها؟ أم كيف افتقر إلى تناول الثمرة وهو الذى كَوّن بلسها؟ ولم دعا عليها؟ ومن الذى دعاه حتى ساق الثوى إليها؟ وأخبرونا من هو هذا الذى جاع؟ فإن زعمتم: أنه الإله أكذبكم الإنجيل إذ يقول: «إن الله لا يأكل ولا يشرب» وأكذبكم داود فى المزامير إذ يقول: «إن إله إسرائيل لا يأكل لحوم العجاجيل ولا يشرب دماء أولاد الغنم<sup>(٣)</sup>».

فإن قلتم: إن الناسوت هو الذى جاع، أبطلتم الاتحاد، إذ الاتحاد عندكم صير الكثرة قلة، وجعل الاثنين واحداً، وأنتم زعمتم أن فائدة الاتحاد تشرّف

(١) النص فى متى . ٢ + وابن الإنسان لقب لمحمد ﷺ وراجع إشعياء ٥٢ فى نبوءة العبد المتالم.

(٢) متى ٢١ . ١٨ +

(٣) مزمو ٥ . ١٣

الطبيعة الناسوتية لا انحطاط الطبيعة اللاهوتية. وإذا قلت: إن طبيعة الناسوت باقية على حكمها، لم يحصل التشريف الذى ذكرتم، فما نرى طبيعة اللاهوت أكسبت الناسوت خيراً. وأخبرونا: أليس متى هذا يقول: إن المسيح هو الذى جاع، وهو الذى تردد مع الشيطان فى سخرته وواصل الصيام بسببه؟ والمسيح هو عبارة عن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية جميعاً، إذ طبيعة الإنسان على تجردها لا تسمى مسيحاً عندكم، وإذا كان هذا هكذا؛ فقد لزمكم القول بجوع الإله وعطشه ودخول الآفات عليه، وإذا كان ذلك غير سائغ، فالمسيح إذا عبد مربوب ومخلوق مألوه يتأذى بأسباب الأذى ويفتقر إلى تناول الغذاء.

فأما جفاف الشجرة فليس فى ذلك معتصم فى دعوى ربوبيته. ولو جاز أن يدعى فى المسيح الربوبية بهذه القضية؛ لجاز ذلك لإبراهيم وموسى وإلياس ودانيال وخلق كثير من أصفياء الله؛ أجيبت لهم دعوات، وأمدهم الله من الملائكة بربوات.

**[الدليل الحادى عشر]** دليل آخر على عبودية المسيح: قال متى: «اجتمع الفرّيسيون والهروديسيون ودسّوا على يسوع رجلاً ليصطادوه بكلمة. فقال له الرجل: يا معلّم، قد علمنا أنك محق، وأن طريق الله بالحق تعلم، وأنت لا تبالى بأحد ولا تعمل لوجه إنسان. فقل لنا: هل نعطى الجزية لقيصر أو لا؟ فعلم يسوع سرّهم وخاف شرهم، قال: يا مراؤون إنما جئتم لتجربونى أدوا ما لقيصر لقيصر وما لله - لله<sup>(١)</sup>.

قلت: هذه من المسيح عليه السلام حيدة عن الجواب. وهى مؤذنة بالتّقية القاضية بضعف البشرية، والحيدة تُجد كثيراً فى كلام الأنبياء - عليهم السلام - يستعملونها للضرورة الحاضرة. وأنا أستحسن قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد قال له العباس: يا رسول الله، إن أبا طالب، كان بك باراً أترجو الله له؟ فقال عليه السلام: «كل الخير أرجوه من ربي»<sup>(٢)</sup>. وقوله وقد سأله رجل: يا رسول

(١) متى ٢٢ : ١٥ + .

(٢) أخرجه ابن سعد ١ : ١٢٤

الله، متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها؟»، قال: حب الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحببت»<sup>(١)</sup>. ولما قال إبراهيم للكافر ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال: يا إبراهيم أنشدك الله أنت رأيتَه يفعل ذلك؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

واعتبر هذا الفصل الذي نقله متى. تجده من كلام الراوي. ليس للمسيح منه إلا القليل، وهذا حال أكثر الإنجيل، والإنجيل الحق هو المأخوذ عن المسيح عليه السلام لا عن غيره.

وما أضيق قول هذا الراوي «ليصطادوه بكلمة» هذا يعتبر سلفهم فما ظنك بخلفهم؟ أما كان يستطيع أن يجعل مكان «ليصطادوه» «ليمتحنوه ويختبروا ما عنده ويقفوا على حقيقة مذهبه؟ أين هذا من الفاظ الكتاب العزيز إذ يقول: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾؛ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

### [الدليل الثاني عشر]

الدلالة على أن التلاميذ لم يكونوا يعتقدون في المسيح ما ابتلى به النصارى. قال نقلة الإنجيل: «لما كان في أول يوم من عيد الفطير جاء التلاميذ إلى يسوع وقالوا له: أين تريد أن تأكل الفصح؟ فقال: اذهبوا إلى فلان فقولوا: يقول لك المعلم: عندك أكل الفصح مع تلاميذي»<sup>(٢)</sup>.

فَعَرَضَهُمْ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالْعَمَلَ بِسَنَةِ الْعِيدِ الْمَأْخُودَةِ عَنْ مُوسَى، وَاتَّبَاعَهُ أَحْكَامَ التَّوْرَةِ؛ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَشَرِ فِي شَيْءٍ سِوَى النَّبُوَّةِ، إِذْ هُمْ يَرَوْنَ عَنْهُ فِي الْإِنْجِيلِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ لِلنَّاسِ، وَهَمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ عَنْهُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ. وَقَدْ شَهِدَ قَوْلُ الرَّسُولِ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى بِأَنَّ الْمَسِيحَ عَبْدٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مَالِكُهُ فَقَالَ وَهُوَ يُسْهَبُ فِي إِفَادَةِ إِخْوَانِهِ: «إِنْ كُلُّ شَيْءٍ

(١) أخرجه البخاري و مسلم .

(٢) متى ٢٦ : ١٧ + .

فهو لكم، وأنتم للمسيح والمسيح لله»<sup>(١)</sup>. فأضافه إلى الله بلام التمليك كإضافة الأشياء لملاكها، وقوله «وأنتم» يريد أنتم له أتباع، وهو يبلغكم عن الله أوامره بطريق السفارة.

فإن قال النصارى: إنما أكل وشرب بناسوته، قلنا: ذلك باطل على رأى اليعقوبية القائلين: إن الاتحاد قد أصار طبيعتى المسيح طبيعة واحدة، فإنه لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت حتى يضاف إليه الأكل والشرب. وهو باطل على قول من جعل المسيح درعاً للاهوت أو مسكناً له. إذ لو تجرد اللاهوت عن ناسوته حال ملابسة هذه النقائص؛ لبطلت ألوهيته وخرج عن كونه مسيحاً؛ فإنه لم تثبت له هذه التسمية إلا بعد الاتحاد - فى زعمهم - فقد أقام يسوع بينهم ثلاثين سنة لا يسمى مسيحاً. إنما يعرف بيسوع بن يوسف، فمن أضاف الأكل والشرب إلى ناسوته وحده؛ فقد جعله أكلاً شارباً ببعضه، ومن جوز قبول آلهة للتضييف، فقد أبان عن عقل سخيف، وعقل ضعيف. ألم تسمعوا إلى قول المسيح: «يقول لك المعلم» سمي نفسه معلماً لهم!! وقال لهم فى موضع آخر: «ليس لكم معلم سوى المسيح»<sup>(٢)</sup>. وقد قال فى الإنجيل غير مرة «إن الأنبياء كلهم معلمون لدواب الله»<sup>(٣)</sup>. فكيف صرتم تضربون صفحاً عما فى الإنجيل من دلائل نبوته، وتتعلقون بأدنى خيال فى محاولة ربوبيته؟.

فإن أشكل عليكم لفظ فى الإنجيل - وليس بمشكل - فارجعوا القهقرى إلى التوراة كتاب موسى والأنبياء من بعده، فهل تجدون فيها ما تتحلون به من عبادة

(١) كورنثوس الأولى ٣ : ٢٢ + .

(٢) يقصد بالمسيح المعلم محمد ﷺ ولا يقصد نفسه. إنه يقول: اسمعوا من كلام بنى إسرائيل إلى أن يأتى المسيح، ولا تدعوا معلمين باستقلال عن شريعة موسى أى لا تنشثوا ديانة حتى يأتى المسيح فإنه هو الذى سينشئ الديانة وينسخ شريعة موسى أمتى {٢٣} .

(٣) يقصد قول المسيح : «لأن جميع الأنبياء والناموس تنبأوا، وإن أردتم أن تقبلوا؛ فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى» أمتى ١١ : ١٣ + والمعنى: إن أردتم أن تقبلوا نبياً لتعلموا بشريعته؛ فما هو ذا إيليا سأتى من بعدي. وإيليا هو اسم أحمد ﷺ.

رجل من بنى آدم؟ وإنا نجد غير ذلك فى التوراة وقد حذرت من الشرك بالله، ومجانبة توحيد الله، حتى قالت: «متى سمعتم بذلك فى بلد أو قرية فأهلكوا جميع من فى تلك القرية والبلد بحدّ السلاح، ولا ترحموهم. الله ربكم هو إله واحدٌ غيور عظيم مرهوب؛ فاتقوه وخافوه، واحفظوا سنته وأحكامه وأزيلوا الشر من بينكم»<sup>(١)</sup>. وكرر ذلك فى أسفار التوراة مرة بعد أخرى.

فالاتتماد فى ذلك على التوراة المنقولة بلسان الإجماع عندكم، وذلك أولى من الاعتماد على كتاب، إنما نقله أربعة أنفس وفيهم اثنان ليسا من أصحاب المسيح، بل من التابعين لهم، فلا جرّم لما نُقل هذا الكتاب بلفظ الأحاد وَقَعَ فيه من الغلط ما ستقفون عليه إن شاء الله فى الباب الرابع من هذا الكتاب، وحينئذ تتحققون أنه ليس هو الإنجيل المنزل من عند الله.

### [الدليل الثالث عشر]

شهادة المسيح على أهل زمانه بالشك فى شأنه: قال متى: «بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع قال: كلّم تشكّون فى هذه الليلة؛ لأنه مكتوب: «أنى أضرب الراعى فيفترق الغنم» فقال بطرس: لو شكّ جميعهم لم أشك أنا. فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك».

فقد شهد عليهم المسيح بالشك فيه، وأن خيارهم وهو «بطرس» خليفته عليهم من بعده: سينكره. وإذا وقع لهم الشك فى المسيح فى آخر أيامه ومنتهى مدته؛ فقد تخرمت الثقة بأقوالهم، وإذا أنكره مثل «بطرس» ولم يعرفه؛ بطل جزمهم بأنه قتل وصلّب، وصح قول ربنا تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ الآية.

فهذا المسيح - عليه السلام - قد وافق محمداً عليهما السلام فى أن القوم شاكّون فيه، وذلك مبطل لدعوى القتل والصلب. وقد صرح المسيح فى هذا الفصل بحرف لو تأمله النصارى لما عدلوا عن اعتقاد نبوته إلى انتحال نبوته. وهو

(١) النصف فى سفر التثنية وهو: «إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك...» ت ١٣ :

قول المسيح: «إنه مكتوب أنى أضرب الراعي» سمي نفسه راعياً وهادياً داعياً، وهذا حال الأنبياء عليهم السلام فإنهم يطوقون أعباء السياسة، ويرفقون الأنام بأخلاق الحراسة. فنحن نسأل النصرارى، من هو الضارب؟ ومن هو المضروب؟ فإن زعموا: أن الضارب هو الله، والمضروب هو الإنسان؛ فقد وافقوا شريعتنا وخالفوا شريعتهم إذ تقول: إن المسيح إله لا إنسان. وإن قالوا: الضارب هو الإنسان والمضروب هو الله، كان هذا قولاً لا يقوله أحد من الحمقاء فضلاً عن العقلاء.

فإن عادوا وقالوا: المضروب هو المسيح. أعدنا عليهم القول المتقدم. وقلنا: المسيح عندكم ليس آدمياً محضاً ولا إنساناً صِرفاً، بل هو مركب بالاتحاد من إله وإنسان؛ فقد لزمكم أن يكون الإله مضروباً أيضاً مع الإنسان. فإن راموا تخصيص الناسوت بالضرب؛ لم يتهياً لهم بعد القول بالاتحاد، وإن راموا تصحيح الضرب وإضافته وسائر النقائص إلى الناسوت؛ فقد أبطلوا الاتحاد وهو المراد.

وإن قالوا: المراد بالمضروب الابن وبالضارب الأب. قلنا لهم: فالأب والابن عندكم قديمان، فما الذى أصار أحدهما ضارباً والآخر مضروباً بأولى من العكس؟ وإذا كان الابن عندكم عبارة عن الحكمة الأزلية، فما معنى ضرب الله كلمته. وإنما تُضرب الأجسام؟ فأما صفات الله القديمة فلا تفارق ذاته الكريمة ولا تقوم بغيره.

وما نرى لروح القدس فى أكثر هذه الفصول ذكراً، فلا ضارب ولا مضروب - تعالى الله عن هذيانكم هذا علواً كبيراً -.

### [الدليل الرابع عشر]

صلاة المسيح وتعبده، واجتهاده فى الطاعة وتهجده: قال متى: «جاء المسيح مع تلاميذه إلى قرية تدعى جسمانية فقال لهم: امكثوا ههنا حتى أصلى هناك. ثم أخذ يحزن ويكتئب، وقال: إن نفسى حزينة حتى الموت. ثم قال لبطرس وابنى زبدي: اسهروا معى هذه الليلة. ثم خرَّ على وجهه يصلى ويقول: يا أبه. إن كان يُستطاع فلتعبر عنى هذا الكأس، وليس كإرادتى لكن كإرادتك. ثم جاء إلى

تلاميذه فوجدهم نياما، فقال لهم: ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، ثم مضى وصلى وقال: يا أبه. إن تستطع أن تعبر عني هذا الكأس حتى أشربها فلتكن مسرتك، وجاء أيضا فوجدهم نياما فتركهم ومضى يُصلى وأعاد كلامه الأول»<sup>(١)</sup>.

قلت: انظروا معاشر الضلال ودعاة الضلال، هل تليق هذه الخلال بصفات ذى الجلال؟ لو لم يكن في إنجيلكم سوى هذا الفصل لكان قائداً للعُميان، سائقاً إلى غير دين النصرانية من الأديان. إذ كان وما شاكله من أوضح الأدلة على ضعف البشرية وعجز العبودية. فسبحان من بخس النصارى عقولهم، وأظلم سبلهم، وأعمى دليلهم. أين هذا مما روى أن رسول الله ﷺ حين احتضر جعل يقول: «الرفيق الأعلى»<sup>(٢)</sup> فأنبأ الله بل صلحاء الناس مُحاشون عن هذا التردد حال الانتقال.

وهذه التوراة تشهد باحتضار طائفة من أولياء الله كإبراهيم وإسحق ويعقوب وهارون وموسى وغيرهم، وهم راضون بقاء ربهم، فرحون بانقلابهم إلى سعيهم. فنحن نورك على من نقل هذا التردد القبيح عن السيد المسيح.

وفى هذا الفصل حرف يقطع بانحرافه وتحريفه وهو قوله «إن تستطع أن تعبر عني هذا الكأس» ثكلت لافظه أمه، لقد عجز قادراً وسلك طريقاً عن الجدد نادراً، كيف يعجز القادر على الإطلاق، ويبخل من بيده مفاتيح أقفال الأرزاق؟ فنحن نسأل النصارى، ما سبب هذا الحزن والاكتئاب؟ هل يعدو أن يكون إما جزءاً من الموت أو أسقفاً على بقاء الناس على الكفر؟ وأي ذلك كان؟ فقد تحقق عجزه. فلا يصلح من هذا حاله للربوبية.

ثم نقول لهم: ألم تنقلوا عنه أنه إنما جاء ليخلص الخلق ويفديهم بدمه الكريم من الجحيم؟ وإذا كان الأمر على ما زعمتم، فلا معنى لحزنه ولا لاكتتابه. وفى الفصل أيضاً ما يفسد عليهم ما لفقوه فى شريعة إيمانهم، وهو قوله: «وليس كإرادتى لكن كإرادتك» فصرح بأن إرادته مغايرة لإرادة الله تعالى، وإذا كانت

(١) متى: ٢٦: ٣٦ + .

(٢) البخارى ومسلم



إرادته غير إرادة الله؛ بطل قولهم في الأمانة: «المسيح إله حق من حق إله حق من جوهر أبيه». فإن صححوا الأمانة أكذبوا الإنجيل، وإن صححوا الإنجيل أفسدوا الأمانة؛ إذ لو كان من جوهر الأب: لكانت إرادته من جوهر إرادته، وهم يطلقون على البارى لفظ الجوهر - تعالى الله عن كفرهم علواً كبيراً .

### [الدليل الخامس عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح: قال لوقا<sup>(١)</sup>: «ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم وهى حامل بالمسيح ليكتبا مع الناس. فضرىها الطلق فولدته ولفته فى الحرق وتركته فى مذود حيث نزل، فلما تمت له ثمانية أيام سموه يسوعاً ولما أكملوا أيام تطهيرهم أقاموه ليقربوا عنه زوجي يمام أو فرخى حمام كسنة الناموس».

قلت: هذه أحوال البشرية فى تنقلها من الاختتان إلى الرضاع إلى الطفولية. ويتعالى رب الأرباب أن تحويه معالف الدواب، بل لا تحويه الأقطار ولا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات.

قال لوقا: «ولما أكملوا سنتهم على مقتضى ناموس الرب؛ رجعوا إلى الجليل إلى بلدهم الناصرة؛ فكان الصبى ينشأ ويصفو بالروح ويمتلئ بالحكمة، وكانت نعمة الله عليه وأبواه يمضيان به فى كل سنة إلى عيد الفصح، ولما تمت له اثنتا عشرة سنة؛ مضيا به إلى أورشليم كالعادة، فلما رجعوا تخلف عنهم يسوع فى أورشليم ولم يعلموا به، وسارا وهما يحسبانه مع الرفقة. فلما لم يجدها رجعا إلى أورشليم؛ فوجداه فى الهيكل بين العلماء والشيوخ يباحثهم ويسمع منهم فأخذه وانصرفا وكان يطيعهما».

قلت: هذا الكلام والذى قبله يشير إلى تقيد المسيح بشريعة موسى - عليهما السلام - وأنه وغيره شرع فى الشرع. ورتبة التابع دون رتبة المتبوع. وفى ذلك دلالة على عبوديته. فأما اعتقاد الربوبية فى صبى يتعلم أحكام التوراة ويسأل اليهود عما أشكل عليه منها؛ فذلك عين الجنون. وهذا لوقا أحد مدونى الإنجيل

(١) الأصحاح الثانى من لوقا .

يشهد بأن المسيح عبد من عباد الله، وأنه صبي من صبيان بنى آدم، وأنه كان يتزيد مواقع النعمة من الله شيئاً فشيئاً ويتعلم العلم ويسأل عما جهل، ويستفيد ممن هو أعلم منه، ويخبركم أن الله معطيه ومنعم عليه، فكيف لم ترضوا له ما وصفه به لوقا من صفته؟ أنتم أعلم بما يجب له من لوقا ألم تسمعوا إلى قوله: «وأبواه يمضيان به كل سنة إلى أورشليم؟» ألا يعجبوا من جلوسه بين العلماء للاستفادة والتعليم؟ فالنجاة النجاء من وبال هذا المذهب الذميم، والوحا والوحا فى حلّ عقد هذا التصميم.

### [الدليل السادس عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح وضعفه وافتقاره إلى خالقه وتبرئه ممّا يدعيه النصارى فيه: قال لوقا: «قال رجل ليسوع أتبعك إلى حيث تمشى يا سيد؛ فقال له يسوع: للثعالب أجحار ولطيور السماء أوكار، وابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه»<sup>(١)</sup>.

قلت: الزهد شعار الأنبياء وثمار المتقين ونعت الموقنين، يفرغ القلب من الهموم ويقشع عن الفكر غيوم الغموم، ويعرب عن قوة الإيمان والوثوق بضمان الرحمن. اشتغل المسيح بالزهد والسكّ وتفرغ لخدمة ربه؛ فرفض الملك<sup>(٢)</sup>، ورضى فقره، فسكن القفر، وحقق صبره، فتوسد الحجر وافترش العفر. فكيف تعبد النصارى من يحوى مسقط رأسه فقراً؟ وتأمل من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً. وإذا قد رووا عن الصادق المسيح أنه ليس له موضع يسند رأسه، ورووا عنه أنه لا صالح إلا الله وحده، وحكوا عنه أنه قال: إن الله الإله الحق وحده، وأخبروا عنه: أنه صام وصلّى، وانقطع لعبادة ربه وتخلّى؛ فقد أكذبوا الأمانة التي ألفها قدمائهم إذ تقول: «إن المسيح إله حق، وإنه خالق كل شيء وإن يديه أنتقت العوالم» وتعين عليهم العمل بمقتضى قول المسيح وفتواه تلاميذه الأبرار وشهادة الأنبياء الذين تقدموه مثل موسى وداود، فقد قال المسيح ورفع وجهه إلى

(١) لو ٩: ٥٧ + .

(٢) هو رفض الملك لبيّن لهم أنه ليس هو النبي المنتظر .

السماء: «إلهي أنت الإله الحق الذي أرسلت يسوع المسيح»<sup>(١)</sup> .  
 وقال موسى في التوراة: «لا إله إلا إلهنا»<sup>(٢)</sup> - «إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب»<sup>(٣)</sup> - «الرب الأزلي الذي لم يزل»<sup>(٤)</sup> .  
 وقال داود في مزموره: «إن الله أقسم أن المسيح رجل كاهن يشبه في عبادته وتقواه ملكي صادق»<sup>(٥)</sup> الكاهن الذي كان يخدم البيت المقدس على عهد إبراهيم .

### [الدليل السابع عشر]

وقال شمعون الصفا رئيس الخواريين: «إن المسيح رجل أظهره الله بالأيدى والقوة والمعجزات»<sup>(٦)</sup> ، وقال المسيح: «إنه لا يقدر على عمل شيء لا يتفكر فيه حتى يكون هو الذي يعمله»<sup>(٧)</sup> ، وسئل عن القيامة فقال: «لا يعرفها إلا الله وحده» .

فهذه أقوال دالة وروايات متضاربة على أن المسيح عبد مربوب وأن له ربا يضرع إليه، ويعول في مصادره وموارده عليه. لا إله غيره ولا رب سواه. فهلوما معشر النصارى إلى عبادة ذى الجلال، وقدسوا القديم عن تشبيهه بالرجال، واستحيوا من ذوى الحجى أن تعبدوا إنسانا قد حملت به أمه، كما تحمل النساء بالأجنة وترددت عليه أطوار الخلق وتنقلت به الحال إلى أن ناهز الثلاثين من السنين، ينسب إلى أبوة يوسف مرة وداود أخرى، يتغذى بالطعام، ويتردد بين

(١) يو ١٧: ٣ .

(٢) خروج ٣: ١٣ .

(٣) خروج ٦: ٣ .

(٤) خروج ٣: ١٤ .

(٥) مزمور ١١٠ والمزمور خاص بمحمد ﷺ وقد طبق عيسى عليه طبقا لرواية متى ومرقس ولوقا لراجع متى ٢٢: ٤١ - ٤٦ .

(٦) أع ٢٢: ٢٢ + .

(٧) يوحنا ٥: ١٩ .

الأنام، ثم تعتوره عوارض الحيوان فيعافى ويكرب، ويحزن ويضطرب، ويعيا فيركب، ويستريح ويتعب، ويجوع ويعطش فيأكل ويشرب، ويستتر من عدوه ويطلب، ويقرن باللصوص - كما زعمتم - ويسحب، ويحمل صليبه فيقتل - بقولكم - ويُصَلب، ويدفن في المقابر فيكى عليه ويندب، وقولوا جميعاً كما قال المسيح في الإنجيل «لرب الهك تسجد وله وحده تعبد» قصب بذلك ظهر الخبيث، وفصم عرى أهل التثليث. وأثبت لربه الوحدة، وسجد لله وحده. ولم يعبد إلهين اثنين، ولا ثلاثة، ولا أرى أذراع، ولا أقسم بالذراع. ولا اعتقد اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولا أقسم بصليب الصلبوت. ولا عظم الصور والصلبان، ولا نطق بقولكم (كُرياليسان) بل عبد الله ودعا إليه وعول فيما يأتيه ويدره عليه، قال الله تعالى في الإنجيل: «هذا فتاي» سماه عبداً وسميته ربا، وقال: «هذا رسولي» سماه نبياً وجعلتموه أنتم إلهاً، وقال المسيح: «لا أعمل بمشيتي» (١) وقلتم: إنه خالق كل شيء حتى كأنكم قد تابعتهم على خلافه بدليل، أو تابعتهم على رفضه برهن ثقيل. فاستدركوا الغلط، واهجروا الهجر واللغظ. وتعلقوا بدمام قول الإسلام ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ولا تغلوا في دينكم بغير دليل، واعتقدوا عبودية المسيح كما نطق به الإنجيل.

### [الدليل الثامن عشر]

دليل آخر على عبودية المسيح ومساواته للبشر: قال مرقس في إنجيله: «قال يسوع: إن نفسى حزينة حتى الموت، ثم خرّ على وجهه يصلى لله وقال: أيها الأب كل شيء بقدرتك، أخرّ عنى هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا» (٢). فما هو سائل والله مسئول. وأى عبودية تزيد على هذا؟

(١) يقول المسيح: «لأنى قد نزلت من السماء. ليس لأعمل مشيتي، بل مشيئة الذى أرسلني» [يو: ٦: ٢٨].

(٢) مرقس ١٤ ٣٤ +

## [الدليل التاسع عشر]

دليل آخر على عبوديته: قال يوحنا: «وقف يسوع على بئر من آبار السامرة فقالت له امرأة من نسل يعقوب: إن آباءنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم. فقال يسوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم»<sup>(١)</sup>.

قلت: هذا يوحنا التلميذ - حبيب المسيح - يشهد على المسيح؛ أنه معترف برب لا تجزئه العبادة لغيره، ولا تنبغى الربوبية لسواه - سبحانه - ولو كان الأمر على ما يهتف به النصراني لأرشدنا وقال: اضربني عن معتقد أسلافك الغواة واسجد لي ولأبي وروح القدس فإنني ثلث الإله، كلا. ولكنه أخبرنا أنه عبد مدلل تحت رق العبودية وأنه يسجد لله مستحق الربوبية.

واعلم: أن المسيح قد كان يصلي إلى «أورشليم» وهي بيت المقدس قبله الأنبياء قبله، ولم يزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع. فكان مما أحدث النصراني بعده الصلاة إلى جهة الشرق، وتركوا القبلة التي كان المسيح يتوجه إليها. فإذا عيب عليهم ذلك؛ اعتذروا بأن صاحبهم صُلب إلى تلك الجهة قالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صُلب.

فيقال لهم: أرايتم لو صلب إلى جهة المغرب أو صلب منكساً إلى أسفل ماذا كنتم تصنعون؟ وإذا تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسن عندكم خلافه فهلا توجهتم إلى «الناصر» التي هي بلد ربكم، أو إلى «مصر» التي هرب إليها - بزعمكم -

(١) يوحنا ٤: ١٩+ والقصة مع السامرية في موضوع القبلة. وقد صرح المسيح بنزع القبلة من جهة السامرة ومن جهة العبرانيين. والمؤلف غير فاهم لمعنى القبلة. والصحيح: أن الله تعالى أمر بني إسرائيل في التوراة ١ - بالصلاة ٢ - إلى أي جهة من الجهات. سواء آكانت شمالاً أم جنوباً أم شرقاً أم غرباً. وذلك لقوله: «مذبحاً من تراب تصنع لي، وتدبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك. غنمك وبقرتك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمى ذكراً؛ أتى إليك أباركك» [أخر ٢٠: ٢٤] وكان اليهود والأمم والأنبياء من قبل سبي بابل سنة ٦٨٦ ق. م. يستحسنون الاتجاه إلى جهة الكعبة في مكة المكرمة؛ ١ - لأنها جهة ٢ - ولأنهم يحجون إليها كل سنة. وقد رأى اليهود من بعد رجوعهم من سبي بابل تحديد القبلة بجهة فلسطين واختلفوا فقال بعضهم جهة «أورشليم» وقال بعضهم: جهة «نابلس» وجعلوا الحج إلى جبل السامرة أو جبل صهيون. والمسيح عيسى عليه السلام تنبأ بنزع القبلة من جهة فلسطين من المكانيين، في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. ولما نزل القرآن ألزم الناس بجهة الكعبة في الصلاة والحج. وجهة الشرق - على حسب التوراة - جهة. وبعد نزول القرآن لم تعد جهة صلاة وحج.

خوف القتل، وتعلقتم بشبهتين من الإنجيل إحداهما قوله: «إنه كتب: أن سيدعى المسيح ناصريا»<sup>(١)</sup> والأخرى قوله: «من مصر دعوت ابني»<sup>(٢)</sup>.

فكيف تركتم هاتين الجهتين ولكم فيهما مستمسك، وتوجهتم إلى جهة ارتضاها اليهود الملاعين للتكبير بلهكم كما زعمتم؟ ولو كنتم ذوى نظر وعبر، لكانت هذه الجهة حرية عندكم بالمت. فإنها الجهة التي هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربكم. وأخبرونا عن توجه هذا المصلوب إلى هذه الجهة. أكان في ذلك طائعا أو كارها؟ فإن كان كارها لم يكن لكم أن تصلوا إلى جهة لم يخترها صاحبكم ولم يرضها، وإنما حُمِلَ عليها مجبرا، وإن كان قد توجه إليها طائعا راضيا، فلم تلعنون اليهود الذين صلبوه وتكفرونهم. والذي فعلوه به إعانة له ومساهمة في حصول محبوبه وقرّة عينه، ولا سيما أنهم نهجوا لكم قبلة تصلون إليها؟ فتحننوا الآن على اليهود وتبركوا إذا، إذ كانوا قد فعلوا ما هو قرّة عينكم وعين صاحبكم. وكذلك يهوذا الإسخرىوطى الذى ارتشى عليه وألقاه فى أيدي اليهود حتى قتلوه وصلبوه بزعمكم فصلوا عليه وترحموا وتبركوا باسمه وصوبوا فعله؛ فإنه صار وسيلة إلى خلاصكم.

وإذ قلت: إن أسلافكم فى دركات النيران ولا خلاص لهم من ذلك إلا بقتل ربكم، وإنما قتل وصلب بدلالته وبركة سفارته وليس فى النصارى - يرحمك الله - من يُقِلُّ اللعن عن اليهود أو يقدر يسمع باسم الإسخرىوطى.

وهذه المؤاخذات واردة على الأصل الفاسد الذى أصلوه فإن أبوا إلا لعن اليهود ومقت يهوذا؛ فليتطيروا بجهة المشرق لكونها عمّتهم بالشر وسقتهم بالكأس المر، وإلا فكيف يذم اليهود وتمدح الجهة وكلاهما مشثوم؟ وما أحسن لعن إله تقتله اليهود، ورب تغلبه إخوان القروء.

(١) مؤلف الإنجيل أخطأ فى قوله إنه كتب أن سيدعى ناصريا. وذلك لأنه ليس فى التوراة نبوءة بهذا المعنى  
{أمتي ٢: ٢٣}

(٢) مؤلف الإنجيل كتب أن رجوع المسيح من مصر لفلسطين هو تحقيق لنبوءة فى التوراة هى « من مصر دعوت ابني » {أمتي ٢: ١٥} والنص فى التوراة «أبناءه» يريد أنا أخرجت بنى إسرائيل جميعا من أرض مصر مع موسى عليه السلام فمؤلف الإنجيل أخطأ فى تطبيق النبوءة على المسيح. وهى فى سفر هوشع ١: ١١

## [الدليل العشرون]

دليل آخر على عبوديته وحدثه وأنه آدمى محض وإنسان صرف: اعلم أولاً: أن تعاقب الأحوال من التغيير والزوال والتفريغ والإشغال، والسكون والحركات والاختصاص بالمقادير والهيآت، هي الأدلة على حدث أجسام العالم. ولا خلاف بين النصارى أن المسيح عليه السلام ولدته أمه في «بيت لحم» في أرض يهوذا ولفته ووضعته في الخرق في معلف وأرضعته ثديها وأفرشته حجرها وتولت تاديبه ونشأ نشوء آدميين، لم يتميز عنهم في حال من الأحوال من صغره إلى حين ابتداء الدعوة، قد عُرف طول وقدره ولونه وكميته واغتذى بالطعام، وانتقل من مكان إلى مكان. ونحن نعلم: أنه كان إذا نزل «أورشليم» فقد فارق «الناصر» وإذا أقام بالناصر فقد خلت منه أورشليم، وأنه ولد في دولة هيرودس ملك اليهودية، وأن مريم فرّت به إلى مصر خوفاً من هيرودس، ثم أعادته إلى الشام حين هلك أعداؤه، وأنه عاش نيفاً وثلاثين سنة يتعلم العلم ويقراء التوراة ونبوات الأنبياء ويركب الحمير ويزجى الأوقات من الأقوات باليسير الحقيقير، ويلجأ إلى الله في حوائجه ومآربه. يدعوه إذا أعوزته وجوه مطالبه، ويفرح ويغتم ويلبس ويعتم، ويفر من السلطان ويناظر الشيطان. وإذا كان حال المسيح على ما وصفنا؛ فقد ثبت أنه مخلوق ومحدث عبد، وأن الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب هو خالقه ومحدثه. فإن تحامق النصارى فزعموا أنه هو الله أو صفة من صفاته، أو أن الله ساكن فيه وحال في إهابه؛ فقد حكموا أن القديم الأزلى ولدته امرأة، وخرج من فرجها، ولفته في الخرق، وألقته في مذود ثور، وسقته ثديها وقومته بتأديسها، وهربت به من خوف من يقصده من الأعداء وعلمته وهذبتة وأنه كان يتردد إلى اليهود، يتعلم منهم وأن الله الأزلى كان له إلهاً يدعوه ويرجوه. وهذا كله لازم للنصارى على الأصل الذي أصلوه، وإذا كان ذلك محالاً؛ فقد ثبت بما قدمناه: أن المسيح عبد من عباد الله بقوله وفتواه.

## الباب الثاني

فى

### إثبات نبوته وتحقق رسالته

اعلم: أن فى إثبات نبوة المسيح - عليه السلام - إرغاماً لليهود - خذلهم الله - فإنهم يرمونه بالكذب والسحر والثيرنجات واستسخاره الشياطين فى أغراضه ومآربه، فقالوا: إنه إنما يُخرج الشياطين من الإنسان بِبَعْلَزَبُولِ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ. وقالوا: إنه لم يحى ميتاً قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة، ولكنه واطاً صديقاً له يقال له لَعَّازَرُ<sup>(١)</sup> فتماوت ثم إنه دخل عليه فى جماعة معه فوجد أمه تبكي. فقال لها: لا تبكي، ثم وضع يده عليه، فقام وادعى فى البلدة: أن المسيح أحياء، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها بولدها<sup>(٢)</sup>. وقالوا: وواطاً آخر فجلس على الطريق كأنه زَمِنٌ فلما طال مقامه وعُرِفَ بالزمانة والاستعطاء؛ مرَّ به فى أناس معه كأنه لا يريد فناداه: ارحمنى يا بن داود. فأجابه: ما الذى تريد؟ فقال: أريد أن أنهض. فأخذ بيده وأقامه. فقام وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس، فكانت أمه تشيع أن يسوع أقامه<sup>(٣)</sup>.

واستبشع آخرون منهم هذا واستبعدوه فقالوا: لا. ولكن لَطَفَت معرفته بالطب حتى أبرأ الأبرص والأكمه وأقام الزمنى والمخلعين. وهم بأسرهم ينسبونه إلى نبوة الزنى كما شهد به الإنجيل إذ يقولون له فى محاوراتهم: «أما نحن فلسنا من أولاد الزنا»<sup>(٤)</sup> فإذا أثبتنا معجزاته وآياته بالطرق التى ثبتت بها معجزات موسى وغيره من الأنبياء لم يبق إلى القدح فى نبوته سبيل، وكان ما يعترضون به على المسيح

(١) اسمه «لعازر» بدون ألف قبل اللام. وهو بفتح اللام. والمسيح أحيأ ثلاثة أموات.

(٢) يكذب اليهود: أنه أحياء عند القبر أمام الناس وكان له فى القبر أربعة أيام والدود فى جسمه لأنه أنتن أراجع يوحنا ١١.

(٣) يكذب اليهود: أن الرجل كان أكمه. أى أنه خرج من بطن أمه أعمى لا يبصر أراجع يوحنا ٩.

(٤) «فقالوا له: إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد. وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكتنم تحبونني؟ لأننى خرجت من قبل الله وأتيت؛ لأنى لم أت نفسي، بل ذاك أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي، وأنتم من أب هو إبليس» [يو ٨: ٤١+] .



منعكسا عليهم فى معجزات أنبيائهم، وكل سؤال انعكس على سائله؛ فهو باطل من أصله.

وأما النصرارى فإنهم مجمعون على ألوهية المسيح، واعتقاد ربوبيته، وأنه الإله الذى خلق العالم، وجبل بيديه طينة آدم. فإذا أثبتنا نبوته، وأوضحنا رسالته، عُرِفَ أن الإله غيره والرب سواه. ونحن نثبت ذلك من كتب النصرارى التى بأيديهم، ونوضحه من قول المسيح، وأقوال تلاميذه الذين صحبوه:

### الدليل الأول:

قال يوحنا التلميذ: «قال المسيح لتلاميذه: من قبلكم وآواكم فقد قبلنى وآوانى، ومن قبلنى فإنما يقبل من أرسلنى. ما من عبد أفضل من سيده»<sup>(١)</sup>. فهذا يوحنا حبيب المسيح يشهد بأن المسيح لم يدع سوى الرسالة، وأن من يقبل منه فإنما يقبل عن الله الذى أرسله، ويذكر أن الله غيره وأن الرب سواه، وأنه رسول من عند الله. وما هو ذا معترف بالعبودية فى قوله: «ما من عبد أفضل من سيده» وذلك موافق للكتاب العزيز إذ يحكى عنه ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

فإن زعم النصرارى أنه سيد الحوارين وأنهم عبيده وأنه عناهم بقوله: «ما من عبد أفضل من سيده» أكد بهم الإنجيل. إذ يقول فيه: إن الحوارين إخوته «فقال له قائل: قابل إخوتك بالباب يطلبونك. فأشار إلى تلاميذه وقال: هؤلاء إخوتي»<sup>(٢)</sup>. «وقال له أحدهم: يا سيد. فقال: لست أدعوكم عبيدا، بل أنتم إخوتي»<sup>(٣)</sup>. وقال بعد قيامه: «قولوا لإخوتي يسبقونى إلى الجليل»<sup>(٤)</sup>. فإن قالوا: نسلم أن الله أرسله. ولا غرو أن يرسل الله كلمته رحمة لخلقهم ولطفاً بهم، وذلك أنه لما أرسل

(١) «الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله... الحق الحق أقول لكم: الذى يقبل من أرسله؛ يقبلنى. والذى يقبلنى؛ يقبل الذى أرسلنى» [يو ١٣: ١٦ + ]  
(٢) [متى ١٢: ٤٦ + ] .

(٣) النص مكرر فى يوحنا ١٣: ١٣ «أنتم تدعوننى معلما وسيدا. وحسنا تقولون؛ لأنى أنا كذلك فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم... إلخ» - وفى يوحنا ١٥: ١٥ «لا أعود أسميكم عبيدا» - وفى يوحنا ١٧: ٢٠ «أذهبى إلى إخوتي» .

(٤) متى ٢٨: ١٠ .

الله أنبياءه، فكذبوهم وقتلوهم؛ بعث الله إليهم ابنه الذي هو كلمته؛ فتجسدت من مريم البتول؛ ليتهايأ للناس السماع منها والأخذ عنها. فنقول: هذا تعريج على ثنونات الحمق، وترويج بنبئات الطرق. وذلك لأن الكلمة عندكم قديمة وهي علم الله - على رأى بعضكم - ونطقه - على رأى آخرين - وإذا كانت الكلمة قديمة؛ فكيف يصح إرسالها؟ أفقولون إن الأب بعد إرسالها بقى أخرساً جاهلاً بغير علم ولا نطق؟ ثم الكلمة هي صفة العلم فكيف تفارق الصفة ذات الباري، والصفة لا تفارق موصوفها؟ أم تقولون إن الصفة تقوم بمحلين؟ وأخبرونا كيف قدر الخلاق على رؤية الكلمة القديمة وثبتوا عند مواجهتها؟ والتوراة تشهد أن موسى بن عمران - عليه السلام - لم يثبت عند جلال التجلى بل خَرَّ صعقاً وصار يضطرم ناراً. وكذلك السبعون شيخاً ماتوا لوقتهم عند سماع كلام الله (١).

أقولون: إن موسى وصلحاء أصحابه لم يبلغوا من التمكين مبلغ الحواريين الذين زعمتم أنهم شاهدوا الكلمة وخدموها؟ على أن اليهود الملاعين أيضاً قد شاهدوا المسيح وقارموه. أفقولون: إن موسى ومن معه من الأشياخ لم يبلغوا من التمكين والقوة مبلغ اليهود؟ هذا. وأنتم تروون في التوراة «أن قوم لوط لما دنوا من الباب يريدون ضيفه؛ برقت من بعض الملائكة بارقه أعشت أبصارهم؛ فلم يقدرُوا على رؤية الملائكة» (٢). فمن استطع رؤية مخلوق مثله، كيف استطاع رؤية الرب العظيم والإله القديم؟

وأخبرونا: كيف تقوم الكلمة تتردد بين اليهود في الأرض نيفا وثلاثين سنة، لا يسطع منها نور يُغشى الأبصار، ويذهل العقول ويزعزع القلوب؟ وكيف لم تنتابها الملائكة ويترددون إلى خدمتها؟ وهذه التوراة تنطق: أن ابني هارون حين دنوا من قبة الزمان وبخراً بنار غريبة لم يؤذن فيها، نزلت من السماء نار فأحرقتهما بين يدي موسى وهارون وسائر بني إسرائيل (٣). وقد كلم الله موسى من صوب

(١) راجع: التنية ١٨: ١٥ - ٢٢ وفيه أنهم طلبوا محمداً عليه السلام من أجل هذه المناظرة المرعبة .

(٢) القصة في التكوين ١٩ وفيها: «وأما الرجال الذين على باب البيت؛ فضرباهم بالعمى من الصغير إلى

الكبير؛ فعجزوا عن أن يجدوا الباب».

(٣) لاويين ١٠: ١ + .

العوسجة فأضاء له الوادي <sup>(١)</sup>. أخاب <sup>(٢)</sup> وأرسل الملك الكافر خمسين رجلا ليأخذوا إلباء النبي؛ فنزلت نار من السماء فأحرقتهم، ثم بعث آخرين فنزلت النار فأحرقتهم ثلاث مرات.

وألقي بختنصر ثلاثة من أقارب دانيال النبي في نار عظيمة فلم تعد عليهم <sup>(٣)</sup>. وطرح بختنصر دانيال إلى السباع فلم تهجه. وهؤلاء عبيد لله - تعالى - فكيف نكص عنهم الشيطان، وتمكن من ربهم - على زعم النصارى - حتى أغرى به شردمة من أحس جنده، وهم اليهود فقتلوه وصلبوه؟ إذ كان المسيح عندهم هو الله أو متحدًا به وساكنًا فيه.

وأخبرونا كيف تتجسد الكلمة فتصير لحما ودما وعروقا وشعرا وظفرا؟ أذلك شيء شاهدتموه عيانا فساغ لكم أن تخبروا به الناس وتدعوهم إلى اعتقاده والقول به؟ فادعوا ما بدا لكم. فمن الذي يمسخ الله عقله ويسلخ لبه فيجيئكم إلى دين اعتقاد أهل الله ولد علمه، وأن علمه صار إنسانا، وصار ذلك الإنسان إليها خالقا، وأن ذلك الإله قتله خلقه وصلبوه ونكلوا به؟ فمتى تُساعدون على هذه الخرافات التي يأنف منها النوكى والمغفلون والعجائز المثلون؟ وأخبرونا ليس المسيح عندكم هو الكلمة، والكلمة هي المسيح؟ فإذا قالوا: نعم. قلنا: فنحن وأنتم نعلم أن المسيح كان يكون منه ما يكون من الآدميين، أفتصفون الكلمة بأنها كانت بائلة غائطة؟

فإن قالوا: البائل الغائط هو الناسوت. أبطلوا الاتحاد وأزروا على يوحنا الإنجيلي الذي زعم أن الكلمة صارت جسدا وحلت في الناسوت. وكذبوا فؤس الذي يسمونه رسولا في قوله: «إن المسيح ابتاعنا من لعنة الخطيئة بصلبه وقتله. فصار لعنة بدلنا» <sup>(٤)</sup>.

(١) خروج ٣: ٢ + .

(٢) أخاب كان معاصرا لإلياس عليه السلام وهو وزوجته إيزابل اضطهدا إلياس والقصة في الملوك الأول ١٨ .

(٣) الأقارب الثلاثة هم: شدرخ ويشو وعبيد نفو. والقصة في الأصحاح الثالث من سفر دانيال كما قال المؤلف، واللقاء دانيال في جب الأسود موجود في الأصحاح السادس والذي أمر بإلقائه هو دار يونس، وليس بختنصر كما قال المؤلف.

(٤) غل ٣: ١٣ .

وسفَّهُوا أفرأيم فى قوله: إن اليدىن التى جَبَلت آدم هى التى سَمَّرت بالمسامىر وإن الشُّبْر التى مسحت السماوات هى التى علَّقت بالصلىب.

فإذا قالوا: إن الأكل الشارب البائل الغائط هو الناسوت. فقد كفروا بأفرأيم وفولس الرسول وغيره من مشائخهم. وقد نقل عن أكابريهم أنهم قالوا: من لم يقل إن مريم ولدت الله؛ فهو محروم من ولاية الله. وهم يقرءون فى صلواتهم: «يا والدة الله افتحى لنا أبواب الرحمة، يا من سمرت يده على الصليب لا تضع من خلقت بيدك» وإذا كان هذا اعتقادهم؛ فقد اعترفوا بأن الأكل الشارب المقتول المصلوب هو الله - تعالى عن كفرهم علوا كبيرا -.

فإن قالوا: هذا لازم لكم أيضا، فإنكم موافقون على أن المسيح كلمة الله وقد نطق به قرآنكم.

قلنا: لسنا سواء. فإننا نقول: إن الله تعالى شرفه بتسمية سماه بها، كما سمي إبراهيم خليلا، وسمى موسى كليما، وسمى إسرائيل ابنا بكر - بزعمكم - وسمى موسى رجل الله، وسمى عصاه قضيب الرب، وسمى قبة الزمان خباء الله. كل ذلك قد نطقت به كتبكم، التسميات لا اختلاط لها بالذوات. ألا ترون الشخص الواحد والعين الواحدة تسمى باسم عند قوم، وتسمى باسم آخر عند آخرين، وإذا كان المسيح عندنا قد سماه الله (كلمة) لم يلزما ما يلزمكم، فأما أنتم أيها الضلال فتقولون: إن كلمة الله انقلبت لحما ودما، فأكلت الخبز وشربت الماء. وذلك هو الحيرة والعماء. فإن رجعتم إلى الطريقة المثلى وأضربتم عن هذه المقالة الشوهاء، وقلتم: إن النقائص يستحيل دخولها على الله وعلى صفته، فقد تركتم القول بالوهية المسيح وأبطلتم الاتحاد. وذلك هو المراد. ووافقتم المسلمين والأنبياء المتقدمين. قال الله تعالى عن المسيح ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ وقال تعالى فى المزامير: «إن المسيح يشبه ملكى صادق»<sup>(١)</sup> ملك عادل الذى كان بيت المقدس. وقال الحواريون: إن يسوع يشبه موسى<sup>(٢)</sup>، وقال بعضهم: إن المسيح أفضل من

(١) المسيح يشبه ملكى صادق فى الزمور المائة وعشرة وهو مزمور قد طبقه عيسى نفسه على محمد فى متى

(٢) وفى الأصحاح الثانى من الرسالة إلى العبرانيين: «من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل =

موسى<sup>(١)</sup>. وقال فى الإنجيل: «أنا أفضل من يونس»<sup>(٢)</sup>.

وقال المسيح: «أتيتم من آفاق الأرض لتسمعوا من حكمة سليمان، وههنا أفضل من سليمان»<sup>(٣)</sup> يريد نفسه. وقال فى الإنجيل: «إلهى إلهى لم تركتني؟»<sup>(٤)</sup>. وقال فى خاتمة إنجيل يوحنا: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم»<sup>(٥)</sup>. فاعترف بأن له إلهها وربا.

فقد ثبت عبوديته ونبوته ورسالته.

### الدليل الثانى:

دليل آخر على نبوته عليه السلام: قال يوحنا التلميذ: «قال يسوع: أنا هو الراعى الصالح. وأنا عارف برعيتى وهى تعرفنى»<sup>(٦)</sup>.

وجه الدلالة من ذلك: ما اشتملت عليه التوراة والكتب من رعاية إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى عليهم السلام تقدمت لهم مقدمات فى رعاية النعم ثم أهّلوا بعدُ لسياسة الأمم، فالنبي راعٍ من الرعاة، وداعٍ من الدعاة، يذودهم بالإنذار عن مراتع الهلاك ويريهم بأنوار الإيمان أشراك الإشراف، ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى من ربوبيته لم يقل فى مجلس محشود ومحفل مشهود أنا الراعى الصالح، بل كان يرفع الالباس ويقطع عن الناس الوسواس ويقول: اعلموا أنى أنا الله خالق السماء والأرض وجامعكم ليوم العرض، أو أنا ابن الله أو ثالث ثلاثة أو أنا الكلمة القديمة اتحدت بجسم إنسان.

حوشى - عليه السلام - عن هذا الهديان، بل الذى نصّ عليه ودعا تلاميذه

= شىء {عب ٢: ١٧} وقال محرفو النصارى: إن من أوصاف النبى الامى الآتى على مثال موسى أن تكون مثل موسى {تث ١٨: ١٥ - ٢٢} وقالوا: إن عيسى هو المماثل لموسى وكتبوا ذلك فى سفر الأعمال فى خطبة بطرس واستفانوس {أع ٣: ٢٢ وأع ٧: ٣٧}.

(١) عبرانيين ٣: ٣ .

(٢) متى ٤١: ١٢ .

(٣) متى ١٢: ٤٢ .

(٤) متى ٢٧: ٤٦ وقد اقتبس المحرف الزمور ٢٢ وهو لمحمد ﷺ ليطبقه على المسيح .

(٥) يوحنا ١٧: ٢٠ .

(٦) يوحنا ١٠: ١٤ .

إليه قوله فى الإنجيل: «لا صالح إلا الله الواحد»<sup>(١)</sup> وقوله: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد»<sup>(٢)</sup> وقوله: «إنى لا أعمل بمشيئى بل بمشيئة من أرسلنى»<sup>(٣)</sup> وسئل عن القيامة<sup>(٤)</sup> فقال: «لا يعرفها إلا الله وحده فأما أنا فلا أعرفها»<sup>(٥)</sup>.

فقوله: «أنا الراعى» تكذيب للنصارى فى دعوى ربوبيته؛ لأن الراعى ليس إليه ملك الغنم بل ملكها لغيره وليس له سوى الرعاية. وقوله: «وأنا عارف برعيتى وهى تعرفنى» فيه دليل على أن الخلائق ليسوا بعمومين<sup>(٦)</sup> بدعوته، بل لم يبعث إلا إلى طائفة من بنى آدم لا غير. وقد كشف هذا وأوضحه فى موضع آخر وهو أن أصحابه سأله أن يقضى حاجة امرأة من الكنعانيين فقال: «لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقى للكلاب إنى لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من آل إسرائيل».

فهذه نصوص الإنجيل الناجية من التبديل. وكلها دالة على نبوته، ومفصحة برسالته - صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين - .

### الدليل الثالث:

معجزة دالة على نبوته: قال متى: «جاء رجل أبرص إلى يسوع وسجد له وقال: يا رب طهرني. فقال: طهرتك. فزال برصه لوقته، فقال له يسوع: اذهب وقرب قربانا كما أوصى موسى»<sup>(٧)</sup>.

(١) لوقا ١٨: ١٨ .

(٢) يقول برنابا عن المسيح: «أن ليس لله حاجة؛ لأنه لا يأكل ولا ينام ولا يعتره نقص» [برنابا ٩٢ +]

(٣) يو ٦: ٣٨ .

(٤) الصحيح: وسئل عن ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فى وقت دخول المسلمين للقدس. كما بينا من قبل .

(٥) مرقس ١٣ ولوقا ٢١ ومتى ٢٤ «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد...» .

(٦) المؤلف هنا نقض نفسه، فإنه فى الدليل الأول على أن عيسى عبد الله ورسوله قال: إن الله ابتعث المسيح بدعوة الأمم أسوة بغيره من الأنبياء. وهو ههنا يقول: إن الخلائق ليسوا بعمومين بدعوته. وهذا تناقض والصحيح: أنه أمر الخواريين بالانطلاق إلى الأمم للتبشير بمحمد ﷺ بعدما يفرغون من الدعوة فى بلاد اليهود [متى ١٠: ٦] ولم يأمرهم بتأسيس ديانة مستقلة عن ديانة التوراة. وأما كلامه عن المرأة الكنعانية. فإنه وصف الكنعانيين بالكلاب لأنهم لم يكونوا من أهل الختان، أى كانوا عباد أوثان. والأولى برحمة الله هم عباده. ولذلك لما أسلمت معه، قال لها: يا امرأة عظيم إيمانك. وصارت بالإيمان متساوية مع المسلمين المؤمنين به من بنى إسرائيل. ولذلك شفى إبتها بإذن الله [راجع متى ١٥: ٢١ +] .

(٧) متى ٢٠: ٨ + وهذه المعجزة تدل على أنه مصدق للتوراة التى كانت فى زمانه، مع ما فيها من =

إن طعن اليهود في هذه الآية وجحدوها ولم يؤمنوا بها. قلنا لهم: ما الدليل على أن هارون وبنيه كانوا يُزيلون البرص عن الأبرص<sup>(١)</sup>. وذلك شيء لم تشاهدوه؟ فإن قالوا: نقل إلينا بطريق التواتر التي تُوجب العلم ويقضى القطع ولا يبقى معها شك. قلنا لهم: فكذلك تواتر واشتهر وانتشر: أن المسيح كان يفعل ذلك، فإن حالوا طعنا في آية المسيح؛ انعكس عليهم في آية هارون وسائر الرسل. وإذا كانت هذه الآية لا سبيل إلى ردها وجحدوها؛ فقد لزم اليهود القول بنبوته وترك ما هم عليه من التهود. وإن حالوا إسناد ذلك إلى معرفته بالطب، ووقوفه على خواص تزيل البرص بسرعة. قيل لهم: فلعلّ موسى أيضا حين طهر أخته مريم<sup>(٢)</sup> من برصها كان قد لطف في علم الطب ووقف على خواص فعل بها ما فعل دون أن يكون ذلك معجزة له. وحيث بطل ذلك؛ بطل هذا. وكان ما صدر منهما معجز من عند الله - تعالى - .

وإن قال النصارى: بذلك نستدل. على ربوبيته إذ سجد له الأبرص وقال له: «يا رب»<sup>(٣)</sup> فلم ينكر عليه، ولو كان ذلك غير جائز لأرشدته وقوم أوده، فإقراره على ذلك وإزالة برصه؛ دليل على ربوبيته. قلنا: ليس في ذلك دلالة على ما انتحلتموه. أما السجود فهو كان سلام القوم وتحيتهم فيما بينهم. يُعرف ذلك من طالع كتبهم، وقرأ تواليف المتقدمين منهم. والدليل على ذلك: ما اشتملت عليه توراتهم من سجود إبراهيم ولوط<sup>(٤)</sup> للملائكة الذين مروا بهم لهلاك سدوم. وسجود إبراهيم لقوم ساومهم في قطعة من الأرض لدفن زوجته سارة؛ =التحريف. لأنها محرقة في بابل ٥٨٦ ق م.

(١) إن هارون وبنيه لم يكونوا يزيلون البرص عن الأبرص. وإنما من شفاه الله من برصه؛ كانوا يعملون له مراسم التطهير [راجع اللاويين ١٣: ٩ + ] .

(٢) طهارة مريم المذكورة في سفر العدد ١٢ وبرصها كان بسبب تذررها على موسى أنه تزوج امرأة حبشية.

(٣) يا رب بمعنى يا سيد.

(٤) سجود إبراهيم {تك ١: ٢٠} وسجود لوط {تك ١٩: ١} وسجود إبراهيم لبني حث {تك ٢٣: ٧} وقد سجد إخوة يوسف له. لما أتوه ببنيامين {تك ٤٣: ٢٨} وقد قال تعالى في القرآن الكريم عن إخوته «وخرّوا له سجدا» وهذا القول في التوراة. عندما أتى إخوة يوسف بعد موت يعقوب «ووقعوا أمامه، وقالوا: ها نحن عبيدك» {تك ٥٠: ١٨} وسجود أفرايم ومنسى ليعقوب؛ لم يحدث. وإنما الذي حدث هو سجود يوسف لما أخرج ولديه من بين ركبتي يعقوب «وسجد أمام وجهه إلى الأرض» {تك ٢٨: ١٢} .

فسجد لهم مرتين حين فاتحهم فيها. والتوراة تشهد أيضا: أن إسرائيل حين دخل على يوسف بمصر سجد له هو وأولاده. وكذلك التوراة تشهد: أن أفرام ومنشأ سجدا ليعقوب جدهما بحضرة أبيهما يوسف. فدعا لهما وبارك عليهما. ولم ينكر فعلهما. وأما قوله «يا رب» فسيأتي الكلام عليه - إن شاء الله - في باب تأويل ظواهر الإنجيل، ونبين أنه لفظ يُخاطب بها الأكابر والعظماء من الناس. وذلك مشهور في كل ملة.

فأما تطهير الأبرص: فليس دلالة على ربوبية عيسى - عليه السلام - وألوهيته، بل ينتهض ذلك دليلاً على تقربه من ربه ومزيته، ولو جاز أن يتخذ المسيح بذلك ربا، لجاز ذلك في حق اليسع - عليه السلام - إذ قد روى النصارى واليهود في كتاب سفر الملوك من كتبهم: أن نعمان الأرمي<sup>(١)</sup> برص فرحل إلى اليسع من بلده واستأذن عليه فلم يأذن له، بل قال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس في الأردن سبع مرات. ففعل الرجل فبرأ من برصته لوقته ورجع إلى بلده معافى. فاتبعه غلام لليسع يقال له جحزي وأوهمه: أن اليسع أرسله يطلب منه مالا. ففرح نعمان بذلك وأعطاه مالا وجوهرا ثمينا. فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع، فقال له اليسع: تبعت نعمان وأوهمته عنى كذا وكذا وأخذت منه كذا وخباته في موضع كذا. إذ فعلت ذلك؛ فليصر برصه عليك وعلى نسلك. فبرص الغلام مكانه.

فهذا نبي الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح؛ لأنه أبرأ نعمان، وبرص الغلام، ونطق بالغيب. وقد أشار الإنجيل<sup>(٢)</sup> إلى طرف من القصة. فأما التوراة فهي تنطق أن مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون تعرّبت على موسى في أمر من الأمور. فلما صعدوا إلى قبة الزمان وكلمهم الله -

(١) في بعض تراجم التوراة نعمان الأرامي، وفي بعض تراجم الإنجيل نعمان السرياني. والمؤلف كتب الرومي بطريق الخطأ. وكتب حجزا والصحيح: جحزي. والقصة في الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني. وفي إنجيل لوقا يقول المسيح: «وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان اليشع النبي، ولم يُطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني» (لو ٤: ٢٧).

(٢) يقصد إنجيل لوقا ٤: ٢٧



سبحانه - تهدد مريم وغضب عليها. فلما خرجت من القبة نظر إليها هارون أخوها فإذا هي قد ضربت بالبرص من قرننها إلى قدمها. فرق لها هارون وسأل موسى أن يدعو الله لها، فدعا لها فشفيت.

فهذه الأنبياء قد فعلت ما هو مثل فعل المسيح وأعجب منه .

فإن قال النصارى: إن موسى واليسع وغيره كانوا يفعلون ذلك، ولكن بعد ابتهاال إلى الله ودعاء وطلب ورغبة، فأما المسيح فإنه كان يخترع ذلك اختراعا من نفسه من غير دعاء ونداء. قلنا لهم: من سلم لكم أن المسيح كان يفعل ما يفعل غير مبتهل إلى الله، ولا طالب إليه، والدعاء لا يشترط لإجابته الإعلان؛ فإن الداعي يناجى بحوائجه من استوى عنده السر والجهر؟ ومن أين لكم أن المسيح كان لا يدعو ربه سرا؟ على أنا نريكم عدة مواضع من الإنجيل الذى بأيديكم يشهد أنه كان لا يفعل معجزا إلا بعد أن يسأل الله ويضرع إليه ويعوّل فى نُجح مطالبه وآربه عليه، قال فى الإنجيل: عندما أحيا حبيبه لَعَازر، ورفع بصره إلى جهة السماء وقال: «يا أبه<sup>(١)</sup> أشكرك لتستجيب لى، وأنا أعلم أنك تستجيب لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفِثام؛ ليعلموا أنك أرسلتني» فما هو قد أكذب النصارى فى دعواهم أنه كان يخترع من تلقاء نفسه من غير دعاء وابتهاال. وقال فيما حكاها النصارى عنه «إلهى إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفها عنى كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا»<sup>(٢)</sup>. وقال النصارى عنه إنه قال: «إلهى إلهى لم تركتني؟»<sup>(٣)</sup>. وهذا شيء لم نسمعه إلا منهم. فقد وضع كذب مورد السؤال.

فأما موسى - عليه السلام - . فالتوراة<sup>(٤)</sup> تشهد بأنه كان يُلقى عصاه فتصير ثعبانا، ثم يأخذها فتعود خشبة ثم يلقيها فتعود شجرة وتمد أغصانا وتثمر لوزا، ثم يتناولها فتعود عصا، ثم يضرب بها النيل فينقلب دما، ثم يضربه فيرجع ماء. كل

(١) يو ١١: ٤١ + .

(٢) متى ٢٦: ٣٩ + .

(٣) متى ٢٧: ٤٦ + .

(٤) فى التوراة: أن موسى إذا أراد أن يضرب بالعصا كان يعطيها لهارون فيضرب بها هارون. وينسب الضرب إلى موسى. إخراج ٧: ١٠ عدد ١٧: ٨ - ١٠ وهكذا .

ذلك من غير سؤال ولا استغاثة. وقد أحيت تربة قبر اليسع ميتاً<sup>(١)</sup>، وأبرأ يوسف عيني أبيه من غير سؤال ولا دعاء<sup>(٢)</sup> وأحرق إيلياء ثلاثة عساكر بنار نزلت من السماء<sup>(٣)</sup> ولم يتقدم منه دعاء ولا طلب. فعَلَّ ذلك عدة من الأنبياء. فأما المسيح فقد بينا أنه كان في غالب أمره يدعو ويضرع - كما قدمناه - ولم ينقل أن واحداً ممن سمَّينا ضُرب ولا غُلب، فأما المسيح فالنصارى تزعم أنه قتل وصلب. والعجب منا ومنهم. فلإننا نعتقد نبوته وسلامته، وهم يعتقدون ربوبيته وعطبه، لقد تباعد ما بيننا وبينهم.

### الدليل الرابع:

معجز دال على نبوته: قال متى: «جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابنتي قد ماتت فلعل تأتي إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها، فعاشت ابنة الرجل»<sup>(٤)</sup>.

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره، وأكذبوا التواتر؛ انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم. وإن زعموا أنه فعل ذلك تخيلاً. قيل لهم: ولعل قلب العصا حيواناً يسعى؛ كان أيضاً تخيلاً وشعبذة ودكاً. فقد لزمهم القول بنبوة المسيح بالطريق التي لزمهم به القول بنبوة موسى وغيره، ولو تطرق التشكيك إلى نبوة المسيح مع ظهورها؛ لم يثبت نبوة نبي ولا استقرت رسالة رسول. وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبيته إذ لا قادر على إحياء الموتى سوى الله تعالى؛ قال الله ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾. قلنا: فيلزم على ذلك أن تعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتاً وتتخذوه ربا، وقد قال عندكم في كتاب سفر الملوك إن إلياس أحيا ابن الأرملة<sup>(٥)</sup>، وإن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية<sup>(٦)</sup> وأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً

(١) ٢ مل ١٣: ٢٠ + .

(٢) في التوراة «ويضع يوسف يده على عينيك» للشفاء [تك ٤٦: ٤] .

(٣) الملوك الثاني - الأصحاح الأول. وكان كل عسكر خمسين رجلاً.

(٤) متى ٩: ١٨ + .

(٥) الملوك الأول ١٧: ١٧ +

(٦) الملوك الثاني ٤: ١٨ +

يُقال: إنهم ستون ألفاً. أحياءهم في ساعة واحدة<sup>(١)</sup> وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة. والتوراة تشهد أن موسى كان يقلب عصاه ثعبانا، فبينما هي خشبة إذ عادت حيوانا ذا عيين ياكل ما مرّ عليه وقلب الخشب حيوانا، أبداع من إعادة الروح إلى الميت.

### الدلائل الخماس:

معجز دال على نبوة المسيح: قال متي: «حضر إلى يسوع أعميان. فقالا: ارحمنا يا ابن داود. فقال: أتؤمنان؟ قالوا: نعم. فلمس أعينهما. وقال: كإيمانكما يكون لكما. فانفتحت أعينهما، فقال: لا تقولوا لأحد شيئا»<sup>(٢)</sup>.

فإن أنكر اليهود هذه الآية، وطرقوا إليها المطاعن. قيل لهم: بأى طريق ثبت لكم أن موسى - عليه السلام - شكأ إليه بنو إسرائيل الحيات التي لدغتهم في التيه فاتخذ لهم حية من نحاس ونصبها على خشبة، وقال: من لدغته أفعى فلينظر إلى تلك، ففعلوا وصحوا؟<sup>(٣)</sup>. فإذا قالوا: التواتر والنقل المستفيض يشهد به. قيل لهم: فاقنعوا منا بهذا الجواب.

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبية المسيح. قلنا لهم: لو جاز ادعاء ربوبيته بذلك، لجاز لآل يوسف أن يدعوا ربوبيته بمثله؛ إذ التوراة تشهد أنه أبرأ عيني والده يعقوب بعد ذهابهما<sup>(٤)</sup>، ولما لم يجز التمسك بذلك في الربوبية لم يجز هذا، والمسيح أمر بستر ذلك، ويوسف لم يأمر به، فيدل على أنه أقوى حالا وأعظم تمكينا من غيره. ومعلوم عندكم: أن موسى قد ضرب بعصاه كتيب رمل؛

(١) حزقيال ٣٧ وفي القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ يعني به خروج اليهود من فلسطين أيام هزيمتهم على يد نبوخذ ناصر ملك بابل سنة ٥٨٦ ق. م. وقوله ﴿موتوا﴾ مجاز عن الهزيمة وليس على حقيقته، وقوله ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾: مجاز عن إرجاعهم من سبي بابل. ولا صلة له بنبوة حزقيال هذه.

(٢) متى ٩: ٢٧ + .

(٣) العدد ٢١: ٦ + .

(٤) تك ٤٦: ٤ .

فانهال قَمَلًا لكل واحدة عينان تبصر بهما<sup>(١)</sup>. وهذا أعجب من فعل المسيح لأن فيه خلق الحيوان كله، وذلك رد الصحة إلى جارحة من جوارحه بعد ذهابها.

وقد شهد متى صاحب المسيح: أن المسيح لا يعلم المغيبات. إذ يقول للرجلين: أتؤمنان؟ فقالا: نعم. وأنه لم يعلم بإيمانها بعد قولهما حتى علّق الشفاء على إيمانها فقال: «مثل إيمانكما يكون لكما» فضاهاى ذلك قوله وقد سُئِلَ عن يوم القيامة فقال: لا أعلمها، بل الله وحده هو الذى يعلم ساعتها ووقتها<sup>(٢)</sup>.

وبذلك نرد على من زعم أنه من جوهر الأب، حيث قالوا فى الأمانة: «المسيح إله حق من إله حق من جوهر أبيه» وهذه الفصول من الإنجيل تكذب تلك الأمانة وتُخَطِّئُ من ألفها. إذ لو كان من جوهر الأب، لكان علمه من جوهر علمه، ومشيتته من جوهر مشيتته، وسائر صفاته من صفاته، ولم يكن جسما ذا شعر وبشر، بل المسيح من جوهر أبيه داود<sup>(٣)</sup> وإبراهيم. فهو إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه. والعجب: أن المسيح عليه السلام رضى من الرجلين أن نسباه إلى داود<sup>(٤)</sup> وقضى حاجتهما ولم ترضَ النصرارى له بما رضىه لنفسه حتى نسبوه نسبة، خالفوه فيها وأسخطوا الله وأضحكوا منهم سائر طوائف بنى آدم. على قول الرجلين له: «يا بن داود» لو كان خطأ منهما، لم يقرهما المسيح على الخطأ، ولا سيما خطأ هو كفر. وكيف يسمعها ينطقان بالكفر. وهو إنما جاء ليخلص الناس منه؟ بلى قد سمع ذلك منهما فأقرهما عليه وشفاهما، وذلك رضا

(١) خر ١٦:٨ والنص فى البعوض .

(٢) المؤلف يكرر أن الساعة هى يوم القيامة. والحق: أنها هى ساعة انتهاء ملك بنى إسرائيل من فلسطين والامم على يد المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ م وفى الإنجيل أن ساعة هذه المعركة تكون بغتة. وفى القرآن أيضا. ولكن بعض المسلمين يعتقدون أن الساعة هى يوم القيامة. ويعفولون عن أنها ستكون بغتة، فيجملون لها علامات.

(٣) المؤلف ينسب عيسى إلى داود من جهة يوسف النجار. وهو يعرف أن مريم ولدت ابنها البكر عيسى وهو لم يعرفها لا هو ولا غيره. فكيف تصح هذه النسبة؟ المؤلف أخطأ فيها. أمه مريم من نسل هارون أخى موسى كما جاء فى القرآن فى قوله: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وقد بينا ذلك فى اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة.

(٤) معنى أنهما نسباه إلى داود: أنه من اليهود العبرانيين سكان اورشليم لا من السامريين سكان نابلس .

منه بما نسباه إليه من بُنوة داود، وكيف لا يرضى بذلك منهما وهى النسبة الجليلية التى نسبها بها جبريل الملك حين بشر به مريم بالناصرة، كما شهد به لوقا فى إنجيله. إذ يقول لها: «إنك تقبلين حبلا بولد اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسى أبيه داود» فالويل للنصارى، لم يرضوا له النسبة التى نسبها بها الخواريون، وارتضاها المسيح من أهل زمانه، وجاء بها جبريل من عند الله.

فمن عذيرى من قوم لبسوا. عقولهم مقلوبة يتنكبون السبيل، ويرتكبون خلاف ما فى الإنجيل؟

### نكتة:

قال متى: «سمع يوحنا وهو فى السجن بأعمال المسيح. فأرسل إليه اثنين من تلاميذه وقال: قولوا له: أأنت الآتى أو يُرَجَى آخر؟ فقال يسوع: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما: العمى يبصرون، والعرج يمشون، والبصر يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون. فطوبى لمن لم يشكّ فىّ. فلما ذهب التلميذان. قال يسوع: هذا الذى كتب من أجله: «هو ذا أنا مرسل ملاكى قدام وجهك ليسهل طريقك» الحق أقول لكم: إنه لم تلد النساء أفضل من يوحنا. والصغير فى ملكوت الله أفضل منه. بماذا أشبه هذا الجيل الشرير؟ أشبهه بصبيان يصيحون بأخوانهم قائلين: زمّرنا لكم فلم ترقصوا، ونحنا لكم فلم تبكوا. جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فقالوا: به شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب. فقالوا: إنسان أكل شريب خمر، خليل العشارين والخطاة. فتبررت الحكمة فى بنينا» .

قلت: كيف يعتقد فى المسيح الربوبية، وهذا نبى الله يحيى بن زكريا يرسل إليه: «أأنت الآتى أو يُرَجَى آخر؟» فإن كان هذا الشك من يوحنا لا يقدر فى إيمانه ونبوته؛ فالمسيح ليس بإله؛ لأن الشك فى الإله كفر. وإن كان المسيح إلها كما يهذى به النصارى فقد كفّروا يوحنا هذا. أفتدعى النصارى - ويلهم - أن يحيى بن زكريا كان جاهلا بربه مع قول المسيح: «إن النساء لم تلد أفضل منه» فشهادة المسيح ليوحنا بأنه أفضل أهل زمانه دليل على غلط النصارى فى دعوى ربوبية المسيح، إذ لو كان كما قالوا؛ لكان الأولى باعتقاد ذلك يوحنا، وإنما يوحنا يسأل عن النبوة

والرسالة، فلما أحاله على رؤية الخوارق التي هي أعلام النبوة؛ زال تردده في نبوته.

وأما قول المسيح: «والصغير في ملكوت الله أفضل منه» فيعنى بالصغير نفسه<sup>(١)</sup>؛ جريا على عاداته في سلوك التواضع، وفي ذلك دلالة على نبوته من قوله؛ لأن الأفضلية لا تثبت إلا بين فاضلين اشتركا في أصل الفضل، ثم ترجح أحدهما على الآخر بمزيد من الفضل، ولا يحسن أن يقال: إن البارى - جل وعلا - أفضل من زيد أو عمرو.

#### مناقشة:

قَلَبَ النصارى الحكمة، وأبدلوا وحرفوا كتب الله وبدلوا ووصفوا يوحنا بصفة الأرباب في استغنائه عن الطعام والشراب<sup>(٢)</sup>، فقالوا: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب» واعتقدوا في المسيح الزبوية مع وصفهم له بنقص العبودية. فقالوا: «كان المسيح إنسانا آكل شريب خمر» فسخر منهم ذوو الألباب، وآضوا سبباً على عمر الأحقاب.

#### مناقشة:

زعم النصارى أن المسيح كان يتردد إلى اورشليم للاستفادة والتعليم ويسائل الأبحار عن الأخبار<sup>(٣)</sup> ثم اعتقدوا أنه الذى أنزل التوراة على الكليم، وفدى الذبيح من يد إبراهيم، فيقال لهم: يا ممسوحى الحُلُوم ومسلوخى الفهوم، كيف يتعلم كتابا هو الذى أنزله أو يتلمذ لرسول هو الذى أرسله؟

#### الدليل السادس:

معجزة دالة على نبوته عليه السلام: قال متي: «حضر إلى يسوع رجل يابس اليد، وذلك بحضرة جماعة من اليهود، فسألوه: هل يحل أن تداوى فى السبت؟ لكى ينموا عليه، فقال يسوع: أى رجل منكم يسقط خروفه فى بئر فى يوم

(١) المسيح يعنى بالصغير محمد رسول الله .

(٢) النص مجاز عن الزهد .

(١) لوقا ٢: ٤١ + .

السبت فلا يقيمه؟ فالإنسان أولى من الحروف. ثم قال للرجل: امدد يدك. فمدها فصحت وعادت كالأخرى، فخرج اليهود متأمرين في إهلاكه، فعلم يسوع سرهم، وانتقل من هناك، فتبعه مرضى فشفاهم<sup>(١)</sup>.

قلت: هربه وتواريه غير قادح في نبوته ولا غاض من رسالته، فذلك كثير ما اتفق لأنبياء الله وصفوته. غير أنه لا يليق بجلال الربوبية، وهو يقده في قول النصارى إن المسيح إنما نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولدت مريم وحل في هذا العالم لخلاص آدم وذريته من الجحيم ببذل دمه حتى يكون مؤديا ما وجب على آدم بأكله من الشجرة، فلو كان الأمر على ما يهدون به، لما فر من ذلك وتواري وتحول من بلدة إلى بلدة أخرى، من أمر إنما جاء وتعنّى بسببه، إذ في تأخير قتله استدامة آدم وذريته في العذاب. فإن قال النصارى: إنما تحول واختفى. لأن ساعة أجله لم تحضر بعد. قلنا: فكان الأولى أن لا يتحول إذا، إذ كان لبسه لا يجر إليه مكروها ولا يسلط عليه سفيها. وما أحسن إلها له ساعة ترتقب، وأجل ينقرض وينقضب!!

### الدليل السابع:

مضاهاة كلام المسيح لكلام الرسل - عليهم السلام - : قال متى<sup>(٢)</sup>: «أتى يسوع بأعمى به شيطان أخرس فأبراه، فعظم الجمع ذلك، فقال الفريسيون: إنما يخرج الشياطين ببعل زبول رئيس الشياطين، فعلم يسوع سرهم فقال: «لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب متاعه إلا أن يربط القوى أولا ثم يأخذ متاعه، ومن ليس معى فهو على، ومن لا يجمع معى فهو يفرق، إن كل تجديف يُترك للناس، والتجديف على روح القدس لا يُترك في هذا الدهر ولا في الدهر الآتى».

قوله: «كل تجديف يترك للناس والتجديف على روح القدس لا يترك»<sup>(٣)</sup>

(١) متى ١٢ . (٢) متى ١٢ والنص: «أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس...» .

(٣) يقول المسيح: «كل خطية وتجديف؛ يغفر للناس. وأما التجديف على روح القدس؛ فلن يغفر للناس... لا في هذا العالم، ولا في الآتى» لاحظ: ١ - المغفرة للناس ٢ - عدم المغفرة لمن يشتم الروح

مواطني لقول سيدنا رسول الله: «إن كذبا على ليس ككذب على أحد، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup> غير أن بين الكلامين في المقدار ما بين الدرهم والدينار.

### الدليل الثامن:

دليل على نبوته من قوله: قال متى: «قال له قوم من الكتبة: يا معلم نريد أن ترينا آية. فقال: الجليل الشرير الفاسق يطلب آية؛ فلا يُعطى إلا آية يونان النبي؛ لأن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وكذلك ابن الإنسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى يقومون في يوم الحُكم ويُحاكِمون هذا الجليل؛ لأنهم تابوا بدعوة يونان وههنا أفضل من يونان»<sup>(٢)</sup>.

قلت: هو ذا المسيح قد صرح بنبوته في عدة مواضع من هذا الكلام: أحدها: تقرير الكتبة على قولهم له: يا معلم. ولم ينكر عليهم ويقول: كذبتُم بل أنا ربكم أو ابن إلهكم، كما لفق النصارى في أمانتهم التي بأيديهم.

وكيف يجوز إقرارهم على الخطأ في ذات الله، بل إنما أقرهم على الصواب، إذ قال لهم في الإنجيل غير مرة «إن الأنبياء كلهم معلمون».

والثاني: تسويته بين نفسه وبين يونان النبي في جريان المقدور. ويونان هو يونس بن متى - عليه السلام - ومحاكمة أمة يونس لأتمته يوم القيامة.

والثالث: تفضيله نفسه على يونان، وقد قلنا: إن التفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن بين الملك والأتوني، فكيف يحسن بين الله وعبد من عبيده؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ولاغرو

القدس. ولاحظ: ١ - هذا العالم ٢ - العالم الآتي. والمراد بالروح القدس ههنا: محمد ﷺ الذي قال عنه المسيح: «يسرقلبط الروح القدس» والمراد بهذا العالم: دهر الملك والنبوة في بني إسرائيل. والمراد بالعالم الآتي: دهر الملك والنبوة في بني إسماعيل [راجع الاقتباسات].

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) متى ١٢: ٣٨ = ويونان بالعبري. وهو باليونانية يونس بن أمتاي والنص موضوع للغو في نبوة محمد ﷺ لأن لقبه المشتهر به في سفر دانيال ٧ هو «ابن الإنسان» وهم يريدون صرف اللقب إلى المسيح.



أن يفضلُ المسيحَ يونس كما فضلُ محمد سائر الرسل - على ما نوضحه إن شاء الله في الباب العاشر من هذا الكتاب - .

فأما قوله «إن ابن الإنسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال» إن سلم عن الاختلاق. فذلك محمول على الشَّيْبِ الذي قتله اليهود وصلبوه؛ فإنه ابن الإنسان. فأما المسيح فهو عندكم معشر النصارى ابن الله، وإلا فما بالكم في صلواتكم وبيعكم لا تدعون المسيح ابن الإنسان، فتقولون في أدعيَتكم وقرءاتكم: «يا بن الإنسان اغفر لنا، يا بن الإنسان ارحمنا» هذا شيء لا تقولون به ولا تستجيزون إطلاقه، فكيف صرتم إذا لدغتم حجاج الحق تستروحون إلى ما لا تقولون به؟ هل ذلك إلا حيرة وضلال وغلو في عبادة الرجال؟ على أنا نريكم من الإنجيل ما يسيء ظنكم بهذا الفصل وينفركم من القول بصحته. وذلك أن الإنجيل الذي بأيديكم يشهد أن المصلوب لم يمكث في بطن الأرض وقلبها سوى يوم واحد وليتين لا غير، لأن الإنجيل يشهد أن يوسف الرامى استوهب الجسد من فيلاطس القائد عشيَّة الجمعة، ودفنه في قبر كان قد اتخذ له ليلة السبت، وبقي يوم السبت مدفونا، وطُلب بكرة يوم الأحد غَلَسًا؛ فلم يوجد سوى الأكفان في القبر موضوعه، بشهادة مريم المجدلانية خادمة المسيح وغيرها<sup>(١)</sup> فلم يلبث سوى يوم وليتين. فقد اختلف قولكم إنه يقيم في قلب الأرض وبطنها، ما أقام يونان في بطن الحوت. وهو ثلاثة أيام وثلاث ليال. فأى وثوق بقى يحصل لعاقل بكم؟ وأى طمأنينة تنفق بنقلكم؟ وأية حجة لكم على تصحيح مذهبكم في القتل والصلب بعد صدور هذا الكذب الشنيع؟ فإذا كان هذا تحريفكم في أمر يتعلق بالعدد مما لا تعظم فيه المؤنة ولم تشتد الكلفة، فكيف يوثق بكم فيما وراءه؟ ونحن إذا انتهينا معكم إلى ذكر القتل والصلب أريناكم غلطكم في دعوى قتل المسيح وصلبه وأبدينا لكم من الأناجيل التي بأيديكم ما يدل على خلاف ما صرتم إليه، وأرشدناكم إلى وجه الاستنباط منه؛ رجاء الأجر فيكم، والثوبة في هداية بعضكم، وتبصرة وإيضاحا لإخواننا المسلمين، وتعريفًا لهم مصداق قول ربنا جل اسمه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ

(١) آخر كل إنجيل .

وَمَا صَلَّوْهُ وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ ﴿١﴾

### الدليل التاسع:

معجزة دالة على نبوة المسيح عليه السلام: قال متى: «حضر إلى يسوع جمع كثير وليس عنده إلا خمس خبزات وحتوتان فرقع بصره إلى السماء ودعا وبارك على الطعام فأكل الجمع وشبعوا وفضلت كسر كثيرة»<sup>(١)</sup>.

إن قَدَحَ اليهود في هذه الآية وزعموا: أنها قُيِّدَت في الإنجيل هي وأخواتها من غير أن يكون لها صحة. فيقال لهم: فما يؤمنكم أن يكون أيضا قد قيل في كتاب التوراة التي بأيديكم ما ليس له صحة ولا تحقيق؟ فإن زعموا: أن أسلافهم الذين نقلوا إليهم خوارق التوراة؛ انتهوا في الثقة والديانة والصدق والأمانة إلى حد آمنوا معه هذه الغائلة، أجبوا بمثل ذلك. وقيل لهم: الناقلون لمعجزات المسيح أيضا انتهوا من الدين والتقوى والعفاف إلى غاية انتفت عنهم بها أسباب التهم.

وإن قال النصرارى: هذه الآية تدل على ربوبية المسيح. قلنا: كيف ذلك وما هو ذا قد رفع وجهه إلى السماء وحرك أخلاف الإجابة بأنامل الدعاء، وهذا هو دأب الأنبياء وسنة الأولياء. إذا دُفِعوا لبث الحق وإرشاد الخلق؛ رغبوا إلى معبودهم، وطلبوا إليه ما يحقق قصدهم، ويعرف أهمهم صدقهم. والخلائق عيال الله والنبي نائب عنه في إيصال رزقه إلى خلقه، وبالجملة: فلو جاز أن يعتقد في المسيح الربوبية بمثل هذه الدعوي؛ لجاز أن يعتقد في موسى بإطعام قومه المنّ فكان يسقط على الأرض الليل كله كصفائح الجليد أبيض كحب الكزبرة وطعمه كشهد العسل، وأما السلوى فطائر السمان كان يتراكم على الأرض في عسكر بنى إسرائيل حتى ملأ الرحاب<sup>(٢)</sup>. وهذا أعجب من فعل المسيح في الخوتين والخمسة الأرعفة؛ إذ آية المسيح تكثير خبز موجود، وآية موسى إيصال خير مفقود، وقد اشتملت التوراة على عدة من الخوارق لم يأت المسيح بنظيرها فنسمح بشطرها.

(١) متى ١٤ ولها نظير في يوحنا ٦ وهي المائدة التي نزلت من السماء.

(٢) العدد ١١ .

### الدليل العاشر:

بُعدُ ذوى اليسار عن مقام الأبرار: قال متى: «قال رجل ليسوع يا معلم ما أعمل من الصلاح لأرث الحياة الدائمة؟ فقال: احفظ الوصايا. قال وما هي؟ قال: لا تقتل، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك مثلك، فقال الرجل: كل هذا قد عرفته منذ صباي، فما الذى بقى علي؟ فقال المسيح: إن كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك، وأعطه للمساكين؛ ليكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الرجل هذا الكلام مضى حزينا؛ لأن ماله كان كثيرا، فقال المسيح: الحق أقول لكم، إن دخول الجمل فى سمّ الخياط أيسر من دخول الغنى ملكوت الله، فقال التلاميذ: من يقدر على هذا؟ فقال لهم: أما عند الناس فما يستطيع هذا، وأما عند الله فكل مستطاع» الأنبياء إنما بعثوا بالزهد فى الدنيا والتفرغ للمولى والتزود للعقبى .

وهذا الكلام من المسيح دال على نبوته ورسالته وفيه ما يهدم قاعدة من قواعد النصرارى وهو جعله حفظ وصايا الله المذكورة فى هذا الفصل سبب الخلاص وإرث الحياة الدائمة من غير حاجة إلى قتل المسيح وصلبه. وعند النصرارى أن الناس لا يخلصهم من الخطيئة إلا قتل المسيح وسفك دمه إذ يقولون فى الأمانة: «من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل المسيح من السماء وتجسد وولد وقتل وصلب». وهو ذا المسيح يكذب تلك الأمانة ويزرى على من ألّفها إذ جعل الخلاص منوطا بحفظ وصايا الله واتباع أمره، ولم يوقف الخلاص على ما هذوا به فى الأمانة التى هى فى الحقيقة خيانة، والشريعة التى هى لإضاعة الشريعة ذريعة، فهلا قال المسيح للرجل: لا ترث الحياة الدائمة حتى تعتقد ربوبيتى وتدين بالوهيتى وتعتقد أنى إله حق من إله حق من جوهر الله، وتعترف بأنى أتقنت العوالم وخلقنت كل شيء وأنى إله مسجون فى إنسان أو متحد به - كما لفقوه فى شريعة إيمانهم وتسيحة دينهم؟ وحاشاه. حاشاه. أن يناط به هذا الوضّر ويغشاه؛ إذ هو القائل فى إنجيله وفى أدعية ربه تعالى: «أنت الإله الحق وحدك

الذى أرسلت يسوع المسيح» (١) .

وقال: «لا صالح إلا الله وحده» (٢) وقال لرجل وهو يوصيه: «أحب الله من كل قلبك ومن كل قوتك. ففى هذه الوصية جميع وصايا الأنبياء» (٣) .  
وقال: «أنا ذاهب إلى إلهي والهكم» (٤) يقول ذلك للحواريين. فهذه نصوصه فى التوحيد ونفى التثليث. فمن أين جاءت النصرى هذه الداهية؟ أسأل الله العصمة .

### الدليل الحادى عشر؛

اعتراف أهل زمانه بنبوته واستجابتهم لدعوته: أقسم الناس فى وقته أقساما، فمنهم من يرميه بالخنا وبنوة الزنى، ومنهم من اعترف بنبوته واستجاب لدعوته، ومنهم من أدركته النفاسة وخشى أن يستلب الرئاسة. وداءُ الحسد، متى استولى على الجسد فسد. وهو داء قديم من يوم ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَ﴾ قال رجل من الصحابة: يا رسول الله أرفق بعبد الله بن أبي، فوالله لقد جاء الله بك وأنا لتنظم الخرز لنملكه علينا؛ فإنه ليرى أنك استلبته ملكا ففرق به - عليه السلام - كما علم، ولم يعرض له حتى اخترم.

قال متى: «لما دنا يسوع وأصحابه من أورشليم أرسل من جاءه باتان وجحش فركب وفرش الناس له ثيابهم؛ فارتجت المدينة لدخوله. وقال الجمع: هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل. فدخل إلى هيكل الله، وأخرج الباعة الذين فيه، وأمر برفع موائد الصيارف، وكراسى باعة الحمام. وقال: مكتوب أن بيت الله بيت الصلاة يُدعى، وأنتم صيرتموه مغارة للصووس وكل مفسد» (٥) .

(١) يو ١٧: ٣ .

(٢) متى ١٦: ١٩ .

(٣) متى ٢٢: ٣٩ .

(٤) يوحنا ١٧: ٢٠ .

(٥) النص فى متى ٢١ وغرض المحرف: أن يُضَيِّع نبوءتين من نبوءات التوراة هما لمحمد ﷺ بوضعهما على عيسى عليه السلام النبوة الأولى نبوة النبى الامى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ومن أوصاف محمد فيها أن يكون ملكا «له تسمعون». «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تُباد من الشعب» والنبوة الأخرى: نبوة الكعبة البيت الحرام الموجودة فى سفر إشعيا، ومن أوصاف محمد فيها أن يدخل مكة فاتحا وظافرا ومنتصرا. ففى سفر إشعيا ٥٦: «إني أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نُصبا، واسما أفضل من البنين والبنات» إلى أن قال: «أتى بهم إلى جبل قدسي، وأخرجهم فى بيت صلاتي،

قلت هذا الفعل من المسيح قريب من قوله عليه السلام حين بال الأعرابي في المسجد: «صبوا عليه ذنوبا من ماء، إن المساجد لم تبين لهذا، إنما بنيت للصلاة والذكر»<sup>(١)</sup> .

وفى الفصل: أن أحسن أقوال الناس فيه كان قول من يقول: هو نبي من الأنبياء. وفيه: أن المسيح احتاج أن يركب حمارا من التعب والإعياء. وذلك يكذب الأمانة إذ تقول: «إن المسيح من جوهر الله» وقد خلق الله الخلق في ستة أيام وما مسه من لغوب، فكيف يفتقر من هو من جوهره إلى المركوب؟ وإنما هو على الحقيقة من جوهر أبيه يعقوب<sup>(٢)</sup> ، كما نطق به الإنجيل عن جبريل .

### الدليل الثاني عشر:

ومن الدلالة على نبوته: إقراره من ينطق بنبوته على ذلك، وترك الإنكار عليه ومن ذلك: قال لوقا في إنجيله «صحب يسوع بعد قيامه رجلين وهما يتحدثان في أمره وأمر اليهود. فقال لهما: من تذكران؟ وكانت أعينهما ممسوكة عن معرفته. فقالا يسوع الناصري كان رجلا نبيا قويا بالأعمال»<sup>(٣)</sup> .

فلم ينكر عليهما وسار معهما فأضافاه وبات عندهما .

فكيف يُقرُّهما على الكفر أنه إله ورب كما يقول النصارى؟ وهلاَّ نبههما وعرفهما خطأ ما قالوا؟ فكيف يسكت على ما لا يجوز؟ فقد كان يقاوم اليهود في المحافل ويخزيهم ويلعنهم في المجالس ولا يغتفر لهم الزلل ولا يغطي منهم على الخطأ والخلل ويحاققهم فيما لا تعم به البلوى. فكيف يجوز أن يسامح في أمر يتعلق بالربوبية؟ وكيف يداهن الرجلين ويسمح لهما في أن يعتقدوا نبوته وهو ربهم وخالقهم وإلههم ويؤخر البيان عن وقت حاجتهم إليه، وهو في الساعة التي أزمع فيها على مفارقة أهل الأرض، وقد صار لهما عليه - مع حق العبودية - حق

وتكون محرقاتهم وذبايحهم مقبولة على مذبحي؛ لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب» .

(١) الحديث في البخارى ومسلم. واللفظ له .

(٢) المسيح لا أب له ينتسب إليه. وقد ولد بلا أب في أرض العبرانيين .

(٣) لوقا ٢٤: ١٣ + .

الرفاق واسترسال الصحبة والمباينة، وهو يسمعهما يشهدان أن المسيح كان نبيا قويا بالأعمال؟ والمداهنة في الدين لا تليق بمثل المسيح. مع أنه لا حاجة به في تيك الساعة إليهما. فإقرارهما على ما قالا ومسايرته لهما ومييته عندهما وتناوله طعامهما؛ رضا بقولهما فيه، وحكما بصحة ما ذهب إليه من نبوته، فكيف لم ترض النصرارى له بما رضى هو لنفسه من أهل زمانه؟<sup>(١)</sup>

### الدليل الثالث عشر:

دليل على نبوته من مفهوم قوله:

قال متى: «جاء إلى يسوع رؤساء الكهنة. فقالوا: بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن الذى أعطاك هذا السلطان؟ فقال يسوع: وأنا أسألكم عن كلمة واحدة: معمودية يوحنا من أين هي؟ أمن الله أم من الناس؟ فقالوا: لا نعلم. فقال: وأنا أيضا لا أعرفكم بأى سلطان أفعل. ثم قال: الحق أقول لكم: «إن الزناة والعشارين سيسبقونكم إلى ملكوت الله. جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به والعشارون والزناة آمنوا»<sup>(٢)</sup>.

هذا القول بمفهومه يدل على نبوته. إذ جعل أفعاله وأفعال يحيى بن زكريا تخرج من مشكاة واحدة، وفي هذا الكلام ما يهدم على النصرارى قطبا من أقطاب كفرهم، وهو ما حكيناه عنهم من أنه لا يُخرجهم من الخطيئة التى ورطهم فيها أبوهم آدم إلا قتل المسيح، وها هو ذا يقول: إن الزناة والعشارين يسبقون اليهود إلى الملكوت بالتوبة والانصباغ فى معمديته ومعمودية يوحنا. ولم يحوجهم إلى غير ذلك، ولم يُرج خلاصهم إلى قتله وصلبه كما يهتف به النصرارى، بل جعل الاتباع كافيا فى ذلك.

(١) هذا النص الذى أورده المؤلف من إنجيل لوقا ينفى قتل المسيح وصلبه. وذلك لأن كليهما بعد الحادثة، المسطرة فى الإنجيل.

(٢) متى ٢٣: ٢٣ + .

### الدليل الرابع عشر:

ومن الدليل على نبوته: دعاؤه إلى الله - سبحانه - أسوة غيره من الرسل. قال متي: «قال له قائل يا معلم، أيما أعظم الوصايا في الناموس؟ قال: أعظم الوصايا في الناموس: أن تحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قوتك. ففي هذا جميع نواميس الأنبياء» (١).

قلت: لو كان الأمر على ما يعتقد أهل الضلال؛ لقال للرجل: أعظم الوصايا في الناموس أن تحبّ الثالوث والصليب، كلا والله. وأين هذا الهذيان من نواميس الأنبياء؟ وأعظم النواميس توراة موسى ثم داود ثم إشعياء وقد فليتها طرقا تترى، وتصفحناها بطنا وظهرا. فلم نر فيها لما يدعيه النصرارى أصلاً ألبتة. ولقد شدّدت على من تنكب التوحيد أشد تشديد حتى قالت: «أيما نفس أشركت مع الله غيره في حبها فأهلكوا تلك النفس من شعبها».

### الدليل الخامس عشر:

دليل صحيح على نبوة المسيح: قال متي: «قال يسوع المسيح وهو يخاطب البلد: يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين. كم من مرة أردت أن أجمع بنيك حولك كما تجمع الدجاجة فراريها. فلم يريدوا» (١).

وجه الدلالة من هذا الكلام: أنهم كانوا يتوثّبون عليه في المجالس بأورشليم يريدون قتله؛ إذ كان يفحمهم بالحجج فرجما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب. وقد قتلوا عدة من أنبيائهم بها، فكانه يقول: تريدون قتلى كما فعلتم بمن تقدمني، والخطاب للبلدة. والمراد: أهلها، والقول بنبوته ألزم على قول النصرارى أنه قُتل بأورشليم؛ لأنه سماها قاتلة الأنبياء ولم يقل يا قاتلة الإله. وفي الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته؛ لأنه أراد جمعهم على الإيمان فلم تنفذ إرادته، ومن هذا سبيله فلا يصلح للربوبية؛ فقد شهد على نفسه بالعجز عن جمعهم على الدين والهدى، وأولى ذلك لربه - عز وجل - إذ يقول في

(١) متي ٢٢: ٣٥ + .

(٢) متي ٢٣: ٣٧ - ٣٩ .

دعائه: «أيها الأب كل شيء بقدرتك. اصرف عنى هذا الكأس» (١) كما تقدم.

والعجب: أن المسيح أراد وأراد اليهود. فنفذت إرادتهم وقصرت إرادته، إذ قال: إنه ضعيف. وهذا. فاعلم حال الأنبياء مع كفار قومهم، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ؟

وفى هذا الكلام إثبات مزية لموسى عليه السلام، وذلك أن موسى عليه السلام أراد جمع قومه على الإيمان؛ فاستجابوا وأذعنوا، وأمرهم بالنفر معه؛ فسارعوا وظعنوا، فأخرجهم من مصر وجللهم النصر، وشق بهم البحر، ورفع عنهم السيف بعد أن بلغ النحر، وقاتل بهم الملوك فلم يغلب، وقهر العمالقة والجبابة ولم يقتل ولم يُصلب. فما نرى موسى إلا كان أحق أن يدعى له ما ادعى في المسيح. فلو أن النصرارى جمعت بين قوله للبلدة: «يا قاتلة الأنبياء» وبين دعواهم أنه قتل بها؛ لما وسعهم إلا القول بنبوته، ولكن أفهام القوم بعيدة عن هذا النمط، قريبة من السقط والغلط. ألا تراهم كيف جمعوا في الاعتقاد بين الأضداد. فقالوا في تسيحة أمانتهم: «نؤمن بالرب أيشوع المسيح الذي أتقنت العوالم بيده، وخلق كل شيء وقتل وصلب أيام بيلاطوس»؟ (٢) فبينا هم ينعتونه بالرب المجيد، إذ وصفوه بذل ما عليه مزيد.

### الدليل السادس عشر:

شهادة إشعياء للمسيح - عليهما السلام - بالنبوة والرسالة وتكذيب اليهود فيما قرفوه به: قال لوقا: (٣) «جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى ودخل كعادته في مجامعهم يوم السبت ليقرأ. فدفع إليه سفر إشعياء النبي فلما فتحه إذا فيه مكتوب: «روح الرب عليّ من أجل هذا مسحني وأرسلني لأبشر المساكين، وأشفى منكسرى القلوب، وأنذر المأسورين بالتخليّة، والعميان بالنظر، وأبشّر بالسنة المقبولة» ثم

(١) متى ٢٦: ٣٩.

(٢) في الأصل: هيرودوس.

(٣) النص في الأصحاح الرابع من لوقا وهو بشارة بمحمد ﷺ وذلك لأن الذي يقول: «روح الرب عليّ»

هو النبي محمد بلسان إشعياء.



طوى السفر ودفعه إلى الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم كمل هذا المكتوب في سماعكم، فجعلوا يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟

فقال: الحق أقول لكم: إنه لا يقبل نبي في مدينته وعند عشيرته» (١).

فهذه نبوة من إشعيا على تصديق المسيح في دعوى النبوة والرسالة. وقد ذكر أن روح الرب عليه، وهو نزول روح القدس الذي هو العلم والحكمة الواصلة إليه مع الملك، كقول الله في التوراة لموسى: «يصنع لك قبة الزمان بصَلْتَيْل الذي من سبط يهوذا، ورفيقه الذي من سبط دان. وهما اللذان ملأتهما روح الله بالعلم والحكمة» (٢) وكقول الإنجيل: «إن يوحنا بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه» (٣) وكقول المسيح في الإنجيل: «إن سمعان كان ينتظر عزاء إسرائيل، وكانت روح القدس تحل عليه» (٤) فهذه الروح متى حلت على آدمي؛ تنبأ أو نطق بالحكمة. وذلك مشهور عند أهل الكتاب. وقد حكينا قول الله في الكتاب العزيز في حق المؤمنين ﴿وَأَيَّدُهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ . وقال حزقيال النبي في كتابه: «قال الله لي: اخرج إلى بقعة كذا وكذا، فخرجت الروح فدخلت في فأقامتني على رجلي» (٥) فهذه الروح متى جاءت نبياً كانت وحياً، ومتى جاءت ولياً من أولياء الله؛ أكسبته إلهاماً عن الله، جودة فراسة وصدق توسم. قال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ وقال سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «إن من أمتي محدثين». وقد قال النصارى: قال المسيح لأصحابه: «لا تهتموا بما تقولون إذا حضرتم المجالس فإن روح أبيكم الحال فيكم هي تنطق عنكم بالعلم والحكمة» (٦).

(١) في سفر إشعيا في الأصحاح الحادى والستين: «روح السيد الرب عليّ؛ لأن الرب مسحني؛ لأبشر لمساكين، أرسلني لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسبيين لإلهنا بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادى بسنة مقبولة للرب، ويوم انتقام لإلهنا، لأعزى كل الناطحين» إلى أن قال: «كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركة الرب» ويقول اليهود والنصارى: إن هذه النبوة عن النبي الأمي المائل لموسى. وفي الإنجيل لوقا: يشرح المسيح هذه النبوة ويقول: «اليوم قد تم هذا المكتوب في سماعكم» أى شرحت لكم النبوة وأفهمتكم دلالتها على محمد رسول الله. ولكن المحرفين يزعمون أنها نبوة خاصة بعيسى. مع علمهم بأنه لم يتقم من الأعداء بسيفه ورمحه.

(٢) لوقا ١: ١٥.

(٣) خروج ٣٥: ٣١.

(٤) حزقيال ٣: ٢٢ + وفي الأصل إشعيا.

(٥) لوقا ٢: ٢٥.

(٦) متى ١٧: ١٠ +.

فأما قول المسيح في آخر الكلام عندما وخزه الناس بأبصارهم: «إنه لا يقبل نبى فى بلدته وعند عشيرته» فذلك واضح فى نبوته لمن أراد الله هدايته. واعلم: أن من لاحظ هذا الفصل بعين الإنصاف؛ لم تتخالجه الشكوك فى نبوة المسيح، وأن اعتقادها هو الصحيح، ولهذا تجد كثيرا من عقلاء النصارى يضمرون اعتقاد نبوته دون ربوبيته، ولكن لا يبوحون بذلك، خشية الجمهور مع الأئس بالمربى، إذ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه<sup>(١)</sup>.

### الدليل السابع عشر:

خارق من خوارق نبوته يتحقق به كذب اليهود وبهتهم فيما نسبوه إليه: قال لوقا: «رأى يسوع جنازة شاب واحد لأمه ومعها جمع من أهل المدينة ورآها تبكى وراءه، فرق لها وتحنن عليها. وقال لها: لا تبكى. ثم تقدم ومسّ النعش؛ فوقف الحاملون. فقال يسوع للميت: لك أقول يا شاب: قم فاجلس. فجلس الميت وتكلم. فدفعه لأمه ومجدوا الله. فقال الناس: لقد قام فينا نبى عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح. فذاع ذلك فى اليهودية»<sup>(٢)</sup>.

فإن أنكر اليهود دلالة هذه المعجزة على النبوة وصلاحتها لدعوى الرسالة، قلنا لهم: فلعل انقلاب العصا حيواناً ذا عينين لا يدل أيضاً على النبوة، وحيث بطل القول بذلك؛ بطل هذا. على أن آية المسيح أوضح فى الدلالة. وذلك أن إحياء من مات أوثق فى النفوس من اضطراب خشبة وتحركها، مع احتمال السحر والشعبذة. كيف واليهود يزعمون أن سحرة فرعون عارضوا موسى وفعلوا مثل فعله. على ما تشهد بذلك توراتهم<sup>(٣)</sup>؟ وذلك متعذر فى إحياء الميت. فقد وضحت نبوته، وأكذب الله اليهود وأخزاهم بظهور صدقه. وقد شهد له الجمع العظيم بالنبوة بقولهم: «لقد قام فينا نبى عظيم» وذلك حجة على النصارى، إذ صح عن خيار أسلافهم: أنهم شهدوا له بالنبوة، فكيف يدعى المتأخرون

(١) حديث فى البخارى ومسلم وفى مسند أحمد.

(٢) لوقا ٧ : ١٢ +

(٣) خروج ٧ .

الوهيته؟! وإنما طريق من غاب، الأخذ عمّن حضر. فإن زعم النصارى اليوم أن قول ذلك الجمع ليس بحجة فى إثبات نبوته؛ فلنا عليهم: الحجة القاطعة؛ تقريرهم على ذلك، والرضا منهم به، وترك الإنكار عليهم.

أفتقول النصارى - ويلهم - إن المسيح عليه السلام أقرهم على الكفر وقول الباطل؟ وهل تسمية الله نبياً إلا كتسمية النبی إلهاً؟ وكيف يُعتقد فى المسيح أن يسمعونهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم؟ وهو القائل فى إنجيله: «لا تدعوا لكم معلماً على الأرض؛ فإن معلّمكم هو المسيح»<sup>(١)</sup> والأنبياء كلهم معلمون، «ولا تدعوا لكم مدبراً فى الأرض؛ فإن مدبركم هو المسيح»<sup>(٢)</sup> وإذا كان المسيح هو معلمهم ومدبرهم، فكيف تقولون إنه أهملهم وتركهم يخبطون فى عمياء، ويتيهون فى ظلماء، ويخاطبون ربهم بأنه نبي من الأنبياء، ثم لا يرشدهم إلى اعتقاد الحق، وقول الصدق؟ فإن استروح النصارى فى دعواهم ربوبيته إلى إحياء الميت؛ أريئهم من كتبهم التى بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى. مثل إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم، ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عبداً لله تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئاً من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه وطلبوا منه المعونة ودعوه.

قلبنا عليهم السؤال وقلنا: فلعلّ المسيح كان إذا رام شيئاً من هذه الآيات تضرع إلى أحد من ذكرنا وسأله ودعاه وطلب منه. فهم متقدمون عليه وأرواحهم فى حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحق أن يسألهم من أن يسألوه. فقد وضع بذلك نبوته واستوى حاله وحال من تقدمه من إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

### الدليل الثامن عشر:

شهادة فولس بنبوة المسيح ورسالته وأنه واسطة بين الله وبين عباده أسوة غيره من الأنبياء: قال فى الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين: «أما أنتم فاقتربتهم

(١) المسيح هنا: هو محمد رسول الله ﷺ بلسانهم متى ٢٣ : ١ +.

(٢) التعليق السابق .

من جبل صهيون ومن مدينة الله أورشليم التي في السماء ومن ديوان الملائكة ومن الله ديّان الجميع، ومن يسوع المسيح واسطة الوصية الحديثة الذي هو أفضل من هايبيل<sup>(١)</sup>.

فهذا فؤوس لم يدع للمسيح ما يقوله النصارى من ربوبية المسيح وألوهيته، بل يشهد بأنه سفير وواسطة بين الله وبين عباده في الوصية ويخبر بأنه أفضل من هايبيل، وكل تصريح منه؛ بخلاف ما ذهب النصارى إليه<sup>(٢)</sup>.

### الدليل التاسع عشر:

بيان أنه كان يضيف ما يفعله إلى الله تعالى: قال لوقا: «أتى يسوع بمجنون لا يسكن إلا المقابر ولا يلبس ثوباً. فلما رأى يسوع خراً بين يديه وقال: يا يسوع سألتك بالله لا تعذبني. فأمره أن يخرج من الرجل. فخرج، ثم أفاق الرجل وسأل يسوع الصحبة قال له: اذهب وأخبر بالذي صنع الله بك. فذهب فجعل ينادى بذلك في المدينة»<sup>(٣)</sup>.

قلت: طلب الرجل صحبة المسيح فصرفه وعرفه أن الشفاء من الله، وأمره بإشاعة شكر الله. فقال: «أخبر بالذي صنع الله بك» ولم يقل بالذي صنعت بك. فإن قال النصارى: لا فرق بينهما، إذ كان المسيح هو الله، والله هو المسيح. قلنا لهم: فالمجنون إذاً أعقل وأعرف بالله منكم؛ إذ يقول: يا يسوع أسألك بالله، فقد عرف الله تعالى على حدة وعرف المسيح على حدة وأدرك التفرقة بين الإله المقسم به وبين الإنسان المقسم عليه. وأنتم تقولون: إن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله فأياكم أولى بالجنون؟. وإن طرق اليهود إلى هذا شيئاً من الطعن؛ انعكس عليهم في الحية النحاسية. وغيرها؛ إذا طريق ثبوت الكل واحد، فالاعتراض على نوع منها، يعود على سائرهما. ولا سبيل إلى رد شيء منها.

(١) عبرانيين ١٢ : ٢٢ + .

(٢) اعلم: أن جهود بولس في تحريف النصرانية هو تطبيق نبوءات التوراة التي تدل على محمد ﷺ، على عيسى عيه السلام والتثليث لا دخل له فيه وذلك لأنه كان معاصراً للمسيح وأول مجمع لتأليه المسيح كان في سنة ٣٢٥ م في نيقية .

(٣) لوقا ٨ وهذا مناقض لقوله: لا تخبروا أحداً.

### الدليل العشري:

دليل على رسالته من لفظه: قال لوقا: «اختار يسوع سبعين رجلا وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال: الحصاد كثير والحصادون قليل، اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فعلة لحصاده»<sup>(١)</sup>. ثم قال: «من سمع منكم فقد سمع مني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمني فإنما يشتم من أرسلني»<sup>(٢)</sup>.

فإن قال النصراري: ذلك دليل على الربوبية؛ لأن إرسال الرسل إلى الخلق دليل على ما قلناه.

قلنا لهم: أما بعث السبعين<sup>(٣)</sup> فليس فيه مستروح لكم، فقد اختار موسى سبعين رجلا من قومه وندبهم لإبلاغ بنى إسرائيل فنبأهم الله ببركة اختياره فصاروا أنبياء، فأما السبعون الذين اختارهم المسيح فمن سلم لكم أنهم كانوا أنبياء مؤيدين بالمعجزات؟ ولعل المسيح - عليه السلام - إنما اقتدى بسنة موسى في الإرسال والعدد، فالمسيح عليه السلام نبي ورسول ولا يمتنع أن يكون للرسول رسول. فقد أرسل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه إلى ملوك الأرض.

فإن قال النصراري: قوله: «من شتمني فإنما يشتم من أرسلني»<sup>(٤)</sup> دليل على الاتحاد الذي نقول به.

قلنا: وقوله: «من شتمكم فقد شتمني» دليل على اتحادهم بالمسيح، أفتقولون: إن السبعين اتحدوا بجسد المسيح؟ فإن تراعنوا وادعوا ذلك قلنا لهم: فيلزم على ذلك أن يكونوا قد اتحدوا بذات الله. إذ كانوا قد اتحدوا بمن اتحد به المسيح. فإن التزموا ذلك، قلنا: فالسبعون هم الله تعالى والله هو السبعون، والرسول هو المرسل والمرسل هو الرسول. وهذا هو الجنون. ثم نقول للنصارى: أليس قد اعترف المسيح بأن غيره أرسله؟ فكيف تقولون: إنه هو نفسه؟ فإن قالوا: هذا

(١) لوقا ١٠: ١ + .

(٢) لوقا ١٠: ١٦ .

(٣) محرف الإنجيل كتب من أجل أن يثبت أن عيسى هو المائل لموسى أنه كما اختار موسى سبعين، اختار يسوع سبعين. ومعنى أنبياء في لسان بنى إسرائيل علماء أو رسل لرسول الله وليس بلام أن يؤيدهم الله بالمعجزات .

(٤) لوقا ١٠: ١٦ .

اعتقاد طائفة منّا. ونحن لا نلتزمها فيلزمنا الذب عنها ولكن الاعتقاد المرضي عندنا: أن المسيح ابن الله. ولا نقول هو الله نفسه (١). ولا يبعد أن يرسل الله ابنه إلى عباده. فحينئذ يحسن أن نعيد عليهم بعض ما مضى لنا ونقول: ألم تقولوا في الأمانة: «نؤمن بالمسيح الإله الحق الذي أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء، الذي نزل من السماء وتجسّد وولده مريم وقتل وصلب؟» ألم تقرأوا في صلواتكم: «يا ربنا المسيح الذي ذاق الموت من أجلنا ونزل من السماء لخلاصنا؛ لا تضيع من خلقت بيدك» ألم تنقلوا عن أفرايم من أسلافكم وكبار مشائخكم قوله: إن اليدين التي جبلت طينة آدم هي التي سمّرت على الخشبة، وإن الشبر التي مسحت السماوات هي التي علقت على الصليب، وإن من لم يقل إن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله؟ وإذا كانت صلواتكم وأمانتكم وأقوال مشائخكم مصرحة بذلك فقد ذبتم في هربكم مما ألزمناكم، وصدق المسيح في قوله: إن الله نبأه وأرسله.

وأما قولهم: فلا يبعد أن يرسل الله ابنه، وتسمية الله أباً والمسيح ابناً. فنحن نسألهم ما تعنون بهذه البنية؟ أم مجرد تسمية وتشريف أم لما خصّه به من الآيات والخوارق أم تريدون البنية المعروفة المألوفة؟

فإن قالوا: إن ذلك مجرد تسمية وتشريف. قلنا: فلا اختصاص للمسيح بهذا التشريف والتسمية، ولا مزية له على غيره؛ فقد سمى الله يعقوب ابناً وسمى داود ابناً، وسمى الصالحين وأولاد الأنبياء، أبناء - بزعمكم - فرويتم أنتم لنا عن الله في التوراة قوله: «إسرائيل ابني بكري» (٢). يقول ذلك لفرعون في عدة مواضع. وقال في السفر الأول: «لما رأى بنو الله بنات الناس حسناً جداً؛ نكحوا منهم على ما أحبوا وأرادوا. فغرقهم الله بالطوفان» (٣). وقال في المزامير: «داود مذهب اليعقوبية وهو نفسه مذهب الأرثوذكس أن الله هو المسيح والمسيح هو الله. ومعنى ابن الله عندهم: هو لتطبيق نبوءة الزمور الثاني عليه، ومعنى الروح القدس عندهم هو لتطبيق نبوءة المعزى الروح القدس عليه. ومذهب النسطورية: أن مريم ولدت إلهاً وإنساناً معاً، مع قولهم بانفصال الأقانيم. ومذهب الملكانية وهو نفسه مذهب الكاثوليك والبروتستانت أن كل أمتوم متميز عن غيره.

(٢) خر ٤: ٢٢.

(٣) تك ١: ٦ + والمراد بأبناء الله: الصالحين من عباده، والمراد بأبناء الناس: المحبون للعالم وللدنيا وزيّنتها.

ابنى حبيبي»<sup>(١)</sup>. وقال المسيح: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم»<sup>(٢)</sup>. فقد استوى المسيح وغيره فى هذا التشريف وترجع إسرائيل بالبكارة عليه<sup>(٣)</sup>. وإن أردتم البنوة المعروفة المألوفة بين الناس وهى المتخذة من الزوجة والمملوكة، على معنى أن المسيح انفصل من الله. فكيف يصح هذا، وإنما يفصل الجسم من جسم مثله والبارى منزّه عن الجسمية؟ ثم ذلك باطل بنص الإنجيل؛ إذ قال لوقا: إن المسيح من روح القدس<sup>(٤)</sup> فكيف تقولون إنه منفصل من ذات الله؟ فقد بطل مقصودكم من البنوة على كلا القسمين.

وإن قالوا: وإنما استحق المسيح البنوة لما اتحدت به الكلمة فصار بها ابنا على الحقيقة، وغيره ممن ذكرتم لم يتحد به، فبقى ابنا على سبيل التشريف. قلنا: أخبرونا عن هذه الكلمة. ما هي؟ وما الذى تعنون بها؟ فلإنهم يقولون: الكلمة: هى العلم أو النطق. ولا يعدلون عن ذلك، فيقال لهم: أليس من حكم الصفة أن لا تفارق الذات الموصوفة بها؟ فإذا كان العلم أو النطق هو صفة لذات البارى - تعالى - فلا تفارقه إلا ويخلفها ضدها وهى الجهل أو الخرس. فإن كان علم البارى قد انفصل أو نطقه وقام بغيره؛ فقد صار القديم ماوقا ناقصا. وذلك مستحيل على الله - سبحانه - وإن كان علم الله لم يزايله وكلامه لم يفارقه؛ فلا حقيقة لهذا الاتحاد الذى تدعونه. وقد أطلت النَّفْس قليلا. فلنرجع إلى إيثار الاختصار؛ فإن هذه الفرقة أنزر شأننا من أن يُحفل لها.

### الدليل الحادى والعشرون:

إيثاره الله على ما سواه وذلك دأب النبيين من إخوانه - عليهم السلام - قال لوقا: «جلس يسوع يوما يتكلم مع تلاميذه، فرفعت امرأة من المجلس صوتها وقالت: طوبى للبطن التى حملتك وللشدين التى أرضعتك. فقال لها المسيح: مهلا. طوبى لمن يسمع كلام الله فيحفظه»<sup>(٥)</sup>.

(١) مزمو ٨٩: ٢٠ - ٢٩ .

(٢) يوحنا ٧: ٢٠ .

(٣) «أنا أيضا أجعله بكرا» { مز ٨٩: ٢٧ } .

(٤) لو ١: ٣٥ .

(٥) لوقا ١١: ٢٧ .

قلت: هذه امرأة اشتغلت بمجد المخلوق فأرشدتها لمجد الخالق - جل وعلا - انظر إلى هذا الكلام الصادر من هذه المرأة، هل خرج من قلب نعتقد ربوبية المسيح وألوهيته؟ وإلا فما أحسن رباً في بطن وإلهاً على أيدي المراضع!! أعوذ بالله من الضلال، والتعبد للأطفال.

### الدليل الثانی والعشرون:

شهادة يوحنا الإنجيلي على المسيح بالنبوة: قال يوحنا: «كان الناس إذا رأوا يسوع وسمعوا كلامه يقولون: هذا النبي حقا» (١) وقال يوحنا أيضا: «تفل يسوع على طين ووضع على عيني أكمه وقال: اذهب فاغتسل في عين شلوخا. ففعل. فانفتحت عيناه، وذلك في يوم السبت فوقع بين اليهود فيه خُلف، فمنهم من يقول: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحترم السبت، ومنهم من يقول: إن الله لا يستجيب للخاطئين، ومنهم من يقول: إنه لا يجيء نبي من الجليل» (٢).

قلت: هذا يوحنا الإنجيلي الذي يُسمى حبيب المسيح يشهد بنبوته، وهو أحسن أقوال أهل زمانه فيه، وذلك يكذب اليهود والنصارى. أما اليهود ففي جحد نبوته، وأما النصارى ففي ادعاء ربوبيته.

### الدليل الثالث والعشرون:

موعظة مشابهة لمواعظ الأنبياء عليهم السلام: قال المسيح لمن حضره: «لم لم تحكموا بالحق من نفوسكم؟ فإذا ذهب أحدكم مع خصمه إلى الرئيس فليدفع ما يجب عليه في الطريق فيخلص كيلا يذهب به إلى الحاكم فيدفعه الحاكم إلى المستخرج في السجن، الحق أقول لكم: إنه لا يخرج منه حتى يؤدي آخر فلس عليه» (٣).

قلت: الموعظة بليغة ومعناها رائق وقاعدتها مبنية على أسس من الحقائق، غير

(١) يوحنا ٤: ١٩ .

(٢) يوحنا ٩: ١٣ + ٧: ٥٢ .

(٣) لوقا ١٢: ٥٨ .



أن قول خاتم النبيين: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»<sup>(١)</sup> أبلغ من ذلك وأخصر، وأضبط لشوارد فرائد الفوائد وأحصر.

### الدليل الرابع والعشرون:

قال المؤلف - عفا الله عنه -: وقد شهد يوحنا الإنجيلي أن المسيح ليس إلهاً، ولكنه نبي بار ذو شفاعاة مقبولة عند الله، فقال في الفصل الأول من رسالته الأولى: «أيها الأبناء لا تخطئوا، فإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الأب؛ يسوع المسيح البار»<sup>(٢)</sup>. فهذا - رحمكم الله - يوحنا الحواري مفارق لمقالة النصارى في المسيح موافق لاعتقاد الملة الخنفية في نبوته عليه السلام.

### الدليل الخامس والعشرون:

دليل صحيح على نبوة المسيح: قال لوقا: «قال الفرّيسيون ليسوع: اخرج من ههنا فإن هيرودس يريد يقتلك، فقال: امضوا وقولوا لهذا الثعلب: إني أقيم ههنا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل؛ لأنه لا يهلك نبي خارجاً عن أورشليم»<sup>(٣)</sup>. قال المؤلف عفا الله عنه: لو اجتمع علماء النصرانية وراموا صرف هذا الكلام عن صلاحيته لنبوة المسيح إلى إثبات ما يدعونه من الربوبية لأعوزهم ذلك. فمن أبدى من النصرانية في نبوته نزاعاً، ورام لها دفاعاً. فهذا الفصل وأمثاله حجة عليه. فإن قال النصارى: هب أن هذا الفصل يدل على نبوته؛ أليس قد شهد عليكم معشر المسلمين بأنه في اليوم الثالث يُقتل ويصلب؟ قلنا: لم يقل ذلك وحاشاه منه، إنما قال: إنه في اليوم الثالث يكمل، يريد أنه تتم مدة إقامته في هذا

(١) رواه الترمذي .

(٢) يوحنا الأولى ١: ٢ واعلم: أن المسيح عيسى عليه السلام لن يشفع في اليهود. ولن يشفع في النصارى والمسيحيين. وذلك لأن الشفاعاة خاصة بمحمد ﷺ ففي التوراة في سفر إشعياء من أوصاف العبد المتالم من إعراض الناس عن دعوته: «وشفع في المذنبين» [إش ٥٣: ١٢] وقد طبقها المسيح على محمد ﷺ طبقاً لسرواية برنابا ويوحنا في قوله في يوحنا: «وكل بنيك تلاميذ الرب» [إش ٥٤: ١٣] وفي ترجمة: «ويكون الجميع متعلمين من الله» وفي الإنجيل مرقس أن المسيح تعجب من عدم إيمان اليهود به، ولن يشفع فيهم. وهذا مبين في كتاب الشفاعاة بين المسلمين وأهل الكتاب / نشر دار الإيمان بالمنصورة .

(٣) لوقا ١٣: ٣١ + .

العالم الناقص ثم يرتفع، وكيف يكون أراد ما ذكرتم من القتل والصفع والصلب وذلك غاية النقص؟ لأنكم زعمتم أنه ضرب وسحب ثم قتل وصلب وسلب وذلك لا يعدّ كمالاتاً، بل الكمال الذى أرادته هو الذى يقول به المسلمون هو أن الله حماه من أعدائه حين طلبوه ورد طلبتهم منه بالحرمات؛ فما قتلوه وما صلبوه، ونحن إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذكر القتل والصلب أبدينا فيه العجب العجيب، وأقرنا عيون أولى الألباب.

### الدليل السادس والعشرون:

وصية مناسبة لكلام الرسل: قال المسيح عليه السلام: «إذا دعاك أخوك فلا تجلس فى صدر المجلس؛ فله قد دعا هناك من هو أكرم عليه منك؛ فيأتى المدعو فيقال لك: دع المكان لهذا، فتقوم فتجلس فى آخر باب الناس؛ فتخزى أمام الحاضرين، ولكن إذا دُعيت فاجلس فى آخر موضع، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك: يا حبيب ارتفع عن مجلسك هذا. فيكون لك مجدٌ أمام الحاضرين. فمن اتضع ارتفع، ومن ارتفع اتضع. وإذا صنعت وليمة فلا تدع أجبائك وأغنياء جيرانك لكى يكافئك ولكن ادع المساكين والضعفاء والزمنى والمقعدين؛ فطوبى لك إذ ليس لهم ما يكافئك به. ومجازاتك تكون فى قيامة الصديقين»<sup>(١)</sup> ثم عرّض بالعلماء. فقال: «جيد هو الملح فإذا فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح لأرض ولا لمزبلة، فيطرحونه خارجاً. من كانت له أذنان سامعتان فليسمع»<sup>(٢)</sup>.

هذه الوصية وما شاكلها لم تمتد إليها يد التغيير سوى ما عقب بها من قصر التعبير. وهى بطولها مندمجة فى قوله عليه السلام: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام: «من تواضع لله رفعه الله»<sup>(٤)</sup>. وفى قوله «إنكم أئمة يقتدى بكم»<sup>(٥)</sup> يقول ذلك لأصحابه - رضى الله عنهم - .

(١) لوقا ١٤: ٧ - ١٤ .

(٢) لوقا ١٤: ٣٤ - ٣٥ .

(٣) أخرجه مسلم وابن ماجه والبخارى .

(٤) مسلم وأحمد .

(٥) أخرجه الإمام أحمد ١: ٣٤٦ .

## اشتمال الجنة على الأكل والشرب والنكاح

### وذلك على خلاف معتقد أهل الكتاب

قال المسيح عليه السلام: «كان رجل من الأغنياء يلبس البز والأرجوان ويتنعم كل يوم ويلتذ، وكان ببابه رجل مسكين يسمى لعازر مضروب بالقروح، وكانت الكلاب تأتي فتلعق قروحه، ويود لو ملأ بطنه من الفتات الذي يسقط من مائدة ذلك الغني. فلما مات ذلك المسكين، أخذته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات ذلك الغني فقر في الجحيم. ففتح عينيه وهو في العذاب فنظر إلى لعازر في حضن إبراهيم يتنعم ويلتذ. فنادى: يا أبتاه إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء يبرد لساني من هذا اللهب. فقال إبراهيم: يا بني اذكر أنك أفيت خيرتك ولعازر إذ ذاك في بلائه، والآن فهو ههنا يستريح وأنت تُعذب، ومع ذلك فيينا وبينكم هوة بعيدة لا يقدر أحد منا على العبور إلى الآخر» (١).

قلت: قال الله فيمن حاله بحال ذلك الغني: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ .

واعلم: أن اليهود (٢) والنصارى ينكرون أن يكون في الجنة طعام أو نكاح أو شراب. وهذا الكلام (٣) من المسيح حجة عليهم. وقد قال المسيح: «إن لعازر هذا في كفالة إبراهيم يتنعم ويلتذ في الآخرة» كما قال: «إن ذلك الغني كان كل يوم يتنعم في دنياه ويلتذ» والذي يتندر إلى الأفهام منه: التنعم بالطيبات المألوفة المعروفة، إذ الإنسان إنما يشناق لما عرف جنسه ونوعه. وقد جاء ذلك في الإنجيل كثيراً ولكن النصارى محجوبون بالتقليد عن النظر في أقوال الأنبياء.

قال لوقا: «قال يسوع: إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء لتكون

(١) لوقا ١٦: ١٩ - ٣١ . (٢) اليهود لا ينكرون .

(٣) كلام المسيح ضرب مثل وليس بحجة. إنما الحجة في تصريحه بالعذاب الجسدي، والنعيم الجسدي في قوله: «ولا يلقى جسدك كله في جهنم» وفي إنجيل برنابا كل أدلة المسيح على النعيم الحسي والعذاب الحسي من التوراة .

مجازاتك في قيامة الصديقين. فقال من حضر لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله»<sup>(١)</sup> وقال حَمَلَةُ الإنجيل: «قال يسوع لتلاميذه: إني ذاهب أُعدُّ لكم مائدتي في الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كراسي المجد»<sup>(٢)</sup>. وقال الإنجيل: إن المسيح شرب مع تلاميذه عصيراً ثم قال: «إني لست شارباً من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثاً في ملكوت السموات»<sup>(٣)</sup>. وقال المسيح في الإنجيل: «إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي»<sup>(٤)</sup>. وقال المسيح في الإنجيل: «بحق أقول لكم: إنه سيأتي قوم من المشرق والمغرب فيبتكثون. مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماء. ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية. هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان»<sup>(٥)</sup>. وقال المسيح في الإنجيل: «طوبى للجياع العطاش فإنهم للرحماء فإنهم يرحمون»<sup>(٦)</sup>.

فهذا المسيح يشهد أن في الجنة أكلًا وشربًا وأن المساكين يملكون ذلك وفي الإنجيل يقول المسيح: «بيعوا أمتعتكم وتصدقوا، اجعلوا لكم أكياساً لا تبلى وكنوزاً في السماء لا تفتنى، حيث لا يصل إليها سارق ولا يفسدها سوس. فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم معلقة»<sup>(٧)</sup>. وقال المسيح عليه السلام لأصحابه: «أنتم تقولون: إن الحصاد يأتي بعد أربعة أشهر، وأنا أقول لكم: ارفعوا أعينكم فانظروا إلى الكور قد ابيضت وبلغت الحصاد، والذي يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثمار

(١) لوقا ١٤: ١٣ - ١٥ وقوله «لتكون مجازاتك في قيامة الصديقين» في الترجمة الحديثة: «لأنك تكافى في قيامة الأبرار» وفي توراة موسى: «لثمنت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كما آخرتهم» [عدد ٢٣: ١٠] وفي القرآن الكريم: «وَتَوَقَّأْ مَعَ الْأَبْرَارِ».

(٢) لوقا ٢٢: ٢٩ وقوله «لتجلسوا على كراسي المجد» تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. معناه: أن المستقيمين يعلنون على الأشرار في يوم القيامة، ويخزونهم. وقد أخذ هذا المعنى من الزبور. إذ يقول داود عليه السلام: «والإنسان في كرامة لا يبيت؛ يشبه البهائم التي تباد. هذا طريقهم اعتمادهم، وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم. سلاه. مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعهم ويسودهم المستقيمون. عذاة وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم» [مزمو ٤٩].

(٣) متى ٢٦: ٢٩.

(٤) لوقا ٢٢: ٣٠.

(٥) متى ٨: ١١ - ١٢.

(٦) متى ٥: ٦ - ٧.

(٧) متى ٦: ١٩ - ٢١.

الحياة الدائمة»<sup>(١)</sup>. وقال المسيح عليه السلام لتلاميذه: «اعلموا لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقي في الحياة المؤبدة؛ لأن ذلك قد ختمه الله»<sup>(٢)</sup>. فقد ثبت عن المسيح: اشتغال الجنة على الأكل من الطيبات والتنعم باللذات والتفكه في الشهوات.

فإن قيل: وأين ذكر الجماع في الجنة؟

قلنا: قال المسيح عليه السلام في الإنجيل: «من ترك زوجة أو بنين أو حقلاً من أجلى فإنه يعطى في الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة»<sup>(٣)</sup>. فقد صرح المسيح بأن الرجل المؤمن يُعطى في الجنة مائتي زوجة كما يُعطى مائتي حقل. والحقل: الكرم والبستان. وذلك مكذب للنصارى واليهود فيما صاروا إليه.

فإن قيل: هذا فيه الحجة الواضحة على النصارى، فما الحجة فيه على اليهود مع إنكارهم شرع الإنجيل؟

قلنا: قال الله تعالى في السفر الأول من التوراة وهو الذي يدعى سفر الخليقة<sup>(٤)</sup>: «إن الله غرس فردوساً في جنة عدن وأسكنه آدم وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم وتقدم إليه: إنى قد جعلت كل شجر الجنة لك مأكلاً سوى شجرة معرفة الخير والشر. ثم قال الله سبحانه: لا تحسبن أن يبقى آدم وحده. فألقى عليه سُبَّاتاً ونزع ضلعاً من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحماً ثم خلق الله من ذلك الضلع حواء؛ فزوجها آدم، فلما أكلا من الشجرة التي نهيا عنها؛ انفتحت أعينهما، وعرفا أنهما عريانان. فكلهما الله وتوعدهما على المخالفة. ثم صنع سبحانه لآدم وزوجته سراييلات من الجلود فألبسهما ثم أرسلهما من جنة عدن وأهبطهما إلى الأرض؛ ليحرق فيهما».

وقال في السفر الأول أيضاً: «كانت سدوم قبل أن يخسف الله بها تشبه فردوس الله وأرض مصر»<sup>(٥)</sup> وقال في السفر الأول أيضاً: «أما هابيل الشهيد فإنه يجزى

(١) يوحنا ٤: ٣٥-٣٦.

(٢) يوحنا ٦: ٢٧.

(٣) متى ١٩: ٢٥.

(٤) الأصحاح الثاني من سفر التكوين...

(٥) تكوين ١٣: ١٠.

بدل الواحد سبعة» (١) .

وهذا دليل على أن الجزء من جنس المنفق في الدنيا تقريباً إلى الله؛ فإن هابيل كان قد قرب من أبكار غنمه؛ فتقبله الله منه، ووعده الجزء على الواحد سبعة. فهذه التوراة والإنجيل مصرحة بموافقة الكتاب العزيز، وبذلك تتم اللذة وتجتمع المسرة، وتحصل الدعة. فمن أعظم جرماً وأشد إثمًا وأثقل وزراً وأضعف أزرًا؛ ممن يقرأ هذه النصوص من التوراة والإنجيل، ثم يكفر بها ويردها؟

ولو أن اليهود والنصارى إذ حرموا لذة الاستنباط والاستخراج؛ قلدوا أنبياء الله في ذلك؛ لأخذوا بحظهم من الخير. فقد قال النبي إشعياء في نبوته: «يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء والورد، ومن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقى ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن» (٢) .

قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى في الكتاب العزيز في وصف الجنة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ .

وقال دانيال عليه السلام: «سيعث من الأجدات قوم كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار» (٣) . وقال داود: «الله باعثهم وناشرهم من بين أنياب السباع ومن لجج البحار» (٤) . وقال أيضاً في المزمور الخامس والثلاثين: «يا رب البشر بظلال بيتك يستترون، ومن نعيم بيتك يشبعون، ومن وادي نعمك يرتعون؛

(١) تك ٤: ١٥ .

(٢) نص سفر إشعياء الذي ذكره المؤلف هو نبوءة عن محمد ﷺ وهو بعد نبوءة العاقر والعبد المتالم لإش ١٣٥٢ + { وفيه يقول عن محمد ﷺ : «هو ذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك؛ تركض إليك...» [إش ٥٥ : ٤ : +].

(٣) يقول دانيال : وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون... ثم يقول: «أما أنت فاذهب إلى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك في نهاية الأيام» [إرا ١٢ : ٢ و ١٣] .

(٤) النص في المزمور الثامن عشر. كناية عن هزيمة النبي المنتظر على يد أعدائه، ثم انتصاره عليهم. ويظن المؤلف أنه في يوم القيامة. وفيه «جبال الهاوية حاقت بي. أشراك الموت انتشبت بي. في ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت» إلى أن قال: «فأزعجهم. فظهرت أعماق المياه» - «أنقذنى من عدوى القري، ومن مبعضى؛ لأنهم أقوى منى» .

لأن ينبوع الحياة عندك»<sup>(١)</sup> وقال في المزمور الثمانين: «لو سمع منى شعبي وسلك سبلى لأذلت أعلاه ومحوت سيئاته وأطعمته من طيباتي»<sup>(٢)</sup>. وقال في المزمور الرابع والعشرين والمائة: «المتوكلون على الله مثل جبل صهيون الذي بأورشليم لا يزول إلى الأبد. والذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح كانوا ينطلقون باكين ويقبلون بالتهليل وقد حملوا غلاتهم»<sup>(٣)</sup>.

فهذه نبوات أنبياء بنى إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت بما نطق به الكتاب العزيز من اشتغال دار الشواب على الطعام والنكاح والشراب. فإن قال اليهود: ما حكيتته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا ولا ينكر تسمية الجنة بستاناً، والبستان جنة.

قلنا: يا إخوان القروود ومشاركي ثمود إنما قالت التوراة: «إن الله أسكن آدم فردوساً في جنة عدن وجعل فيه من كل شجرة طيبة المأكل وقال لآدم: جعلت لك كل شجر الجنة مأكلاً» والله تعالى يقول: إنه فردوس في الجنة، وأنتم تقولون: بل بستان وحديقة في الدنيا، ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام: إن الله كلمهما وتهدهما ثم صنع لهما سراييلات من الجلود، وأرسلهما من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم وأهبطه للحرث؟<sup>(٤)</sup> وإن تعلق النصرارى بقول

(١) المزمور السادس والثلاثون كله نبوءة عن محمد ﷺ والتعابير التي فيه عن النعيم هي كناية عن الرخاء والأمن وكثرة الشبع في زمانه. ومنه «فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون، يروون من رسم بيتك» يقصد كثرة الخيرات عند الكعبة البيت الحرام - «ومن نهر نعمك تسقيهم» إلى أن قال عن هزيمة اليهود أمام المسلمين «دحروا فلم يستطيعوا القيام».

(٢) النص في المزمور الحادى والثمانين. والمؤلف يعتقد أن الطيبات التي فيه ستكون في الجنة. والحق أنه تكلم عن الرخاء وكثرة الخيرات في زمن محمد ﷺ ويقول: لو سمع بنو إسرائيل له في وقت مجيئه لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض «سريعاً كنت أخضع أعداءهم، وعلى مضايقيهم كنت أرد يدي...».

(٣) النص في المزمور المائة والخامس والعشرون. وهو في المقارنة بين الأشرار وهم اليهود، وبين الأخيار وهم بنو إسماعيل. ويقول: إن هزيمة الأشرار للأخيار لن تدم. وأن الأشرار يعدلون إلى طرق معوجة فيذهبهم الرب مع فعلة الإثم. وفي القرآن الكريم: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» وفي نهاية المزمور يقول المحرف: «سلام على إسرائيل» وفي سفر إشعيا: ليس سلام على الأشرار» فتكون العبارة من قبل التحريف: سلام على إسماعيل.

(٤) في الأصل وأهبطهما. وفي التوراة وأهبطه إنك ٣ : ٢٣.

أسلافهم<sup>(١)</sup> إن أهل الجنة لا يتزوجون.

قلنا لهم: يا عبّاد الرجال وربّات الحجال، لو قدرنا صحة ما نقلتموه عن أسلافكم من ورود هذا اللفظ بعينه؛ لم يلزم نفى ما صرنا إليه من التمتع بالنسوان في الجنان، إذ يُحتمل أن يراد به: أنهم لا يتزوجون الزواج المعروف المألوف من قاعدة النكاح، والزواج الدنيوي وهو تقدم الخطبة وبذل الصداق والعقد والشروط وغير ذلك مما فيه حرج وكلف على الناكح، بل يمنحون ذلك ويتملكونه ويرثونه وراثته وتملكًا. والدليل عليه من الإنجيل: قول المسيح: «من ترك زوجة من أجلى في الدنيا فإنه يعطى مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة»<sup>(٢)</sup>. وفي ذلك موافقة الكتاب العزيز حيث يقول: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولفظة الميراث كثيرة مستعملة في الإنجيل والتزليل. ولهذا شمر كثير من أتباع المسيح في طلب هذا التضعيف؛ فترهبنا وانقطعوا عن النساء والشواغل، فإدًا قولكم: إن أهل الجنة لا يتزوجون منافاة بينه وبين قوله في الإنجيل: «من ترك زوجة فإنه يعطى للواحد مائة ضعف» والأصل المعتبر عند أرباب النظر: الجمع بين الأدلة، لا تعطيل بعضها واستعمال بعض.

فقد ثبت - بعون الله ومثته - ما ضمنناه من اشتمال الجنة على الملاذ الروحانية والجسمانية جميعاً.



### لزوم الاستقامة خوف هجوم القيامة:

قال المسيح: «يشبه ملكوت الله عشر عذارى أخذن مصاييحهن وخرجن للقاء العروس، خمس منهم جاهلات وخمس حكيماوات. فأما الجاهلات؛ فأخذن مصاييحهن ولم يعددن زيتاً. أما الحكيمات؛ فأعددن الزيت مع مصاييحهن. فلما أبطأ العروس نعسن ونمن أجمع. وانتصف الليل وصرخ الصوت: قد جاء العروس (١) إن بولس يقول بالبعث الروحاني لسبب ذكرناه في «حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب» وهو اللغو في نبوءة ملكوت السموات.

(٢) مرقس ١٠ : ٢٩ - ٣٠ وانظر نبوءة التجديد في كتابنا المسجد الأقصى بين المسلمين وأهل الكتاب.



فاخرجن للقائه. فقام الحكيمات وزيتن مصايحهن. فقال الجاهلات للحكيمات: أعطونا من زيتكن؛ فإن مصايحنا قد طُفئت. فقلن: ليس معنا ما يكفينا وإياكن فاذهبن وابتنن لكن زيتنا. فلما ذهبن لذلك جاء العروس ودخل مع المستعدات إلى العرس وأغلق الباب. وجاء الجاهلات فقلن: يا رب يا رب. فقال: الحق أقول لكن: إنى لست أعرفكن. ثم قال لتلاميذه: اسهروا الآن وصلوا؛ فإنكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة»<sup>(١)</sup>.

قلت: قال ربنا جل اسمه ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ \* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾.

انظر - رحمك الله - إلى هذا الكلام الرفيع القدر، الطيب النشر، الحسن البشر، وقسه بفصل العذارى العشر؛ لتعلم قدر ما أوتيت الأمة المحمدية، وتقف على سرِّ قوله عليه السلام: «لقد جتتكم بها بيضاء نقية»<sup>(٢)</sup>.

### الدليل السابع والعشرون:

شهادة يوحنا الإنجيلي للمسيح عليه السلام بالنبوة. وفي ذلك تكذيب للمتأخرين من النصارى في دعوى ربوبيته: قال يوحنا تلميذ المسيح وحبيه وهو أحد مدونى الإنجيل: «لما أطعم يسوع خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وحتوتين من السمك. قال الناس: حقا إن هذا لهو النبى الآتى إلى العالم. فلما علم أنهم يريدون أن يخطفونه ويصيرونه ملكا عليهم؛ خرج من بينهم وذهب وحده إلى الجليل»<sup>(٣)</sup>.

(١) النص فى الأصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى. وهو ليس فى الغرض الذى قاله المؤلف. وإنما هو نص فى مجيء محمد ﷺ ليفتح بلاد فلسطين ويعلم فيها القرآن ويطرده اليهود منها. وهو مثل مبدوء «حيثئذ يشبه ملكوت السموات» وفى نهايته: «فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان» يعنى بابن الإنسان محمد ﷺ . . .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا. وقول اليهود: «حقا إن هذا لهو النبى الآتى إلى العالم» يدل على أن=

فهؤلاء خمسة آلاف رجل ممن شاهد المسيح، يشهدون له بالنسبة. وهو مقرّمهم على شهادتهم، وحاكم بصحة إيمانهم، وراض بهذا المعتقد منهم. ولو أنكّر عليهم قولهم؛ لنقل إلينا كما نقلت منهياته وأوامره - على ما سيأتى - وما أحسن إلها يخاف من العبيد أن يخطفوه ويصيروه ملكا عليهم ويغلبوه على رأيه فى ذلك.

وقد نقلوا عن لوقا أن جبريل حين بشر مريم أم المسيح بالناصرة قال لها: «إن ولدك يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»<sup>(١)</sup>.

فإن كان ما حكوه عن لوقا عن جبريل صحيحا؛ فقد كذبوا فى هربه من التملك عليهم، وإن كان ما نقلوه ههنا فى الهرب صحيحا؛ فقد كذبوا فى نقلهم عن لوقا عن جبريل، وإلا فكيف يتقدم الله إليه على لسان جبريل بسياسة عباده والتملك عليهم، ثم يابى ذلك ويخالف أمره وينكص عنه فلا يمثله؟

هذا مما يُورّك فيه عن النّقلة. وبهذا الاضطراب وشبهه؛ زد العلماء كتب هؤلاء القوم وأضربوا عن الاحتفال بها.

فإن شغب التصارى بذكر هذه الآية أعدنا عليهم آية موسى وقلنا: قد نقلنا من التوراة أن موسى أطعم قومه وهم ستمائة ألف رجل سوى الصبيان والنسوان والغرباء منّا وسلوى وأدامه عليهم<sup>(٢)</sup>، ومن صنع خيرا كثيرا وأدامه؛ أفضل بلا شك ممن صنع قليلا منه وقطعه.

وبالجملة: فأيات الأنبياء ليست نمطا واحدا؛ إذ المقصود منها الإعجاز.

### الدليل الثامن والعشرون:

معجزة دالة على صدق نبوته عليه السلام: قال يوحنا التلميذ: «دُعَى المسيح إلى عرس فى الجليل، ففرغ الخمر الذى لهم، فقالت أم يسوع: ليس للقوم خمر. ثم

=النبى المائل موسى لم يكن قد أتى حتى رمن عيسى. ومن أوصافه: أن يكون ملكا له يسمعون إتيانية ١٨: ١٥ - ٢٢ } وانصراف عيسى ورفضه الملك هو دليل عملى منه بأنه ليس هو. ويكون باب النبوة مفتوحا من بعده لمن يأتى من بعده. وقد جاء من بعده محمد، وانطبق وصف الملك عليه.

(١) لوقا ١: ٣٢ - ٣٣ والنص محرف لأن المسيح ليس من داود ولم يكن ملكا.

(٢) خروج ١٦.

قالت للخدام: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وكان هناك أوعية من حجارة لتطهير اليهود. فأمرهم يسوع فملأوها ماء، ثم أمرهم فسقوا الناس منها خمراً طيبة» قال يوحنا: «هذه أول آية أظهرها المسيح بقانا الجليل»<sup>(١)</sup>.

فإن قال النصارى: بذلك نستدل على ربوبيته. إذ قلب الأعيان ليس من مقدور البشر. فالجواب: أن المستبد بالخلق والاختراع هو الله الذي لا إله غيره الفرد القديم الواحد العالم القادر الحكيم خالق العوالم بما فيه من الأجسام والأعراض. وليس في تحويل الماء خمراً سوى تبديل عرض بعرض؛ إذ لا يخلو الجوهر عن عرض إلا ويخلفه ضده. فتارة يكون ذلك الضد مناسباً، وتارة يكون مخالفاً، وذلك كله ممكن والله تعالى متصف بالقدرة على كل ممكن. وقد دللنا على عبودية المسيح في الباب الأول. وفي ذلك ما يرد هذا السؤال. والمعجز في الحقيقة خالق العجز. وهو الله عز وجل، وصِدوره على يد عبد من عبيد الله يدعى أن الله أرسله؛ يتنزل منزلة قول الله تعالى: صدق عبدي.

### ونحن نناقش النصارى على ذلك فنقول:

أولاً: لا نسلم أن هذه المعجزة لعيسى بل هي لمريم أمه. بدليل: أنها التي اقترحتها وطلبتها. ألا تراها كيف تقدمت للخدام وقالت: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وذلك من غير مؤامرتة؟ وقد حكى بعض العلماء من أصحابنا في نبوة مريم قولين، فإن كانت نبية فهذه معجزة لها، وإلا فهي كرامة في حق ولايتها. والكرامة صورتها صورة المعجزة، وإنما يفترقان في التحدى - على رأى بعضهم - قال الله تعالى في حق مريم أم المسيح: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. ولا يستنكر من أصحابنا القول بنبوة مريم؛ فأهل الكتاب يعتقدون نبوة جماعة من النسوان. منهم مريم أخت موسى وخُلدى<sup>(٢)</sup> وأستار<sup>(٣)</sup>. ورفقى. وقد زعموا: أنه كان لفيلبس - الرسول من أتباع المسيح بعد المسيح - أربع بنات كلهن بنيات.

(١) يوحنا ٢.

(٢) الملوك الثاني ٢٢: ١٤.

(٣) أستير: في سفر أستير

ولو سلمنا أن الآية مضافة إلى المسيح وفي حقه؛ فهي آية تدل على صدقه والله يؤيد من يشاء لإرشاد خلقه، ولو جاز أن يدعى في المسيح الربوبية بتحويل الماء خمراً لجاز أن يدعى ذلك في اليسع بتحويله زيتاً. فقد جاء في سفر الملوك من كتب أهل الكتاب: «أن اليسع عليه السلام نزل بامرأة من بنى إسرائيل فأضافته وأكرمه فلما عزم على الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: يا نبي الله إن على زوجي ديناً قد فدحه وإن رأيت أن تدعو الله تعالى لنا بقضاء ديننا. فقال لها اليسع: أحضري لي ما عندك من الأواني واستعيري من جيرائك ما قدرت عليه من الأنية. ففعلت ذلك فأمرها فملأها كلها ماء. ثم قال: اتركيها ليلتك هذه. وتركها ومضى فأصبحت المرأة وقد تحول ذلك كله زيتاً فباعوه وقضوا دينهم»<sup>(١)</sup>.

فهذه الآية أعجب وأغرب. ولم يُنقل: أن اليسع امتنَّ وغلب وقتل وصلب، بل لم يزل آمناً في سربه إلى أن ألحق بالله ربه.

ولقد فعل موسى ما هو أعجب من ذلك كله وهو أنه ضرب بعصاه<sup>(٢)</sup> بحر النيل بمصر فتحول الماء بسائر أرض مصر دماً عبيطاً، وكذلك ألقى عصاه بين عصي بنى إسرائيل فاهتزت شجرة ذات أغصان وأفنان وأورقت وأثمرت لوزاً، فبينما هي خشبية إذ صارت شجرة خضراء مثمرة<sup>(٣)</sup>. فبطل ما عول النصارى عليه. فما أجابوا به عن آيتي موسى واليسع فهو جواب لنا عن آية المسيح.

وقد صرح فولس في الرسالة<sup>(٤)</sup> إلى العبرانيين بأن المسيح ليس ربا ولا إلها بل إنه عبد من عباد الله. شرفه الله كما شرف غيره من أنبيائه وأهل صفوته فقال<sup>(٥)</sup>: «إن المسيح هو رئيس أحبارنا، وهو الذي صعد إلى السماء، وليس لنا رئيس أحبار غيره» ثم قال: «إن كل رئيس أحبار إنما يكون من الناس ليقوموا فيما بين الناس وبين الله، وليس أحد ينال الكرامة لنفسه إلا من أناله الله مثل هارون، وكذلك

(١) الملوك الثاني ٤ .

(٢) الأصحاح السابع من سفر الخروج .

(٣) في الأصحاح السابع عشر من سفر العدد: «أفرخت فروخا، وأزهرت زهرا، وأنضجت لوزاً».

(٤) عبارة الأصل : في الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين .

(٥) النص في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى العبرانيين وهو: «فإذ لنا رئيس كهنة... إلخ».

المسيح لم يمدح نفسه، بل الله الذي مدحه، حيث يقول: «أقسم الرب بأنك أنت الكاهن المؤيد شبه ملكي صادق» .

فهذا فولس - الذي ليس عند النصارى من يعدله - يشهد بأن المسيح إنسان من بنى آدم وحبر من أحبارهم . كهارون .

### الدليل التاسع والعشرون:

دليل صحيح على نبوته: قال يوحنا الإنجيلي: «جاء يسوع إلى بشر من آبار السامرة مستقيماً ماء، وقد عبي من تعب الطريق. ففاوضته امرأة منهم فقالت: يا سيد إنى أرى أنك نبي. فقال لها يسوع: أنا هو الذى أكلمك. ثم وافاه تلاميذه فعرضوا عليه طعاماً، فقال: إن لى طعاماً لستم تعرفونه، إن طعامى أن أعمل مسرةً من أرسلني، وأتم عمله. ثم بعد يومين خرج من هناك لأنه شهد أن النبي لا يكرم فى مدينته<sup>(١)</sup>».

وجه الدلالة على النبوة والرسالة من وجوه:

**أولها:** قولها له: «يا سيد إنى أرى أنك نبي» فصدقها وحقق ظنها. فقال لها: أنا هو. وهذا واضح.

**الثاني:** قوله: «إن لى طعاماً لستم تعرفونه» يعنى بذلك: اللذات الروحانية الحاصلة من المناجاة والمكالمة.

(١) النص فى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا. وهو بتمامه فى إنجيل برنابا. وقد قالت له المرأة: «يا سيد أرى أنك نبي» والسيد معناها المعلم أو المربي أو الخبر. وكونه معلماً وسيداً يدل على نفى الألوهية عنه. ثم سألته المرأة عن القبلة هل هى إلى جهة جزيريم كما يدعى السامريون، أو إلى جهة صهيون كما يدعى العبرانيون. وأجاب بقوله: «إنه تاتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب» ثم تكلم عن الساجدين الحقيقيين وهم أتباع محمد ﷺ بقوله: «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له» وعندئذ قالت له المرأة: «أنا أعلم أن مسياً. الذى يُقال له المسيح؛ يأتى» فهل أنت هو؟ ومحرّف الإنجيل كتب أنه رد عليها بقوله: «أنا الذى أكلمك هو» ويرد تحريفه أن كاتب إنجيل متى بين أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: «وأما أنتم فلا تدعوا سيدي؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح» الآتي، لا أنا» ولا تدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح. وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه؛ يتضع؛ ومن يضع نفسه؛ يرتفع» متى ٢٣ : ٨+.

**الثالث:** قوله: «أعمل مسرة من أرسلني» كُنِّي بالمسرة عن المحبة. وإن كان الباري لا يتصف بالمسرة<sup>(١)</sup>، وذلك من سوء تعبيرهم، وعرف بأنه رسول مأمور بإتمام العمل ولزوم الطاعة، والنبى وغيره سواء فى الشرع، إلا ما قام الدليل على تخصيصه به.

قال المؤلف عفا الله عنه: من وقف على هذه الفصول الشاهدة بالنبوة والرسالة، وشاهد ما كلفيته من مؤنة استخراجها من أيدي الضائين بها، الكاتمين لها؛ ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره؛ فليخصنى بدعوة صالحة تكون رادى لمعادي، ويتعين عليه إظهار ذلك للمسلم والكافر. أما المسلم ليقف على مصداق قوله تعالى فى حق المسيح: ﴿وَجَعَلْنِي نَبِيًّا﴾ وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وأما الكافر فتحى تظهر عليه الحجة، وتتضح المحجة؛ وأنذر من بسطت يده فى دنياه، وأهمته العناية بأخراه؛ أن يجمع من وجوه هذه الطائفة الزائغة جمعاً كثيفاً، ويحضر إنجيلهم ويقررهم بهذه الفصول على النبوة والعبودية. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

وأما قول يوحنا: «وقد عصى يسوع من تعب الطريق» فدليل على الحدث، ظاهر لمن له ناظر. وليت شعرى كيف يعتقد ربوية رجل ذى رأس وعينين، وقذال وأذنين، وفم ولسان وكف وبنان، يأكل ويشرب، ويعيا ويتعب، ويهان ويضرب، ويقتل فى - زعمه - ويصلب؟.

على أنا نسأل النصرارى فنقول: من هو هذا الذى عطش وعصى من تعب الطريق؟ فإن قالوا: هو اللاهوت. أكذبتهم التوراة. إذ تقول: «إن الله خالق العالم بأسره وما مسه إعياء ولا تعب»<sup>(٢)</sup>. وإن قالوا: هو الناسوت. أبطلوا الاتحاد: إذ لم يبق لاهوت متميز عن ناسوت حتى يضاف إليه الإعياء والتعب،

(١) البارى تعالى يتصف بالمسرة والفرح وبالغضب وبالأسف وبالكر والنسيان وذلك لأنه نسب إلى نفسه هذه الصفات ليقرب بها ذاته إلى عقول البشر، ويكلمهم بها عن نفسه على قدر عقولهم. أما هو فليس كمثل شيه وهو السميع البصير.

(٢) فى سفر إشعياء: أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر. الرب خالق أطراف الأرض. لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص. يعطى المعنى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يُعيون ويتعبون والفيتيان =

وإذا كان الإله منزهاً عن التعب والإعياء وقد تعب المسيح وعيبي؛ فذلك دليل على كذب النصرى فيما هذوا به من الاتحاد. اللهم إلا أن يفسروا الاتحاد بما ظهر على يده من آيات الإله من إحياء الميت وتطهير الأبرص وغير ذلك، فيقودهم القول بذلك إلى مساواة المسيح غيره، ويصير لا خصوصية له بهذا الاتحاد. فإن راموا تفرقة بين المسيح وبين غيره ممن أحيا الميت وطهر الأبرص وفعل أضعاف فعل المسيح؛ لم يقدرُوا على ذلك.

وقد حكى لوقا في إنجيله: «أن رجلاً من الفريسيين طلب إلى يسوع أن يأكل عنده خبزاً، فلما دخل بيته حضرت إليه امرأة خاطئة، وصبت على رجليه قارورة طيب، وبكت عند قدميه حتى بلتھما بدموعها، وجعلت تمسح قدميه بالطيب ويشعر رأسها. قال الفريسي في نفسه: لو كان هذا نبياً لعرف أن هذه المرأة خاطئة. فأجابه يسوع عما هجس في نفسه»<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثالثون:

الدليل على رسالته من قوله واعترافه بأن الله غيره وأنه رسول الله إلى عباده: قال يوحنا التلميذ: كيف يحسن هذا التعليم؟ فقال: تعليمي ليس هو لى بل للذى أرسلني، فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمي، هل هو من عندي أو من عند الله؟ إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه فأما من يريد مجد من أرسله: فهو صادق. فعلام تريدون قتلي؟ فقال الجمع: لأنك بك شيطان. قال لهم: تزعمون أن موسى علمكم الختان. وليس الختان من موسى، ولكنه من الآباء وقد تختنون الإنسان في السبت، كيلا تنقضوا سنة موسى. فعلام تنقمون عليّ إبراهيم الإنسان يوم السبت. ثم قال: «إنى لم آت من عندي ولكن الذى أرسلنى محق، ولستم تعرفونه وأنا الذى أعرفه، وهو أرسلنى. فهم اليهود بأخذه

<sup>(١)</sup> = يتعثرون تعثراً. وأما منتظرو الرب فيجدون قوة. يرفعون أجنحة كالنور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعبون» (إش: ٤: ٢٨+) والمراد بمنتظري الرب: المترقبون محمداً ليؤمنوا به.

(١) لوقا - الأصحاح السابع.

ولم يقدرُوا؛ لأن ساعته لم تحضر بعد»<sup>(١)</sup>.

فقد وضحت رسالته من الله إلى الناس وضوح الصبح لذي عينين، ولولا تعاسة الجدِّ؛ لما اشتبه الخالق بمخلوق، ولا قوبلت حقوقه بالعقوق.

فأما موضع التحريف<sup>(٢)</sup> من هذا الفصل: فهو قوله «ليس الختان من موسى ولكنه من الآباء» وذلك غير صحيح؛ لأن التوراة قد أوجبت الختان، وجعلته من شرائع الإيمان، فقال الله فيها: «اخذوا لحم غرلتكم. أنت وبنوك ورقبيقتك والساكن عندك الذى أقبل إليّ. واجعلوا ذلك ميسماً لى فى أجسادكم، فمن لم يفعل ذلك؛ فليقتل بما أبطل من عهدي»<sup>(٣)</sup> والتوراة تشهد أن إبراهيم أمره الله فاخذتن بعد ما كبرت سنه. وختن بينه وعبيده<sup>(٤)</sup>، واخذتن موسى وهارون. والمسيح<sup>(٥)</sup> وحواريوه وتلاميذه، والدليل على ثبج هذا النقل واضطرابه: قوله بعد ذلك: «كيلا تنقضوا سنة موسى» سمى الختان سنة موسى بعد قوله: «وليس الختان من موسى»، ولم يزل أتباع المسيح يخذنون ويستنون بسنة الأنبياء فى الختان، حتى جاء رجل من المتأخرين يدعى فؤلس - وهو الذى يسمونه فؤلس الرسول - فادعى أن المسيح تراءى له، وأرسله إلى أهل دينه، فأحلّ لهم فؤلس أشياء وحلهم مما كانوا مرتبطين به من أقوال موسى والمسيح. فكان مما حلهم منه: سنة الختان التى شرعها الأنبياء - عليهم السلام - فراجعوه فى ذلك. فقال لهم

(١) يوحنا - الأصحاح السابع .

(٢) المؤلف يفهم أن التحريف موجود فى قولهم: إن الختان من الآباء والنص ليس فيه تحريف فى الختان. وذلك لأنه يقول: إن الختان مفروض فى شريعة موسى. وهو ليس مفروضاً من موسى فقط، بل هو مفروض عليكم من إبراهيم الذى اخذتن وختن أولاده. وهو بهذا يؤكد على وجوب الختان بفرض من الآباء بدءاً من إبراهيم، ويفرضه من موسى إذ هو فى سنته أى شريعته التى تلقاها من الله. والذى ألغى الختان من على النصرارى هو بؤلس. والسبب فى فرض الختان: هو أن الله أمرهم بالجهاد فى سبيله. وإذا لقتل من المؤمنين فى أرض المعركة رجال، وقتل من الكفار رجال؛ فإن الختان هو الذى يميز المقتول المؤمن من المقتول الكافر. وقد ألغى بؤلس الجهاد فى سبيل الله من على المسيحيين. فأصبح الختان ملغياً لعدم التمييز. وأحل المعمودية محل الختان.

(٣) تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ .

(٤) تكوين ١٧ : ٢٣ - ٢٧ .

(٥) لوقا ٢ : ٢١ .



فولس هذا المدعي رسالة المسيح: «إن الختان ليس بشيء، وإن الغرلة ليس بشيء»<sup>(١)</sup> فأطبق الملكية<sup>(٢)</sup> على ترك الختان، وتربص بقية طوائف بها فلم يتجاسروا على إهمالها.

وهذا فولس الرسول عندهم له كلمات تدل على تهكم وتلاعب بدين النصرى، ستأتى متفرقة فى أضعاف هذا المختصر، إن شاء الله تعالى.

وقد سمعت بعض النصرى يذكر أن كل كلمة ينطق بها المسيح هى مركبة من اللاهوت والناسوت جميعاً. فيلزم على قول هذا القائل: أن يكون الإله قد نطق بكلام المستضعفين، إذ يقول فى كلامه لليهود: «إنكم تريدون قتلي» وذلك زلل عظيم.

### الدليل العادى والثلاثون؛

مناظرة جرت بينه وبين اليهود تشهد له بالنبوة والرسالة: قال يوحنا التلميذ «قال يسوع لليهود الذين حضروه: إن أنتم ثبتتم على الحق. فالحق يعتقكم. فقالوا: نحن ذرية إبراهيم وأنت تزعم أنا عبيد؟ فقال: الحق أقول لكم: إن من يعمل بالخطيئة. قد عرفت أنكم من ذرية إبراهيم ولكنكم تريدون قتل رجل كلمكم بالحق الذى سمعه من الله. فقالوا: أما نحن فلسنا مولودين من زنى، وإنما لنا أب واحد هو الله. فقال: لو كان الله أباكم كنتم تحبونني؛ لأن الله أرسلني؛ ولستم تفهمون كلامي، ولا تطيقون استماع قولى أنت من أياكم إبليس وشهوة أياكم تأتون. فقالوا: ألم نقل إنك سامرى وإن بك جنوناً؟ فقال: الحق أقول لكم: إن من يحفظ كلامى لا يذوق الموت إلى الأبد. فقالوا: الآن علمنا أنك مجنون، قد مات إبراهيم والأنبياء، فلعلك أعظم من أيينا إبراهيم ومن مات من الأنبياء؟ من تجعل نفسك؟ فقال يسوع: أبوكم إبراهيم اشتهى أن يرى يومى فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأت لك خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم: إننى كائن قبل أن يكون إبراهيم. فتناولوا حجارة

(١) كورنثوس الأولى ٧ : ١٩ .

(٢) الملكية : الكاثوليك .

ليرجموه، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل»<sup>(١)</sup>.

قلت: فقد نطق المسيح في هذا الفصل وفي غيره بأنه رسول من الله، وأنه إنسان من خلقه، يروم أعداؤه قتله على تبليغه رسالة ربه، وأنه سامع من الله، وأن الله غيره، ولو أن الأمر على ما يتخيله النصارى؛ لأرشد أهل ذلك المجلس إلى الصواب ولعرفهم أن الإله لا يتصور قتله والظهور عليه، ولكنه أثبت عندهم أنه رجل ضعيف من بنى آدم، وأكد ذلك في نفوسهم بهربه وتواريه من المجلس على أعين الناس وهم يشهدون، وكيف يكون إلهًا ويترك خلقه يرتبكون في حبائل الشكوك، ويقول في محاورته: «إنكم تريدون قتلى وأنا إنسان كلمتكم بالحق، وفُهِتْ لكم بالصدق»؟.

وفي هذا الفصل مواضع يسألون عنها، وكلها قريية المغزى على من أمعن من مطالعة كتبهم، وعرف نبوات أنبيائهم. منها: قوله «أنا قبل أن يكون إبراهيم» وإنما يريد قبلية الاصطفاء والاجتباء، وتقدير الكلام: أن الله قدر لى النبوة واصطفانى للرسالة قبل خلق إبراهيم. وهذا محمل يتعين حمل هذا الكلام عليه إن صح نسبه إليه، ولو كان الأمر على ما ينهق به النصارى من دعوى الربوبية لم يخصص القبلية بإبراهيم، ولقال: أنا كنت قبل خلق العالم، وأنا الذى نفخت الروح فى حواء وآدم. ولو جاز أن يتمسك بقوله: «أنا قبل أن يكون إبراهيم». لجاز ذلك فى سليمان فقد قال عليه السلام فى حكيمته: «أنا كنت قبل الدنيا وأنا كنت مع الله حين مدّ الأرض، وكنت صبياً ألهو بين يديه»<sup>(٢)</sup>.

فإن قالوا: هذا مؤول؛ لأن سليمان من بنى إسرائيل، فكيف يكون قبل الدنيا؟ قلنا: ويسوع المسيح من ولد إبراهيم، فكيف يكون قبل إبراهيم؟ فاستوت الحال، وترجح جانب سليمان فى هذه القبليّة. ومنها قوله: «إن أباكم إبراهيم ليشتهى أن يرى يومى فرأى وفرح» يحتمل أن يكون إبراهيم كان قد اشتهى أن يرى يوماً يتلذذ فيه بمناجاة الله ومكالمته؛ فلا جرم أن الله تعالى أناله طلبته،

(١) يوحنا ٨ : ٣١ + والمراد بيري يومي: المَسِيحُ والنصارى حرفوا المعنى إلى عيسى.

(٢) الأمثال ٨ : ٢٢ + .

وأسغفه بحاجته، وشرفه نحلته. فكان عند انتصاف النهار، حين مرت به الملائكة لهلاك قوم لوط. كما شهدت به التوراة، وفارقوه وبقي إبراهيم قائماً بين يدي الله يناجيه ويتلذذ بمراجعته. ويقول له: «يا رب أتهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد؟» كما شهدت به التوراة، فضاهى ذلك اليوم من حسنه وطيبه يوم المسيح. إذ كان يدعو ربه عند إحياء «لعازر» ويقول: «أشكرك لأنك تستجيب لي، وأنا أعلم أنك تستجيب لي في كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفساق؛ ليعلموا أنك أرسلتني». كما نطق به الإنجيل. فهذا تأويل قول: «إبراهيم اشتهى أن يرى يومي» ولو كان على ما يذهب إليه النصارى لقال: اشتهى أن يراني، ولم يقل: اشتهى أن يرى يومي.

ويحتمل أيضاً أن يكون إبراهيم كان قد سأل الله تعالى أن يجعل في ذريته رجلاً صالحاً تعم بركته، فوعده الله أن يخرج من ذريته من يحيى الميت، ويرى الأبرص والأكمه، ويشفى المرضى. فاشتوى إبراهيم أن يرى يوماً من أيام هذا المولود الموعود به؛ لكي يحصل به مع علم اليقين عين اليقين فلذا أحيا له ميتاً أو عددًا من الموتى، وشفى له مرضى، وكثر له من الزاد القليل ما أشبع الجمع الكثير. وقال: إن من ذريتك من أجرى هذه الأمور على يده، ففرح بذلك اليوم الذي حصل له فيه من ربه ما حصل.

وفى الفصل ما يقتضى مساواة المسيح غيره فى لفظ البنوة. إذ يقولون: «إن أبانا واحد هو الله»<sup>(١)</sup> فلم ينكر عليهم ويقول: كذبتم بل هو أبى دونكم، بل أقرهم على ذلك. وقال: «لو أن الله أبوكم؛ كتمت تحبونني» ومن ذلك قوله: «الحق يعتقكم» ومعلوم أنهم أحرار. ومن ذلك قوله: «أنتم من أيكم إبليس» ومعلوم أنهم من بنى آدم.

فهذا التوسع من المسيح يُوجب صرف الأبوة والبنوة عن ظاهرها. ويقتضى إطلاق البنوة على العبد المطيع، حيث يقول: «لو أن الله أبوكم كتمت تحبونني»<sup>(٢)</sup>.

قال المؤلف عفا الله عنه:

(١) تكوين ١٨ : ٢٣ .

(٢) يوحنا ١١ - ٤١ - ٤٢ .

قال المؤلف عفا الله عنه :

لقد فاوضتُ بعض النصارى فيما يتعلق بالفاظ النبوة. فقال: لا تعجب من تسميتنا السيد المسيح ابنًا، فنحن بأسرنا ندعو الله أبًا لجميعنا. فقلت له: فأنتم إذاً مع المسيح فى الرتبة، فلم تسمونه ربًا وتتخذونه إلهًا، ولم يُميز عنكم فى هذه التسمية؟ فذكر اختصاصه بالخوارق والآيات. فتلوتُ عليه أمثالها التى صدرت عن عدة من الأنبياء. فحار ولم يحرج جوابًا، وأصيب ولم يصب صوابًا. فليت شعري، أى شيء فى هذا الفصل يصلح للاستدلال على ربوبية المسيح وفيه قوله لليهود: «من منكم يوبخنى على خطيئة؟» وفيه: هربه من المجلس بحضرتهم. وهلا كان مكان قوله «من منكم يوبخنى على خطيئة؟» من منكم يجحد خلقى العالم، ونفخى الروح فى آدم ولم تنكرون ربوبيتى وتجدون الوهيتى، وأنا الذى بيده البسط والقبض، وبأمره قامت السماء والأرض؟ وحاشاه حاشاه، بل إنما استدل على نبوته بثبوت عصمته، فقال: «من منكم يوبخنى على خطيئة؟»

### الدليل الثانى والثلاثون:

معجزة دالة على نبوته: قال يوحنا التلميذ: «أحيا يسوع لعازر، وجاء إلى القبر مع أخته، وقال لها: أين دفنتموه؟ فأشارت إلى المغارة التى هو فيها فقال: ارفعوا الحجر عنه. ثم دمعت عيناه. فقال اليهود: انظروا حبه له. فقالت أخت لعازر: يا سيد إنه قد أنتن؛ لأن له أربعة أيام. فقال: إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الحجر عن القبر، ورفع يسوع بصره إلى فوق. وقال: يا أبتاه أشكرك لأنك تسمع لى، وأعلم أنك تسمع لى فى كل حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام؛ ليعلموا أنك أرسلتني. ثم نادى بصوت عظيم: لعازر اخرج فخرج الميت ويده ورجلاه ملفوفة بالفائف ووجهه مستور بعمامة، فقال يسوع: حلوه ودعوه يمضى إلى بيته»<sup>(١)</sup>.

قلت: بهذا وشبهه ثبتت نبوة المسيح، ووضحت رسالته، وقطع ألسن اليهود

(١) يوحنا ١١ .

الذى قرفوه بالخناء، ونسبوا أمير الصدق إلى الزناء، وهذا الكلام من المسيح هو التحدى على النبوة. فإن نازع اليهود فى صدق هذه الآية من المسيح ودالاتها على النبوة وردد عليهم ذلك بعينه فى شق البحر وإجراء المياه من حجر الطران وغيره من آيات موسى، وكل سؤال انعكس على مورده، فهو مردود من أصله.

وإن زعم النصارى أن ذلك دليل على ربوبية المسيح إذ ليس فى مقدور البشر إحياء من فى القبور. قلنا: قد بينا فى الباب الأول عبودية المسيح: وأنه إنسان من الخلق، أكرمه الله بالآيات وأمدّه بالمعجزات. والرب تعالى هو الذى يعيد الروح إلى قالبها، ويفعل ذلك عند دعوة النبي؛ ليتوجه على العباد قبول أمره وينزل ذلك منه سبحانه منزلة قوله صدق عبدى فأطيعوه. وهذا كما فلق البحر بسؤال موسى، وأخرج له من الرمل حيواناً كثيراً فملاً. فأرسله<sup>(١)</sup> إلى فرعون وجنوده، وقد شهد كتاب الملوك من كتبهم: أن قومًا حملوا ميتًا لهم إلى القبر فرأوا أعداء لهم فطرحوا الميت عن أعناقهم، وابتدروا الهرب إلى المدينة، فأحيا الله تعالى الميت وأقبل حتى دخل المدينة؛ فنظروا فإذا هم قد وضعوه على قبر نبي الله اليسع. فهذا تراب قبر اليسع قد أحيا ميتًا وهو أعجب من فعل المسيح، والمسيح سأل وتضرع فى ذلك، واليسع ميت لم يُنسب إليه سؤال.

وقد ذكر حزقيال النبي: أن الله عز وجل قال حزقيال: قم فستبأ على هذه العظام حتى أحييها لك. ففعل فأحيا الله بدعوته عالمًا كبيرًا يقال: إنهم ثلاثون ألفًا. وقيل ستون ألفًا. كان بختنصر البابلي<sup>(٢)</sup> قتلهم، وكان لهم من يوم أن قُتلوا ستون سنة، وقد أحيا إلياس وغيره الأموات. وقد كان موسى ضرب بعصاه الرمل فتكوّن منه قمل وذباب فائثال على أعدائه<sup>(٣)</sup> ولا شك أن من صور حيوانًا ابتداءً هو أبداع من أعاد الروح إلى قالبها الأول. وكل هذه المنقولات تشهد بها التوراة والنبوات، فهلاً اتخذ النصارى من ذكرنا من الأنبياء آلهة وأربابًا، وقد أربوا على ما صدر من المسيح عليهم السلام.

(١) خروج ٨ .

(٢) فى الاصل · بختنصر اليونانى

(٣) خروج ٨

واعلم: أن في قصة لعازر أشياء تمنع النصارى من اعتقاد ربوبية المسيح، منها: قوله: «أين دفنتموه؟» فإنه لو كان المسيح ربه لعرف مكانه. فكيف يسأل الرب من موضع قبر؟ ومنها: استعباره عند رؤية قبره وذلك من صفات الأدميين وحنو الجنسية. ومنها: قوله لأخت الميت: «إن آمنت رأيت مجد الله» أضاف القدرة على الإحياء إلى غيره. ومنها: ابتهاله وطلبه من الله وإظهار فاقته وحاجته إليه - سبحانه - وعجزه وقصوره عن أن يأخذ إلا ما أعطاه. وقد صرح هو بذلك في موضع آخر من الإنجيل إذ يقول: «إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً ولا يتفكر فيه، إلا أن يأمر الأب»<sup>(١)</sup> وهذا غاية العجز والافتقار. فلو كان المسيح هو الله أو الله حالاً فيه - كما يقول النصارى - للزم اتحاد السائل والمسؤول، والداعى والمدعو، والطالب والمطلوب منه. ولو كان الله هو المسيح أو صفة من صفاته، لجر إلى تلبيس عظيم، إذ سؤاله غيره، وطلبه من غير مطلوب منه؛ تلبيس وتدليس، وحمل لخلقه أن لا يفوا به دون حقه، وأن يعاملوه بما يقصر عن جلاله، ولا يعطونه من الخدمة والعبادة ما تتقاضاه الربوبية وتوجيه الإلهية، بل يعاملونه معاملة البشر، ويخاطبونه مخاطبة الأدميين. فينسبون تارة إلى بنوة داود، وأخرى إلى بنوة يوسف ومريم. وذلك غض عظيم من منصب الربوبية، وحط لجلال الإلهية.

فنحن - يرحمك الله - نسأل النصارى عن هذا الداعى المبتهل الطالب. أهو الإله الأزلى الواحد أو إنسان من بنى آدم؟ فإن قالوا: إنه إنسان من بنى آدم، وافقوا شريعتنا وخالفوا شريعتهم. إذ تقول: «إن المسيح إله حق من إله حق من جوهر الله، وأن المسيح بيده ألقن العوالم وخلق كل شيء» وحينئذ يصيروا مسلمين إذا اعترفوا بالرسول ﷺ وإن زعموا: أن القائل لذلك هو الإله الخالق الأزلى الواحد؛ فقد صرحوا أن الله الأزلى لا يعلم المغيبات، وأنه مفتقر إلى سؤال غيره، وأن له رباً فوقه يسأله حوائجه، ويضرع إليه فى نوازله، ومآربه. وكفى بذلك تجاهلاً.

(١) يوحنا ٥ : ١٩ «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل».

### مؤاخذة على إحياء لعازر:

ذكر يوحنا في قصة لعازر هذه: أن مريم وميرثا أختا لعازر ذهبتا إلى يسوع فقالتا: «يا سيد إن حبيبك لعازر قد مات. فقال يسوع: ليس هذا موتاً على الحقيقة، ولكن ليظهر مجد الله»<sup>(١)</sup>.

قلت: لا يخلو أن يكون لعازر مات أو لم يمِت. فإن كان قد مات؛ فكيف يقول: إنه لم يمِت حقيقة، وإن كان لم يمِت؛ لم يحصل الإعجاز بإحياء من لم يمِت. وإحياء الحى محال.

### نكته:

من غلظ فهمه وأظلم حسه وكثف لبه. افتقر في إرشاده إلى معجز كثيف؛ فلا جرم كانت الآيات في أهل الكتاب من جنس فهمهم. ولما لطفت أفهام آخرين، وتروحت نفوسهم، وقوى نفوذ إدراكهم؛ اكتفى في هدايتهم بالروحاني من المعجز؛ فلا جرم آمن طوائف بمجرد رؤية نبهم وسماع أول كلامه، ولم يتوقف إيمانهم على ما توقف عليه إيمان الأولين.

### نكته أخرى:

من أرسله الملك إلى قطر، في أمر ذى بال. فهو إما خصيص به أو غير خصيص. فإن كان خصيصاً به؛ لم يحتج في تبليغ أوامره إلى مزيد ثبته. وإن كان الآخر؛ فلا بد لوجوب الامتثال مما يقطع الاحتمال.

فقد ثبتت بحمد الله نبوة المسيح، وتقررت رسالته بالأدلة المستنبطة من كتبهم على وجه لا خفاء به على من نور الله قلبه.

(١) في البدء. لما كان «لعازر» مريضاً، أرسلت الأختان إلى المسيح: «يا سيد. هوذا الذى تحبه مريض» وأرسل المسيح لهم قائلاً: هذا المرض ليس للموت العادى الذى لا حياة بعده، وإنما سيعقب الموت حياة هى معجزة لي؛ ليتمجد ابن الله بها. يريد أن يقول: إن النبى الآتى الملقب من داود بلقب «ابن الله» هذه المعجزة من أجله. لأننى أبشر به، والله سيؤيدنى بهذه المعجزة ليصدقوا تبشيري به. فلما وصل المسيح لبيت المريض وجده قد مات من أربعة أيام، وقالت له أخته ميرثا: «لو كنت ههنا لم يمِت أخي، لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله؛ يعطيك الله إياه. قال لها يسوع: سيقوم أخوك. فقالت له ميرثا: أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير» وهذا دليل على أنه رسول الله وعلى أن البعث حق واليهود يعترفون به

## الباب الثالث

### في

### تاويل ظواهر الإنجيل

اعلم - رحمك الله - أنه إنما دخل الخلل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته من المعقول مزجاة؛ من جهلهم بمقتضيات الألفاظ، وعدم المعرفة بوجوه الكلام؛ ولقصور أفهامهم؛ هابوا تاويل الظواهر، فلم يحملوها على بعض محتملاتها بالدليل. وليس ذلك صواباً، بل ينبغي حراسة ما دلّ عليه دليل العقل الذي لا احتمال فيه. فإذا ورد لفظ. عرض «العالم» ظاهره على ما ضبطه دليل العقل. فإن لم ينبُ عنه؛ استعمل الظاهر من اللفظ ولم يتأوّل، وإن نبا عنه؛ طلب له وجهاً، يحمل عليه ما يحتمله؛ ليجمع بين اللفظ وبين مقتضى العقل. إذ الشرع لا يرد بخلاف ما يقتضيه العقل.

إذا عرفت هذا. فاعلم: أن الألفاظ التي زلّوا فيها وقدّروها نصوصاً. وليست بنصوص أربعة: الابن، والأب، والإله، والرب. وإذا نحن أتينا عليها بالتأويل، وبيننا ما تحتمله بالدليل، من التوراة والإنجيل. لم يبق إلى إجرائها على الظاهر من سبيل. بعد أن تُقدّر صحتها مثلاً ونسلّم ورودها جدلاً. ولو نسبناهم فيها إلى التحريف والتصحيف؛ لأغريناهم بطغيانهم، وحسمنا عنهم مادة إيمانهم. بل نلاطفهم وتكلم بمقتضى اصطلاحهم ومنقولهم. فعسى أن يكون ذلك أقرب لمعقولهم، فأما الخوض بهم في أدلة العقول؛ فشيء لا تحمله قواهم، ولا يلائم هواهم.

فنقول وبالله التوفيق:

### أما لفظتا الابن والأب:

فلغتهم تسمى الولي «ابن» وتسمى المرءى «أباً» ويعبرون عن ذلك بأبوّة النعمة وبنوّة الخدمة. وذلك عندهم مشهور وفي نبوات أنبيائهم موسوم مذكور. والدليل عليه من التوراة: قول الله لموسى: «اذهب إلى فرعون فقل له: يقول لك الرب:



إسرائيل ابني بكري. أرسله يعبدني. فإن أبيت أن تُرسل ابني بكري؛ قتلتُ ابنك بكرك»<sup>(١)</sup> قالت التوراة: «فلما لم يرسل فرعون بنى إسرائيل كما قال الله؛ قتل الله أبكارَ فرعون وقومه. من يكر فرعون الجالس على السرير إلى الأتوني من أولاد آدميين، إلى ولد الحيوان البهيم»<sup>(٢)</sup>.

فهذه التوراة تُسمّى بنى إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره وتسمى أبناء أهل مصر أبناء فرعون، وتتوسع بتسمية سخال الحيوان أولاداً لمالك الحيوان.

فهل بقى بعد هذا ريب فى صرف البنوة عن ظاهرها وحملها على الوليّ العبد؟ ألم تسمع النصرارى قول الله: «أرسله يعبدني» فعبر عن العبد المطيع له الممثل أمره بالابن؟

قال المؤلف عفا الله عنه: قلّ ما رأيت لفظة الابن فى كتبهم إلا مقرونة بالعبودية والتعبد. كقول التوراة: «إسرائيل ابن بكري. أرسله يعبدني»<sup>(٣)</sup>. وكقول المزمير: «أنت ابني سلنى أعطيك»<sup>(٤)</sup> وكقول المسيح: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم

(١) خروج ٤ : ٢٢ + .

(٢) خروج ١٢ : ٢٩ + .

(٣) خروج ٤ : ٢٤ .

(٤) المزمور ٢ : ٧ واعلم: أن المزمور كله نبوءة عن محمد ﷺ بلقب «ابن الله» على حسب لسان بنى إسرائيل. وبولس وأتباعه وضعوا لقب «ابن الله» الذى هو خاص بالنبي الأتى على مثال موسى، الذى نقول نحن المسلمين: إنه هو محمد ﷺ على المسيح عليه السلام ليوهمو العالم أنه هو النبي الأتى على مثال موسى، لا محمد رسول الله.

وعيسى عليه السلام هو «ابن لله» ولكن ليس هو «ابن الله» فابن الله: تعبير خاص بالنبي المنتظر، وابن لله: تعبير شائع فى لسان بنى إسرائيل لكل يهودى ولكل من يؤمن باليهودية من الأمم. ففى التوراة: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [١٤ : ١] وعيسى منهم. ولذلك يقول علماء الأديان غير المسلمين - ولا يفتن المسلمون لمعنى قولهم - : إن عيسى لم يدع فى يوم من الأيام أنه هو «المسيح المنتظر» والمسيح المنتظر هو «المسيح» ولم يقل عن نفسه إنه «ابن الله» ومعنى الكلام: أن الألقاب: ١ - «المسيح» ٢ - «المسيح»

٣ - «ابن الله» ٤ - «ابن الإنسان»... إلخ. هذه الألقاب إذا أطلقت يفهم منها أنها تدل على النبي الأتى على مثال موسى. وقد طبقها عيسى نفسه على محمد ﷺ وأما بولس فإنه طبقها على عيسى فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة. ومن هؤلاء العلماء شارل جنينر فى كتابه المسيحية الذى قال: «والدراسات الأكيدة لدراسات الباحثين هى أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن -

واللهي والهكم»<sup>(١)</sup> وكقوله: «إذا صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السموات. قدوس اسمك. افعل بنا كذا وكذا»<sup>(٢)</sup> من باب السؤال والدعاء. فإذا كان إسرائيل ابن الله وبكره، فأى مزية للمسيح عليه وعلى غيره فى هذه النبوة؟

وقال أيضًا فى التوراة فى قصة الطوفان «إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس. حسان جدًا؛ شغفوا بهن. فنكحوا منهن ما أحبوا واختاروا؛ فولدوا جبابة مذكورين. فافسدوا. فقال الله: لا تحل عنايتى على هؤلاء القوم»<sup>(٣)</sup>.

قال المؤلف: أراد بأبناء الله أولاد القتل من ابنى آدم وهو هابيل<sup>(٤)</sup>، وأراد بينات الناس بنات القاتل وهو قابيل، وكُنَّ حسانًا جدًا. فصرخوا قلوبهن عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، وقد سمى الله أولاد الصلحاء من عباده أبناء له إذ كانوا أولياءه وأبناء وليه وصفيه الشهيد. فدلَّ على ما قلناه من تسمية الولي فى شرع أهل الكتاب: ابنا. والمربى له: أبا ومنعمًا. وذلك لا خفاء به عندهم. والدليل على ذلك من المزامير: قول الله «يا داود أنت ابني حبيبي»<sup>(٥)</sup> وذلك يقضى بمساواته المسيح إذ يقول له: «هذا ابني الحبيب»<sup>(٦)</sup> فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بـداود وإسرائيل وأولاده الصلحاء من أولاد هابيل الذى قتله قابيل. وقال فى المزامير لداود أو لغيره: «أنت ابني وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك»<sup>(٧)</sup> وفى المزامير «ولدتك من البطن قبل الفجر»<sup>(٨)</sup>. وقال نبى الله إشعياء فى نبوته حاكياً

=نفسه إنه ابن الله. ا. هـ. ويمكن لليهودى أن يعتبر نفسه عبدًا لله، وابتًا لله. ليس على النبوة الحقيقية الطبيعية، بل على النبوة المجازية. وذلك لما جاء فى التوراة عنهم على لسان الله تعالى: «أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلى كلكم» [مز ٨٢: ٦] وقد جاء فى إنجيل يوحنا: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله. أى المؤمنون باسمه» [يوحنا ١: ١٢].

(١) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٢) متى ٦ : ٩ + .

(٣) تكوين ٦ : ١ + .

(٤) أراد بأبناء الله: عباد الله الصالحين السائرين مع الله. وأراد بأبناء الناس: السائرين مع الشيطان.

(٥) هذا النص فى المزمور التاسع والثمانين «وجدت داود عبدى بدهن قدسى مسحته... إلخ».

(٦) هذا ابني الحبيب: وضعهما المحرف على المسيح وهى نبوة المزمور الثانى على محمد ﷺ.

(٧) مزمور ٢ : ٧ وهو محمد ﷺ.

(٨) المزمور المائة وعشرة وهو نبوة عن محمد ﷺ.

عن الله: «توصوا بنى فى أبنائى وبناتى»<sup>(١)</sup> يريد ذكور عباده الصالحين وإناثهم. وقال الله فى نبوءة إشعيا: «إنى ربيت أولاداً حتى كبروا ونشأوا»<sup>(٢)</sup> فما نرى المسيح إلا نسج له على منوال من تقدمه من صلحاء عباد الله. فإن لم يصح هذا النقل؛ فلا بنوة، وإن كان صحيحاً؛ فلا مزية. والدليل على أن البنوة بمعنى التربية والإنعام: قول المسيح فى الإنجيل: «أبى ربانى»<sup>(٣)</sup> فقرن الأبوة بالتربية. وقال المسيح: «أنا الكرم وأبى الفلاح». فكما أن الفلاح يسقى الكرم ويدفع عنه الأذى ويُنميه، فكذلك يفعل الأب»<sup>(٤)</sup>.

قال المؤلف: وإذا كان هذا نقلهم عن الله تعالى أن الله تعالى سمى الصالحين من عباده والمتقين من خلقه أبناء؛ فلا معنى لإطناهم فى بنوة المسيح. وتخصيص التأويل بدادود وإسرائيل وغيره؛ ما إليه من سبيل.

قلت: وهذه الولادة الروحانية هى الأبوة المعتبرة المستفاد من تربية المشائخ والعلماء بالله الدالين عليه، المحيين عباده، وبها يصير الإنسان إنساناً. وذلك أن الوالد الجسمانى يضع المولود ساذجاً عن المعرفة، خالياً عن العلم، عاطلاً من الأدب، متوفر بالبهيمية، نزر الإنسانية ليس له كبير فضل على الحيوان البهيم، فإذا ولد الولادة الروحانية نُقل إلى طور الإنسان، وحُوّل عن بهيم الحيوان، فتروى بالعلم، وتحلّى بالحكم، وتشنّف بالأدب، وتشرف بالزهد، وتروحن بالمعرفة، فترقى عن الإنسانية وناسب الملائكة، فحينئذ تمت له الولادة الروحانية، وتلاشت فى جنبها الولادة الترابية الجسمانية.

والدليل على اعتبار هذه الولادة: قول المسيح: «لن يدخل ملكوت السموات من لم يولد من ذى قبل. قيل له: كيف يولد شيخ؟ قال: الحق أقول لكم: إن المولود من الجسد؛ جسد هو، والمولود من الروح؛ روح هو»<sup>(٥)</sup>. يريد عليه السلام

(١) «أيت بنيتى من بعيد وبناتى من أقصى الأرض» [إش ٤٣ : ٦].

(٢) إشعيا ١ : ٢ .

(٣) لوقا ٤ : ١٦ يوحنا ١٠ : ٢٩ «أبى الذى أعطانى هو أعظم من الكل».

(٤) يوحنا ١٥ : ١ «أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام»...

(٥) يوحنا ٣ : ٣ + .

روح الحكمة التي قالت التوراة: إنه ملأت بصليثيل من سبط يهوذا<sup>(١)</sup>. «وقال رجل من أصحاب المسيح له: يا سيد مرني أن أذهب فأدفن أبي. فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم»<sup>(٢)</sup> أمره بملازمة الأب الروحاني الذي كون سبب الحياة الدائمة.

ولما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة قال: «يا عتاب أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله»<sup>(٣)</sup>، قالها مرات. وقال عليه السلام: «أهل القرآن هم أهل الله»<sup>(٤)</sup>.

وقيل لأبي بكر الصديق: ماذا تقول لربك وقد استعملت علينا عمر؟ فقال: أقول: «استعملت على أهلك خير أهلك»<sup>(٥)</sup>. وذلك كله للتشريف فلا مناسبة بين القديم والحادث، والخالق والمخلوق. وبعد:

فقد كانت هذه الولادة - أعنى ولادة التربية - مشهورة في الزمن الأول، والدهر المتقدم. فكان التبني بالغير مسوغ. فانظر إلى المعنى الذي أشرنا إليه، ولم يزل ذلك كذلك إلى قبيل الإسلام. ولما قال عليه السلام: «إن زيداً ابن يرثني وأرثه»<sup>(٦)</sup> رضى بذلك والد زيد وعمومته وانصرفوا. فلما جاء الله بالإسلام والنبوة منع من ذلك رفعاً للالتباس بالتسمية وأحكام الأبوة الدنيوية فقال جل من قائل: ﴿ادعوهم

(١) خروج ٣١ : ١ + .

(٢) لوقا ٩ : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) ابن عدى في الضعفاء .

(٤) ابن ماجه وأحمد .

(٥) الطبقات لابن سعد .

(٦) في شريعة التوراة: أن العبد العبراني يخدم ست سنين، وفي السابعة يطلق حراً مجاناً. وإذا زوجة سيده جارية من جواريه، وأنجبت له أولاداً. فإن الأولاد ينسبون إلى السيد ولا ينسبون إلى العبد. وإذا خرج إلى الحرية؛ يترك زوجته وأولاده لسيدة. لكن إن دخل بيت سيده ومعه زوجته فإنها تخرج معه. (خروج ٢١) وقد مسخ الله في القرآن هذا الحكم. بقوله: ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾ وكان العرب على هذا الحكم من قبل الإسلام لأن العرب كانوا مكلفين بالعمل بشريعة التوراة. وفي آية ﴿زيد﴾ تكلمة لهذا الحكم. وفي تفسير القرطبي أنه اسم فرضي. كما يقال في النحو جاء زيد وذهب عمرو... على أحد الآراء - والمعنى: أن العبد يمسك زوجته ويأخذها معه في الشريعة الجديدة ولا يتركها لسيدة. وأنه يحق للعبد طلاقها برضاها لا برضا السيد، وإذا طلقها العبد. فإنها تحمل لأى مسلم. وهى ما كانت تحمل للسيد. وذلك لزواج كل امرأة في سبطها لتمييز الأسباط. أما في الإسلام فإن المسلمين جماعة واحدة. ويشبهون سبطاً واحداً.

لآبَائِهِمْ» فَإِن أراد النصارى بالأبوة والبنوة المذهب الروحاني من التربية والتعليم والتهذيب والتقويم؛ لم نشأحهم في الألفاظ بعد فهم المعاني. لكننا نقول لهم: لا اختصاص للمسيح عليه السلام بهذه البنوة، وتلو عليهم ما تقدم مما نقلنا من التوراة والنبوات والإنجيل.

**والدليل على مساواة المسيح غيره في هذه البنوة، وأنه لم يخص بها نفسه؛**

**وذلك في الإنجيل كثير جداً؛**

قال المسيح في خاتمة الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»<sup>(١)</sup> فقد سوى بين نفسه وبين تلاميذه في هذا المعنى ويوضحه قوله «والهي وإلهكم» فإن رام النصارى تفرقة بين المسيح وبين غيره. قلبنا عليهم الكلام، وعكسنا المرام. حتى يضطرهم الحجاج إلى جعل البنوة في حق المسيح وغيره بمعنى واحد.

قال المؤلف: لقد فاوضني بعض الرهبان، ممن يدعى بنائاً في البيان. فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة. فأزمته قول التوراة «ابني بكري»<sup>(٢)</sup> وقلت له: لعل البكر يكون أحظى عند والده، وأولى بطريف برّه وتالده، فما تقول في بنوة إسرائيل؟ فقال: إسرائيل وغيره ابن النعمة والمسيح ابن على على الحقيقة. فعكست عليه كلامه؛ فتبلد واختزى، ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى.

وقد سوى المسيح بين نفسه وبين سائر المطيعين من عباد الله في هذه البنوة. وقد أخبر يوحنا الإنجيلي في الفصل الثالث من الرسالة الأولى أن إطلاق لفظ البنوة إنما هي مجرد تسمية امتن الله بها عليهم تشريفاً لهم فقال: «انظروا إلى محبة الأب لنا. إنه أعطانا أن ندعا له أبناء»<sup>(٣)</sup> ثم قال في الفصل الثالث منها: «أيها الأحباء الآن صرنا أبناء الله وقد تبئن بنا. فينبغي لنا أن نُنزله من الإجلال على ما هو عليه، فمن صح له هذا الرجاء فليزك نفسه بترك الخطيئة والإثم. واعلموا أن

(١) يوحنا ٢ : ١٧ .

(٢) خروج ٤ : ٢٢ .

(٣) الاصل الثاني .

من لابس الخطيئة؛ فإنه لم يعرفه»<sup>(١)</sup>.

وقال متى: قال المسيح: «أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلوا على من يطردهم، لكيما تكونوا بنى أبيكم، المشرق شمس على الأخيار والأشرار، والمطر على الصديقين والظالمين»<sup>(٢)</sup>.

وقال المسيح لتلاميذه: «كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل، لا تصنعوا معروفكم قدام الناس لكي تراؤنهم فيحبط أجركم عند أبيكم الذي في السموات، لتكن صدقتك في السر وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، إذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل لأبيك سرّاً وأبوك يرى السر فيجزيك علانية، وإذا صليت فلا تشبهوا بالوثنيين لأنهم يظنون أن يسمع منهم بكثرة كلامهم، فأبوكم عالم بحوائجكم قبل أن تسألوه»<sup>(٣)</sup>.

فهذا المسيح قد سوى بين نفسه وبين سائر المطيعين له في البنوة، وبين أن لفظه «الابن» قد تطلق على العبد الصالح. بدليل قوله لليهود: «أنتم لو كان الله أباكم كنتم تحبونني. أنتم من أبيكم إبليس، وشهوة إبليس تهوون»<sup>(٤)</sup>.

وقد قال فولس في الرسالة الخامسة<sup>(٥)</sup>: «إياكم والسفه والسبّ واللعن واللعب، فإن الزانى والنجس والغاشم عابد الوثن؛ لا نصيب له في ملكوت الله، احذروا هذه الشرور. فمن أجلها يأتي رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه، فإياكم أن تكونوا شركاءهم. فقد كنتم من قبل في ظلمة فاسعوا لأن نسعى كأبناء نور» انظر كيف سمى فولس حكيم النصارى من يعمل بالمعاصى ابناً، كما سمى المتقين من عباد الله ابنا. فقد استبان لك مرادهم بالبنوة التي يطلقونها.

(١) يوحنا الأولى ٣ : ١ .

(٢) يوحنا الأولى ٣ بتصرف ١ + .

(٣) متى ٥ : ٤٣ - ٤٥ .

(٤) متى ٥ : ٤٨ + .

(٥) يوحنا ٤٢ + .

## نوع آخر:

قال المسيح: «سمعتكم»<sup>(١)</sup> ما قيل: العين بالعين، والسن بالسن. وأنا أقول: لا تقاوموا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك، ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، من اقترض منك؛ فلا تمنعه. سمعتكم ما قيل: أحبب قريبك وأبغض عدوك. وأنا أقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا على لاعنيكم، وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلّوا على من يطردكم ويخزيكم؛ لكيما تكونوا بنى أبيكم. كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل. وإذا صنعت رحمة فلا تُصوت قدامك بالبوق كالمراثين في المجامع والأسواق؛ لكي يُحمدوا من الناس. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم. وإذا صنعت رحمة؛ فلا تعلم شمالك ما صنعت يمينك. لتكن صدقتك في السر وأبوك يجزيك علانية. وإذا صليتم فلا تكونوا كالمراثين الذين يُصلّون ليظهر للناس صلاتهم. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم. وإذا صمتم فلا تكونوا كالمراثين الذين يعبسون وجوههم ويغيرونها ليظهر للناس صيامهم. الحق أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم.

وأنت إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك كيلا يظهر للناس صيامك، اغفروا للناس خطاياهم؛ ليغفر لكم أبوكم السمواى خطاياكم. لا تكنزوا لكم كنوزاً في السماء حتى لا يفسدها سوس ولا تنالها أيدي السراق، فحيث تكون كنوزهم هناك تكون قلوبكم»<sup>(٢)</sup>.

فهذه أقوال من المسيح شاهدة بأنه عليه السلام لم يخص نفسه بالبنوة دون أدناهم، وأنه وإياهم فيها سيان، وأنها كلمة تطلق على عباد الله الصالحين، وأنه حينما ذكرها؛ قرننها بالعبودية والتشمير في الطاعة. وأن من كان منحرفاً عن التقى والديانة؛ لم يصلح لهذه البنوة. كما قال المسيح لليهود: «أنتم من أبيكم إبليس» حيث لم يرضهم للبنوة المعزوة إلى الصالحين من بنى إسرائيل.

(١) أفسس ٥ : ٣ +

(٢) الكلام في موعظة الجبل وتبدأ من الأصحاح الخامس من متى

## إطلاق أتباع المسيح لفظ البنوة على أنفسهم غير مفرقين فيها بينهم وبين المسيح وأنهم لم يفهموا منها إلا ما أشرنا إليه،

قال يوحنا التلميذ : «يا أحبائي إنا أبناء الله سمانا بذلك، واعلموا أن الفصل بين أبناء الله وأبناء الشيطان أن من لم يتبرر ويحب أخاه؛ فليس من الله بل من الشيطان»<sup>(١)</sup>.

فبين الحوارى أن بنوة الله عبارة عن طاعته، وأن من لم يطع الله فليس يصلح لهذه البنوة ولا تليق به، وسأوى بين نفسه وبين المسيح فى هذه البنوة. فلم يبق بعدها للنصارى باقية، ولم تقم لهم فى تخصيص المسيح بالبنوة قائمة. وقد عبر الإنجيلى عن هذه البنوة بالطاعة والاستقامة، وذكر أن من كان منحرفاً عن خدمة الله لم يصلح لهذه البنوة. فقال فى الفصل الثالث من رسالته الأولى: «اعلموا أن كل من ولد من الله؛ فلن يعمل خطيئة. من أجل أن زرعه ثابت فيه فلا يستطيع أن يخطئ؛ لأنه مولود من الله. وبهذا نبين أبناء الله من أبناء الشيطان. فكل من لا يعمل البر فليس هو من الله»<sup>(٢)</sup>.

فالمسيح عليه السلام ويعقوب وداود ومن مضى من أولياء الله وأنبيائه لما تحققوا بخدمة الله وسارعوا إليها؛ أطلق اللسان العبرانى عليهم هذه التسمية؛ تشريقاً لهم. ولا مزية للمسيح على غيره فى ذلك.

وقال فولس الذى يسمونه فولس الرسول - وهو المفسر العالم الذى لهم - فى رسالته إلى أهل الروم «أن الروح تشهد لأرواحنا أنا أبناء الله، وإذا كنا أبناءه فنحن ورثته أيضاً»<sup>(٣)</sup> وقال فولس فى هذه الرسالة: «إن البرية كلها ترجى ظهور أبناء الله»<sup>(٤)</sup>.

قال المؤلف: إن كان هذا الكلام صحيحاً، فالمسلمون أحق بهذه التسمية فإنهم

(١) يوحنا الأولى ٣ : ١ + .

(٢) يوحنا الأولى ٣ : ٩ + .

(٣) رومية ٨ : ١٦ - ١٧ .

(٤) رومية ٨ : ١٩ .



الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم إليه من طاعة الله، وعلموهم من توحيده، وشرعوا لهم من أحكامه، وتحقق رجاء البرية بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم.

وقال فولس في رسالته إلى بعض النواحي: «أولا تعلمون أنكم هياكل الله، وأن روح الله حالة فيكم، وأن الدنيا والآخرة لكم؟»<sup>(١)</sup>.

وقال فولس لإخوانه: «إن أجسامكم هيكل لروح القدس التي قبلتموها عن الله»<sup>(٢)</sup> وقال فولس في رسالته الثانية: إن الله تعالى قال: «إني أحل فيهم وأسعى معهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون بمنزلة البنين والبنات»<sup>(٣)</sup>.

فهذا فولس - المؤتمن عند النصارى - لم يدع أن المسيح مباين أحدًا من الملة في هذه البنية. وقول فولس «أنكم هياكل الله» الهيكل: بيت متعبدهم. كالمسجد ونحوه، فشبّه بيت العبد الصالح في طهارتها وعمارتها بذكر الله بالهيكل والمسجد.

وقال متى في إنجيله: «إن جبّة الجزية جاءوا إلى بطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يؤدي الجزية؟ فقال لهم نعم. ثم أخبر المسيح بمقاتلتهم فقال: يا بطرس والبنون أيضًا تؤدي الغرم؟ اذهب إلى البحر فأول حوت يخرج فخذهُ وأدّ عني وعنك»<sup>(٤)</sup>.  
فهذا متى يشهد على المسيح بأنه لا يختص بهذه البنية وأن البنين سواء كثير.  
وهذه صورة صلاة زعم النصارى أن المسيح علّمها تلاميذه: وهي: «أبانا

(١) كورنثوس الأولى ٣ : ١٦ .

(٢) كورنثوس الأولى ٣ : ١٦ - ١٧ .

(٣) كورنثوس الثانية ٦ : ١٦ - ١٨ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي. كما قال الله: إني سأسكن فيهم. وأسير بينهم...».

(٤) متى ١٧ : ٢٤ + «فإذًا البنون أحرار» والمؤلف نقل النصر ناقصًا وعلى نقله يكون الحوت ليس بدلا عن الجزية . والنص هو: «والسمكة التي تطلع أولا؛ هذا. ومتى فتحت فاه؛ تجد إستارا. فخذهُ، وأعطهم عني وعنك» وههنا مساءلة وهي: أن الآخذين للجزية هم الرومان، وكانوا يأخذونها من اليهود؛ لأنهم احتلوا فلسطين سنة ٦٣ ق. م. والمسيح يهودى وواقع تحت الجزية كسائر اليهود. فكيف يكون إلهًا للعالم ويدفع وهو ذليل مهان؟ وكيف يعترف بدفع الأجانب، ويقول: إن البنين لا يدفعون. والرومان ليسوا يهودًا؟.

الذى فى السموات. قدّوس اسمك، يأتى ملكوتك، تكون مشيئتك، كما فى السماء كذلك تكون على الأرض، آتنا خبزنا. قوتاً فى اليوم، واغفر لنا ما وجب علينا، كما نحب أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا التجارب، ولكن نجنا من الشرير، إذا لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. آمين»<sup>(١)</sup>.

قال المؤلف: قوله «أبانا الذى فى السموات» لفظ مُوهِم من حيث الأبوة ومن حيث الجهة.

فالأبوة متروكة الظاهر بقول يوسف فى التوراة لأخيه بنيامين وهو لا يعرفه: «يا بنى الله يترأف عليك»<sup>(٢)</sup>.

فقد سمى أخاه ابنه، وليس ابناً له على الحقيقة. وبقوله فى التوراة لإخوته: «لستم أنتم الذين أرسلتمونى بل الله أرسلنى أمامكم، وجعلنى أبا لفرعون وسيداً لأهل الأرض»<sup>(٣)</sup> يريد مدبراً له.

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح: يا أبت، وليس أباهم إلا على جهة التدبير، كما قال لهم: «لا تدعوا لكم مُدبراً على الأرض فإن مدبركم المسيح»<sup>(٤)</sup>. وكانوا أيضاً يدعون بطرس بعد المسيح أباً لهم. كما شهدت به سير التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر. فليعلم اللبيب: أن قول المسيح لربه «يا أبت» إن صح ذلك عنه. كقول بطرس للمسيح: «يا أبت» وكقول التلاميذ لبطرس<sup>(٥)</sup>: «يا أبت» وعند

(١) متى ٦ : ٩ + .

(٢) تكوين ٤٣ : ٢٩ «الله يُنعم عليك يا بنى».

(٣) تكوين ٤٥ : ٨ .

(٤) كان المسيح يقول للتلاميذ: «يا أولادي» [يو ١٣ : ٣٣] وهم كانوا يقولون له: «يا أبت» لأن المعلم الدينى - فى لسانهم - أب روحى لهم. وفى القرآن الكريم أن محمداً ﷺ ليس أباً لأحد من رجال بنى إسرائيل؛ لأن شريعته تختلف عن شريعتهم. وعبر برجالهم لأن الوعظ والتعليم عندهم فى الرجال وليس فى النساء. وكانوا ينادون المعلم بقلب السيد والاب والمربى والحبر ومسيا الله ومسيح الله وقال عيسى عليه السلام: «لا تدعوا لكم مدبراً على الأرض فإن مدبركم - المسيح» [متى ٢٣ : ٩] يعنى به محمداً ﷺ بلسانهم.

(٥) يقصد المؤلف: أن الكاثوليك يعتبرون بطرس أباهم؛ لأنه رئيس الحوارين، وبابا الفاتيكان نائب عنه.

الوقوف على هذه المواضع. تنحل عقود النصارى فى دعوى بنوة المسيح، وينفصم عراهم؛ فلا يحاولون انفصالاً، إلا وينعكس عليهم فى بنوة المسيح. ويقال لهم: هل أبوة يوسف لأخيه بنيامين وملك مصر إلا كأبوة الله للمسيح؟ وهل بنوة المسيح لله إلا كبنوة إسرائيل وداود، وأولاد الشهيد من ابنى آدم. كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة؟

ولما كان الأب هو المشفق المرفق العاطف يبره العائد بخيره، المحرك بإحسانه، المفضل بتطوله وامتنانه، وكانت هذه المعانى لا تتحقق على الحقيقة إلا من الله - جلّت قدرته وكان المسيح قد توفرت روحانيته فلم ير الوسائط؛ حَسُنَ عنده التجوز باسم الأب عن الرب. وهذا محمل يتعين حمل هذه الألفاظ عليه. إن صحَّ إطلاقها منه. إذ القديم - جل وعلا - يتقدس عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتخذة من الزوجة والسرية - تعالى القديم عن مماسة العديم، وتقدس العظيم عن ملابسة الهضم - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. ولما كان الابن هو المهضوم الجناح، المقتقر فى سعيه إلى النجاح، الخائف من دركات الهلكات يركوب الجناح، اللائذ بأبيه لاستمطار نواله، المتعلق بذبول كرمه فى مضمون سؤاله. الربى يبره العظيم المغذى بمته الجسيم؛ لم يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن تأول النصارى البنوة والأبوة بهذا التأويل، وإلا فضحتهم التوراة والنبوات والإنجيل. فقد حكوا عن التوراة قول الله: «إسرائيل ابنى بكري» وفى المزامير يقول داود لأكابر بنى إسرائيل: «أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو العلى كلكم تدعون»<sup>(١)</sup>.

(١) تطلق التوراة على كل فرد من بنى إسرائيل سواء أكان صالحاً أم كان فاسداً؛ لقب «إله» بمعنى «سيد» وذلك لأنهم سادة على الامم بالشريعة، ومفضلين بها عنهم إلى أن تنسخ الشريعة على يد النبى الامى الآتى؛ فيكونون فى أيامه مرهوسين من بنى إسماعيل، ولا يكونون رؤساء. وقد عبر داود عن هذا المعنى فقال على لسان الله تعالى: «أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو العلى كلكم» (مز ٨٢ : ٦) وعيسى عليه السلام «إله» على هذا المعنى. وهو أحق بهذا اللقب على المعنى المجارى من اليهود الفاسدين. وقد جادلوه بقولهم: أنت تزعم أنك إله. فما معنى قولهم هذا وهم يعلمون أنهم كلهم آلهة؟ إنهم يعنون به أنه سيد يريد أن يجعل نفسه ملكاً عليهم وينسخ شريعة موسى. وقد رد عليهم بقوله: من جهة الملك فانا=

ولا خلاف أن الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخصص المسيح بهذه البنية، بل شارك فيها غيره من الصلحاء والأتقياء من عباد الله وأوليائه. ومن أنصف من النصارى عرف صحة ما قلنا. فقد قال يوحنا في إنجيله: «إن يسوع كان مزمماً أن يجمع أبناء الله»<sup>(١)</sup> فهذا يوحنا التلميذ يذكر أن سائر بنى إسرائيل يسمون بهذا الاسم، ويذكر أن المسيح رام جمع الناس على كلمة الإيمان؛ فلم يقدر على ذلك. وإذا ثبت إطلاق لفظة البنية على يعقوب وداود وغيره؛ فما بال النصارى لا يقولون في إيمانهم وحلفهم: وحق يعقوب ابن الله؟ ولم حطوا حرمة وهو ابن الله بكره - والبكر له مزيد حرمة عند أبيه -؟ وكذلك هلا أقسموا بداود وهو ابنه حبيبه، ولم هجروا اسمه وهو مساو للمسيح في البنية والحب؟ وكذلك قال لوقا الإنجيلي: «جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود»<sup>(٢)</sup> فهلا نسبوه نسبته التي نسبة بها جبريل، ولهجروا بذلك في أقسامهم وأيمانهم فقالوا: وحق المسيح ابن داود. وكيف رغبوا له عن تسمية سمّاه الله بها على لسان جبريل قبل خلقه؟ أهم أعلم بما يجب له من الله؟ فكيف تركوا تسمية الله له وأخلفوا تسمية أجمع أرباب الملل والنحل على تخطئتهم فيها؟

فإن رجعوا القهقري وتمسكوا بقوله: «يا أبت» أوردنا عليهم قوله للتلاميذ: «قولوا: أبانا الذى فى السموات»<sup>(٣)</sup> ونظائرهما. على أنا نقول لهم: ألم ترووا لنا

=انصرفت عنه لما أحيت ابن أرملة بنيامين ومن جهة نسخ الشريعة فانا صرحت بعدم نقضى للناموس. ومن جهة لفظ الإله فانا جدير بهذا اللقب. لأنى أنا صالح. يقول يوحنا: «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه. أجابهم يسوع: أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى. بسبب أى عمل منها ترجموني؟ أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً. أجابهم يسوع: اليس مكتوباً فى ناموسكم: «أنا قلت إنكم آلهة؟» إن قال آلهة لاولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له: إنك تجدف؟ لأنى قلت: إنى ابن الله؟» إيو ١٠ : ٣١ + .

وموضع التحريف فى هذا النص: هو «لأنى قلت: إنى ابن الله» وصحة العبارة: «لأنى قلت إنى رسول لأبشر بابن الله. وهو لقب لمحمد ﷺ فى المزمور الثانى.

(١) يوحنا ١١ : ٥٢ .

(٢) لوقا ١ : ٣٢ .

(٣) متى ٦ : ٩ .

عن المسيح في خاتمة الإنجيل قوله: «أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم»<sup>(١)</sup> وقوله وهو على الصليب فيما زعمتم: «إلهي إلهي لم تركتني»<sup>(٢)</sup> فهلا تقولون في صلواتكم وأدعيتكم: يا عبد الله اغفر لنا، وكذلك إذا دعوتهم الأب تقولوا: يا سيد إلهنا ارحمنا، وكذلك قولوا في دعائكم الأب: يا جدنا اعمل بنا كذا؛ لأن بطرس أبوكم، والمسيح أب لبطرس، والله أب للمسيح.

وقد زعمتم أنه قد صفعه اليهود في رأسه بالقصب وضفروا على رأسه إكليلاً من الشوك، والبسوه ثياباً حمراً، وسقوه الخلّ عندما عطش. وأنتم في صلواتكم تبهلون إليه بالأدعية، فما بالكم لا تقولون: يا من صفعه اليهود في رأسه، وبصقوا في وجهه، واقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة، واستعاروا على خشبته، وقرن باللصوص؛ اعمل بنا كذا.

### مجاز اللغة:

وإن تلاميذه كانوا معافين مما ابتلى به المتأخرون من النصارى. قال: متى: بينا يسوع جالساً يتكلم مع الناس إذ قيل له: أمك وإخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي ومن إخوتي؟ ثم أومأ بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي. وكل من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات؛ فهو أخي وأختي وأمي»<sup>(٣)</sup>.

قلت: هو ذا المسيح عليه السلام قد أعرب في التجوز والتوسع والاستعارة. حتى سمى المطيع لله قريباً له من هذه الجهات. فجعله أما له وأختاً وأخاً. وإذا كان النصارى لا يُجرون على ظاهر هذا اللفظ، بل يحملونه على ما يليق به من التأويل؛ فكذلك يلزمهم في لفظ البنوة والأبوة؛ فإنه كما يستحيل أن يكون آحاد الناس أما وأختاً وأخاً للمسيح؛ فكذلك يستحيل أن يكون المسيح. وهو رجل من بني إسرائيل يناله من النفع والضرر ما ينال غيره من البشر؛ ابناً لله القديم الأزلي.

(١) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٢) متى ٢٧ : ٤٦ .

(٣) متى ١٢ : ٤٦ + .

فإن هذى هاذ منهم وقال: فإذا لم يكن له بدُّ من أب، فمن أبوه؟ قلنا له: إذا لم يكن لأدم بدُّ من أب. فمن أبوه؟ فإذا قالوا: إن آدم خلقه الله آية وأعجوبة. إذ خلقه من غير تناسل وتوالد. قلنا: وكذلك المسيح خلقه تعالى آية وأعجوبة. إذ خلقه من تراب. فكم قد خلق الله سبحانه من الحيوان من غير توالد وتناسل معروف. وقد ابتداء الله العالم بأسره لا عن مثال سبق ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُكْفِرُونَ﴾؟

واعلم: أن إطلاق المسيح لفظ البنوة؛ جرى فيه على عادة من تقدمه من بنى إسرائيل؛ فإنهم كانوا يُطلقون هذه البنوة والربوبية والالوهية على المعظمين في الدين والمدبرين للأمم، كقول التوراة: «إسرائيل ابني بكرى» وكقول المزامير: «داود ابني حبيبي» وقوله لبنى إسرائيل: «أنا قلت: إنكم آلهة وبنى العليّ كلكم تدعون» وقول إشعياء «توصوا بى فى بنى وبناتي» وقول إشعياء: «إنى ربيت أولاداً حتى نشأوا وكبروا».

فحال المسيح مُنسج على منوال من سبقه. فقال: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم» غير أن هذه اللفظة لم تأت إلا ومعها لفظ العبودية ليزول الإيهام، ويحصل التشريف والإنعام. والدليل على ما قلناه من نبوة إشعياء النبي عليه السلام: «إن الله تعالى تهدد بنى إسرائيل على جرم فعلوه، فلما خافوا نزول العقوبة قالوا فى دعائهم: «اللهم ترأف علينا، وأقبل بوجهك إلينا، ولا تصرف رحمتك عنا. فأنت هو الرب أبونا، فأما إبراهيم وإسرائيل فلم نعرفه، لكن أنت أبونا قد ملنا عن طرقتك، يا رب ارحمنا فنحن عبيدك»<sup>(١)</sup>.

(١) هذا النص فى الأصحاح الثالث والستين من سفر إشعياء. وقد أشار الله إليه فى القرآن الكريم. ومنه: «تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك. أين غيرتك وجبروتك. زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنت. فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم، وإن لم يدرنا إسرائيل. أنت يا رب أبونا. ولينا. منذ الأبد اسمك» لاحظ: أن اليهود يقولون لله تعالى: «انظر» أى ترحم واعطف؛ فإن الكفار آذونا، وعجل بإرسال رسولك الذى نستفتح به على الذين كفروا. الذى سيأتى من آدم، فى أول الأصحاح. وفى المزمور الثمانين يقولون لله ارعنا بشريعة النبى الآتى وقد نهاهم الله عن قولهم ارعنا بالنبى الآتى. وذلك لأنه أتى وهو محمد رسول الله وأمرهم بأن يقولوا «انظرونا» أى تحن علينا واهدنا إلى الإيمان به، =

وقد رووا عن يوحنا الإنجيلي: «أن من لابس المعاصي وانغمس في الخطايا فليس له في هذه الولادة من نصيب»<sup>(١)</sup>.

فقالوا: قال يوحنا في خاتمة رسالته الأولى: «قد علمنا أن كل من هو مولود من الله لا يخطئ؛ لأن ولادته من الله وهو حافظه له من أن يقترب إليه الشرير»<sup>(٢)</sup>.

فإن صدق النصراني في هذا النقل فليس فيهم إذاً من يستحق هذه التسمية؛ لأنه لا يكاد أحد منهم يخلص من ملابسة المعاصي واقتراف الخطيئة والإثم. فإما أن يبطلوا هذا القول ويوصوا بفساده ليسلم لهم دعواهم البنوة، وإما أن يصححوه فيخرجوا عن بنوة الله التي يدعون بها. فقد حكم يوحنا وغيره من أئمتهم أن من ولد من الله لم يرتكب على نفسه ذنباً ولم يحتقب وزراً. فهكذا كان اعتقاد من يطلق لفظ الأبوة على الله ويسمى نفسه ابناً لله إنما يجعل ذلك من باب التودد إلى الله والخدمة له. فلهذا لم يكن يضره إطلاقه، ولما جاء المتأخرون<sup>(٣)</sup> أكثروا من هذا الإطلاق وصاروا يوردونه على جهة الفخر والتزكية وتمجيد النفس؛ فخطبوا بالتكبر، وقيل لهم في الكتاب العزيز: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾.

### فأما الإله والرب:

فالرب: هو المربي باللطف والإحسان، العائد بالعطف والامتنان. وهاتان اللفظتان قد تستعملان في حق العظيم من الأدميين تجوراً وتوسعاً، لكن على جهة التقييد لا جهة الإطلاق. وقد قال إشعيا النبي: «عرف الثور من اقتناه، والحمار

= وأمرهم بقوله «واسمعوا» منه لأنه هو المكتوب عنه في التثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢ «له تسمعون» وأمرهم أن يقولوا لله: اسمع دعاءنا واهدنا حسب المكتوب عندهم .

(١) يوحنا الأولى ٣ : ٩ - ١٠ .

(٢) يوحنا الأولى ٥ : ١٨ .

(٣) قوله «ما اتخذ الله من ولد» لا يرد به على المتأخرين إلا من جهة اعتقادهم في البنوة الطبيعية. فإن الكاثوليك يعتقدون أن أقنوم الابن متميز عن أقنوم الأب. ويعتقدون أن المسيح ابن طبيعي لله. وهذا خطأ أما البنوة المجازية فعندنا «الفقراء عيال الله» وعندنا «وابن السبيل» بنوة مجازية.

مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل<sup>(١)</sup> وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم والمدبر والقيّم يسمى ربا، كما أن الرجل رب منزله وداره وبيته ورب ماله. قال نبينا ﷺ لرجل: «أرب إيل أنت أم رب غنم؟» فقال: من كل آتاني الله. فأجزل<sup>(٢)</sup>.

والدليل على ذلك من التوراة: قول إبراهيم ولوط للملاك: «يا رب مل إلى منزل عبدك»<sup>(٣)</sup> ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة، وإنما أراد الإجلال في الخطاب. وفي التوراة يقول الله لموسى: «قد جعلتك إلهًا لفرعون»<sup>(٤)</sup> يريد مسلطًا عليه ومتحكمًا فيه. وفي التوراة وقد شكى موسى لشغته في لسانه وعجمة في منطقته فقال الله له: «قد جعلتك ربًا لهارون وجعلته لك نبيا، أنا أمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بنى إسرائيل»<sup>(٥)</sup> ولم يقل الله للمسيح: قد جعلتك ربًا وإلهًا. بل إنما ذلك شيء تقوله النصارى. فقول بطرس للمسيح «يارب» إن صح. فهو مُنزَلٌ منزلة ربوبية موسى لهارون، من حيث إن المسيح أيضًا مبلغ عن الله وأمره كتبليغ موسى أخاه هارون.

وقد قال داود في المزمور الثاني والثمانين: «قام الله في جماعة الآلهة»<sup>(٦)</sup> وقال فيه وهو يعنف الأكابر<sup>(٧)</sup> من بنى إسرائيل: «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العليّ تدعون»، وفي المزامير أيضًا في حق يوسف: «فخلا الملك يوسف وصيره سلطانًا على شعبه ربًا على بنيه»<sup>(٨)</sup> يريد القيم عليهم والمدبر لأموارهم. وقد قال يوسف للساقى عندما فسر له رؤياه: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يريد مدبرك والقيم عليك. وإذا عرفت ذلك سهل عليك ما يهتف به النصارى من تسمية المسيح ربا وإلهًا،

(١) الرب ههنا بمعنى المالك والصاحب [اش ١ : ٣]

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) التكوين ١٨ : ٣ . ١٩ : ٢ .

(٤) الخروج ٧ : ١ .

(٥) خروج ٧ : ١ - ٢ .

(٦) مزمور ٨٢ . وقوله في نفس المزمور: «قم يا الله . ومن الأرض . لأنك أنت تملك كل الأمم» يريد به: عجل بإرساله النبي الأمي المائل لموسى .

(٧) المؤلف فهم الأكابر؛ لأنه فهم بنو العلا بمعنى الأكابر والصحيح وبنو العليّ أى الله العلي العظيم .

(٨) مزمور ١٠٥ .



وعرفت كيف تكسر حجتهم بتأويل هذه الألفاظ .

وقد قال شمعون الصِّفا رئيس الحوارين: «إن الله جعل أيشوع ربا»<sup>(١)</sup> يريد وكَّل تدبير أصحابه إليه<sup>(٢)</sup>، إذ الرب لا يقال إن غيره جعله وصيره ربا وإلهًا. فما نرى شمعون الصفا زاد المسيح في ذلك على ما قالت التوراة: «إن الله جعل موسى ربا لهارون وإلهًا لفرعون» ولم يتجاوز به أيضًا قول المزامير: «إن يوسف صار ربا للملك» وفي الإنجيل: «إن الكلاب لتأكل من موائد أربابها»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى عن سلمان الفارسي أنه قال: «تداولني بضعة عشر، من رب إلى رب»<sup>(٤)</sup> يريد المرشدين والمديرين له .

وقد يكون الرب بمعنى السيد، قال لبيد بن ربيعة<sup>(٥)</sup>:

وأهلكن يوماً رَبَّ كِنْدَةَ وابنه      وَرَبَّ مَعْدَّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعِرِ  
ويكون أيضًا الرب بمعنى المالك. قال طرفة:

كقنطرة الرومي أقسم بها      لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد  
ويكون أيضًا الرب بمعنى المربي. من قولهم رَبَّ يَرْبُ فهو رب .

قال الشاعر:

يَرْبُ الذي يأتي من الخير أنه      متى فعل المعروف، زاد وتمما  
ويكون أيضًا بمعنى المصلح للشيء. قال الشاعر:

كانوا كسائتة حَمَقَاءِ إذ حقنت      سلاءها في أديم غير مرئوب  
ويقال للشمس: إلهة. قال الشاعر:

وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا .....

(١) أعمال ٢ : ٣٦ .

(٢) المحرف نسب إلى بطرس هذا القول والغرض منه : جعل عيسى هو النبي الأمي لا محمد رسول الله ﷺ .

(٣) متى ١٥ : ٣٧ .

(٤) أخرجه البخاري

(٥) في الأصل: قال الأعشى .

ويقال: ألّهت إلى فلان، إذا فزعت إليه واعتمدت عليه. وقيل: هو من ألّهت فيه إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه. فقول بطرس «يا رب» يريد يا مدبر أمرنا والقيم علينا<sup>(١)</sup>.

وقول إشعيا «هوذا العذراء تحبل وتلد ولدًا عمانوئيل الذى تفسيره إلهنا»<sup>(٢)</sup> محمول على بعض هذه المحامل إن صح نقلهم عن إشعيا هذا اللفظ بعينه. وقد فسر علماء الإنجيل قول مريم المجدلانية للمسيح «ربّوني»<sup>(٣)</sup> بالمعلم، والمعلم والمربى والمدبر بمعنى واحد.

وقد صرح يوحنا الإنجيلي بأن الألوهية ليست على ظاهرها. فقال فى إنجيله: «جلس يسوع فى إسطوان سليمان بأورشليم. فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة ليرجموه. وقالوا حتى متى تعذب نفوسنا؟ فقال: أريتكم أعمالاً حسناً من عند الله، أفمن أجل الأعمال ترجموني؟ فقالوا: إنما نرجمك لأنك بينا أنت إنسان إذ جعلت نفسك إلهًا، فقال يسوع: أليس هكذا مكتوب فى ناموسكم: «إنى قلت إنكم آلهة وبنى العليّ تُدعون» فإذا قيل لأولئك آلهة لكون كلمة الله عندهم، فالذى قدّسه الله وأرسله إلى العالم، كيف تقولون إنه يجدف؟»<sup>(٤)</sup>.

فقد اعترف يوحنا والمسيح بأن الألوهية متروكة الظاهر، وإن إطلاقها عليه كإطلاقها على العلماء والحكماء والمدبرين من بنى إسرائيل. وقد صرح فى هذا الكلام بأنه ليس هو الله، ولا الله حالّ فيه، وأن الله قدسه. أى طهره وأرسله إلى العالم. وكذلك يفعل بسائر الأنبياء والرسل. ولو كان المسيح هو الله، كقول الجهلة من النصارى؛ للزم اتحاد المرسل والرسول والمقدّس.

(١) استشهاد المؤلف على صحة المعنى فى الإنجيل بلغة العرب لا يجوز؛ لاختلاف اللغة.

(٢) المؤلف خلط بين نص إشعيا ونص إنجيل متى. فنص إشعيا: «ها العذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل» [إش ٧ : ١٤] ونص متى: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل. الذى تفسيره الله معنا» [متى ١ : ٢٣] والمراد بالعذراء المرأة الشابة سواء أكانت متزوجة أم كانت بكرًا. وعلى ذلك لا دلالة فيها على ولادة المسيح من عذراء.

(٣) يوحنا ٢٠ : ١٦ .

(٤) سبق ذكر التعليق على هذا الموضوع فى الباب الثالث هذا.

وقال فولس فى رسائله: «وقد يعرفون نعمة سيدنا يسوع المسيح إذ تمسكن من أجلكم وهو غني، لكى تستغنوا بمسكنته»<sup>(١)</sup>.  
 فشهد فولس بأن المسيح رجل من عباد الله، يتواضع لله كدأب أوليائه وصفوته.



وقد استشهد النصرارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية:  
 قال متى<sup>(٢)</sup>: «حضر إلى يسوع امرأة كنعانية فقالت: إن ابنتى بها شيطان رديء. فعسى تتعطف عليها. فلم يجبها. فسأله التلاميذ أن يقضى حاجتها. فقال: لم أرسل إلا للخراف الضالة من بيت إسرائيل. فجاءت المرأة وسجدت له وقالت له: يا رب أعني. فقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب. فقالت: نعم يا رب والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها، فحينئذ عطف عليها وقال: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدن. فشفيت ابنتها من تلك الساعة».

قال النصرارى: سجدت له، وخاطبته بالربوبية. وذلك دليل على ربوبيته إذ لم ينكر عليها، بل تقريرها وشفاء ابنتها من أوضح الأدلة على ربوبيته.  
 وسبيل من وقف على ذلك: أن يعارض قول الكنعانية له «يا رب» بقولها «والكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها» فقد جعلت ملاك الكلاب أرباباً لهم، ولم ينكر عليها أيضاً.

وكذلك فيعارضون بقوله «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيعطى للكلاب» فقد سمى الكفار من بنى آدم كلاباً، وقد سمى الدعاء والشفاء خبزاً. وذلك كله دليل التجوز والتوسع. وإذا كان ذلك كله جائزاً على المعنى؛ فالربوبية والبنوة أيضاً جائزة على طريق المعنى، فإن أحالوا أن يكون الأدمى كلباً؛ فليحيلوا أن يكون ربا. وأما سجودها له ولم ينكر عليها. فذلك كان سلام القوم وتحيتهم فى

(١) كورنثوس الثانية ٨ : ٩ .

(٢) النص فى متى ١٥ وتوضيحه فى نظيره عند برنابا .

الزمن الأول على عظمائهم وأكابرهم. والدليل عليه أن التوراة تنطق بأن إخوة يوسف حين عرفوه؛ سجدوا له طالبين قدميه. وكذلك قالت التوراة: إن أفرايم ومَنسَى ابني يوسف سجدا لجدهما يعقوب بحضرة أبيهم يوسف» ولم ينكر عليهم.

وقد قالت التوراة: «إن إبراهيم ولوطاً سجدا للملائكة على الأرض» فلم ينهوا عن ذلك «وقد ساوم إبراهيم قومًا في أرض لهم ليدفن فيها سارة؛ فلم يكلمهم، ولم يساومهم حتى سجد لهم مرتين» على ما في التوراة. فبطل تعلقهم بسجود المرأة للمسيح.

وقال المؤلف عفا السله عنه: قصة هذه الكنعانية التي استدلوا بها على الربوبية هي من أدل الدلالة على دعم الربوبية. وبيانه: أنها جاءت إلى المسيح مؤمنة به، سالكة طريقه في التواضع، معتقدة أن معجزته لا تعجز عن شفاء ابنتها. وهو لم يعلم بما انطوى عليه ضميرها من الإيمان به. ألا تراه كيف جابها بالرد وقال: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين فيعطى للكلاب»؟ فلما قالت له ما قالت؛ ظهر له من إيمانها ما كان مستوراً عنه، وبدا له من معتقدها فيه ما لم يكن في حسابه. فحيثنذ قضى حاجتها وشفى ابنتها<sup>(١)</sup>.



(١) معجزات المسيح كانت ١ - للمؤمنين به من بني إسرائيل ٢ - وللمؤمنين به من الأمم. ولما لم تظهر الكنعانية ما يدل على إيمانها بالله وعملها بشريعة موسى؛ امتنع من شفاء ابنتها. بقوله: المؤمنون أولى، والمؤمنون من بني إسرائيل أولى. أما الكافرون فالههم الذي يعتقدون فيه فليشفهم إن كان إلهًا حقًا. ولقب الكلاب كان يطلقه بنو إسرائيل على الكافرين لأنهم ضالون ضلال الكلاب في الطرقات. فلما أظهرت المرأة إيمانها ساواها مع المؤمنين وشفى ابنتها بإذن الله تعالى. ويوضح ذلك رواية مرقس التي سيذكرها المؤلف فيما بعد. وفيها يقول أبو الصبى: «أنا مؤمن».

### دليل من قوله على أن ما يفعله بقوة الله وحوله:

قال مرقس: « قال رجل ليسوع: يا معلم قد جئتك بابنى وبه روح أبكم. حينما أدركه صرعه، وسألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراجه. فقال يسوع: أتونى به. فلما رآه قال لأبيه: منذ كم أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، فتارة يلقيه فى الماء وتاره يطرحه فى النار. فإن استطعت فأعنا وتحن علينا. فقال يسوع: كل شيء يستطيعه المؤمن. فبكى أبو الصبى وقال: أنا مؤمن؛ فأعن ضعف إيماني، فانتهر يسوع الروح وقال: أيها الروح النجس الأبكم الأصم؛ اخرج من الإنسان. فخرج، وصار الصبى كالميت، وأخذ يسوع بيده وأقامه. فقال التلاميذ: لم لم نقدر نحن على إخراجه؟ فقال يسوع: إن هذا الجنس لا يُستطاع إلا بصوم وصلاة. وخرج يسوع من هناك إلى الجليل مستتراً»<sup>(١)</sup>.

قلت: إن قذح اليهود فى هذه الآية. قيل لهم: ألم ترووا لنا أن موت الفجأة وقع فى بنى إسرائيل بغتة. فقتل منهم أربعة عشر ألفاً وسبعمائة رجل. فأمر موسى هارون أن يضع فى المجرمة بخوراً، وقام بين الأموات والأحياء. فأمسك الموت الفاشى عن بعضهم<sup>(٢)</sup> فما الدليل على صحة ما نقلتم من هذه الآية ولعلها زور وكذب ومين وإفك؟ فإذا قالوا: قد ثبت أن الناقلين لهذه الآية انتهوا فى الكثرة إلى حد استحيل منهم التواطؤ على الكذب. قيل لهم: وكذلك آية المسيح نقلها من استحيل تواطؤهم على الباطل؛ فاستوت الحال.

وإن زعم النصارى أن ذلك يصلح للدلالة على ربوبيته. قيل لهم: لا تتعرضوا للاستدلال بهذه القصة على ربوبية المسيح ألبتة، فهى من إحدى الشواهد على عبوديته. **وبيانه من وجوه:**

**أحدها:** قوله لأبى الصبى: «منذ كم أصابه الجنى» فإن ذلك مشعرٌ بعدم علمه بالزمن الذى علقه الجنى فيه، إذ لو كان ربه وإلهه - كما يزعم النصارى - لكان هو الذى ابتلاه ولما علقه الجنى دون إذنه وعلمه. فعدم علمه بالوقت الذى لبسه فيه؛

(١) مرقس ١ : ١٧ +

(٢) العدد ١٦

دليل على عبوديته. إذ الغيب لا يعلمه إلا الله الواحد - جل وعلا - وقد مضى نظائر ذلك. إذ قد سُئل عن يوم القيامة فقال: «لا أعلمها ولا يعلمها إلا الله الواحد»<sup>(١)</sup>.

**والثاني:** قوله «كل شيء يستطيعه المؤمن» أراد إنما يصدر منه من شفاء المرضى وسائر الآيات إنما كانت لإيمانه بالله واهب القوى، وما حى أثر الداء بالدواء.

**والثالث:** قوله للتلاميذ: «إن هذا الجنس لا يُستطاع إلا بصوم وصلاة» يدل على أن المسيح تقدم في الصوم والصلاة والعبادة إلى حد أربى فيه على غيره من عبيد الله.

وفى بقية الفصل ما دل على خوف أشوع وتواريه، وعجزه عن مقاومة مناوئيه. وهو أنه بعد قيام الفتى من صرعته، خرج إلى الجليل فاراً من ساعته. والكلمة الأزلية لا تعورها نقائص البشرية.



### كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح؛

قال مرقس: «خرج يسوع وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كبير؛ فأبرأ

(١) اعلم: أن المسيح عيسى عليه السلام تكلم عن انتهاء ملك بنى إسرائيل في فلسطين والأمم، ونسخ التوراة - وعبر عن نسخ التوراة بهدم هيكل سليمان - على يد «ابن الإنسان» الذى هو بلسانهم محمد رسول الله ﷺ وذكر علامات تحدث في العالم من قبل إتيانه. وقد لغا النصارى فى كلامه هذا بقولهم إنه يتكلم عن انتهاء الحياة الدنيا وقيام القيامة. وسرى قولهم هذا فى المسلمين. وقال المسيح عيسى عليه السلام إنه من بعد حدوث هذه العلامات. سيظهر «المسيح الرئيس» الذى هو بلسانهم محمد ﷺ وقد لغا النصارى فى قوله هذا بقولهم إن «المسيح الرئيس» هو عيسى نفسه فى مجيئه الثانى المتزامن مع يوم القيامة. وقال المسيح عيسى عليه السلام: إن انتهاء ملك بنى إسرائيل ونسخ شريعتهم سيكونان بحرب شديدة فى أرض فلسطين تشب بين أتباع محمد ﷺ وبين اليهود وسينتصر فيها أتباع محمد على اليهود. وقال المسيح: إن ساعة هذه المعركة لا يعلمها إلا الله وحده وستكون هذه الساعة بغتة. والنص على هذه الساعة موجود فى الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، وفى الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل لوقا وفى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى. وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

أعلاهم. فجعلوا يزدحمون عليه، ويقولون: أنت هو ابن الله؛ فكان ينهاهم ويتتهرهم<sup>(١)</sup>.

قلت: اعلم أن هذا الكلام لو كان إيماناً من قائله؛ لم ينهه المسيح. وكيف ينهى عنه، وإنما جاء لنشر الدين، وبث الحق اليقين. والأمر بالكتمان ينافي الإعلان بالإيمان؟ فلو أن قول أهل زمانه «أنت ابن الله» توحيد لم ينههم عن التوحيد، لكنه إنما نهاهم لمخالفة نص الإنجيل. إذ قال فيه لوقا: «إن المسيح هو ابن داود» و«إن الرب يجلسه على كرسى أبيه داود»<sup>(٢)</sup> وذلك بشهادة جبريل عليه السلام. وإذا كان المسيح إنما هو ابن داود؛ فكيف لا ينهاهم عن قول ما لا يحسن قوله؟ فإن قال النصارى: إنما نهاهم خوفاً من اليهود أن يفتنوا به، إذ كانوا يرومون قتله.

قلنا: ألم ترعوا أنه إنما تعنى ونزل إلى الأرض؛ ليقتل إثارة لكم وتخليصاً من العذاب الذي ورطكم فيه آدم بتعاطى الخطيئة؟ أفترونه ندم على ذلك؟ فهو يستتر ويتوارى خوفاً من القتل؟ أفنصفونه بالبذاء والجهل بعواقب الأمور؟ لقد كاد الله هذه العقول، وحاد بها عن سواء السبيل.

### نوع منه آخر:

قال لوقا: «كان كل من له مريض يجيء به إلى يسوع. فيضع يده عليه فيبرأ. فيقولون له: أنت ابن الله، فكان لا يتتهرهم، ولا يدعهم ينطقون بهذا» انظر رحمك الله - إلى انتهار المسيح من ينطق بلفظة النبوة ليعلم أن النصارى اليوم معرضون عن إنجيله، سالكون غير سبيله. فقد شهد لوقا بمثل ما شهد به مرقس. فإن زعموا أنه إنما نهاهم خشية اليهود. قيل لهم: لو كان ذلك كذلك؛ لما أكثر من

(١) المؤلف غير مدرك لمعنى «ابن الله» ههنا. والمعنى المراد: هو أن النبي الامى الآتى على مثال موسى. وهو محمد رسول الله. كان اليهود يطلقون عليه لقب «ابن الله» من نبوة المزمور الثانى عليه. فلما الصق الاميون هذا اللقب بعيسى عليه السلام بين لهم أنه ليس هو «ابن الله» النبي الامى الآتى اثنتى ١٨ : ١٥ - ٢٢} واتتهرهم لكيلا يقولوا عنه: إنه هو. واتتهرهم أيضاً على اعتقادهم فيه أنه هو «المسيح الرئيس» النبي الامى الآتى - بلسانهم - وبين لهم أنه ليس هو «مرقس ٣ : ١١» «فاجاب بطرس وقال له: أنت المسيح. فانتهرهم كى لا يقولوا لاحد عنه» «مرقس ٨ : ٣٩» .

(٢) لوقا ٤ والنهى هو على أن «ابن الله» لقب للنبي المنتظر، ويريدون وضع اللقب عليه.

فعل الآيات. وفي فعلها وإظهارها ما يوجب شهرته وظهوره. فلما أكثر من المعجزات وأشاع فعلها؛ دل على كذبكم في أنه نهاهم خشية أن يفتنوا به. بل إنما نهاهم لنص الإنجيل وبيان جبريل، حيث يقول: إن يسوع هو ابن داود. فلذلك لم يرضَ منهم بهذا الإطلاق. وقد قال متى في إنجيله: «هذا ميلاد أيشوع المسيح ابن داود بن إبراهيم»<sup>(١)</sup> فشهد - وهو الصادق عندهم - أن أبا المسيح هو داود<sup>(٢)</sup>، وذلك رد على من زعم من النصارى أنه ابن الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فإن قيل: ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره. إذ سلمتم أنه مولود من غير أب، فكيف توردون علينا بنوة داود؟ وإذا كنتم لا تقولون بذلك؛ فقد سلم لنا مرادنا.

قلنا: النسبة نسبتان: نسبة تعريف ونسبة تشريف. فالأولى: هي نسبة الإنسان من والده الذى هو أصله. والثانية: هي نسبه من والده الذى هو أصل أصله. فالمسيح منسوب إلى داود النسبة الثانية - التى هي نسبة تشريف - وهى كنسبة داود إلى إبراهيم.

ثم إن مريم أم المسيح من نسل داود<sup>(٣)</sup>. وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وإذا كان المسيح بن داود بهذه النسبة؛ بطل ما ذهبتم إليه من

(١) متى ١ : ١ .

(٢) المحرف هو الذى نسبه إلى داود. وهو من جهة أمه إلى هارون عليه السلام.

(٣) الدليل على أن مريم أم المسيح من نسل هارون كما قال القرآن الكريم هو: ١ - «كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا، من فرقة أيا. وامراته من بنات هارون، واسمها أليصابات» [لو ١ : ٥] فقد بين أن مريم من نسل هارون وأنها متزوجة من هارونى هو نبى الله زكريا عليه السلام. الذى هو من فرقة أيا. إحدى فرق الهارونيين. ٢ - «فقال مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ أجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظلك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهوذا أليصابات نسيتك هى أيضاً حبلى بابن فى شيخوختها... الخ» [لو ١ : ٢٤] + قوله «يدعى ابن الله» تحريف؛ لأن لقب «ابن الله» هذا هو لقب من ألقاب النبى الأسمى الآتى على مثال موسى [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢] والمحرف يريد وضعه على عيسى عليه السلام. وقوله إن أليصابات نسيبة لمريم يدل على أن مريم هارونية؛ لأن النسب هو القرابة. وإذا ثبتت قرابتها لها ثبت أنها من نفس سبطها. ويدل على ذلك: ٣ - فى سفر العدد: «وكل بنت ورثت نصيبها من أسباط بنى إسرائيل؛ تكون =



الضلال وانتحال المحال .

فإن قيل: إن كان قد روى مرقس ولوقا - من أصحابه - نهيهِ من ينطق بلفظ النبوة . فقد قال هو: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم» .

قلنا فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه<sup>(١)</sup>، إذ لو كان صحيحاً لم يختلفوا فيه، وإذا كان بعض الإنجيل يقول إن المسيح بن داود، وبعضه يقول: لا، بل هو ابن يوسف، وبعضه يقول: بل هو ابن الله؛ لم تحصل الثقة بقول واحد لا سيما والمسيح يقول: «إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم» ويقول في زعمكم «إلهي إلهي لم تركتني؟» فالمسيح يقول: إن الله إلهه وربّه، وأنتم تقولون: لا، بل هو ابنه . لقد تباعد ما بينكم وبين المسيح .

### مسألة:

زعم النصارى: أين أيشوع إنما جاءهم لينصرهم على اليهود، ويطلع عليهم بالثالوث شمس السعود .

فيقال لهم: يا عبّاد الرجال وربّات الرجال . إن كان الأمر على ما تصفون؛ فقد كان يقضى أمره على السن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة . والخلائق مقبلون على أنبيائهم، إقبالهم على آبائهم وأبنائهم . فما الذي دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع، وعزّه المنيع . إلى حضيض النصب، ومقرّ الآفات والوصب . فيولج بطن امرأة من إمانه، ويمكث برحمها . منغمساً في المشيمة، على حال ذميمة . ثم ولدته وأرضعته وفصلته وأدبته . فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها . وترددت به إلى الأعياد والمواسم، وأرته الشعائر والمعالم . ولم تزل تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوّف إلى حنكة الرجولية وتطلع .

= امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها؛ لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب أباه . فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر، بل يلازم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه {عد ٣٦ : ٨ - ٩} .  
(١) قول المؤلف فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه يؤيد ما ذهبنا إليه وهو أن النهي عن اللقب الخاص النبي المنتظر .

فلما شرع فيما جاء له من نُصرتكم؛ وثب عليه اليهود فكذبوا فمه، وأهدروا دمه. وأقصوه وشردوه، وكذروا عليه روح الحياة ونكّدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه. فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار، وعوّل على معقل الاستتار في الحذار. وتقدم إلى أصحابه ألا يذكره، وأن يببالغوا في طي أمره فلا ينشروه بل ينكروه. ولم يزل ذلك حاله واليهود تُنقّب عليه، وترشى من يرشدها إليه. حتى دلّ عليه صاحبه «يهوذا»<sup>(١)</sup> وساق إليه من أعدائه جمعاً كثيفاً، وأنزل به من الذعر خطباً منيفاً. فأنشبو فيه مخاليب الضراب، وأمطروا شآبيب العذاب، وسحبوه على شوك السفا والسباب. وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود ممتهناً، يرون أقبح ما يأتونه إليه حُسنًا. فلما بلغوا من إهانته المراد؛ مضوا به إلى بقعة من الأرض. تزعمُ النصارى أنه دحأها والزموه حمل خشبة قالوا: إنه أنبت لَحَاحًا. وألبسوه أثوابًا كان قد صنع ورَسها، وأصهره شمسًا هو الذي أسخن مسها. فسألهم شربة من الماء الذي فجّره، حين وقفت نفسه لدى الخنجرة. فضنوا عليه بذلك، وعوّضوه الخلّ مما هنالك. فلما تضافرت عليه فوق جزعه الدواهي، أعلن بقوله: «إلهي إلهي» وصار بين اللصوص ثلاثة الأثافي. وعوّض عن بلوغ المنى بالمنافي. ثم زهقت نفسه، وفتح رسمه. وصار في صدر الأرض

(١) إن الصلب والقتل متنف عن المسيح وعن يهوذا. بدلائل كثيرة من الأناجيل الأربعة أهمها الاقتباسات المأخوذة من التوراة للدلالة على صلب وقتل كل منهما. وكان يجب على المسلمين وهم يرومون نفى الصلب والقتل عن المسيح أن ينظروا في النص المقتبس من التوراة لهذا الغرض، وسوف يقودهم النظر فيه إلى النصوص المقتبسة عن يهوذا ولكنهم لم يفعلوا. وقد بينت ذلك كله في كتابنا الموسوم باقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة. لاحظ: «ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها؛ لكي يتم ما قيل بالنبي: «اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي القوا قرعة» (متى ٢٧ : ٣٥) من هو النبي القاتل؟ وما هو القول؟ وما مناسبتة ههنا؟ لاحظ: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي. إيلي. لما شبقتي. أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟» (متى ٢٧ : ٤٦) من هو النبي القاتل؟ وما هو القول؟ وما المناسبة؟ ونفس الحال في الكلام عن يهوذا الأسخريوطي. ففي سفر الأعمال: «لأنه مكتوب في سفر المزامير: «لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن» و«ياخذُ آخر» (ع ١ : ٢٠) من هو النبي القاتل للثنتين؟ وماهما النبوءتان؟ وما المناسبة؟

سرّاً مكتوماً، وعاد هذا الإله العظيم عديماً. ولم تمت له ثلاثة أيام في الرخام، قام من ذلك المكان، ورجع إلهاً كما كان. فتلبس الحال الويل، وأدرع الذل العريض الطويل، ولم يؤمن به إلا عصابة هي أقل من قليل.

فما أرى هذا الإله إلا نايل الرأي، فاسد الحس. فطير الفطرة، مشثوم الغرة، منقوص الهمة، مظلم الفكرة. إذ عرض نفسه للمحن، وأثار بين عباده الأحقاد والإحن. فلقد شان الربوبية، وأزال بهجتها. وطمس نورها، وأطلق ألسن السفلة بنقصها وتلبها. حتى لقد شكك كثير منهم في الربوبية، وسهل عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية، وسلّمهم من ربة العبودية بالكلية. فسحقاً سحقاً لإله هذه حكيمته، ومحققاً محققاً لرب هذا تدبيره.

فلو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر المنقطعة عن العمران لا يعرف رباً ولا يقرأ كتباً، ولا يدين بملة عرض عليه دين النصراني. فقيل له: إن لك رباً خلقك وأبدعك، ومن صفته أنه رجل مثلك يبول ويغوط ويبصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسى ويسهر وينام، وسارع مع الأنام الكلام، وأن إنساناً مثله حقد عليه بعض الأمر فضربه وسحبه، ثم قتله وصلبه، بعد أن حطم شعره ولطم نحره؛ فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة وفات. لاستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلاً عن أن يتعبد له. ولأحال تصوره، ولرأى لنفسه عليه فضلاً لا ينكر، ومزية من حقها أن تذكر فتشكر.

### قال المؤلف:

ليس في النصراني من يجحد مما ذكرته في هذا الفصل حرفاً واحداً بل قد مدّوا أعناقهم للذل، وأسلموا آذانهم للخزي، وأنسوا بسماع التوبيخ، واستلنوا ملابس التقريع، فهم يتلون هذا الفصل تلاوة المحجج ويبتهجون به ابتهاج المنجج فالحمد لله الذي حصننا بمعدل العقل عن سلوك هذا المذهب وأنا لنا بدهن الذهن {عدم} حلول هذا الغيب.

## الباب الرابع

### في

### التعريف بمواضع التحريف

نبين - بعون الله - في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه، وتكاذبه وتهافته. ومصادمة بعضه بعضاً؛ ما يشهد معه من وقف عليه: أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم. وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا أصحابه. مثل ما حكوه من صورة الصّلب والقتل واسوداد الشمس وتغيير لون القمر وانشقاق الهيكل. وهذه أمور إنما جرت في زعم النصارى بعد المسيح، فكيف تُجعل من الإنجيل، ولم تسمع من المسيح؟ والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح، وإذا كان ذلك كذلك؛ فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، وعُدت الطمأنينة بنقلته.

وقد قدمنا أنه ليس إنجيلاً واحداً، بل الذي في أيدي النصارى اليوم أربعة أناجيل. جُمع كل إنجيل منها في قطر من أقطار الأرض، بقلم غير قلم الآخر، وتضمّن كل كتاب من الأقاصيص والحكايات ما غفله الكتاب الآخرون مع تسمية الجميع إنجيلاً. وقد ذكر العلماء أن اثنين من هؤلاء العلماء الأربعة وهما مرقس ولوقا لم يكونا من الاثني عشر الحواريين أصحاب المسيح، وإنما أخذوا عن أحد عن المسيح وإذا كان الأمر كذلك، فهذان الإنجيلان ليسا من عند الله. إذ لم يسمعا من لفظ المسيح. والحجة إنما تقوم بكلام الله وكلام رسوله وإجماع أصحاب رسوله.

وقد صرح لوقا في صدر إنجيله بذلك فقال: «إن ناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون، كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة، فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب لك أيها الأخ العزيز ثاوفيلس. لتعرف به حقائق الأمر الذي وعظت بها».

فهذا لوقا قد اعترف أنه لم يلق المسيح ولا خدمه، وأن كتابه الذى ألفه إنما هو تأويلات جمعها مما وعظه به خدام الكلمة.

واعلم: أن هؤلاء الأربعة تولوا النقل عن رجل واحد. فلا بد أن يكون الاختلاف. إما من قبل المنقول عنه، أو من قبل الناقل. وإذا كان المنقول عنه معصوماً؛ تعين الخطأ فى الناقل.

### ١. تكاذب:

قال متى: «من يوسف خطيب مريم - وهو الذى يسمى يوسف النجار - إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة». وقال لوقا: لا. ولكن بينهما أربع وخمسون ولادة. وذلك تكاذب قبيح. ولعل التوريك<sup>(١)</sup> على لوقا أولى؛ لأن متى كان صحابياً ولوقا ليس بصحابي. إلا أنه لا فرق بينهما عند النصارى. وذلك يقضى بانخرام الثقة بهما جميعاً.

قال المؤلف: صواب النسب الذى عدته فى إنجيل متى تسعة وثلاثون رجلاً، وفى إنجيل لوقا خمسة وخمسون رجلاً. وذلك من يوسف خطيب مريم إلى إبراهيم الخليل، بشرط دخول الجدّين يوسف وإبراهيم فى العدد. وقد اختلفا فى الأسماء أيضاً. وذلك زلل ظاهر.

### ٢. موضع آخر:

قال لوقا: «قال جبريل الملك لمريم بالناصره: إنك ستلدن ولداً اسمه يسوع يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب»<sup>(٢)</sup> وأكذبه يوحنا

(١) ليس التوريك على متى ولوقا. وذلك لأن الاصحاحات الاولى ألحقت بعد تحريف النصرانية فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م لغرض هو: أن العبرانيين كانوا يزعمون أن النبى الامى الآتى على مثال موسى أتت ١٨: ١٥ - ٢٢ سيكون من نسل داود، من سبط يهوذا، وكان السامريون يزعمون أنه سيكون من سبط يوسف عليه السلام. فلما اعترف عيسى بأنه سيكون من نسل إسماعيل عليه السلام رأى اليهود العبرانيون تغيير نسب عيسى من هارون إلى داود، ليقتنعوا الاميين منهم أنه هو النبى المنتظر، كما كنا نقول لكم من قبل إنه سيأتى من داود. وتعدلت الاناجيل على هذا الكذب. ولم يتفقوا على نسب. وذلك ليلها العلماء بالاختلاف وينسوهم أصل الموضوع.

(٢) لوقا ١: ٣١ - ٣٣.

وغيره فقال: «حمل يوسع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد فيلاطس، وقد البسوه شهرة الثياب وتوجوه بتاج من الشوك، وصفعوه وسخروا منه. ففاوضه فيلاطس طويلاً. فلم يتكلم فقال له: أما تعلم أن لى عليك سلطاناً، إن شئت صلبتُك وإن شئتُ أطلقتك، فأجابه يسوع: لولا أنك أعطيت ذلك من السماء؛ لم يكن لك عليّ سلطان. ومن أجل ذلك خطيئة الذي أسلمني إليك عظيمة»<sup>(١)</sup>.

وهذا تكاذب قبيح؛ لأن أحدهما يقول: إن يسوع يملك على بنى إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف ذليل.

### ٣. موضع آخر:

قال لوقا: «لما نزل بيسوع الجزع من اليهود؛ ظهر له ملك من السماء»<sup>(٢)</sup> ليقويه. وكان يصلى متوارياً، وصار عرقه كعبيط الدم.

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا، وإذ تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه؛ فتضيع السن وتذهب الفرائض وترفع الأحكام. فإن كان ذلك صحيحاً، فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصح ذلك عندهم لم يؤمن أن يدخل لوقا في الإنجيل أشياء أخر أفضح من هذا. ولعل لوقا قد صدق في نقله، فإن ظهور الملك علامة دالة وأمارة واضحة على رفع المسيح إلى السماء، وصونه عن كيد الأعداء.

(١) يوحنا ١٩ : ١ + وموضع الشاهد من النص هو كما ذكره المؤلف. ولكن المؤلف لم يذكر موضع الشاهد وهو أنه ليس ملكاً وفي رواية لوقا أنه لم يملك. وهذا هو التناقض. وهو مقصود وضعه في الإنجيل. وذلك لأن من أوصاف النبي الأمي المائل لموسى أن يكون ملكاً. وله يسمع اليهود إنت ١٨ : ١٥ - ٢٢} والمحرفون يريدون التشكيك في هذه الصفة وهم ينسبونها زوراً إلى عيسى عليه السلام.

(٢) النص في لوقا ٢٢ ولماذا قال لوقا بظهور الملاك؟ لأن من نبوءات التوراة عن النبي الأمي الآتي وهو محمد رسول الله أن تكون الملائكة في نصرته. والمحرف يريد وضع نبوءة ظهور الملائكة على عيسى في وقت شدته؛ ليوهم الاميين أنه هو النبي المنتظر لا محمد رسول الله ﷺ. ومثل هذا القول في متى ٤ : ١١ «وإذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه» وقد أشار إلى ذلك بولس في الرسالة إلى العبرانيين ١ : ٧ «وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله» ونبوءة ظهور الملائكة لمحمد في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية بحسب النص اليوناني ومزمور ٩٧ : ٧ .

**مناقشة:**

اعلم : أن المسيح عند النصارى عبارة عن لاهوت اتحد بناسوت فصارا بالاتحاد شيئاً واحداً. وإذا كان ذلك كذلك، فظهور الملك ليقوى مَنْ منهما؟ فإن قالوا: ليقوى اللاهوت؛ كان ذلك باطلاً. إذ لا حاجة بالإله إلى مساعدة عبده وتقويته. وإن قالوا: ليقوى الناسوت؛ أبطلوا الاتحاد. إذ لم يبق ناسوت متميز عن لاهوت، حتى يفتقر إلى التقوية والنصرة. ثم ذلك يُشعر بضعف اللاهوت عن تقوية الناسوت المتحد به حتى احتاج إلى التقوية. وكيف يحتاج الإله إلى عبد من عباده ليقويه وكل عباد الله إنما قوتهم بالله - عز وجل - ؟

**٤. موضع آخر:**

ذكر يوحنا - الذى هو أصغر الأربعة سنًا - «أن أول آية أظهرها المسيح؛ تحويل الماء خمراً»<sup>(١)</sup> ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك، وإذا أغفلوا مثل هذه الآية مع شهرتها دلّ ذلك على غفلة عظيمة، وقلة اعتناء بأمر الدين. وإذا كانت لم تصح عنده؛ فترحّجوا من تسطيرها؛ فكيف ثبتت من الإنجيل بقول واحد وشرط ثبوت كلام الله؛ التواتر. وهو النقل من قوم لا تجمعهم رابطة التواطؤ على الكذب.

**٥. موضع آخر:**

ذكر يوحنا هذا «أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان فى وسطه، وأمرهم أن يقتدوا به فى التواضع وترك التكبر»<sup>(٢)</sup> ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، فإن لم تصح عندهم؛ فهو طعن على يوحنا، وإن كان ذلك صحيحاً؛ فهو طعن عليهم.

وكيف يُعدّ ذلك من الإنجيل، والأكابر من التلاميذ لم يعرفوه، ولم يدوّنوه فى أناجيلهم؟ والتوريك على واحد صغير أولى منه على ثلاثة كبار.

(١) يوحنا ١ : ١ + .

(٢) يوحنا ١٣ : ٤ + .

## ٦. موضع آخر في غاية الفساد:

حكوا<sup>(١)</sup>: أن يوحنا هذا قال في الفصل الخامس من إنجيله: «إن يسوع قال: إنى لو كنت أنا الشاهد لنفسي؛ لكنت شهادتى باطلة. ولكن غيرى يشهد لي، فأنا أشهد لنفسى، وأبى أيضاً يشهد لي: أنه أرسلني؛ وقد قالت توراتكم: إن شهادة رجلين صحيحة».

فانظر - رحمك الله - ما أفسد هذا الكلام وأقربه من كلام المجانين وذلك أنهم جعلوا الله رجلاً، وجعلوا شهادته لنفسه تقوم مقام شهادة شاهد بعد قوله: «لو كنت أنا أشهد لنفسى لكنت شهادتى باطلة» والتوراة تقول: إن شهادة شاهدين صحيحة، ولم تقل: إن شهادة الإنسان لنفسه صحيحة.

وإذا كان المسيح وتلاميذه منزهين عن هذا الكلام الفاسد؛ فليرم به جانباً، وليعلم أنه ليس من الإنجيل الحق.

## ٧. موضع آخر:

نقل يوحنا: «أن المسيح مضى إلى المعدانى ليتعمد منه. فقال له المعدانى حين رآه: هذا خروف السله الذى يحمل خطايا العالم. وهو الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدي، وإنه أقوى منى، وإن بيده الرفش، ينقى بيده، فيجمع الحنطة إلى

(١) هذا ليس موضع اختلاف كما فهم المؤلف. وبيان ذلك: أن شهادة الواحد لنفسه أو لغيره مردودة بنص التوراة والقرآن أيضاً. ولذلك قال المسيح: «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً. الذى يشهد لى هو آخر» وهذا كلام صحيح. فمن يشهد للمسيح؟ يشهد له اثنان غيره هما ١ - الله الذى نحل المعجزة محله ٢ - ويحى عليه السلام الذى ثبت نبوته بمعجزاته. ولذلك قال: «أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق» وقال: «والآب نفسه الذى أرسلني؛ يشهد لي» بما يجريه على يدى من معجزات وأراد المحرف «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهى التى تشهد لي» وليس فى الكتب أية نبوءات عنه. وهذا فى الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا. ويقول فى الأصحاح الثامن: «لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلني. وأيضاً: فى ناموسكم مكتوب: «أن شهادة رجلين حق» [١٧: ٦؛ أيضاً ١٩: ١٥] أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذى أرسلني».

وقال عن نفسه: لو فرضنا أنى قلت قولاً ولم آت عليه بدليل. وقتلتم أئتم أقوالاً ولم تأتوا عليها بدليل. فإنى صادق فيما أقول. ذلك قوله: «وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق» وعلل صدقه بقوله: «لأنى أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب» فذلك لا أكذب؛ لأنى أخاف الله وأنتم لا تخافونه.



أهراثة، ويحرق الأتبان بالنار التي تُطفأ»<sup>(١)</sup> .

وخالفه في ذلك متى ولوقا. أما متى فقال: «إن المعمداني حين رأى المسيح قال له: إنني محتاج أن أنصِّغ على يديك، فكيف جئتني تنصِّغ على يدي». «وأنه أرسل بعد ذلك إلى المسيح يقول له: أنت الآتى أو نتظر غيرك». فأما مرقس فلم يذكر شيئاً من ذلك البتة. وهذا تكاذب قبيح، لأن يوحنا جزم أنه هو. ولم يحتج إلى سؤاله، ومتى: ما علم حتى أرسل يسأل المسيح. والآخر أغفل القصة بالجملة. وهذا القدر منقرّ موجب لسوء الظن.

#### ٨ - موضع آخر:

ذكر متى<sup>(٢)</sup>: أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن مأتان وذكر لوقا غير ذلك فقال: «ولما ابتداء أيشوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو يُظن أنه ابن يوسف ابن هالي بن مثثا» وهذا تناقض عجيب.

#### ٩ - موضع آخر:

ذكر متى<sup>(٣)</sup> أن المسيح صُلب وصلب معه لصان. أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وأنهما جميعاً كانا يهزءان بالمسيح مع اليهود ويُعيرانه. وذكر لوقا خلاف ذلك. فذكر أن أحدهما كان يهزأ بالمسيح، والآخر يقول له: أما تتقى الله؟ أما نحن فبعدل جوزينا. وأما هذا اللص فلم يعمل قبيحاً. ثم قال للمسيح: يا سيد اذكرني في ملكوتك<sup>(٤)</sup>. فقال: حقاً إنك تكون معي اليوم في الفردوس.

(١) موضع التحريف في النص هو: أن المعمدان وعيسى عليهما السلام كانا يبشران بمحمد رسول الله معا بقولهما: «توبوا؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» وقال المعمدان عن محمد ﷺ: «يأتى بعدى من هو أقوى مني، الذى لست أهلا أن أنحن وأحل سيور حذائه» وأزاد في رواية متى: «هو سيعمدمكم بالروح القدس ونار، الذى رَفْشَه فى يده، وسينقى يبدره، ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» [متى ٣: ٧ + ولما حرفت الأناجيل فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م كتبوا أن المعمدان كان يعنى بقوله يأتى بعدى؛ عيسى عليه السلام وأنه قتل من أجل خطايا العالم.

ولم يشر مرقس إلى موضع التحريف المكتوب فى يوحنا وحده. ولم يشر متى ولوقا.

(٢) متى ١٥: ١ ولوقا ٣: ٢٣ .

(٣) متى ٢٧ ولوقا ٢٣ .

(٤) الغرض من وضع الملكوت للمسيح: هو اللغو فى نبوة محمد رسول الله لأنه هو صاحب الملكوت. لا المسيح.

وهذا تكذيب لقول متى إنهما جميعا كانا يعيران المسيح ويهزءان به. وأغفل هذه القصة مرقس ويوحنا. ومن المحال أن يحدث مثل هذا في ذلك الوقت، ولا يكون شائعا ذائعا، فإن كان صحيحا فلم تركاه؟ وإن أهمله سهوا؛ لم يؤمن أن يهمل شيئا كثيرا من الإنجيل. ولعلهما لم يصح عندهما. والدليل على عدم صحته: تناقض متى ولوقا فيه؛ فإن اللصين عند متى كافرين بالمسيح، وعند لوقا إن أحدهما كافر والآخر مؤمن. وذلك قبيح جدا.

### ١٠. تكاذب قبيح:

قال لوقا: «قال يسوع للمؤمن به: حقا إنك اليوم معي في الفردوس»<sup>(١)</sup> وأكذبه سائر أصحابه فقالوا: «أقام يسوع بعد هذا القول في الأرض أربعين يوما ثم صعد إلى الجنة»<sup>(٢)</sup> وذلك تكذيب لما نقله لوقا من أنه معه من يومه.

### ١١. تناقض واضح:

قال لوقا: «قال يسوع: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس، ولكن ليُحيي»<sup>(٣)</sup>. وخالفه أصحابه فقالوا: بل قال: «إن ابن الإنسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاما لكن سيفاً ويضرم فيها نارا».

وهذا تناقض وتكاذب لاخفاء به. ونحن ننزه التلاميذ عن هذا التناقض القبيح والنقل غير الصحيح. إذ بعضهم يجعله جاء رحمة للعالمين، والآخرون يقولون. بل جاء نقمة على الخلائق أجمعين.

### ١٢. موضع آخر:

ذكر متى<sup>(٤)</sup>: «إن مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت، ومعها امرأة أخرى، وإذا مَلَكٌ قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا. فليس يسوع ههنا

(١) لوقا ٢٣: ٤٣.

(٢) أعمال ١: ٣.

(٣) لوقا ٩: ٥٦ ومتى ١٠: ٣٤ ومن الممكن إزالة التناقض بأنه لن يأتى ليهلك المؤمنين به، وإنما يأتى ليقتل بسيفه أهل الشرك. ومن هو ابن الإنسان في هذا النص؟

(٤) متى ٢٨ ويوحنا ٢

قد قام من بين الأموات. وهو يسبقكم إلى الجليل. فمضتا مسرعتين. فإذا المسيح قد لقيهما. وقال: «لا بأس عليكما. قولاً لإخوتى ينطلقون إلى الجليل» وخالفه يوحنا فقال: «جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغلّس، فرأت الصخرة وقد رُفعت عن القبر، فأسرعت إلى شمعون الصفا وإلى تلميذ آخر. فقالت لهما: إن المسيح قد أخذ من تيك المقبرة ولا أدري أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر. فرجعا. وجلست مريم تبكى عند القبر. فبينما هي كذلك؛ أطلعت في القبر. فرأت ملكين جالسين - حيث كان يسوع - عليهما ثياب بيض فقالا: ما يبكيك؟ فقالت: أخذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه. فبينما هي كذلك التفتت فرأت المسيح قائما. فلم تعرفه وحسبته حارس البستان. قالت له: بالله إن كنت أخذته فقل لى أين وضعته حتى أذهب إليه. فنادها المسيح: يا مريم. فعرفته وقالت بالعبرانية: ربوني. تفسيره يا معلم. فقال لها: لا تدن مني؛ فإنى لم أصعد بعد. اذهبي إلى إخوتى فقولى: إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. فذهبت وبشرت التلاميذ» .

وهذا نقل يكذب بعضه بعضا، وذلك أن أحدهما يذكر أن الملك هو الذى أرسل مريم إلى التلاميذ، والآخر يذكر أن الذى أرسلها هو المسيح نفسه. وأحدهما يقول: إن ذلك كان عشية السبت، والآخر يقول: لا بل يوم الأحد بغلّس. وأحدهما يحكى عن مريم وحدها، والآخر يحكى عن أخرى معها. والعجب من قبول النصارى قول امرأة واحدة فى مثل هذا الأمر العظيم. وقد جاء على هذا الوجه من الاضطراب. وهذا الفصل حريّ بأن يُسَطَّر فى حكايات المغفلين والعجائز المثكلين.

ويعد - يرحمك الله - فما سمعنا قط برب يُصَفَع ويضرب ويقتل ويصلب ويبكى عليه ويندب ويتردد بين خلقه فى زيّ إنسان، ويشتبه على من رآه بناطور بستان. فلو أن اليهود نصبوا جماعة من المجان على السخرية بدين النصارى والغض منه، ما بلغوا منهم ما بلغوا من أنفسهم. وهذا كما قيل:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

**١٢. موضع آخر:**

قال متى في إنجيله: «إن يوحنا المعمدان أفضل من نبي»<sup>(١)</sup> ثم نسي نفسه فقال بعد ذلك «وكان المعمدانى مثل نبي»<sup>(٢)</sup>.

فليت شعري من فى بنى آدم تسمو رتبته على رتبة النبي حتى يقال: إنه أفضل من نبي؟ هل ذلك إلا من سوء التعبير من سوء الفهم<sup>(٣)</sup>.

**١٤. موضع آخر:**

قال نقلة الإنجيل: «قال يسوع لبطرس: طوبى لك»<sup>(٤)</sup> ثم نقضوا ذلك فقالوا فى آخر القول: «قال يسوع لبطرس هذا: اذهب عنى يا شيطان لا تشككنى؛ لأنك ما تفكر فيما لله، بل فيما للناس»<sup>(٥)</sup>.

فبينما بطرس عنده للطوبى مالكا إذ جعله فى الدركات هالكا.

**١٥. موضع آخر:**

قال نقلة الإنجيل عن لوقا: «أن يسوع جاء ليجلس على كرسى أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد»<sup>(٦)</sup> ثم نقضوا ذلك فقالوا: قال يسوع: إنه ينبغى أن أقتل وأصلب<sup>(٧)</sup>. وهذا غاية التناقض والتكاذب. وكيف يخبر جبريل عن الله: أن المسيح يجلس على كرسى داود، ويملك على أسباط بنى إسرائيل، ويُخلف ذلك فلا يُجرى منه حرف واحد بل يُجرى نقيضه؟ فيردل يسوع ويقهر. ويطاف به مهانا ويُشهر، ويأرق من شدة الفُرق ويسهر، ويقرن مع اللصوص ويسب وينهر، ويقتل ويصلب ويقبر، وينصدع شمل أصحابه بمصابه فلا يجبر. هذا ما لا يصدر عن

(١) متى ٩: ١١ .

(٢) متى ٥: ١٤ .

(٣) هذا الموضع ليس فيه تناقض، لأن الموضع الاول من كلام المسيح نفسه، والموضع الآخر من كلام متى نفسه. فمصدر الكلام مختلف.

(٤) متى ١٦: ١٧ .

(٥) متى ١٦: ٢٣ .

(٦) لوقا ١: ٣٢ - ٣٣ .

(٧) متى ١٧: ٢٢ - ٢٣ .

جهال الكهان، فكيف يصدر من رئيس ملائكة الرحمن؟ ثم العجب من قولهم: إن يسوع جاء ليقتل ويصلب ويهان، لا والله ولا كرامة. ولا ينبغي لمن عنده أدنى مسكة من عقل أن يعرض دابته وكلبه لهذه المحن، فكيف بالإله الذي تقوم السماء والأرض بأمره، ويجرى بتقدير حلو العيش ومره؟ وكيف إذ عزم على هذا الخاطر الرديء، وتنفس بهذا النفس الصّدثي. لم تمنعه التلاميذ ويشيروا عليه بالإضراب عن هذا الرأي الغائل، ويعرفوه أن الخلائق تهلك بهلاكه وتعدم بعدمه؟ ومن الذي يرزق البُغاث في عشه إذ أحمل الإله على نعشه أو يرسى الجبل في أسفه، وقد حُصد الرب في رمسه؟ فإن أجاب إلى الصواب وإلا ربطوه وضبطوه وشددوا عليه في الحجر، واعتقدوا في ذلك الثواب والأجر.

فانظر - رحمك الله - ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التي تمجها الأسماع، وتأباها الطباع.

### ١٦. موضع آخر؛

قال يوحنا في خاتمة إنجيله: «لقد فعل يسوع أمورا كثيرة لو أنها كُتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صفحا مكتوبة»<sup>(١)</sup>.

وهذا - لعمرك - من الكذب الذي لا يتجانبه على البوح به إلا من أنسل من الحجا، واعتزى إلى حماقة ولجا. إذ العالم أوسع أكنافا وأبعد أطرافا من أن يضيق عن أوراق تتضمن معجزات نبي وآيات رسول. وهذا الموضع وشبهه مما يورك على النقلة فيه، وإلا فالحواريون محاشون عندنا عن التفوه بالمحال.

### ١٧. موضع آخر؛

قال يوحنا في الفصل العشرين من إنجيله: «كان التلاميذ مجتمعين في غرفة لهم يتحدثون في قيامة المسيح. فقال توما: لا أؤمن بذلك حتى أرى آثار المسامير في يديه بعيني»<sup>(٢)</sup>.

(١) يوحنا ٢١: ٢٥ والنص كناية عن الكثرة .

(٢) يوحنا ٢٠: ٢٩ + .

ولم يذكر ذلك سوى يوحنا وأغفله الباقون. والإنجيل لا يثبت بخبر واحد، وكيف أغفله الأكابر من التلاميذ وظفر به صبي واحد؟ وإنما النصارى يتعلقون بالقول الضعيف إذا وافق مقصودهم، ونحن بعون الله سنبتل دعواهم فى القتل والصلب بحيث لا يبقى لهم حجة يحتجون بها فى ذلك.

### ١٨. موضع آخر:

صعود المسيح إلى السماء، أغفله يوحنا ومتى فلم يذكرهما وهما من الاثنى عشر. وذكره لوقا ومرقس وليس من الاثنى عشر بل من السبعين. على أنهما قد اختلفا فى ذلك - أعنى لوقا ومرقس - فقد آل مرقس: إن سيدنا أيشوع لما قام كلم تلاميذه تكليما ثم صعد من يومه<sup>(١)</sup> وخالاه فى ذلك لوقا فقال: «إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما»<sup>(٢)</sup> وهذا تكاذب فظيع، واختلاف فاحش شنيع. وما يخرم الثقة بنقلهم قول متى: «قال يسوع: حقا أقول لكم: إن قوماً من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم: أنه قد مضى من حين صدر هذا الكلام ما نيف على ألف عام. ولم يأت فى ملكوته.

فإن قالوا: لم يعن إلا أنه يقوم من بين الأموات،، بعد ثلاث متتابعات. قلنا: إنما قلتسم إنه يأتى فى ملكوته، وأي ملكوت كان له فى اليوم الثالث، ومريم المجدلانية تبكى عليه وتسال من يرشدها، إليه؟ وأي مجد كان له فى ذلك اليوم وهو من سوء الحال يشبه بناطور البستان؟

### ١٩. موضع آخر:

قال متى: «فقال لهم أيشوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبغتمونى فى التجديد؛ متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده؛ تجلسون أنتم أيضا على اثنى

(١) مرقس ١٦ .

(٢) أعمال ١ .

(٣) متى ١٦ والنص كناية عن سرعة مجيء ابن الإنسان الذى هو محمد رسول الله لا كما فهم المؤلف.

عشر كرسيًا، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»<sup>(١)</sup>.

فشهد لكل بالفوز والزعامة في القيامة<sup>(٢)</sup>، ثم نقض ذلك متى وغيره وقال: «مضى واحد من التلاميذ الاثني عشر المشهود لهم. وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة؛ فارتشى على يسوع ثلاثين درهماً، وجاء بالشرط؛ فسلم إليهم أيشوع. فقال أيشوع: الويل له، خير له ألا يولد»<sup>(٣)</sup>.

فانظر - رعاك الله - إلى قبح هذا النقل وشناعة هذه الرواية. هذا راوٍ واحد. بينما يهوذا عنده جالس على كرسي من كراسي المجد، يُحاسب سبطاً من أسباط بني إسرائيل. إذ جعله كافراً فاجراً بائعاً ربه بالثمن البخس، طالعا نجمه بعد السعد بالنحس. وهذا لا يليق بنبي الله المسيح أن يخبر عن رجل بمصيره إلى السعادة والسيادة. ويختاره لحفظ أموال الصدقات، وهو من الكفار في دركات النار. هذا مما يتحاشى عنه النبي، فكيف، يصدر ممن تُعتقد ربوبيته؟

## ٢٠. موضع آخر

قال يوحنا: «قال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إن من يؤمن بي؛ يعمل أفضل من أعمالي»<sup>(٤)</sup> وأكذب ذلك اصحابه فقالوا: «لما أبرأ يسوع المجنون الأبكم قال والد المجنون: لقد سألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراج الجنّي. فقال يسوع: إن هذا لا يُقدر عليه إلا بصوم وعملًا»<sup>(٥)</sup>.

(١) متى ٢٨: ١٩ .

(٢) المؤلف يعتقد أن ذلك في يوم القيامة من الأموات. واعتقاده ينقضه: أن النص في وقت جلوس ابن الإنسان في مجده. فمن هو ابن الإنسان؟ هو محمد ﷺ صاحب ملكوت السموات. والغرض من الكلام هو: أن الذين تبعوا المسيح في تجديده الأمة اليهودية بالشريعة الجديدة الآتية مع النبي الأمي، الملقب من دانيال بابن الإنسان. هؤلاء سيكتبون شهاداتهم أن عيسى قد بلغ رسالة الله وهي اقتراب ظهور محمد والإيمان به في حال ظهوره وترك شريعة موسى. وشهاداتهم ستحل محل وجودهم بالجسد. وهي شهادات تخزي من لا يؤمن به من اليهود. وقد بينا من قبل أن يهوذا لم يصلب ولم يقتل وهم قد قالوا بصلبه وقتله؛ ليطبقوا نبوءتين من نبي راءات التوراة على صلبه وقتله وبذلك يصرّفونهما عن نبي الإسلام محمد ﷺ وهما ١ - مزمر ٦٩ . ٢ - مزمر ١٠٩ .

(٣) متى ١٤: ٢٦ + .

(٤) يوحنا ١٤: ١٢ .

(٥) متى ١٧: ١٤ + والمؤلف قرر شبهة ما كان له أن يقرها وذلك لأن في النص: «ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم» .

فمرة يقول: إنهم يفعلون أفضل من أعماله. وأخرى يقول: إنهم لا يقدرّون على مثل أعماله، مع شهادته لهم بالإيمان والجلوس معه في القيامة على كراسي المجد. وذلك تناقض عظيم، وتكاذب جسيم.

### ٢١. موضع آخر:

قال متى: « قال يسوع لأصحابه: لا تهتموا بما تأكلون وتشربون، فطيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهرام. والله يطعمها» (١). وخالف ذلك الإنجيل فقال: «إذا قمتم إلى الصلاة فقولوا: يا أبانا أعطنا كل يوم خبزنا نأكله» (٢) فالأول ينهى عن الاهتمام بالشراب والطعام، والآخر يقول: كذا ولكنه أمر به. وهذا تكاذب عجيب. فإن الأول نهى محض، والثاني أمر جزم. والأمر بالشيء والنهي عنه من وجه واحد؛ غير معقول.

### ٢٢. تناقض آخر:

قال الرواة: قال أيشوع: «أنا وأبى واحد» (٣) ثم قالوا: قال أيشوع: «إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم» (٤).  
فإن لم يحملوا الأول على التبليغ والسفارة، وإلا تناقضا لا محالة. إذ ذهابه إلى نفسه محال.

### ٢٣. فساد إنجيل يوحنا:

رووا عن يوحنا الإنجيلي أنه قال: «إن الكلمة صارت جسدا وحل فينا» (٥) وهم لا يعنون بالكلمة إلا صفة العلم أو النطق. وذلك محال. إذ يلزمهم أن يكون القديم صار محدثا والأزلي عاد زمنيا، وصار الله عندهم عبارة عن ذات جاهلة

(١) متى ٦: ٢٥ - ٢٦ .

(٢) متى ٩: ٦ وهذا الموضع ليس به تناقض. لأنه ينهى عن الاهتمام بأمور الحياة الدنيا الزائدة عن الحاجة والصارفة إلى حب المال.

(٣) يوحنا ١٠: ٣٠ «أنا والآب واحد» والمعنى مثل «من يطع الرسول فقد أطاع الله» .

(٤) يوحنا ١٧: ٢٠ والمعنى: مثل: «إنى ذاهب إلى ربى سيهدين» .

(٥) يوحنا ١: ١٤



ساكنة خرساء. وتحولت الألوهية للمسيح؛ لأنه ذات كاملة بالعلم والنطق وذلك من النصرارى عزل لله عن الربوبية، وإخراج له عن الألوهية الكلية.

قال المؤلف: لقد كنت أتعجب من قراءتهم فى صلواتهم: «المسيح الإله الصالح الداعى الكل إلى الخلاص» ومن شريعة إيمانهم حيث تقول: «المسيح إله حق». وأقول: من أين جاءت النصرارى بهذه المحنة حتى وقفت على قول يوحنا هذا «إن الكلمة صارت جسدا وحلت فينا» فتحققت أن تلك الصلاة وتلك الشريعة إنما أسست على هذه الكلمة الرذلة.

### ٢٤. فساد المنقول عن يوحنا أيضا:

انفرد يوحنا وحده بفصل ذكره فى صدر إنجيله. وهو فى غاية التهافت والرؤكة فقال: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، والله هو الكلمة»<sup>(١)</sup> وهذا كما ترى مضطرب من جهة لفظه ومعناه.

أما اضطرابه من جهة لفظه: فإن ذلك بمنزلة قول القائل: الكلام عند المتكلم، والمتكلم هو الكلام. والعلم عند العالم، والعالم هو العلم والدينار عند الصيرفى، والصيرفى هو الدينار. وذلك هو الجنون.

وأما اضطرابه من جهة معناه: فإن الكلمة عندهم هى العلم أو النطق. وهى التى أتحدث بالجدس المأخوذ من مريم، فإذا قال يوحنا: إن الله هو الكلمة؛ فقد صرح بأن الأب قد اتحد بالجدس وحلّ فى رحم مريم، وناله القتل والصلب، وتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان. وهذا لا يقول به نصراني. وهو لازم لهم بمقتضى

(١) يقول يوحنا: «فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله. هذا كان فى البدء عند الله» [يو ١: ١ - ٢] وعبر بكان ولم يعبر بكانت لأن الكلمة تدل على إنسان هو «المسيح» النبى الآتى إلى العالم على مثال موسى [تث ١٨: ١٥ - ٢٢] وعبر عن المسيا بالكلمة؛ لأن الله وعد به، ووعدته دلت عليه كلمته. ولما كان الوعد به من قديم الأيام، قال فى البدء كان الكلمة. أى فى قديم الأيام كان وعد الله بإرسال المسيا. وكلمة الوعد كانت عند الله فى صحف الأعمال من قبل أن يظهر المسيا أو النبى الملقب بالكلمة نحو الله. أى متجه فى دعوته إلى الله. فهو والله يريدان هدفا واحدا مشتركا هو إنقاذ العالم من الشيطان. وهذا هو معنى «وكان الكلمة الله» وفى سفر إشعياء فى الأصحاح الأربعين: «وأما كلمة إلها؛ فتبثت إلى الأبد» [إش ٤٠: ٨] أى وعده بإرسال محمد ﷺ إلى العالم.

مارووا عن يوحنا: أن الله هو الكلمة .

ومما يُرَدُّ به قول يوحنا هذا: تصريح المسيح في عدة مواضع من الإنجيل بأنه نبي وأنه رسول ومعلم وأن الله نبأه وأرسله، وأنه لا يعلم الغيب والقيامة. وذلك كله بخلاف قول يوحنا «إن الله هو الكلمة» .

## ٢٥. ومن اللعب البديع:

قول يوحنا: <sup>(١)</sup> «قال يسوع لتلاميذه: إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي؛ فلا

(١) إن المؤلف نهد النص بحسب الظاهر. والظاهر غير المراد. وإنما المراد المعنى المجازي. وبيان ذلك:

١ - أن المائة السداوية التي طلبها الحواريون. بعدما أكلوا وشبعوا؛ جمعوا وملأوا انتى عشرة قفّة من الكسر. وقالوا: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم» المكتوب عنه في سفر التثنية وقد رد عليهم المسيح بأنه ليس هو وذلك بيزنصرافه إلى الجبل وحده. لأن من أوصاف النبي الآتى أن يكون ملكا. ورفضه الملك دليل على أنه ليس هو.

٢ - وبعد أيام بحث الحواريون وجموع من اليهود عن المسيح. فقال لهم: «أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية. الذى يعطيكم ابن الإنسان» يقصد المعنى المجازى وهو تقبل تعاليم ابن الإنسان الآتى والعمل بها. وابن الإنسان هو لقب لمحمد ﷺ في سفر دانيال. لأن تعاليمه تحمى الروح، كما أن الخبز يحيى الجسد.

٣ - وقال الحواريون: «أباؤنا أكلوا المنّ في البرية في سيناء. وقد سماه داود في سفر الزبور: «خبز السماء» أو «برّ السماء» فأعطانا من خبز السماء [مزمر ٧٨: ٢٤] كما أعطانا نبي الله موسى. ورد عليهم بأن العاطى هو الله وليس هو موسى. وهو يعطى خبزا للجسد، وخبزا للروح فيه حياة للعالم. فقالوا له: نريد خبز الروح. فقال لهم: أنا هو خبز الروح. خبز الحياة «من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي؛ فلا يعطش أبدا» يعنى من يؤمن بتعاليمه فتعاليمه فيها الشفاء وفيها الحياة. فقالوا له: وما هى تعاليمك؟ فأجاب بقوله: «إن كل من يرى الابن، ويؤمن به؛ تكون له حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم الأخير» من هو الابن؟ وما هو المراد باليوم الأخير؟ لقد تنبأ داود في المزمور الثانى عن محمد ﷺ بلقب «ابن الله» حسب لسان بنى إسرائيل. والمسيح يقول: إن كل من يرى الابن. أى يعلم به ويؤمن به في حال ظهوره ويعمل بشريعته؛ فستكون له حياة طيبة وشهادته عنه المدونة في الأناجيل المأثورة عني، تعرف مرید الإيمان به أنه هو، في اليوم الأخير لشريعة موسى، وهو نفسه اليوم الأول لشريعة النبي الملقب بالابن. والإنجيلى في وقت ظهوره يحل محلى في التعريف به. فكانتى أنا الذى أقمته وأصلحت شأنه.

٤ - وعندئذ تذر علماء اليهود واستاءوا من المسيح لكلامه عن النبي الامى الآتى؛ لأنهم يريدونه من بنى إسرائيل. ولما تذرهم واستاءوا، احتج عليهم بالتوراة بنبوة تدل على أنه سيأتى من بنى إسماعيل. وهى نبوة العاقر في الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعيا. ولم يذكر النص بتمامه، وإنما ذكر منه آية تدل على غرضه، وتحيل النص فقال «لا تذرهم فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الأب الذى أرسلني، وأن أقمه في اليوم الأخير إنه مكتوب في الانبياء: «ويكون الجميع متعلمين من الله» ليرى ٤٣٠٦ - ٤٥٠ ما معنى مكتوب في الانبياء؟ وما هو المكتوب في الانبياء؟ يقصد أسفار الانبياء الذين أتوا =

حياة لكم؛ لأن جسدي مأكّل حق، ودمي مشرب حق. ومن يأكل جسدي،

«من بعد موسى عليه السلام. والنص المشار إليه في سفر إشعياء. وهم عرفوا أنه سفر إشعياء من الآية التي ذكرها، وهي: «ويكون الجميع متعلمين من الله» وهي موجودة في سفر إشعياء. وترجمتها: «وكلّ بنيك تلاميذ الرب» [إش ٥٤: ١٣] ولماذا ذكرها من النص كله؟ لأن شريعة التوراة كان يقوم بها سبط معين. وفي الشريعة الجديدة سيكون كل فرد من المسلمين إماما. ومعنى هذا: انتهاء الطقوس الدينية على يد النبي الملقب بابن الإنسان وبالابن في هذا النص.

٥ - وفرق المسيح بين طعام الجسد وطعام الروح فقال: إن طعام الجسد يعقبه موت الجسد. أما طعام الروح فيعقبه حياة إلى الأبد «أنا هو خبز الحياة أباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء؛ لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت».

٦ - ثم عبر بأسلوب الكناية عن التّفاني في الحب بقوله: أنا أدعو الناس إلى النبي الآتي، وأحبه. ودليل حبي له: أنني أقبل الإهانة من كارهيه وأنا أريد من القابل لدعوتي أن يكون مثلي في حبه. كأنه أنا. وكأنني هو. بمقدار أن تتحول نحن الاثنين إلى جسد واحد. إما جسده وإما جسدي. فإن كان جسده؛ فكانه قد أكل جسدي، وصيّره فيه. وإن كان جسدي؛ فكانني قد أكلت جسده، وصيّرتُه فيّ. وقد عبر عن هذا المعنى في مواضع كثيرة. منها قول الرب تعالى: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحد. كما أنك أنت أيها الأب فيّ، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضا واحد فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا، كما أننا نحن واحد. وأنا فيهم وأنت فيّ؛ ليكونوا مكملين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني» [يو ١٧: ٢٠ - ٢٣].

٧ - ثم خاطب الحوارين بقوله: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه؛ فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي؛ فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» لاحظ: أنه يتكلم عن اثنين ١ - ابن الإنسان ٢ - وهو .

أي ليس هو ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات. ولاحظ: أن الذي سيقم مريد الإيمان بالنبي الأُمّي الأتّي هو الإنجيل الحال محل المسيح. وأن الإقامة ستكون في حال ظهوره في اليوم الأخير لبركة إسحق، وهو اليوم الأول لبركة إسماعيل.

والغرض من أكل الجسد: هو الكناية عن الحب الشديد. لدرجة أن تكون إرادتهما واحدة، وهدفهما واحداً. كالمرید امام شيخه أو كالميت بين يدي غاسله - كما يقول المتصوفة .

٨ - ولما أدرك السامعون غرضه. وهو غرض يغضب اليهود منهم. وغضبهم سيؤدى إلى منع رزق وحرب واضطهاد وتقريب ونفي. صعب على كثيرين منهم أن ينضموا إليه في الدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ وانصرفوا «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الورا، ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للاثنى عشر: ألعلكم أتم أيضا تريدون أن تمضوا؟ فأجابهم سمعان بطرس: يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» [يو ٦: ٦٦ - ٦٨] أي ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ .

٩ - ومحرف الإنجيل أراد على هذا الكلام قوله: «ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» وليس عيسى هو «المسيح المنتظر» وليس عيسى هو «ابن الله» وذلك لأنهما لقبان خاصان بالنبي الأُمّي الأتّي إلى العالم، وليس هو.

ويشرب دمي؛ يثبت فيّ وأثبت فيه. فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا: ما أصعبها، من يطيق استماعها؟ فرجع كثير منهم عن صحبته» .

قلت: الكلام على الشيء بالرد والقبول؛ فرع كونه معقولاً. وهذا الكلام لو أراد البليغ أن يوجهه؛ لأفضى به الحال إلى المحال. فيكفينا في الرد عليه، مجرد تسطيره. والكلام على الشيء الركيك؛ لا يجيئ إلا ركيكاً.

وإذا كان في الأنايب خُلف وقع الطيشُ في صدور الصُّعاد

وكيف لا يرجع العقلاء عن صحبة أيشوع. وهو يقول في الكلام المتقدم على هذا: إن الله هو الكلمة والكلمة صارت جسداً؟ وإذا كان الأمر كذلك؛ فكيف يأمرهم بأكل ذلك الجسد وشرب دمه؟

ولا شك أن العقلاء من النصارى اليوم لو جمعوا بين قول يوحنا أولاً، وقوله آخراً؛ لرجعوا أيضاً كما رجع عن يسوع. إذ يجتمع من الكلامين: أكل جسد الله القديم الأزلي، وشرب دمه. ومن الذي يسمع ذلك؛ فلا يقضى على قائله بالجنون أو المجنون؟

### فساد المنقول عن فولس؛

قال في رسالته وهو يبحث على التواضع والتودد: «لا ينظرون أحدكم إلى نفسه دون صاحبه. لكن ليعُدَّ صاحبه أفضل منه. واقتدوا بيسوع المسيح الذي كان شبه الله وعدل الله. كيف أخفى نفسه، وأخذ شبه العبد، وألقى نفسه في زى إنسان وشكله حتى مات وصلب»<sup>(١)</sup> .

فبينما المسيح - عنده - مشابه للإله ومعادل له، إذ حُكم عليه بالذل والإهانة والقتل والصلب. وذلك غاية الجهل والحمق. وإلا فأى حاجة بالإله الخالق البارئ إلى تلبسه بهذه الأمور؟ وما الذي اضطره إلى ذلك؟ تعالى عن هذا الهذيان.

(١) فيلي ٢: ٤ - ٨

### ٢٦. موضع آخر من التكاذب:

قال متى: «كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب»<sup>(١)</sup> وأكذبه الآخرون<sup>(٢)</sup> فقالوا: «كان طعام يوحنا هذا الجراد وعسل البر»<sup>(٣)</sup> وهذا من أقبح الكذب<sup>(٤)</sup>.

### ٢٧. موضع آخر:

قال يوحنا الإنجيلي: «قال أيشوع: أنا هو الراعى الصالح وأنا عارف برعيتي وهى تعرفني»<sup>(٥)</sup> وأكذب نفسه فقال: «قال المعمداني حين رأى أيشوع: هذ خروف الله»<sup>(٦)</sup> وقال مرة أخرى: «هذا حمل الله»<sup>(٧)</sup>.

فهو يجعل المسيح خروفاً ثم يقول: لا. ولكنه راع للخروف، فيا لله العجب، هلا قال المعمداني حين رأى المسيح: هذا هو الله، أو هذا ابن الله أو هذا مسكن الله؟

والنصارى تقول: إن المعمداني إنما جاء شاهداً للمسيح، والمسيح يقول فى إنجيله: «لم تقم النساء عن رجل أفضل من المعمداني هذا»<sup>(٨)</sup> فكيف يجوز من مثل المعمداني أن يسمى المسيح خروفاً وحماً، ويثبت له مالكا هو الله تعالى؟ وتدعى النصارى أنها أعرف بالله من نبيه يحيى بن زكريا وأعلم بما يجب له؛ فكيف استجازوا خلافه، وسلكوا فى المسيح مذهباً غير مذهبه، وطريقاً سوى طريقه؟ فقالوا تارة: المسيح هو الله، وأخرى قالوا: هو بيت الله ومسكنه؟ قالوا فى شريعة إيمانهم: «المسيح إله حق، بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء» وقالوا فى صلواتهم: «يا ربنا المسيح لا تضيع من خلقت بيدك» وهذا كله بخلاف شهادة

(١) متى ١١: ١٨ .

(٢) كان يجب أن يقول وأكذب متى نفسه .

(٣) متى ٣: ٤ .

(٤) يمكن الجمع بأنه لا يأكل ولا يشرب كسائر المحيين لأجسادهم .

(٥) يوحنا ١٠: ١٤ .

(٦) رؤيا يوحنا ١٥: ١٣ .

(٧) يوحنا ١: ٢٩ .

(٨) متى ١١: ١١ .

يوحنا له؛ لأن يوحنا شهد أن المسيح عبدٌ لله وأن الله مالكة، وقال حين رآه: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدى وإنه أقوى منى، وأنى لا أستحق أن أحل معقد خفه»<sup>(١)</sup> وهذا يدل على مساواته المسيح؛ لأن الرجل الفاضل المتقى قد يذكر ذلك لمن هو دونه فى الفضل، تواضعا لله تعالى وفراراً من تزكية النفس. وقد يكون القائل أفضل من المقول له. وهذا واضح. وإلا فيوحنا هذا أكبر من المسيح سناً، وأقدمهم تعميداً ولقد عمدَّ المسيح فيمن عمدَّ، وامتلأ من روح القدس وهو فى البطن، ونبأ الله أباه زكريا ببركته. يشهد بجميع ذلك الإنجيل<sup>(٢)</sup>. وذلك كله يخصم النصارى فى دعوى ربوبية المسيح، ويفسد عليهم الأمانة التى ادعوها فى إثبات ألوهيته.

### ٢٨. موضع آخر:

قالت النصارى: قال داود فى مزمور له: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني»<sup>(٣)</sup> قالوا: فقد سمى داودُ المسيحَ ربه.

قلنا: فقد حكيتم لنا عن إنجيل لوقا أنه قال: «قال جبريل لمريم: إنك ستلدن ابناً اسمه أيشوع يُجلسه الله على كرسى أبيه داود» فإن كان النقل الأول صحيحاً فالثانى باطلاً، وإن كان الأول باطلاً فالثانى صحيحاً، وإذا كان فى النصارى من يتدبر ذلك قبل تسطيره، فإنه قد صار سبة عليهم آخر الدهر.

### ٢٩. موضع آخر:

قالوا: قال متى: «قام المسيح من الموتى مساء يوم السبت» وخالفه أصحابه فقالوا: «ما قام إلا صبيحة يوم الأحد بغلس» وذلك مما يخرم الثقة بأصل الخبر. وسأوضح ذلك إن شاء الله إذا انتهيت إلى بابه.

وفى خبر قيامة المسيح ما هو أنكر من هذا. وهو أن متى يقول: «إن اليهود

(١) يوحنا ١: ٣٠ + .

(٢) الأصحاح الأول من إنجيل لوقا .

(٣) المزمور المائة والعاشر وهو «قال الرب لربي: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك، فى زينة مقدسة. من رحم الفجر لك ظل حدائك... إلخ»

سألوا المسيح أن يريهم آية. فقال: إن يونس أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. وكذلك ابن الإنسان يكون في بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ مثلما أقام يونس<sup>(١)</sup> ثم لم يصححوا هذا الخبر. إذ رووا كلهم أنه صلب في الساعة التاسعة من يوم الجمعة<sup>(٢)</sup>، ثم أنزل ودفن مساء من يومه. فمنهم من زعم أنه قام يوم السبت مساء، ومنهم من قال: قام صبيحة الأحد مغلسا. فإذا لم يُقم في بطن الأرض سوى يوم واحد وليلة أو ليلتين. على الرواية الأخرى.

والنصارى قد يقرءون هذا الفصل في كل سنة في آخر سبت في الصوم. وهو السبت الذي يكون في صبيحته الفطير، فيقرأ القارئ الفصل المذكور ثلاث مرات وهو يقول: «الآن وفي هذا الوقت قام المسيح من بين الموتى» وهذا كما نرى نقل مضطرب. على أنا لو أضفنا لهم يوم الصلب وهو يوم الجمعة أيضا؛ لم يحصل الوفاء بالثلاثة الأيام والثلاث الليالي. ومن لم يكن عنده من اللب ما يعرف به هذا الخطأ مع وضوحه؛ لم يتعجب من قبوله لكل مستحيل.

= النص العبراني هو: «قال يهوذا لأدوناي...» أي قال الله لسيدي. وسيد داود هو محمد ﷺ وليس هو المسيح عليه السلام. ومعنى اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك: أي لكن معي وأنا أنصرك على أعدائك... إلخ وقد حاج به عيسى علماء اليهود. فقال لهم: أنتم تعتقدون أن المسيح المنتظر الذي هو محمد بلسانهم سيأتي من نسل داود. فكيف يأتي من نسله وهو يقول إنه سيده، والابن مهما علا قدره لا يكون سيده لأبيه؟ ثم استدل على أنه سيكون من نسل إسماعيل بأدلة من التوراة ذكرها برنابا. وهذا هو نص الحجاج من إنجيل متى: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك» فإن كان داود يدعو ربا؛ فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بته» [متى ٢٢: ٤١ - ٤٦] وقال المسيح ساعة المحاكمة كما هو مكتوب: «من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحب السماء» [متى ٢٦: ٦٤] يقصد بجالس على يمين القوة الصفة التي وضعها داود على محمد في هذا الزمور، ويقصد بآت على سحب السماء: نبوة دانيال ٧: ١٣ - ١٤.

(١) متى ١٢: ٣٩ - ٤٠.

(٢) في إنجيل متى: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي، إيلي. لم شبعوني. أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟... وأسلم الروح» [متى ٢٧: ٤٦+] وفي إنجيل يوحنا: «وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر والظلام باق» [يو ٢٠: ١] والمراد بالساعة التاسعة من بدء النهار.

**٣٠. موضع آخر:**

قال المصلوب لأحد اللصين: «حقاً إنك اليوم تكون معي في الفردوس»<sup>(١)</sup> فحكم بأنه يوم الجمعة يكون معه في الجنة. وذلك مناقض لما روى لوقا إذ قال: «إن المسيح لم يصعد من الأرض إلا بعد أربعين يوماً»<sup>(٢)</sup> وإذا كان قد مكث في الأرض أربعين يوماً قبل الصعود فقد بطل قوله: إنه معه يوم الصلب في الفردوس.

**٣١. موضع آخر:**

قال متي: «لما حمل يسوع إلى فيلاطس القائد قال: أى شر عمل هذا؟ فصرخ اليهود وقالوا: يُصلب يصلب. فلما رأى القائد عزمهم، وأنه لا ينفع فيهم شيء؛ أخذ ماء وغسل يده. وقال: أنا برىء من دم هذا الصديق وأنتم أبصر»<sup>(٣)</sup>. وأكذب ذلك يوحنا فقال: «لما حمل يسوع إلى فيلاطس القائد قال لليهود: ما تريدون؟ قالوا: يصلب. فضرب يسوع ثم سلمه إليهم»<sup>(٤)</sup>.

فانظر يا أخى - أسعدك الله بقربه، وعصمك من الشيطان وحزبه - ما أقبح هذا التكاذب، وأوضح هذا التناقض. أحد التلميذين يقول: إن القائد أثنى على يسوع وغسل يده. والآخر يقول: كلا ولكن جَلَّده.

**٣٢. موضع آخر:**

قال يوحنا: «لما حمل يسوع إلى رئيس الكهنة قيافا موثقاً؛ سأله مستخبراً عن حاله فيصيح يسوع: أنا كلّمتم العالم علانية. أنا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل، حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلّم بشيء. لماذا تسألني أنا؟ أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هم ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا. ولما قال هذا قام إليه رجل من الشرط فلطم يسوع على خده الأيمن وقال: أهكذا تجاوب

(١) لوقا ٢٣: ٤٣.

(٢) أعمال ١: ٣.

(٣) متي ٢٧: ٢٢.

(٤) يوحنا ١٨: ٣٨.



عظيم الكهنة؟ فقال له أيشوع: إن كنت قلتُ رديا فاشهد بالردى، وإن كنت قلت جيدا فلم تضريني»<sup>(١)</sup> وهذا خلاف ما قال لوقا إذ قال: إن جبريل أخبر عن الله تعالى أن يسوع يكون ملك بنى إسرائيل، ولم يقل إنه يُحمل فى الكبول والقيود إلى اليهود.

### ٣٣. موضع آخر:

قال لوقا: «قال جبريل لمريم وهو يبشرها: إنك ستلدين ولدا تسمينه يسوع يجلس على كرسى داود ويملك على بيت يعقوب» فأخبر عن الله بتملكه على بيت أبيه داود. وأكذب ذلك يوحنا فقال: لما حُمل يسوع إلى بيلاطس قال له: «أنت ملك اليهود؟ فقال أيشوع: أمن عندك قلت هذا أم حكى لك عني»<sup>(٢)</sup> وهذا تكاذب قبيح. إذ لوقا جعله ملك إسرائيل، والآخر وسمه بِسْمَةِ ذليل.

قال المؤلف: التحقيق عندنا: أن هذا جواب الشبه. ألا تراه كيف ورى فى الجواب، وقد كان الشبه شرى نفسه من الله، وأثر المسيح بمهجته. وأنت إذا تتبعته ذلك؛ اتضح لك أن المأخوذ المصلوب هو الذى شُبه بالمسيح لا المسيح. وستزيده وضوحا إن شاء الله.

### ٣٤. ومما تفرد به يوحنا دون أصحابه:

قال يوحنا: «لما صُلب أيشوع واللصان معه. قال اليهود: هذا يوم الجمعة وغدا السبت. ولا تبقى هذه الأجساد على الصُلب. وسألوه أن يتقدّم بكسر أسوقهم، فمضى الشرط ففعلوا ذلك باللصين، وانتهوا إلى يسوع. فوجدوه قد مات. فلم يكسروا ساقيه، بل جاء رجل من الجند بحربة فقطعنه فى جنبه الأيمن فخرج من جرحه ماء ودم»<sup>(٣)</sup> وأغفل الباقون ذلك. فلم يُخبروا به، وإذ تركوه لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه. ولعلمهم استضعفوا أصل الخبر فأضربوا عن نقل تفاصيله.

(١) يوحنا ١٨: ١٩ .

(٢) يوحنا ١٨: ٣٣ + .

(٣) يوحنا ١٩: ٣١ + .

**٣٥. قال ابن رئين:**

وكان من أذكيائهم فأسلم على يد المتوكل ورد عليهم وعلى اليهود وغيرهم بكتاب له حسن - : أن متى أسقط من نسب المسيح ثلاثة آباء غلطا، وأن لوقا آزاد في نسب المسيح أبا. واعترف بذلك المفسقان مفسرهم وقال: هذا غلط وقع في الإنجيل. فاستحيا من ذلك بعض علمائهم وقال: إن هذا الغلط في الإنجيل؛ لأنه كُتب بروح القدس ولكنه من التوراة والكتب العتيقة. وذلك باطل. فإن كان الإنجيل قد حضر كتابته روح القدس. فالتوراة وسائر النبوات كذلك.

**٣٦. تناقض إنجيل لوقا نفسه:**

قال لوقا: قال جبريل لمريم القول المتقدم في تمليك يسوع على بنى إسرائيل وجلسه على كرسى داود. ثم أكذب متى فقال: «جاء الجبأة من قبل قيصر إلى بطرس فقالوا: ما بال معلمكم لا يؤدي الغرم؟ فذكر بطرس ذلك ليسوع فقال: يا بطرس والبنون أيضا تؤدي الغرم؟ ثم قال له: امض إلى البحر، وألق الصنارة فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تؤدي عنى وعنك» (١).

انظر - رحمك الله - أي قبيح هذا التناقض؟ هذا راو واحد لإنجيل واحد بينما أيشوع عنده ملك بنى إسرائيل وجالس على كرسى داود بشهادة جبريل إذ نسي القصة فجعله ضعيفا مسكينا تحت جزية لتظهر آيته في تناول الذهب أو الورق من فم الحوت. قلنا: إنما مرادنا أنه أظهر كذبكم وأخلف قولكم ونقلكم عن جبريل، وأن أيشوع لم يملك ولم يجلس ولم يُطلق. وعلى أن ذلك لا ينفع فى إثبات ربوبيته. وما أحسن ربا يلتزم الذلّة والصغار، ويبدل الجزية ليقوى بها الفجار!!

**٣٧. تكاذب إنجيل متى:**

قال متى فى صدر إنجيله: «هذا مولد يسوع المسيح بن داود» فشهد بأن داود أبوه، ثم قال بعده بورقة: «لما خطب يوسف مريم فقبل أن يعرفها ووجدت حبلى من روح القدس، وكان يوسف صديقا؛ فلم يرد أن يشهرها وهم بتخليتها

(١) متى ١٧: ٢٤ + .

سراً. فظهر له المَلَكُ فى الرؤيا وقال له: يا يوسف لا تخف من إمساك خطييتك؛ فإن الذى تلده من روح القدس، وستلد ابنا ويدعى يسوع»<sup>(١)</sup>.  
 وذلك تكاذب قبيح؛ لأنه إن صدق فى خبره الأول، كذب لا محالة فى الثانى.

### ٢٨. موضع آخر:

قال لوقا: «لما انطلقوا بأيشوع ليصلبوه وجدوا سمعان القرونيانى فحملوا عليه الصليب ليحملة، وجعل النسوة خلف أيشوع يبكين فالتفت إليهن وقال: يا بنات اورشليم لا تبكين عليّ وابكين على أولادكن. ليأتينّ عليكن زمان تقولون: طوبى للبطون العواقر التى لا يلدن والأيدى التى لا تُرضع، إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب، فكيف يصنعون بالعود اليابس»<sup>(٢)</sup>. وخالفه يوحنا فقال: «مضى يسوع ليصلب وهو حامل صليبه إلى موضع يسمى الجمجمة حيث صلبوه»<sup>(٣)</sup>.  
 وخالفهما مرقس فزاد فى القصة ونقص وقال: «أخذوا سمعان وهو أبو الكسندروس»<sup>(٤)</sup> وخالفهما متى فقال: «وجدوا إنسانا فسخرّوه لحمل الصليب»<sup>(٥)</sup>.  
 فلوقا يقول: حملوا الصليب على سمعان القرونيانى وطولّ القصة. ويوحنا يقول: ما حمل الصليب إلا يسوع نفسه. ومرقس اختصر القصة جداً وسمى والد حامل الصليب. ومتّى يقول: سخرّوا رجلاً لحمل خشبته.  
 فهذه قصة لطيفة تناقضوا فيها هذا التناقض، فما ظنك بالمطولات. واعلم: أن هذه الأمور تزعم النصارى أنها جرت بعد المسيح، ولم تُسمع من المسيح فكيف عدّوها من الإنجيل؟

قال المؤلف عفا الله عنه: قوله «يا بنات اورشليم...» إلى آخره

(١) وجه التكاذب: أنه قال ابن داود ثم قال: إنه مولود بقوة الله. أى لا أب له. لا داود ولا غيره!.

(٢) لوقا ٢٣: ٢٦ + .

(٣) يوحنا ١٩: ١٦ - ١٧ .

(٤) مرقس ١٥: ٢٠ - ٢١ .

(٥) متى ٢٧: ٣٢ - ٣٣ .

هو كلام الشَّبه إلا ترى إلى قوله «إذا كان هذا فعلهم بالعود الرطب» ولو كان على ما يزعم النصارى لقال: إذا كان هذا فعلهم بالابن الذي قدَّسه الله وأرسله إلى العالم، كما تقدم في قوله لليهود غير مرة.

فقوله «يا بنات أورشليم...» يكذب النصارى في دعوى قتل المسيح وصلبه، ولأنهم يقولون في شريعة إيمانهم: «إن المسيح إله حق من إله حق وإن بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء» وإذا كان الأمر كما قالوا؛ فليس هو قائل: «يا بنات أورشليم» بل غيره، ولأن المسيح جاء في زعم النصارى لخلاص العالم. وأقل درجات مخلص العالم أن يُخلَّص نفسه، فكيف يحسن القول بعطبه وقتله وصلبه؟

### ٣٩. وانفرد لوقا بفصل لم يشاركه أصحابه في نقله؛

قال لوقا: «لما ولد المسيح وضعت أمه مقموطا في معلف من مذاود الدواب وكان هناك رعاة يرعون أغنامهم» قال: «فنظر الرعاة إلى الملائكة قد نزلوا إليهم وبشروهم فقالوا: نبشركم ببشارة عامة لأهل العالم كله. إنه ولد الليلة لكم مخلص ومنج وهو أيشوع المسيح الرب»<sup>(١)</sup>.

وهذه قصة لم يذكرها سوى لوقا. وانفراده بها يوجب سوء الظن به فيها. مع أن فيها ما يقضى بردها وهو بشرى الملائكة للعالم بأسره بأن يسوع مخلصهم ومنجيهم. وذلك بمطلقه يقضى بأن الهنود والصين والترك والسودان واليهود وفرعون ونمرود وسائر طوائف الكفار وعباد الأنداد من الخشب والحجارة قد خلصوا ونجوا بمولد هذا المسيح، وبطلت الخطيئة بمجيئه.

وهذا القول مع قباحته مردود بنص الإنجيل إذ يقول فيه: «إني أقيم الناس يوم القيامة عن يميني وعن شمالي فأقول لأهل اليمين: فعلتم بي كذا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم بي كذا فاذهبوا إلى الجحيم». ثم إخبار هؤلاء الملائكة للرعاة يُوجب مسرة العالم بمولد أيشوع. إذ كان فيه خلاصهم ونجاتهم، ومعلوم أن اليهود وأكثر هذه الطوائف لم يسروا بمولده. ثم هذه الرواية التي رواها

(١) لوقا ٢: ٦ + .

لوقا من كون المسيح مخلصا للعالم؛ معارضة بقول المسيح: «إني لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل»<sup>(١)</sup> «فإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء وإنما يحتاج إليه المرضى»<sup>(٢)</sup> وإذا كان المسيح نفسه قد قال: إنه لم يُرسل إلى العالم، بل إلى من ضلّ من بني إسرائيل، فلا يعولّ على ما قاله ونقله لوقا. وما أحسن إلهاً يُستر بخرق الثياب، ويشتمل عليه معالف الدواب.

#### ٤٠. تناقض واضح، وتعارض فاضح؛

قال لوقا: «قال يسوع: من ليس له سيف فليبع ثيابه وليشتر به سيفاً»<sup>(٣)</sup> وهذا أمر حزم. وذلك مردود بأقوال أصحابه إذ قالوا: «قال يسوع: لا تقابلوا الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل له الآخر. ومن أراد أخذ ثوبك؛ فزده رداءك. ومن سخرك ميلاً؛ فامش معه ميلين»<sup>(٤)</sup> - «ولما كان ليلة الفزع جرّد شمعون الصفا - من أصحابه - سيفه فانتهره وقال: رده إلى غمده»<sup>(٥)</sup>.

فإن كان أحد النقلين صحيحاً، فالآخر كذباً قطعاً، ونسخ الإنجيل بعضه ببعض عندهم لا يجوز.

#### ٤١. ومن التكاذب؛

قال متى: «لما ذهبوا بأيشوع جرّد واحد من أصحابه سيفاً وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فقال له يسوع: أردد سيفك إلى غمده. فإن كل من أخذ بالسيف يهلك»<sup>(٦)</sup>.

انظر إلى هذا التصادم البديع والتهافت الفصيح. لوقا يقول: إن المسيح يحث على شراء السيوف لهذا المهم قبل أن يُسلم، والآخر يقول: بل نهى صاحب السيف وعنته، والثالث، يقول: بل إنه لصق أذن المضروب. وبالسلامة شنفه.

(١) متى ٢٤: ١٥ . (٢) متى ١٢: ٩ .

(٣) لوقا ٢٢: ٣٦ . (٤) متى ٥: ٣٩ + .

(٥) متى ٥١: ٢٦ + واعلم أن كلام المسيح في التسامح هو في داخل مدن اليهود حيث العدل مفقود. وفي حمل السلاح هو في قتال الأمم؛ لأنه مصدق للتوراة. وفيها الأمر بقتال الكافرين ليسلموا. وفي القرآن عن هذا الأمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

(٦) متى ٥١: ٢٦ + .

قال المؤلف: قوله «كل من أخذ بالسيف؛ يهلك»<sup>(١)</sup> فاسد من جملة منظوقه ومفهومه، إذ ذلك يقضى أن يكون كل من أخذ بالسيف قتل، فكل من لا يأخذ بالسيف لا يقتل، وكلاهما فاسد. فكيف يزعم النصارى أن يسوع قُتل وصلب ونكّل به، مع أنه لم يأخذ بالسيف؟ فهذا الكلام من المسيح عليه السلام من أقوى الشهود على عصمته مما افتراه النصارى عليه من القتل والصلب؛ لأنه لم يأخذ إلا ما آتاه الله كما قال في إنجيله عن المعمداني: «إن العبد لن يأخذ إلا ما أعطاه الله من السماء»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤٢. تفرد لوقا:

قال لوقا: «قال الرب: سمعان سمعان. هوذا الشيطان يسأل أن يغربلكم كما تغربل الخنطة»<sup>(٣)</sup>.

قلت: قد أجب الشيطان إلى سؤاله. فغربلهم بغرباله، وسربلهم بسرباله، وخذعهم بأباطيله. واعتقدوا المحال، ودانوا بالعبادة للنساء والرجال. فالحمد لله الذى عصم من كيده، وقصم أحبولة صيده. وفي هذا الكلام ما يقضى أن للحواريين مزية على المسيح إذ يقول فى الإنجيل: «إن إبليس سحب أيشوع معه من مكان إلى مكان. وقال له: اسجد لى وأعطيك الدنيا بما فيها»<sup>(٤)</sup> فالشيطان يشاور المسيح ويقول له: اسجد لى، ويسأل ويضرع أن يغربل الحواريين وهذا يدل على أن الشيطان أهيب لهم منه للمسيح.

#### ٤٣. ومن التكاذب:

قول يسوع: «لا تحقروا أحدا من هؤلاء الصغار المؤمنين؛ فإن ملائكتهم فى كل حين ينظرون وجه الله الذى فى السموات»<sup>(٥)</sup> ثم أكذب ذلك فقال: «الله لم يره أحد قط»<sup>(٦)</sup> وقال أيضا: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد قط إلا مات»<sup>(٧)</sup>.

(٢) يوحنا ٣: ٢٧ .

(٤) سبق هذا الموضع .

(٦) يوحنا ١: ١٨ .

(١) مقصد المسيح على الباغى تدور الدوائر .

(٣) لوقا ٢٢: ٣١ .

(٥) متى ١٨: ١٠ .

(٧) راجع هذا النص فى إنجيل برنابا .

**٤٤. ومما تفرد به لوقا:**

قال لوقا: «لما قطعت أذن العبد لمسها يسوع؛ فأبرأها وأنكر على صاحبه فعله»<sup>(١)</sup>، ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، ولم يسمَّ صاحب السيف أحدٌ من الجماعة سوى يوحنا فقال: هو شمعون الصفا<sup>(٢)</sup>.

**٤٥. ومما تفرد به مرقس:**

قال مرقس: «لما أخذوا يسوع وذهبوا به؛ تبعه شاب واحد على غُريه إزار فتعلقوا به، فترك إزاره لهم وذهب عريانا»<sup>(٣)</sup> ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة.

**٤٦. ومما تفرد به لوقا:**

قال لوقا: «لما رأى الذين مع يسوع ما كان؛ قالوا: يا رب نضرب بالسيف»<sup>(٤)</sup> لم ينقل هذا الاستئذان سواء وأغفله الباقون.

**٤٧. ومما تفرد به يوحنا:**

قال يوحنا: «كان اسم العبد ملخس»<sup>(٥)</sup> ولم يذكره ذلك سواء.

**٤٨. ومما تفرد به يوحنا:**

فصول «الفار قليط» فلم ينقلها سواء وأغفلها الباقون، فلم يذكروا منها حرفاً، وذلك يقضى بالمطاعن عليهم. فلو وجدنا مصحفاً من مصاحف المسلمين قد أسقط منه سورة لأنكرنا على فاعله، فكيف أن يهملها الكافة ويثبتها واحد؟!

**٤٩. ومما قالوا إن متى سها فيه:**

قوله: «إن يوسف صار بالمسيح إلى قرية يقال لها الناصرة؛ ليتم قول النبي القائل: إن المسيح يدعى ناصرياً»<sup>(٦)</sup> قال العلماء: ليس لذلك ذكر فى نبوة من النبوات ألبتة.

(١) لوقا ٢٢: ٥٠ . (٢) يوحنا ١٨: ١٠ .

(٣) مرقس ١٤: ٥١ . (٤) لوقا ٢٢: ٤٩ .

(٥) يوحنا ١٨: ١٠ .

(٦) متى ٢: ٢٣ وكما قال المؤلف إن هذه النبوة غير مذكورة فى التوراة. ويلزم على عدم ذكرها ١ - إما كذب متى - أعنى محرف الإنجيل - ٢ - وإما أن اليهود لما رأوها فى الإنجيل أسقطوها من التوراة ليظهروا النصارى بمظهر الكاذبين. والصحيح هو الأول. لأسباب ذكرناها فى كتابنا اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة.

### ٥٠. وكذلك قوله. أعنى متى. في الفصل الأول:

«إن يوسف ومريم هربا بالمسيح إلى مصر؛ خوفا من هيرودس؛ ليتم ما قيل في نبوة النبي القائل: من مصر دعوت ابني»<sup>(١)</sup>. قالوا: ليس لهاتين النبوتين صحة. فما هما إلا عنقاء مغرب.

### ٥١. حكاية الجحش والأتان، وما اشتملت عليه من السخف والهذيان، والزيادة والنقصان:

قال متى: «لما قرب أيشوع من أورشليم أرسل اثنين من تلاميذه وقال: اذهبا إلى القرية التي أمامكما. فإنكما تجدان أتاناً وجحشا لم يُركب. مربوطين. فحلاهما وأتاني بهما، فإن قيل لكما شيء؛ فقولا: الرب يحتاج إليهما. وهو يرسلها للوقت. فذهب التلميذان وفعلا ذلك، ووضعوا الثياب عليهما، وركب أيشوع وفُرشت له الثياب في الطريق، وفرش آخرون أغصان الشجر، فلما دخل يسوع أورشليم ارتجت له المدينة فقال الناس: هذا أيشوع النبي الذي من الناصرة الجليل»<sup>(١)</sup>.

وقال مرقس: «لما قرب أيشوع من أورشليم أرسل من تلاميذه رجلين وقال: امضيا فإنكما تجدان جحشا مربوطا» وكذلك قال لوقا<sup>(٢)</sup>. فأما يوحنا فقال: «إن أيشوع وجد حماراً فركبه»<sup>(٣)</sup> ولم يذكر سوى ذلك.

فمتى يقول: أتاناً وجحشا. وذكر خطبة طويلة، ومرقس ولوقا لم يذكر سوى الجحش لا غير. ويوحنا لم يذكرهما ألبتة بل قال: إنه وجد حماراً فركبه. ولم يذكر الثلاثة إرساله إلى أصحاب المركوب واستئذنانهم وفرش الثياب وأغصان الشجر،

(١) متى ١٤: ٢ «من مصر دعوت ابني» ومحرف إيجيل متى اقتبسها من سفر هوشع، وحرف كلمة «أبناء» بالجمع إلى «ابني» بالمفرد. والمعنى: أن الله أحب أبناء يعقوب وأخرجهم من أرض مصر، ولكنهم نسوا نعمته وعبدوا الأصنام {هوشع ١١: ١} ومحرف سفر هوشع كتب ابني، ونسى ما بعده وهو: «كل ما دعوهم ذهبوا من أمامهم يذبحون للبعليم... إلخ».

(٢) متى ١: ٢١ + .

(٣) مرقس ١١: ١ - ٨ - ولوقا ١٩: ٣٣ .

(٣) يوحنا ١٢: ١٤ .



ودخول المدينة وارتجاجها لدخوله، وشهادة الناس له بأنه النبي الذي جاء من الناصرة. وما أحسن ربا يفتقر إلى ركوب الحمير، وإلها يغتذى بالخمير والخمير. ما أخلق هذه المواضع من الإنجيل ليضحكوا الناس من دين النصرانية، ثم تناقلها النصرارى بالغفلة وحسن الظن، المانعين عن النظر في مقابح الكلام.

### ٥٢. موضع آخر من التكذيب الشنيع:

قول إنجيلهم: «قال أيشوع: ما جئت إلا لأخلص من كان ضالاً»<sup>(١)</sup> ثم أكذب ذلك فقال: «ما جئت لألقى على الأرض سلامة لكن سيفاً وأضرم بها ناراً»<sup>(٢)</sup>.

### ٥٣. موضع آخر من التكاذب الشنيع<sup>(٣)</sup>:

قال فولوس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس. إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب: «ملعون كل من علّق على خشبة» لتعميم بركة إبراهيم للأمم في المسيح أيشوع؛ لتنال بالإيمان موعد الروح»<sup>(٤)</sup>.

يشير بالمكتوب إلى ما في سفر التثنية وهو: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت. فقتل وعلّقه على خشبة؛ فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله»<sup>(٥)</sup>. فلم يكفه ادعاؤه صلب المسيح حتى لعنه صريحا، وهب أنه اعتقد بفساد عقله صلب المسيح، فمن أين له أن كل مصلوب ملعون؟ وقد صُلب من أولياء الله وأصفياه جماعة وليس الملعون إلا من فعل بهم ذلك.

### فساد عقل أفرام:

قال أفرام - من قدماء النصرارى - : إن اليدين التي جبلت طينة آدم هي التي

(١) متى ١٨: ١١ .

(٢) متى ١٠: ٣٤ + .

(٣) موضع ٥٣ من وضع المحقق؛ لأن كلام المؤلف يبدأ من «فلم يكفه ادعاؤه... إلخ».

(٤) الأصحاح الثالث من رسالة بولس إلى أهل غلاطية - الآية الثالثة عشرة وما بعدها.

(٥) التثنية ٢١: ٢٢ - ٢٣ .

سُمِّرت على الصليب، والشَّبر التي مسحت السموات هي التي علقت على الخشبة.

وذلك خطأ بإجماع عقلاء النصارى؛ لأن الذي علَّق على الصليب إنما هو الجسد المأخوذ من مريم، وأين كانت هذه الأجساد الإنسانية يوم خُمِّرت طينة آدم ويوم قُدِّرت السموات والأرض؟ هل ذلك إلا جهل وضلال وغلو في عبادة الرجال؟

فهذا - رحمك الله - كتاب قد تلاعبت به بُنيات الطرق وتزاحمت به أيدي الفرق. ووُكِّد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كل زمان. قال المؤلف عفا الله عنه برحمته:

لقد رأيت على حاشية نسخة من نسخ الإنجيل على فصل من فصوله ما مثاله: ليس هذا الفصل في أناجيل القبطى ولا بعض أناجيل الرومي، فاستدللت بذلك على أن علوم القوم تفرقتها أيادي سبا، وعصفت عليها رياح التبديل، فأصارتها كالهباء، كما أخبر عن ذلك الكتاب العزيز. إذ يقول: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أى يميلون بالأحكام عن مواضعها، ويسلكون بها غير سننها، ويجرونها سوى مجاريها.

والفصل المشار إليه هو «أن الكتبة والفريسيين قدّموا إلى أيشوع امرأة وُجِدَت في زنا فأقاموها في الجمع وقالوا له: يا معلم إن هذه المرأة وجدناها تزني. وفي ناموس موسى يجب عليها الرجم. فما تقول أنت؟ وإنما قالوا ذلك ليجدوا عليه حجة. فأطرق يسوع ينكت الأرض بإصبعه، ثم رفع رأسه وقال: مَنْ منكم بغير خطيئة فليرجمها أولاً بحجر؟ ثم أطرق ينكت الأرض فلما سمعوا مقالته؛ خرجوا بأسرهم. وبقي أيشوع وحده والمرأة قائمة. فرفع أيشوع رأسه إليها وقال: يا امرأة أين أولئك الذين أدانوك؟ قالت: ما أرى منهم أحداً. فقال أيشوع: ولا أنا أيضاً أدينك. اذهبي الآن ولا تعودى إلى الخطيئة». .  
ألا ترى أنهم كتموا ذلك وغيروا حكمه.

ولقد مرّوا على رسول الله ﷺ بيهوديين قد زنيا وحمما وطيف بهما . فاستدعاهم ﷺ واستدعى التوراة وأمر بعض أجبّارهم بقراءتها . فوضع الجريدة على آية الرجم ، وقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك - أى عدو الله - فرفع يده عنها فإذا آية الرجم تلوح فقراها عبد الله على رسول الله ﷺ فقال عليه السلام : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : ثقلت علينا . فصرنا إذا زنى الشريف منا حَمَمناه وأطفناه ، وإذا زنى الضعيف والخامل ؛ أقمنا عليه الحد . فقال عليه السلام : « أشهد أنى عبد الله ورسوله » ثم أمر بهما فرجما .

فإن قيل : كيف أسقط المسيح عنها الحد والتوراة والكتاب العزيز شاهدان بوجوب الحد على الزاني ؟

قلنا : القوم الذين جاءوا بالمرأة وشهدوا عليها بالزنا كانوا كفارا ؛ فلم يقبل شهادتهم المسيح . والدليل على كفرهم : قوله « إنهم جاءوا متعبين له شاكين فى نبوته مع ظهور أعلامها » وإنما أتوا بالمرأة ليجدوا عليه حجة . كما ذكر الفصل المشار إليه . وإذا كانوا إنما أتوا طالبين غرته ملتسمين عثرته . وهو نبي الله الكريم عليه ؛ فكيف يقبل شهادتهم ؟ وأما المرأة فلم تقر عنده بالزنا ، ولم تعترف به ، والحد لا يثبت إلا بحجة معتبرة . وهى إما شهادة جازمة ، أو إقرار صحيح والكافر مردود القول .

والله أعلم .

## الباب الخامس

### في أن المسيح عليه السلام وإن قصد

#### وطلب، فما قتل وما صلب

نورد هذا الفصل على نصّه؛ لتقفوا عليه، وتعجبوا من هذه النقائص التي نسبها النصارى إلى المسيح، مع قولهم بربوبيته، واعتقادهم أنه خالق السماء والأرض، وجامع الناس ليوم العرّض.

قال النصارى <sup>(١)</sup>: «بينما يسوع جالس مع تلاميذه ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان، إذا جاء يهوذا الإسخريوطى أحد الاثنى عشر، ومعه جماعة، معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة، ومشايخ الشعب. وقد قال لهم يهوذا: «الرجل الذي أقبله هو هو. فأمسكوه» ثم جاء يهوذا وقال: السلام عليك يا معلم، ثم قبله. فقال يسوع: «الهدا جئت يا صاحب؟» فوضعوا أيديهم عليه، وربطوه. فتركه التلاميذ كلهم وهربوا. فقال أيشوع: «مثل ما يفعل باللصوص خرجتم إليّ بالسيوف والعصي، وأنا عندكم في الهيكل كل يوم أعلم فلم تعرضوا لي، ولكن هذه ساعة سلطان الظلمة» فذهبوا به إلى رئيس الكهنة حيث يجتمع الشيوخ وتبعه بطرس من بعيد ودخل معه الدار ليلاً وجلس ناحية منها متنكراً؛ ليرى ما يؤول أمره إليه. فالتمس المشايخ على أيشوع شهادة ليقتلوه بها. فجاء جماعة من شهود الزور، ثم تقدم منهم اثنان فشهدوا أن أيشوع قال: أنا أقدر أنقض هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيام. فقال له الرئيس: أما تجيب عن نفسك بشيء؟ فسكت أيشوع. فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحي: «أنت المسيح؟» فقال له المسيح: «أنت قلت ذلك. وأنا أقول لكم: إنكم من الآن ترون ابن الإنسان حين ترونه جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء» فلما سمع رئيس الكهنة ذلك شقّ ثيابه. وقال: ما حاجتنا إلى شهادة هوذا.

(١) المؤلف لخص الموضوع من الأناجيل الأربعة.

قد سمعتم تجديفه، ماذا ترون في أمره؟ فقالوا: هذا مستوجب الموت. فحيثذ بصقوا في وجهه ولطموه وضربوه وهزءوا به جدا، وجعلوا يلطمونه، ويقولون له: بَيْنَ لَنَا أَيُّهَا الْمَسِيحُ مِنْ لَطْمِكَ. ولما كان من الغد أسلموه لِفِلَاطُسِ القائد. فتصايح الشعب بأسره وقال: يصلب يصلب. فتخرج فيلاطس من قتله وقال: أيُّ شَيْءٍ فعل هذا؟ فقال الشيوخ: دمه علينا وعلى أولادنا.

فحيثذ ساقه جند القائد إلى الأبروطورون<sup>(١)</sup> واجتمع عليه الشعب، ونزعوا ثيابه وألبسوه لباساً أحمر وضفروا إكليلاً من الشوك، وتركوه على رأسه، وجعلوا في يده قصبية، ثم جثوا على ركبهم يهزءون به ويقولون: السلام عليك يا ملك اليهود. وشرعوا يبصقون عليه ويضربونه في رأسه. ثم ذهبوا به وهو يحمل صليبه إلى موضع يعرف بالجمجمة فصلبوه. وسمروا يديه على الخشبية. وسألهم شربة ماء فأعطوه خَلاً مذاًباً بمرّ فذاقه ولم يسغه ونادى على الخشبية: «إلهي إلهي لم خذلتني»<sup>(٢)</sup> وجلس الشرط فاقسموا ثيابه بينهم بالقرعة، وجعلوا عند رأسه لوحاً مكتوباً: «هذا يسوع ملك اليهود» استهزاءً به. ثم جاءوا بلصين فجعلوهما عن يمينه وشماله تحقيراً له. وكان اليهود يقولون له: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك. إن كنت ابن الله - كما تقول - انزل عن الصليب.

وقال اليهود: هذا يزعم أنه خلص غيره، فكيف لم يقدر على خلاص نفسه؟ إن كان متوكلاً على الله؛ فهو ينبغيه مما هو فيه. ولم كان ست ساعات من نهار الجمعة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع وهو على الصليب بصوت عظيم فقال: «ألوي ألوي لما شبقتني» تفسيره: إلهي إلهي لم تركتني؟ فأخذ اليهود أسفنجة فيها خلّ ورفعها أحدهم إلى قصبية وسقاه. وقال آخر منهم: دعوه حتى نرى من يخلصه. فصرخ يسوع وأمال رأسه وأسلم الروح.

فانشق جدار الهيكل، وتزلزلت الأرض، وانشقت الصخور، وتفتحت القبور،

(١) «فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية».

(٢) «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلي إيلي لم شبقتني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

وقام كثير من القديسين من قبورهم؛ فدخلوا المدينة المقدسة، وظهروا للناس. ولما كان المساء جاء رجل من الرامة يسمى يوسف؛ فسأل القائد جسد أيشوع فأمر له به. فلفه يوسف بلفائف نقية، وتركه في قبر كان قد نحته في صخرة. ثم جعل على باب القبر حجرا عظيما. وجاء مشايخ اليهود من الغد الذي بعد الجمعة إلى فيلاطس القائد فقالوا: يا سيد ذكرنا أن ذاك الضال كان قد قال لتلاميذه: أنا أقوم بعد ثلاثة أيام، فلو أمرت من يغلق القبر ويحرسه حتى تمضى المدة؛ كيلا يأتي تلاميذه ويسرقونه، ثم يشيعون في الشعب أنه قد قام؛ فتكون الضالة الثانية شراً من الأولى. فقال لهم القائد. اذهبوا وسدّوا عليه وحرسوا كما تريدون. فمضوا وفعلوا ما أرادوا.

وفى عشية يوم السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم رفيقتها لتنظران إلى القبر. وفى إنجيل يوحنا<sup>(١)</sup>: إنما جاءت مريم يوم الأحد بغلس، وإذا ملك قد نزل من السماء برجة عظيمة فألقى الحجر عن القبر، وجلس عنده، وعليه ثياب بيض كالبرق، فكاد الحراس يموتون من هيئته. ثم قال للمرأتين: لا تخافا قد علمت أنكما جئتما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا إنه قد قام. تعاليا فانظرا إلى المكان الذى كان فيه الرب، واذهبا وقولا لتلاميذه: إنه يسبقكم إلى الجليل. فمضتا وأخبرتتا التلاميذ. ودخل الحراس وأخبروا رؤساء الكهنة الخبر، فقالوا: لا تنطقوا بهذا وارشومهم بفضة على كتمان القضية. فقبلوها منهم، وأشاعوا أن تلاميذه جاءوا وسرقوه. ومهدت المشايخ عذرهم عند القائد.

ومضى الأحد عشر تلميذا إلى الجليل، وقد شك بعضهم، وجاءهم يسوع وكلمهم، وقال لهم: «اذهبوا فعمدوا كل الأمم، وعلموهم ما أوصيتكم به. وهوذا أنا معكم إلى انقضاء الدهر»<sup>(٢)</sup>.

قال المؤلف عفا الله عنه: أول ما نفاتح النصارى أن نقول: ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه. أتقولوه تواتراً أو آحاداً؟

(١) فى الأصل: مرقس. وهو خطأ لأنه يقول: إذا طلعت الشمس. ولم يقل بغلس إلا يوحنا.

(٢) المؤلف لخص الموضوع من أواخر كل إنجيل.

فإن زعموا: أنهم ينقلونه نقل الأحاد؛ لم تقم بذلك حجة، ولم يثبت العلم الضروري. إذ الأحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب. وإذا كان الأحاد يعرض لهم ذلك؛ فلا يحتج بهم فى القطعيات.

وإن عزوا ذلك إلى التواتر. قلنا لهم: شرط التواتر: استواء الطرفين فيه والواسطة. وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين علموه ضرورة. فإن اختل شيء من ذلك؛ فلا تواتر. وإن زعم النصارى أن خبرهم فى قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة: أكذبتهم نصوص الإنجيل التى بأيديهم. إذ قال نقلته الذين دونوه لكم وعليهم معولكم: <sup>(١)</sup> إن المأخوذ للقتل كان فى شردمة من تلاميذه. فلما قبض عليه؛ هربوا بأسرهم، ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد، فلما دخل الدار حيث اجتمعوا؛ نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته. فقالت: وهذا كان معي، فحلف بطرس: أنه لا يعرف أيشوع، ولا يقول بقوله. وخادعهم. فذهب ولم يعد، وأن شابا تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره فى أيديهم وأفلت عريانا.

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد. بشهادة الأناجيل. وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر: فلم يبلغوا عدد التواتر أصلا، بل كانوا آحادا وأفرادا. فمن نازع فيما قلناه ونقلناه؛ فهذا الإنجيل الذى بأيديهم حكم فيما بيننا وبينهم. وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد - واليهود الذين حضروا عصابة قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو والغلط واعتماد الكذب - لم يجب قبول أقوالهم.

فلا جرم قدم تواتر الكتاب العزيز. وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ .

ومما يزيد الأمر وضوحا: قول الإنجيل: إن مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت ملكا قد نزل من السماء برجة عظيمة. فدحرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده، فكاد الحراس يموتون من هيئته، وبادروا من فورهم إلى مشايخ اليهود وأعلموهم بالقصة، فأرشاهم المشايخ برشوة، وتقدموا إليهم بستر القصة والإشاعة: أن تلاميذ

(١) المؤلف لخص الموضوع من أواخر كل إنجيل.

المصلوب سرقوه. ومهدوا لهم عذرهم عند القائد.

وإذا كان الأمر كذلك، فما يؤمنكم أن تكون هذه العصابة من اليهود قد صلبوا شخصاً من أصحاب أيشوع وأتباعه، وأوهموا الناس أنه المسيح، ليغضّوا منه، ويحطوا من قدره. حيث جهدوا جهدهم في طلبه فلم يقدروا عليه وأعوّزتهم وجوه الخيل في مغالبتة. كما فعلوا في ستر الآية التي ذكرتم؟ وإذا كان أصحابكم الموقنون العدول عندكم لم يحضر منهم أحد البتة، واليهود الكفار المدلسون شرذمة قليلة وأكثرهم لم يعرف المسيح، لم يحصل لكم غلبة ظن بقتل المسيح، فضلاً عن حصول العلم الضروري. وها نحن أولاء نورد من الحجج المقبولة عندكم ما يقضى بغلطكم في قتل المسيح وصلبه، ويحقق لكم أن المفعول به ذلك؛ سواء. وهو الشبه الذي نقول به إن شاء الله تعالى.

### الحجة الأولى؛

لا شك ولا خفاء أن كتابكم ينطق في غير موضع: أن المسيح نشأ بين أظهر اليهود وتردد معهم في مواسمهم وأعيادهم، وزاحمهم في مجامع قراراتهم، يعرفونه ويعرفون أمه وسيبته، وأنه حين بهر في علم التوراة والنبوات كان يتعلم عندهم في الهيكل بأورشليم ويناظر أبحارهم، فيبهتهم بحسن التعليم. فيقولون: أليس هذا ابن يوسف؟ أليس أمه مريم؟ أليس أخواته عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟ وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه ونسبه، فما حاجتهم إلى أن اكتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرفهم بشخصه، لولا وقوع الشبه الذي نقول به؟

### الحجة الثانية؛

على أن المفعول به ذلك غير المسيح وأنه كان قد شبه لهم: قول نقلة الإنجيل: إن رئيس الكهنة أقسم بالله الحي، أنت المسيح ابن الله الحي؟ فقال له: أنت قلت. ولم يجبه بأنه هو المسيح. فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم. ولم يستجز أن يورى في الجواب وهو يحلف بالله الحي، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم



المسيح إنما جاء لبث الحق ونشر الصدق. فكيف يتجشَّم لشيء ثم يكتمه؟ فإن قال النصارى: هذا أيضا لنا. إذ لو كان غيره؛ لم يُخف ذلك وليبته، وقال: لست المسيح بل أنا رجل سواه.

### قلنا: يجتمل الوجهان.

**أحدهما:** أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعه من البيان والإفصاح عن حاله كما يجرى للبشر. وهذا لا بُعد فيه أن يأخذ الله على لسانه ويسد عنه مادة الكلام صونا لنبية المسيح أن يفصح الرجل عن أمره.

**والوجه الثاني:** أن يكون الشبه لصديقتة أثر المسيح بنفسه، وفعل ذلك بعهد عهده إليه المسيح، رغبة منه في الشهادة. فلهذا ورى في الجواب، وجمجم في القول. ويؤيد هذا الوجه: قول التلاميذ للمسيح أيام الخوف من إيقاع اليهود به: بأنه لو دفعنا إلى الموت معك؛ لمتنا. والشبه كان من جملة التلاميذ. فلهذا وفى بما وعد من نفسه. وهذا شيء لم يزل يفعله أصحاب الأنبياء فى الحروب وغيرها. ليقوا بأنفسهم أنبياءهم؛ فينالون بذلك الثناء فى الدنيا والثواب فى العقبى.

فقد وضع أن المجيب لرئيس الكهنة غير المسيح. إذ لو كان المسيح لم ينكر ولم يور.

### الحجة الثالثة:

على حماية الله المسيح عليه السلام وأن المصلوب غيره: قال لوقا: «صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا. فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه، وابيضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق. وإذا موسى بن عمران وإلياس، قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما الذين كانوا مع أيشوع: «فوق عليهم النوم فناموا»<sup>(١)</sup>.

(١) هذا الخبر فى متى ١٧: ١ + وقصد المحرف منه: هو تطبيق نبوءات من نبوءات عيسى من قبل مجيء محمد لثلاث تدل عليه. والنبوءات هى نبوءة المزمور الثاني «ابنى الحبيب» ونبوءة العبد المسالم فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر إشعيا «هو ذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى» والكلام من السحابة. ونبوءة الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية «له تسمعون».

قلت: هذا من أوضح الدلالة على رفع المسيح وحصول الشبه الذى نقول به؛ لأن تغير صورة المسيح وتبدل لون ثيابه عما كانت عليه وظهور موسى النبى عليه السلام وإلياس عليه السلام ومجىء السحاب يظللهم ووقوع النوم على التلاميذ من أقوى ما يتمسك به فى حماية المسيح ووقوع شبهه على آخر سواه. فلا معنى لظهور هذين النبيين له ووقوع النوم على أصحابه إلا رفعه عليه السلام.

ومما يؤيد: قول الإنجيل: «إن اليهود حين رفعوا المصلوب على الخشبة قالوا: دعه حتى نرى إن كان إلياس يأتى فيخلصه»<sup>(١)</sup>، وهم يظنون أن المصلوب هو المسيح، وقد كان المسيح يقول لأصحابه: إن إيلياء سيأتى.

والدليل على غلط النصرارى: قول فؤلس الرسول فى صدر رسائله زارياً عليهم: «أنهم لم يعرفوا الله تعالى، لكن أظلمت قلوبهم التى لا تفقه، فجهلوا واستدلوا بالله الذى لا يناله فساد شبه صورة الإنسان الفاسد؛ فلذلك أهملهم الله، وتركهم وشهوات قلوبهم النجسة. فبدلوا حق الله بالكذب، وعبدوا الخلائق وآثروها على خالقها الذى له التسايح والبركات، فلذلك وكلهم الله إلى أولاد الفاضحة»<sup>(٢)</sup>.

فهذا فؤلس كأنما ألهم ما سيفتره متأخرو النصرارى إلهاما. فنطق بذلك رداً عليهم وإزاراً بعقولهم وتصريحاً بكفرهم وضلالهم.

### الحجة الرابعة:

على حماية المسيح مما نسب إليه: قول الأناجيل إن المأخوذ كان قد غيّرت صورته، وشوهت هيئته. وسبق ذليلاً، وتوج من الشوك إكليلاً. وألبس أرجواناً وألبس هواناً. وجذب، وسحب، وشقى وسجن وأدم وضرب، وحمل خشبته التى عليها صلب، وأعنف به فى سحبه، فكرب وما ركب.

قال يوحنا: «أخذ فى ليلة باردة من بستان بوادى الأرز، كان يخلو فيه مع

(١) مرقس ١٥: ٣٦ والمؤلف فهم أن إيلياء الذى هو إلياس عليه السلام سيأتى قبل المسيح. ويقول النصرارى إنه أتى قبل المسيح على طريقة تناسخ الأرواح فى جسد يوحنا المعمدان. والحق: أن إيلياء هو اسم «أحمد» فى إنجيل متى بحساب الجمل «فهذا هو إيلياء المزمع أنه يأتى».

(٢) رومية ١: ٢١ + .

تلاميذه»<sup>(١)</sup> فاجتمع في القصة ما يصحح الغلط ويرجح في النقل اللغظ، وهو أن المصلوب أخذ في حندس ليل مظلم على حين فترة، فلم يصل به الشرط حتى طمست صور محاسنه لدماً وضرباً ونسخت سور حلاه جذباً وسحياً. فكان جميع ما جرى إنما هو على الشبه. ومع احتواش القصة بهذه الشبه؛ لا يجزم بأنه المسيح. فالذي نقله لوقا فيه أعظم الدلالة على إلقاء الشبه، ثم ظهور موسى وإيلياء ووقوع النوم على القوم؛ دليل واضح على رفع المسيح إلى السماء، وصونه عن أيدي الأعداء.

### الحجة الخامسة على ما قلناه:

قال يوحنا<sup>(٢)</sup> التلميذ: «كان يسوع مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه. فخرج إليهم يسوع وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع - وقد خفي شخصه عنهم - فقال: أنا يسوع. وفعل ذلك مرتين، وهم قد أنكروا صورته» وذلك دليل على الشبه ورفع المسيح، إذ أنكروا صورته. وهو الناشئ بينهم، والمربى في جماعتهم.

### الحجة السادسة:

قول لوقا في إنجيله: «إن المسيح بعد قيامه سحب رجلين من أورشليم، وهما يطلبان قرية يقال لها عمواس، فتبعهما وماشاهما، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته، فلما كلمهما عرفاه بعد ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقد حكى بعض النصارى: أن المسيح قد أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة. وذلك كله يشهد بصحة ما قلناه، وإذ التبس أمره على خواص أصحابه وتلاميذه حتى أنكروا هيئته وصورته وثيابه، فما ظنك بغيرهم؟ وقال لوقا أيضاً: «بينما التلاميذ في غرفة لهم. إذ وقف المسيح في وسطهم بعد قيامه، والتمس منهم شيئاً يأكله. فأطعموه جزءاً من حوت، وشيئاً من شهد العسل»<sup>(٤)</sup>.

(٣) لوقا ٢٤: ١٣ + .

(٢) يوحنا ١٨: ١ + .

(١) يوحنا ١٨: ١ + .

(٤) لوقا ٢٤: ٣٦ + .

وذلك كله يشهد بما قلناه في حمايته وصونه من أعدائه وإلقاء الشبه على غيره.

### الحجة السابعة:

قال يوحنا: «وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك. فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فلم يعرفوه. فقالوا: لا. فقال: ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن. ففعلوا، فرفعت سمكاً كثيراً. فحيثئذ عرفوه، وقالوا: هو المسيح. وكان أحدهم عرباناً، فأخذ مئزره حين عرف أنه المسيح» (١).

فهؤلاء التلاميذ وخواص أصحاب المسيح يشهدون بما صرنا إليه من تغيير شبه المسيح عليهم، وتصديق قول من يقول منهم: إن المسيح كان قد أعطى قوة التحول من هيئة الصبوة إلى هيئة الكهولة والشيخوخة. وغير ذلك. وإلا فكيف يخفى وجهه عن مثل الاثنى عشر من أصحابه وتلاميذه ويستبعد ذلك من اليهود؟

### الحجة الثامنة:

إن القول بقتل (٢) المسيح يؤدي إلى تكذيب المسيح، وما أدى إلى تكذيبه؛ فهو

(١) يوحنا ٢١: ١ + .

(٢) الذي حدا بالنصارى إلى القول بالصلب والقتل: هو أن في التوراة نبوءات عن محمد ﷺ تبين أنه سيهزم في الحروب، ثم ينتصر على أعدائه ويفتح بلادهم ويملك عليها. والمسيح ابن مريم لم يهزم في الحروب ولم ينتصر ولم يفتح البلاد ولم يملك عليها. فلذلك قالوا بهزيمته على يد اليهود وصلبه، ثم قالوا بانتصاره على الموت مرتفعاً إلى السماء. وأخذوا التعبيرات المجازية عن الهزيمة وجعلوها تعبيرات حقيقية. ففي المزمور الثاني والعشرين يقول داود على لسان محمد بظهر الغيب: «ثقبوا يدي ورجلي، أحصى كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون في. يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقتربون» وهذه التعابير كناية عن هزيمته وإحاطة الأعداء به، لا أنها على الحقيقة. بدليل أنه في نفس النص يقول: إنني دعوت الله أن ينجيني من الأعداء فاستجاب لي ونجاني. يقول: «أما أنت يا رب فلا تبعد. ياقوتي أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي. من يد الكلب وحيدتي. خلصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش استجب لي» إلى أن قال في نفس النص: «عند صراخه إليه؛ استمع» إلى أن قال عن الجيل الآتي جيل محمد ﷺ: «يُخبر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون بيره شعباً سيولد، بأنه قد فعل». وقال النصارى إن يهوذا الإسخريوطى خنق نفسه [متى ٢٧: ٥] وفي رواية: «وإذ سقط على وجهه؛ انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها» [أع ١: ١٨] وقال بعض المسلمين بصلبه وقتله بدل عيسى عليه السلام. والحق: أن النصارى قالوا بخنقه. وهو لم يخنق، أو قالوا بسقرطه على وجهه وهو لم يسقط؛ لتطبيق نبوتين من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ على يهوذا. يعرف ذلك من قرأ قولهم: «لأنه مكتوب في سفر الزمير: «لنصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن».

باطل وبيانه: هو أن المسيح - عليه السلام - قد بَشَّرَ في إنجيله بمحمد ﷺ وقال: إنه النبي الصادق الآتى من بعده، ومحمد جاء وأخبر بأن المسيح ما قُتِلَ وما صلب. فالقول بقتل المسيح؛ يُفْضَى إلى تكذيب مَنْ صدَّقه المسيح، فكان تكذيباً للمسيح. وسنين بَشَّرَى المسيح وموسى وغيره من الأنبياء بمحمد رسول الله ﷺ

= «ليأخذ وظيفته آخر» [أع ١: ٢٠]. والرد عليهم:

أولاً: إن المزمور التاسع والستين. قد طبقه النصارى ظلماً على المسيح عيسى عليه السلام فقد كتبوا أنه وهو على الصليب قد سقوه خلا. ولم وهو لم يصلب ولم يُسَقِ خلا ووضعوه عليه أيضاً في يوحنا (١٥: ٢٣ +). وبيان ذلك: أن النبوة تتكلم عن أ - هزيمة محمد ﷺ على يد أعدائه ب - وانتصاره على أعدائه. وتحدثت عن الهزيمة بالفاظ كناية منها «العار قد كسر قلبى فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد، ويجعلون في طعامى علقماً. وفي عطشى يسقوننى خمرًا» والعار لا يكسر القلب ثم دعا على اليهود فقال: «لتصر دارهم خراباً، وفي حياتهم لا يكن ساكن» ثم قال لله لحنى من أعدائي. خلصني «خلاصك يا الله فليرفعني» ثم قال إن الله نصره «لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه».

وروحه الإلزام: أنه إذا كانت النبوة خاصة بالمسيح ابن مريم، فلماذا وضعوها على يهوذا. وإن كانت خاصة يهوذا. فلماذا وضعها على المسيح ابن مريم؟ وإن وضعت على أى منها. فى صفة الهزيمة. فأين انطباق لصفات الأخرى على أى منهما؟

\*أب ١٤ المزمور المائة والتاسع. هو نبوة محمد ﷺ وداود يتكلمم بدن بظهر الغيب فيقول: «يا إله تسبيحى لا تسكت. لأنه قد افتتح عليّ فم الشرير وفم الغش» ثم دعا على اليهود بصيغة المفرد والمراد الجمع. فقال: «لكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر» - «فى الجليل القادم ليصح اسمهم» لاحظ: الجليل القادم. وهو جيل الشريعة الجديدة. ولاحظ «اسمهم بصيغة الجمع. ثم يقول «وليقرض من الأرض ذكرهم» لاحظ أيضاً: «وأنا صرت عاراً عندهم ينظرون إليّ، وينغضون رءوسهم» وتذكر قول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿فَسِينَغْضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ؟﴾ .

ثالثاً: وبعدما تكلم النبي عن إحاطة أعدائه به، صرخ إلى الله وقال: «أعنى يا رب إلهي» وبين أن الله نصره بقوله: «قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح...».

رابعاً: ونبوة المزمور المائة والتاسع قد طبقها النصارى على يهوذا. وفى إنجيل يوحنا هذا النص: «الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى؛ لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم: «إنهم أبغضونى بلا سبب» [يوحنا ١٥: ٢٣+] لاحظ:

«إنهم أبغضونى بلا سبب» [المزمور ١٩: ٣٥] المزمور ٤: ٦٩ أيضاً مزمور ١٠٩: ٣+ يريدون أن يقولوا: إن المزامير ١٠٩، ٦٩، ٣٥ قد طبقهم عيسى المسيح على نفسه؛ لأنهم أبغضوه بلا سبب. وعلى قولهم هذا؛ يخرج يهوذا من الموضوع. وتكون المقارنة بين محمد وبين عيسى فقط. والمزامير كلها تدل على محمد ﷺ للأوصاف الواردة فى كل مزمور عنه. وخاصة تصريح كل مزمور بنجاته من أعدائه. مثل «أما نفسى فتفرح بالرب، وتبتهج بخلاصه» [٩: ٣٥] وغيره.

في الباب الأخير من هذا الكتاب .

### الحجة التاسعة:

لو صح قتل المسيح وصلبه؛ لبطلت الدلالة على وجود الباري تعالى . وبيانه : هو أن في ذلك إبطال بشائر الأنبياء - عليهم السلام - بمحمد ﷺ وإظهار كذبهم فيما شهدوا له به من النبوة والرسالة وصدق المقالة . وذلك يَعكُرُ على نبواتهم بالإفساد، إذ أخلفت أقوالهم، ولم تصدق أخبارهم . وذلك يخرم الثقة بجميع ما أخبروا به من حَدَثِ العالم، ووجود الصانع - تعالى - وما أدى إلى ذلك فهو مردود من أصله .

### الحجة العاشرة:

قال لوقا: «لما كان في الشهر السادس من حمل أليصابات زوجة زكريا بيحيى ابنها جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصره من أرض الجليل، وهي إذ ذاك خطيبة لرجل من نسل داود، يُقال له: يوسف . فقال لها جبريل: أبشري يا ممتلئة بنعمة الرب، مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه . فقال لها جبريل: لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة من عند الله، وأنت تقبلين حبلي بولد يُدعى يسوع، يكون عظيماً وابن العليّ يُدعى، ويعطيه الرب كرسى أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب . فقالت مريم: أتى ذلك ولم أعرف رجلاً؟ . فقال جبريل: روح القدس يحلّ عليك وقوة العليّ تظلك

وهذه أليصابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنها؛ لأنه ليس عند الله أمر عسير . فقالت مريم: ها أنا ذا عبدة الرب فليكن ما قلت» (١) .

وَرَدَّ ذلك من الله على مريم مَوْرَد الامتنان والإنعام . وهو أن يجلس ولدها في دست داود ويملكه رقباب اليهود . فالقول بأن المسيح هلك وما ملك؛ يقضى بالسخرية من البتول، أو البداء من المرسل، أو الكذب من الرسول . والكل محال؛ فالقول بقتل المسيح وصلبه محال .

(١) لوقا ١: ٢٦ .

فهذه عشر حجج كلها تقضى بالثلب، على مدعى الصلب.

**ومما يدل لكم على فساد دعوى القتل والصلب:** ما اشتمل عليه الفصل من الاضطراب، وقبيح الألفاظ. كقوله لرئيس الكهنة: «إنكم من الآن ترون ابن الإنسان حين ترونه جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء» (١) يريد بالقوة: الله تعالى.

وكقوله: «إن ناسا من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته» (٢) وكقول الملك للمراتين: «تعاليا فانظرا إلى الموضع الذي كان فيه الرب في القبر» (٣).

ما أخلقت هذه المواضع أن يكون بعض مجان اليهود قد أدرجها في كتاب النصراري ليضحك منهم الناس. أسمعتم يا معشر النوكى برب في قبر، وإله في لحد؟ أي جدت وسعه؟ أي كفن واره؟ أي نعش حملة؟ هل نجا من ضغطة القبر؟ هل لقن حجته عند السؤال؟ هل ثبت جأشه عند طلعة الملك؟

أف لتراب تغشى وجه هذا الإله، وتبا لكفن ستر محاسنه، وسحقا لجذع انتصب تحته صلب عليه. عجبا للسماء كيف لم تبد وهو سامكها، وللأرض كيف لم تمد وهو ماسكها. وللبحار كيف لم تغض وهو مجريها. وللجبال كيف لم تسر وهو مرسيتها. وللحيوان كيف لم يصعق وهو مشبعه. وللكون كيف لم يحق وهو مخترعه؟ وأنى استقام الوجود، والرب فى اللحد. وثبت العالم على نظام، والإله فى الأرحام؟ لقد لبس الكون ثوبا من القحة صفيقا، واستمر على البقاء وكان الفناء خليقا. فإننا لله وإننا إليه راجعون على المصيبة بهذا الرب، والرزية بهذا الإله. لقد ثكلته أمه التى خلقها وصورها، وعدمته الدنيا التى أبدعها وفطرها. فليت شعرى هل قسم ميراثه وعمل ماتمه؟ وهل أخذ بشأره أو سلم

(١) متى ٢٦: ٦٤ «وأيضا أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء» وقد سبق البيان أن هذا النص كناية عن سرعة مجيء محمد ﷺ.

(٢) متى ١٦: ٢٨ «إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته» ابن الإنسان هنا هو محمد والنص كناية.

(٣) متى ٢٨: ٦ وفى الأصل: وكقول الملك للنسوة تعالين فانظرن.

مسلمه؟ هذا - وأبيكما - الخذلان، والتلاعب بالأديان.

### وفي الفصل موضعان آخران يشعران بأن المصلوب رجل غير المسيح:

**أحدهما:** شكواه العطش؛ فإننا نعلم أن الإنجيل مصرح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوماً وأربعين ليلة<sup>(١)</sup> ويقول لتلاميذه: «إن لى طعاماً لستم تعرفونه»<sup>(٢)</sup> ومن صبر عن الماء والطعام ثمانين يوماً وليلة، لا يجزع من فراقه ساعة واحدة. وبذلك يتحقق أن العطشان غيره والمستسقى سواه.

**والموضع الآخر:** قوله «إلهى إلهى لِمَ تركتني وخذلتني»<sup>(٣)</sup> و«لِمَ»؟ - كما يعلم - كلمة تنافى الرضا بمرّ القضاء، وتناقض التسليم لأحكام الحكيم - وتجل عن ذلك رتبة الصالحين، فضلاً عن أكابر المرسلين - فهذا. وما شاكله من كلام المصلوب يوضح ما قلناه فى الشبه.

فإن أبى النصرارى إلا أن يكون قائل هذا هو المسيح.

قلنا لهم: ألم تزعموا أن المسيح إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه؟ أفتقولون: إنه تبرم بالإيثار، واستقال العثار؟ ألم ترووا لنا عن التوراة: أن إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون كانوا حين احتضروا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى شعبهم. لم يجزعوا من الموت ولا هابوه، ولا استوبلوا مذاقه ولا أعابوه. هذا وهم عبيد. والمسيح - بزعمكم - ولد ورب. أفكان وثوقهم بالله فوق وثوقه، أم حظ المسيح عند الأب دون حظ رقيقه؟

وأما قولهم فى الفصل: «إن يسوع صرخ وأمال رأسه وأسلم روحه» فمناسب لكلام المجانين، وإلا فكيف يتولى الميت فى حال النزاع تسليم روحه، مع شدة الأمر وعظم الخطب واشتغال البال فى ذلك الوقت عن التسليم والتسلم؟ وإن امرءاً تُجذب روحه من تحت كل شعرة من جسده، وقد أوثق كتاف ذبيحه، وبرق بصره، وانحل عقد تماسكه، واستولت عليه الآلام، ورشقتة من جميع جهاته

(١) متى ٤: ٢٠ .

(٢) يوحنا ٤: ٣٢ .

(٣) متى ٢٧: ٤٦ .



سهام الحمام؛ لغير مختار في تسليم روحه؛ والعجب من تجاسر هذا الحاكي على قول ما يقطع بكذبه فيه؛ وذلك أن تسليم الميت روحه غير مشاهد بالعيان، فيقع عليه بصر إنسان.

أين قول النصارى في شريعة إيمانهم: «نؤمن بالرب الواحد أيشوع المسيح. الذى بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، وليس بمصنوع، الذى نزل من السماء لخلاص معشر الناس»؟ وكيف بالذعار يصح لهم هذه الدعوى، والمصلوب ينادى بحضرة اليهود: «إلهى إلهى كيف تركتني وخذلتني؟» وكيف يكون خالق السموات والأرض مقروناً باللصوص، مصلوباً على الخشب. له إله يدعو ويسأله أن لا يتركه ولا يخذله؟

فإن كانت الأمانة صادقة. فالإله الأزلى قد بكى واستغاث شربة من الماء، وقُرِن بالذعار، وعُلِق على الخشب، وسُمرت يده بالمسامير. وإن كان الإله الرب الأزلى يتعالى عن هذه النقائص ويتقدس عن أن تناله هذه الرذائل؛ فالأمانة باطلة، وأقوال من عَقَدها لهم فاجرة، وآراؤهم غاشئة. وسنأتى على أمانتهم إذا انتهينا إليها، ونوضح فسادها وغش من ألفها، وسوء رأيه في دين النصرانية إن شاء الله تعالى.

وأما قولهم في الفصل: «إنه حين مات أيشوع على الصليب؛ انشق حجاب الهيكل، وتزلزت الأرض كلها، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور، وقام القديسيون من قبورهم، ودخلوا المدينة حتى رأهم الناس»<sup>(١)</sup> - «وأظلمت الشمس، وحال لون القمر»<sup>(٢)</sup> فذلك كذب ومحال، وبهت لا يخفى بحال؛ لأنه لو كان صحيحاً؛ لأطبق الناس على نقله، ولم يبق إخفاء مثله. ولزال الشك عن تلك الجموع، فى أمر أيشوع. فحيث داموا على الحجّة له والتكذيب عنه؛ دلّ ذلك على كذب هذا النقل. وما يوضح لنا ما قلناه: أن الأناجيل تشهد فى تمام هذا الفصل: «أن جماعة من أصحاب أيشوع شكّوا فيه بعد ذلك؛ فرجعوا عن رأيهم

(١) متى ٢٧: ٥١ + والنص كناية.

(٢) لوقا ٢٣: ٤٤ + والنص كناية.

الاول»<sup>(١)</sup>. وذلك يكذب قول من قال: إن العالم تشوش لمصرع يسوع.

**فإن قيل:** إنما لم يشتهر ذلك؛ لأن أصحاب أيشوع لم يحضر منهم أحد خوفاً من اليهود، واليهود الذين شاهدوا هذه الآيات تواطؤا على كتمانها بغياً وحسداً.

قلنا: هذه الآيات إذا وقعت. عمَّ علمُها من حضر ومن غاب، من الأعداء والأحباب. لأنها آيات نهارية. فما بال الهنود والسند والصين والسودان والفرس والتك وسائر الطوائف الذين لم يتعصموا الأديان، ولا انهاروا الملة وشريعة أم ينقلوا هذه الآيات، ويلهجوا بها خلفاً عن سلف، حقياً بعد حقب؟

وقد نقل المؤرخون في صحفهم أموراً هي أنزر وأقل خطراً من هذا الأمر الذي يدعى النصرى أنه طبّق العالم الأعلى والأسفل. فلما رأينا هذه الأمم الخالية عن الأهواء والتعصب للشرائع والتزام الأحكام على كثرتها لم تنقل مما حكاه النصرى حرفاً واحداً؛ علمنا بالضرورة: أن ذلك اخترعه كذبة النصرى ليخدعوا به ضعفاءهم. وسنأتى على قطعة من ذكر حيل القسيسين ومخاريق الرهبان عند وصولنا إلى بابه، فيتوسلون بهذه المخارق إلى جلب الحطام، وجذب الدنيا الدنية بالحطام. والحق مستغن عن أن يقوى بهذه الترهات.

وأما قولهم في الفصل: «إن يسوع جاء إلى التلاميذ الأحد عشر بالجليل، وأوصاهم أن يعمدوا الناس، وأنه يكون معهم إلى انقضاء الدهر».

فأقول: انطفأ السراج على التلميذ الثاني عشر. وهو المشهود له في الإنجيل بولاية حساب بنى إسرائيل، وبقي كرسيه شاغراً ودسته في القيامة غامراً. وصار أحد الأسباط في القيامة ليس له من يدينه؛ فاستراح من العتاب، وسوء الحساب.

قال المؤلف: قلت لنصراني من عقلائهم: «قال يسوع لتلاميذه الاثنى عشر وفيهم يهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه للقتل والصلب: أتم ستجلسون يوم

(١) متى ٢٦: ٣١ والشك هو فى معنى هل هو النبى الامى الآتى إلى العالم أو ليس هو؟ لأن من أوصاه أن لا يقتل. فإذا قتل المسيح؛ فإنه لا يكون هو.

القيامة<sup>(١)</sup> على اثني عشر كرسيًا تدينون اثني عشر سبط إسرائيل» وذلك شهادة للكل بالزعامة في القيامة، فكيف صنع أصحابكم في يهوذا وسبطه فإن المسيح يقول: «الويل لمن يُسلم ابن الإنسان كان خيراً له ألا يُولد»<sup>(٢)</sup>.

فقال: قد عَوَّضوه برجل غيره ونصبناه<sup>(٣)</sup> بدلاً منه لتتم العدة.

قلت: فليس هذا المَعْوَضُ هو المخاطب بوعد المسيح بل غيره. فقد أخلف قوله: إن كرسيه لا يجلس عليه غيره، ولا يدين سبطه سواه. فأبلس العليج، ولم يحرجوا.

وأما حكايتهم عنه «أنه معهم إلى انقضاء الدهر»<sup>(٤)</sup>، فإننا نسألهم فنقول: هل تقولون: إن هذا الكلام محمول على ظاهره، أو محمول على معناه دون ظاهره؟ فإن زعموا أنه محمول على الظاهر؛ لزم منه أن يكون التلاميذ الأحد عشر الآن في قيد الحياة. وسيرهم تُكذِّبُ ذلك، إذ تقول إن القوم اخترموا موتاً وقتلاً. وإن قالوا: إن ذلك محمول على المعنى دون الظاهر. وهو أنه الآن مع كل جاثليق وأسقف ومطران وقس وراهب منهم. قيل: أهو بذاته أو بعلمه؟ فإن زعموا: أن المسيح معهم بذاته. أكذبتهم شواهد العقول، وشواهد الإنجيل. أما شواهد العقول: فإن العقل قاضٍ بأن الشخص الواحد لا يكون حالاً في عدة

(١) المراد بالقيامة: وقت ظهور محمد ﷺ وإنهائه ملك اليهود على فلسطين والعالم بالحرب والقتال. وقد تم ذلك في سنة ٦٣٦ م.

(٢) متى ١٤: ٢١.

(٣) أعمال ١: ٢٦ واسمه «متياس».

(٤) قال المسيح لتلاميذه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم له. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» متى ٢٨: ١٩ - ٢٢

معنى الكلام: أنهم يشرون جميع الأمم بمقدم محمد ﷺ صاحب ملكوت السموات الذي دعا إليه مع يوحنا المعمدان. وأن يقبلوا منهم من يعترف بالله رب العالمين الذي هو الأب. ومن يعترف بمحمد الذي لقبه داود في المزمور الثاني بلقب «ابن الله» ومحمد أيضاً يقول المسيح أنا لقبته بلقب «الروح القدس» واسمه «فيراقليط» أي «أحمد» وعلموهم أن يعملوا بشريعة التوراة، ولا يؤسسوا ديانة مستقلة عن ديانة موسى. وأنجيلي معكم يحل محل وجودي بالجسد في الشهادة لمحمد ﷺ. إلى زمن انقضاء دهر الملك والنبوة في بني إسرائيل، وبده دهر الملك والنبوة في بني إسماعيل.

مواضع في حالة واحدة، بل إن شغل مكانا، فرغ الآخر لا محالة. وأما شواهد الإنجيل: فإنها مصرحة بأن المسيح كان إن حلَّ بالناصره، فارق أورشليم. وإن حلَّ بأورشليم فارق الناصره، ولم يتجدد له ما يرفع هذا الحكم.

فإن قالوا: لم يرد المعية بذاته بل بعلمه كقول الكتاب العزيز: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ قلنا: فاسلكوا التأويل في جميع ظواهر الإنجيل؛ ترشدوا.

ولو ألهم النصارى رشدهم لمحووا هذا الفصل من الإنجيل ودرسوا خبره، وعفوا أثره، وأدّبوا من ينطق به؛ فإن اللفظ به إنما يُعرض سب إلههم والتنقص من معبودهم، وإنه فصل وخيم، والعار عليهم في نشره عظيم. إذ مضمونه أن اليهود الملاحين، والعبيد المدبرين؛ عدوا على إلههم ورصدوه، وتوقعوا غرته فقصدوه، فوضعوا أيديهم عليه ذليلا، وأناطوا به جوامعا وكبولا، ولم يجد إلى الإفلات منهم سبيلا.

وهرب تلاميذه عنه وأسلموه، فتناوله أعداؤه بيد القسر وتسلموه وساقوه بينهم، يحملُ جذعه أسيرا، ثم لُطم حتى حُطّم، وأرضع لبان الهوان حتى ودَّ لو قُطم. وتفل في وجهه القيام والقعود، من أراذل اليهود. فنزل به من الدهش والعطش والكرب ما لا يقصر في الألم عن القتل والصلب. وأنه استسقاها ماء فسقوه خلا، وسأل البقيا فاسمعوه كلا. فصرخ على جذعه: «إلهي إلهي كيف تركتني؟» وصرح بالعبودية لا يتلقب ولا يكتني، ولم يزل ينزع في قاوس النزاع حتى مرق سهم روحه، ولقد راموا كسر ساقيه، كفعلهم برفيقه. فعجلت عليه منيته، وأبطت عنه أمنيته، وأعول عليه أحبابه، وتفرق من الفرق أصحابه. وسأل الوالى جسده فدفن وتصدق عليه بالكفن. وهذه لعمر ك معرفة يأنف العاقل من إلصاقها بكليه، فكيف يلصقها بربه؟

وما أرى ملحق هذا الفصل بكتاب النصارى إلا قد جعل له اليهود جُعلا على إلحاقه. ولست أبعد ذلك؛ فإن يهوذا الإسخريوطى - أحد الاثنى عشر، المشهود له بالزعامة في المحشر - زعموا أنه ارتشى على أيشوع ثلاثين درهما من اليهود حتى أنزل به من الهون ألوانا، وإذا كان هذا فهل يهوذا - الذي هو أسنى

من غيره وأفضل، وأرمى عن قوس الصحبة القديمة وأنضل. قد استمالته الدنيا فادّرع الفضيحة. واستهواه الهوي، فحل عقيد الصحيحة. فما ظنك بمن لم يصحب المسيح ولم يلقه، ومررض بداء الحسد فلم يتقه؟ فنسأل الله الذى شرفنا بالإسلام، وعرفنا نبيه عليه السلام أن يقطع عنا أشطان الشيطان، ويصلنا بعباده الذين ليس له عليهم سلطان.

ومن أدل الدلالة على كذب النصارى فى دعوى القتل والصلب: ما رواه متى فى إنجيله. قال متى: «سأل اليهود المسيح أن يريهم آية. فقال: الجليل الشرير الفاسق يطلب آية. فلا يعطى. إلا آية يونان النبى يعنى يونس عليه السلام لأن يونان أقام فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وكذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ».

قال المؤلف: وذلك كذب وغلط بإجماع نقلة الإنجيل؛ لأنه لا خلاف بينهم: أن المأخوذ صُلب فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه ذاك فدفن ليلة السبت، وأقام السبت كله مدفوناً ثم طُلب ليلة الأحد بغلَس فلم يُوجد. فمنهم من قال: قام ليلة الأحد، ومنهم من ذكر أنه قام يوم الأحد باكراً. وإذا كان الأمر كذلك؛ فلم يقم فى بطن الأرض سوى يوم واحد وليتين.

قال المؤلف: ولنذكر عشر مسائل مفحمت، تُفحم من وردت عليه من النصارى. من ردها منهم كفر بالتوراة والإنجيل والنبوات، ومن قبلها كفر بالأمانة التى لهم، والصلوات، ودين النصرانية جملة.

### المسألة الأولى من العشر المفحمت:

هو أنا نسألهم عن قول القائل: إن الله الأزلى خالق العالم، ونافع الروح فى حواء وآدم؛ هو إله واحد فرد حى عالم قادر مرید سميع بصير متكلم. أحق ذلك أم باطل؟

فإن قالوا: إنه حق. أبطلوا دين النصرانية، وكفروا بالأمانة والصلوات الثماني التى لهم. إذ سائر فرق النصارى اليوم يدينون بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بنى آدم يُسمى أيشوع. والنصارى. يقرءون فى أمانتهم التى هى أصل

دينهم: «نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد أيشوع المسيح الإله الحق الذى بيديه أتقنت العوالم وخلق كل شيء، ونؤمن بروح القدس الواحد المحيي» فعبدوا ثلاثة آلهة، والتوراة وسائر النبوات تقول: هو واحد - جل وعلا - ويقرءون فى صلاة لهم تعرف عندهم بصلاة النوم: «الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة أيها الأب؛ لأنك لم تزل، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة. ثالثا واحد».

فقد صرحوا فى الأمانة التى لهم والصلوات بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بنى آدم يسمى أيشوع المسيح. وذلك مضاد للتوحيد الذى سلّموا صحته. وإن قالوا: بل ذلك باطل وكُفّر؛ كفروا بتوراة موسى وإنجيل عيسى ومزامير داود ونبوة إشعيا وسائر النبوات.

قال الله فى التوراة: «يا موسى أنا الله ربك ورب آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. قد ذكرت عهدى لإبراهيم، وقد عرفت ذلّ شعبي بمصر، اذهب إلى فرعون، وقل له: هكذا يقول لك إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ أرسل شعبي يعبدني. فقال موسى: يارب أنا أذهب إلى بنى إسرائيل فأقول: الرب إلهكم أرسلنى إليكم. فيقولون لي: ما اسمه؟ فقال الله تعالى: قل لهم: الأزلى الذى لم يزل؛ أرسلنى إليكم. وقال: هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم. وقال الله أيضا لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: يَهُوَه إله آبائكم. إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد. وإلى دهر الدهرين»<sup>(١)</sup>.

وقال الله لموسى فى التوراة: «أنا الله إلهك. فلا يكن لك إله غيري. فلا تعبده ولا تسجد له ولا تشبهه بشيء مما فى السماء ولا مما فى الأرض ولا بما فى البحار»<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى فى التوراة: «اعلم: أنى أنا الله وحدى وليس معى غيري، أنا أميت وأحى وأنا أسقم وأبرئ، ولا ينجو أحد من يدي»<sup>(٣)</sup>. وإفراد

(١) خروج ٦: ٣ + وفى الأصل «أهيا شر أهيا» ومعناها «الأزلى الذى لم يزل».

(٢) خروج ٢٠: ٢٠ + .

(٣) التثنية ٣٢: ٣٩ انظر أيضا: مزمو ٢٠٢: ١٠٢ وإشعيا ٤١: ٤ و ٤٨: ١٢ .

البارى بالوحدانية ونفى الشركاء فى التوراة كثير جدا .

وقال المسيح فى إنجيل متى: «لا صالح إلا الله الواحد»<sup>(١)</sup> . وقال المسيح فى إنجيل يوحنا ورفع بصره إلى فوق: «إلهي . إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذى أرسلت المسيح»<sup>(٢)</sup> . وقال أيضا فى إنجيل متى جواباً للشيطان . حين قال له اسجد لى وأعطيك جميع ما فى العالم: «اغرب عنى يا شيطان؛ فإنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وله وحده أعبد»<sup>(٣)</sup> . وقال فى إنجيل يوحنا: «إنى ذاهب إلى إلهى وإلهكم»<sup>(٤)</sup> . وقال فى إنجيل يوحنا أيضا: «إنى لم آت لأعمل بمشيئى بل بمشيئة من أرسلني»<sup>(٥)</sup> . وقال فى إنجيل مرقس: «إلهى إلهى لم تركتني»<sup>(٦)</sup> .

وقال فى إنجيل متى: «يا أبت إن أمكن صرف هذا الكأس عنى؛ فاصرفها لكن كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا»<sup>(٧)</sup> . وقال مرقس فى إنجيله: «سئل المسيح عن يوم القيامة فقال: لا يعرفها ملائكة السموات ولا الابن يعرفها، ولا يعرف ذلك اليوم سوى الأب وحده»<sup>(٨)</sup> .

وقال فى إنجيل يوحنا فى الفصل الأول منه: «الله لم يره أحد قط»<sup>(٩)</sup> . وقال فيه لليهود: «لم تطلبون قتلى . وأنا رجل كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله تعالى»<sup>(١٠)</sup> .

وقال لليهود أيضا: «لم تمجدون الناس ولا تمجدون الله الواحد»<sup>(١١)</sup> وقال فى

(١) متى ١٩: ١٦ + .

(٢) يوحنا ١٧: ٣ .

(٣) متى ٤: ١٠ انظر أيضا: تث ٦: ١٣ و ١٠: ٢٠ ويش ٢٤: ١٤ واصم ٧: ٣ .

(٤) يوحنا ٢٠: ١٧ .

(٥) يوحنا ٦: ٣٨ .

(٦) متى ٢٧: ٤٦ وأيضا: مزمو ٢٢: ١ .

(٧) متى ٢٦: ٤٣ .

(٨) ليس المراد يوم القيامة وإنما المراد فتح المسلمين لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب والنص فى مرقس ١٣ .

(٩) يوحنا ١: ١٨ .

(١٠) يوحنا ٨: ٤٠ .

(١١) يوحنا ٥: ٤٤ .

إنجيل متي: «إن ربكم واحد فرد»<sup>(١)</sup>. وقال شمعون الصفا في كتاب فراكسيس تأليف لوقا: «يا بني إسرائيل اسمعوا مقالتي: إن يسوع الناصري رجل ظهر لكم من الله بالقوة والأيدى والعجائب التي أجراها على يده»<sup>(٢)</sup>.

وقال داود في المزمور الثامن عشر: «الله لا ريب فيه، هو منجى من توكل عليه، لا إله إلا الرب ولا عزيز مثله»<sup>(٣)</sup>.  
وذلك في المزامير كثير جداً.

وقال داود في المزمور الخمسين: «اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوبخك على ذبائحك. قودك أمامي في كل حين»<sup>(٤)</sup>.

وقال فولس في رسائله: «إنه لا إله إلا واحد»<sup>(٥)</sup>. وقال أيضاً: «إن كان في الأرض آلهة وأرباب كثير؛ فإن إلهنا نحن إله واحد، هو الأب الذي منه كل شيء ونحن به تعالي»<sup>(٦)</sup> فمن زعم أن الذي ذكرناه كفر فقد كفر بتوراة موسى وإنجيل عيسى ونبوات الأنبياء.

### المسألة الثانية من العشر المفحمت:

إنا نسألهم عن هذا الإله الواحد الأزلي - جل وعلا - أهو جسم ذو لحم ودم وأعضاء وشعر وظفر أم يتنزه ويتقدس عن ذلك؟

فإن قالوا: إن البارئ يتقدس عن ذلك. إذ هو خالق الأجسام؛ أخرجوا المسيح من الربوبية إذ الإنجيل يشهد من فاتحته إلى خاتمته بأنه ذو جسم ولحم وشعر وظفر، لا يفارق المخلوقين في شيء ولا يباينهم في هيئة. وإن وصفوا البارئ بهذه النقائص؛ أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات. قال الله تعالى في التوراة: «لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق، ولا في الأرض أسفل، ولا في البحار

(١) متي ٩: ٢٣ .

(٢) أعمال ٢: ٢٢ + .

(٣) مزمور ١٨: ٣٠ + وفي الاصل السابع عشر .

(٤) مزمور ٥٠: ٧ - ٨ وفي الاصل التاسع والاربعون .

(٥) رومية ٣: ٣٠ .

(٦) كورنثوس الأولى ٨: ٦ .



تحت، ولا بشيء مما يدبّ من الحشرات والهوام»<sup>(١)</sup> وغير ذلك. وهو معنى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

وقال موسى في التوراة: «لا إله مثل إلهنا»<sup>(٢)</sup> وقال أيضا فيها: «لا إله مثل إله بني إسرائيل»<sup>(٣)</sup> والمسيح مما في الأرض وله أمثال وأشباه وأشكال. وقال المسيح في الإنجيل: «إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد قط»<sup>(٤)</sup> وذلك يقضى بنفى الجسمية عنه.

وقال داود في المزمور السبعين: «عليك توكلت يا رب، فلا أخزى أبداً، أنت إلهي وحافظي وحصني الذي أجا إليه في كل حين، أنت صانع العجائب لا نظير لك يا قدوس إسرائيل»<sup>(٥)</sup> .

### المسألة الثالثة من المفجمات:

إنا نسأل النصراني عن الرب الخالق الأزلي إله إبراهيم وداود وسائر العالم، هل يفتقر إلى الطعام والشراب؛ فيجوع ويعطش وينام ويسهر ويحزن ويفرح ويمشي ويركب أو لا؟ فإن قدّسوا الباري عن هذه النقائص؛ تركوا القول بربوبية المسيح؛ إذ الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته يشهد بملاسة المسيح لهذه الأمور، وإن جوزوا ذلك على الباري - جل وعلا - كفروا بالإنجيل والمزامير. قال المسيح في الإنجيل: «الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد» . وقال داود في المزمور الخمسين<sup>(٦)</sup>: «اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوبخك على ذبائحك. وقودك أمامي في كل حين. لا أقبل ثيران بيتك ولا جداء غنمك؛ لأن لي جميع حيوان البرّ وطير السماء ووحش الصحاري، وأحسن الحقول معي، لي الدنيا وما فيها، لا أكل لحوم الثيران ولا أشرب دم المعز، أذبح لله ذبيحة التسبيح، وأوفى للعلّيّ

(١) خروج ٢٠: ٤ .

(٢) خروج ١١: ١٥ أيضا: صموئيل الأول ١٢: ٧ الملوك الأول ٢٢: ٨ ومزمور ٦: ٨٩ وإرميا ٦: ١ وإشعيا ٣: ٦ .

(٣) التثنية ١٠: ١٧ .

(٤) راجع برنابا في هذا الاقتباس .

(٥) مزمور ٧١: ١ + .

(٦) في الاصل التاسع والأربعين .

نذكرك، وادعنى فى يوم شدتك أنقذك» وقال داود: «إن حارس بنى إسرائيل لا تأخذه سنة ولا نوم»<sup>(١)</sup>.

فمن زعم أن البارى مفتقر إلى هذه الأمور. فللحيوان البهيم عليه فضل عظيم. بشهادة نبي الله إشعيا حيث يقول فى نبوته: «عرف الثور والحمار من مالكة، ولم يعرف بنو إسرائيل إلههم».

وقول داود عن الله: «لا أكل لحوم الشيران ولا أشرب دماء المعز» موافق لقول الله تعالى فى الكتاب العزيز: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾.

#### المسألة الرابعة من العشر المفجمات:

إننا نسألهم: هل كان مع الله فى أزله إله ثان أو ثالث يشاركه فى الربوبية ويساويه فى الألوهية، أو لم يزل سبحانه واحداً بغير ثانٍ وثالث؟

فإن قالوا: لم يزل واحداً فرداً؛ وافقوا الملة الحنيفية، وفارقوا دين النصرانية. حيث يقرءون فى الصلاة الأولى وهى التى يسمونها صلاة السحر: «أيها المسيح ارحمنا واقبل تضرعنا، تعالوا نسجد لمسيح إلهنا، أيها الرب المسيح حامل خطايا العالم ارحمنا أيها المسيح، أنت وحدك القدوس المتعالي. بار كل يوم إلى الأبد».

وإن قالوا: بل كان معه فى أزله آلهة أخرى، أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات. قال الله تعالى فى التوراة فى السفر الأول منها - ويسمى سفر الخليقة -: «فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خالية خاوية غير مرئية، والظلمة غاشية وجه الغمر، وريح<sup>(٢)</sup> الله يرف على المياه. فقال الله: ليكن كذا ليكن كذا، إلى أن أكمل سبحانه خلق السماء والأرض وما فيها فى ستة أيام ثم خلق آدم وخلق منه حواء زوجته».

فالتوراة من فاتحتها إلى خاتمتها مصرحة بوحدانية الله تعالى وأنه ليس معه إله غيره وأنه مستبد بالخلق والاختراع.

(١) المزمور ١٢١ والمزمور ١٢٧ وإشعيا ٢٧: ٣.

(٢) اليهود يترجمون ربح وهواء والنصارى يترجمون روح.

وقال التوراة: «وكلم الله آدم» - «وكلم الله قايين» - «وكلم الله نوحا» - «وكلم الله موسى» كل ذلك بلفظ الوحدة ونفى الشركاء .

وقد قال موسى في السفر الخامس: «إلهي، أي إله في السماء أو في الأرض يعمل مثل أعمالك» (١) .

وقال موسى في هذا السفر وهو يوصي بنى إسرائيل: «احترسوا واحتفظوا بنفوسكم جدا؛ فإنكم لم تروا شبها في اليوم الذي كلمكم الله ورأيتم مجده، إياكم أن تعبدوا آلهة معمولة من الخشب والحجارة وغيرها، فحيثئذ تطلبون الله فلا تجدونه، أقبلوا يا بنى إسرائيل إلى الله ربكم وحده، واعبدوه، ووحده، تجدونه إذا طلبتموه من كل قلوبكم وأنفسكم؛ لأن الله ربكم إله رحيم لا يخذل ولا يُسلم من عبده ووحده وعلم أنه لا إله غيره. هو رب كل شيء وإلهه، واعلموا: أن الله هو إله في السماء فوق، وفي الأرض أسفل. وليس إله سواه» (٢) .

وقال الله تعالى في هذا السفر من التوراة: «احفظوا ما أمركم به، ولا تحيدوا عنه يمينا ولا شمالا، بل سيروا في الطريق التي أمركم بها إله ربنا واحد فأحبوه من كل قلوبكم وأنفسكم وأموالكم، واكتبوا ذلك في قلوبكم، وتكلموا به إذا سافرتم أو أقمتم أو رقدتم وشدوه على أبدانكم، وليكن ميسما بين أعينكم، واكتبوا على قوائم بيوتكم وأبوابكم، واتقوا الله. وإياه فاعبدوا، وباسمه فأقسموا، ولا تعبدوا آلهة أخرى؛ فالله ربكم إله غيور» (٣) .

وقال الله في التوراة: «إن دعاك قريبك أو صديقك إلى عبادة إله غير الله فاقتله ولا تحتن عليه ولا ترحمه، أنا الله وحدي وليس معي غيري» (٤) .

وقال رجل للمسيح في الإنجيل: «يا معلم، ما أول الوصايا؟ فقال المسيح: أول الوصايا كلها: اسمع يا إسرائيل، الرب واحد، أحب الرب إلهك من كل قلبك

(١) تث ٣: ٢٤ .

(٢) تث ٤: ١٥ + .

(٣) تث ٥: ٣٢ + .

(٤) تث ١٣: ٦ + .

ومن كل قوتك. ففي هذا جميع نواميس الأنبياء»<sup>(١)</sup> وقال المسيح في إنجيل يوحنا ورفع رأسه إلى السماء: «أنت الإله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع»<sup>(٢)</sup> وقد قال في النبوات: «أنا الله الأول، أنا الله الآخر. وليس معي غيري»<sup>(٣)</sup>.

فمن زعم أن مع الله تعالى غيره؛ فقد كفر بما تلوناه من كتب الله، وصار لا مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً. ومن صرّح بذلك لم يقبل منه سوى الإسلام أو السيف.

### المسألة الخامسة من العشر المفجمات:

إنا نسأل النصارى عن الرب الأزلى - جلّ وعلا - هل يجوز أن يُقهر ويُغلب ويُقتل ويُصلب أو لا؟ فإن نزهوا الباري عن ذلك أبطلوا قولهم في المسيح، إذ يقرأون في صلاة الساعة السادسة: «يا من سُمّرت يدها على الصليب خرّق العُهدة المكتوب فيها خطايانا وخلصنا، يا من سُمّر على الصليب وبقي حتى لصق دمه عليه، قد أحببنا الموت لموتك، نسألك يا الله بالمسامير التي سُمّرت بها نَجّنا».

وإن جوزوا ذلك على الله تعالى أكذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير، إذ التوراة تشهد في السفر الأول منها: أن الله أنزل الطوفان، وأهلك الجبابرة والفراعنة والطغاة والنماردة وسائر الملوك من بنى آدم وكل ذى روح من الحيوان البهيم وغيره، وكذلك تشهد: أن الله أغرق فرعون وهو في ستمائة ألف فارس في البحر في ساعة واحدة، ولم يُقهر سبحانه ولم يُغلب بل هو القاهر الغالب - جلّ وعلا - وقد قال المسيح في إنجيله: «لا صالح إلا الله الواحد» و«لا يعلم يوم القيامة سوى الله وحده» فمن ألحق بالله شيئاً من هذه النقائص؛ فقد افترى على الله - تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً - .

قال داود في المزمور الثامن عشر: «لا إله إلا الله، لا عزيز مثل إلهنا، الذي علّم يديّ القتال، وشدّد ذراعي مثل قوس النحاس، يمينه نصررتني، أطلب أعدائي

(١) مرقس ١٢: ٢٨ + أيضاً تث ٦: ٤ - ٩ .

(٢) يوحنا ١٧: ٣ .

(٣) إشعياء ٤٤: ٦ .

فأدركهم، عضدى فى الحرب، بقوته جعل الذين قاموا عليّ تحتي، سحق أعدائى مثل التراب. و مثل طين الطرق أطوهم، صيرنى رأساً على الشعوب» (١) .

### المسألة السادسة من العشر المفجمات:

إنا نسأل النصارى عما تضمنه الإنجيل من أقوال المسيح وأقوال تلاميذه فيه . أحق هو أم باطل؟ فإن زعموا أنها باطلة؛ كفروا بالمسيح، وساووا فى ذلك اليهود والمجوس وغيرهم. وإن قالوا: إنها حق وصدق، اعترفوا بعبودية المسيح ونبوته ورسالته أسوة غيره من الأنبياء والمرسلين. إذ قال المسيح فى إنجيله: «أنا ذاهب إلى إلهى وإلهكم» وقال المسيح فيما حكوا عنه: «إلهى إلهى لم تركتني؟» ولا خلاف بين النصارى أن المسيح تطهر وتعمد وصام وصلى وتعبّد وأخلف إلى العلماء فى طلب العلم وتردد وفاوضته امرأة من السامرة فقالت له: «إن آباءنا سجدوا فى هذا الجبل، فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟ فقال: يا هذه أنتم تسجدون لما لا تعلمون، ونحن نسجد لمن نعلم». أخبرها أن له رباً يسجد له، وإلها يعبده. وذلك مصدق لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾ .

وقد قال متى فى إنجيله: «إن المسيح حين دخل أورشليم ارتجت المدينة لدخوله، وقال الناس: هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل» (٢) .

وقال لوقا فى إنجيله: «صحب يسوع بعد قيامه رجلين، وهما يتحدثان فى أمره، فقال لهما: من تذكرا؟ فقالا: يسوع الناصري. كان رجلاً نبياً قوياً بالأعمال». فأقرهما ولم ينكر عليهما .

وقال لوقا: «لما أحيا يسوع المسيح ابن الأرملة وسلّمه إلى أمه، قال الناس: لقد قام فينا نبى كريم، وتعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع ذلك فى اليهودية» (٣) ولم ينكره عليه السلام .

وقال يوحنا فى إنجيله: «كان الناس إذا سمعوا كلام المسيح ورأوا وجهه

(١) الزمور ١٨ وهذا الزمور عن محمد ﷺ وهو بين تأمر أعدائه وانتصاره عليهم .

(٢) متى ٢١: ١٠ .

(٣) لوقا ٧: ١٢ .

قالوا: هذا النبي حقا»<sup>(١)</sup>. وقال لوقا: «قال الفرّيسيون ليسوع: اخرج من ههنا، فإن هيرودس يريد قتلك. فقال: امضوا وقولوا له: إني أقيم ههنا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل. لأنه لا يهلك نبي خارجاً عن أورشليم» وقال يوحنا حبيب المسيح: «إن المسيح لما أطمع من حوتين وخمس خبزات جمعاً عظيماً، قال الناس: حقا إن هذا لهو النبي الآتى إلى العالم».

فإن صدق النصارى أقواله وأقوال تلاميذه؛ فقد اعترفوا بعبوديته ونبوته، وإن ردوا أقواله، كفروا به جملة، وساووا في ذلك سائر الكفار.

### المسألة السابعة من العشر المفجمات:

إننا نسأل النصارى عن أيشوع المسيح، هذا الذى يتخذونه إلهاً مع الله، هل كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون وأهل مللهم فى زمانهم يعرفونه أو لا؟ فإن زعموا: أنهم ما كانوا يعرفونه؛ فقد أزروا على من ذكرنا من أنبياء الله وأهل صفوته وشهدوا عليهم بالكفر الصريح، إذ كانوا لا يعرفون ربهم يسوع المسيح الذى لا يصح التوحيد دون معرفته.

وإن قالوا: إنهم كانوا عارفين به أنه هو ربهم وخالقهم، أكذبتهم كتبهم ونبواتهم، إذ ليس فيها من هذا القبيل، وأزروا على المسيح وعلى تلاميذه وخطأوهم فى أقوالهم؛ إذ يخاطبون المسيح بلفظ العبودية والنبوة والرسالة. كما تقدم فى بابى عبوديته ونبوته. وكيف يكون المسيح رب موسى وإبراهيم ومن ذكرنا وشمعون الصفا رئيس الحواريين يقول فى رسائله إلى إخوانه: «اعلموا: أن الله أرسل إليكم يسوع المسيح»<sup>(٢)</sup>، ويقول: «اعلموا: أن المسيح رجل جاءكم من الله بالقوة والأيد»<sup>(٣)</sup>

فكيف يكون المسيح رباً وإلهاً والمعمدانى يغسله ويعمّده بالماء، ويقول حين رآه: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعدى وهو أقوى منى؟». وكيف يكون المسيح إلهاً لداود وغيره. وداود يقول فى مزاميره: «إن المسيح يكون كاهناً مؤيداً من

(١) يوحنا ٧: ٤٠ .

(٢) أعمال ٢: ٢٦ .

(٣) أعمال ٢: ٢٢ + .

الله، يُشبهه «ملكى صادق» خادم البيت المقدس؟ وقد قال المسيح: إنه أفضل من يونس بن متي، وإنه أفضل من سليمان. وقال فُولس: إنه أفضل من موسى بن عمران. فهذه الأقوال من المسيح ومن خيار أصحابه ومن سبق عليه من الأنبياء؛ دليل على كذب النصارى.

### المسألة الثامنة من العشر المفحمت:

إنا نسألهم عن آدم عليه السلام لما زلَّ وهَفَا. هل استرجع وتاب، وأقلع وأتاب أو لا؟ فإن زعموا أن آدم لم يتب؛ أكذبتهم الكتب التي بأيديهم؛ فإنها مصرحة بأنه حين أسف وندم؛ لجأ إلى الله، وتاب الله عليه. وإن اعترفوا بتوبته - ولا بُدُّ لهم من ذلك - قيل لهم: فلا حاجة إذاً إلى قتل المسيح وصلبه إذ التوبة تمحو الجريمة، ولا تدع على التائب صغيرة ولا كبيرة. فإن قالوا: إنه لا بد من قتل المسيح. فالتوبة لا أثر لها بل حال التائب بعد التوبة النصوح، كحاله قبل التوبة في ملابسة القبيح.

فالقول بصحة التوبة؛ ينفي القول بالقتل والصلب، والقول بالقتل والصلب؛ ينفي صحة التوبة.

### المسألة التاسعة من العشر المفحمت:

إنا نسأل النصارى: هل يُوصف البارى - سبحانه - بالجهل بالغيب أو لا؟ فإن وصفوه بذلك؛ تجاهلوا، إذ التوراة والإنجيل وسائر كتب التنزيل تشهد بأنه تعالى عالم بالمغيبات، محيط بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السموات ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟

فإن قالوا: إنه لا يصلح من هذا حاله للربوبية. تركوا ما يهتفون به من ربوبية المسيح إذ سُئِلَ عليه السلام عن القيامة وعن يومها. فقال: لا أعرف يومها ولا ساعتها ولا يعرفها إلا الله وحده. وقال لمريم ومرثا - أختى لعازر - حين مات: أين دفنتموه؟ وقال عليه السلام لرجل: «منذ كم أصاب ابنك هذا المرض؟» وقصد شجرة تين ليصيب منها، فلم يجد بها ثمرة فدعا عليها، وجاءته الكنعانية مؤمنة

به، فلم يعلم بإيمانها.

فهذا مصرح بأن المسيح عليه السلام لا يعلم إلا ما علمه الله ربه وإلهه. وفي ذلك تكذيب لقولهم في الأمانة التي لهم. إذ يقولون: إن المسيح إله حق وإنه خالق كل شيء، وإنه بيديه أتقنت العوالم. فإن كانت الأمانة صحيحة؛ فقد كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صحيحاً؛ فقد كفر من عقّد لهم هذه الأمانة، التي هي في الحقيقة فساد الأمانة.

### المسألة العاشرة من المفحات:

إنا نسأل النصارى، هل كان البارى تعالى يُوصف بالقدرة على خلاص آدم وذريته، دون قتل المسيح وصلبه والتنكيل به أو لا؟  
فإن قالوا: لا يقدر على ذلك؛ جعلوا الله مضطراً مدفوعاً إلى قتل المسيح، عاجزاً عن خلاص عباده إلا بذلك، وأكذبتهم التوراة والإنجيل وسائر كتب التنزيل، إذ تقول: إن الله خلق العالم بما فيه، وفعل من ذلك ما شاء وأراد ﴿لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون﴾ .

وإن وصفوا البارى بالقدرة على ذلك جَوْرُوهُ ونسبوه إلى الحيف على المسيح وذلك يفسد عليهم القول بالتحسين والتقيح.

### دعوى للنصارى فيما يرومونه من قتل المسيح وصلبه:

زعموا بأجمعهم: أن آدم لما تخطى ما أمر به وزل؛ استحق العقاب. فلما توجه عليه العتاب؛ أشفق من ذنبه وتقطع أسفا على مخالفة ربه. فرحمه الله ولطف له وفداه بابنه المسيح. فكان كل ما نزل بالمسيح من ضرب وإذلال وصلب وموت إنما هو فداء وقضاء عن آدم؛ فضرِبَ عوضاً من رفاهية آدم، وأهين بدلاً من عزّه الذى أمّله بالخلود فى الجنة. وصلب على خشبة لتناوله الشجرة، وسُمرت يداه لامتداد يد آدم إلى الثمرة. وسقى المرّ والخلّ عند عطشه، لاستطعام آدم حلاوة ما أكله. ومات بدلاً عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه لولا قتل المسيح؛ فانتقضت حكمة الله الأزلى أن لا يُعذب عبده آدم لوجود التوبة النصوح الصادرة



منه، وأن لا يُهمل مجاناً فيقع الخُلف في خيره، وذلك رحمة من الله ولطف لآدم وبنيه، وإظهار الشرف للمسيح. إذ جعله كبش قربان العالم بأسره. فصبر المسيح ولم ينازع، واستسلم ولم يدافع. فهذه هي الحكمة في قتل المسيح وصلبه.

والجواب: أن نقول: أليس قد وافقتم على أن آدم لما ورد عليه العتاب استرجع وتاب، وأقلع وأتاب؟ وإذا كان الأمر كذلك، فأَيُّ شيء أنفت التوبة من ذنبه، حتى يقتل المسيح فداءً عنه؟ والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فصار قتل المسيح عبثاً، والرب يتعالى ويتقدس عن العبث، وليس قوله تعالى لآدم نصاً، بل هو ظاهر يدخله النسخ والتخصيص. والدليل عليه: أنه لو وصله بالكلام وقال: إن عصيتني عذبتك إلا أن تتوب؛ لقبه الكلام ولم ينبُ عنه، ولعدّ كلاماً حسناً، وإنما ترك الزيادة فلم يصلها بالكلام ليكون أدعى إلى الانكفاف. وهكذا كل ظاهر. فإنه يرد مطلقاً بلفظ يوهم التأييد ثم يجيء الناسخ والمخصص. فبين أن المطلوب وقتاً قد انقضى ومضى، وأنه ليس مسترسلاً أبداً. فهو سبحانه توعدّ آدم إلا أن يتوب. وقد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له؛ فلا معنى بعد ذلك لقتل المسيح. ثم نقول لهم: أخبرونا عن هذا القضاء الذي تدعونه، أليس هو استدراك مصلحة الأداء، وهو أن يأتي القاضي بمثل ما قوّت؟

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فالذي قوّته آدم هو الانكفاف عن الأكل، وقد قضاه المسيح بصومه ووصاله أربعين يوماً بلياليها. كما حكيتم عنه في الإنجيل. وفي ذلك قضاء لما ضيَّعه آدم؛ لأنه من جنس الأداء المَقوّت، فلا حاجة إلى قتل المسيح. إذ هو خارج عن جنس الأداء المضيِّع.

فإن قالوا: إن آدم وجب عليه موت المعصية. وهو: الخلود في النيران أبداً. وهو أعظم الموتين، فجاء موت المسيح قضاءً عن ذلك الموت، فصار من جنسه. فنقول: هذا باطل؛ لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم؛ لكان المسيح قد أماته الله موت الخطيئة، فكان يكون مخلداً في دركات النار بدلاً عن آدم. فأما إذ مات موت الطبيعة - وهو ينقضى عن صاحبه وشيكاً - فكيف جعلتم موتاً لا بقاء له مكافئاً لموت لا انتهاء له؟ فبطل ما عوَّلتم عليه، وإذا بطلت دعواكم،

بطل قتل المسيح. إذ صار ساذجاً عن المعنى، فارغاً من الفائدة. والرب يتعالى عن العبث.

ثم نقول لهم: أليس ولد الصُّلب أُولَى من ولد الابن، وولد البنت في الميراث وكثير من الأحكام؟ فما الذي أصرار المسيح على بُعْده أَحَقُّ من «شِيث» وَمَنْ في درجته بهذا الفداء والقضاء؟ فإن قالوا: المسيح هو ابن الله ولم يصلح لفداء الخلائق وخلص الأُمم سواه.

قلنا: ليس من العدل أن يجنى ابن آدم؛ فَيُقْتَل ابن الله في جنايته. ثم نقول: أليس إسرائيل عندكم في التوراة هو بكر الله، والبِكْرُ أُولَى وأفضل عند أبيه من غير البكر؛ فهلا فداه به ولم يدع الناس في العذاب إلى حين مجيء المسيح؟ ثم نقول: إن المسيح<sup>(١)</sup> عند طائفة منكم هو الله الأزلي، وعند أخرى هو ابن الله، فكيف يستقيم أن يقتل الله نفسه أو ابنه بدلاً عن عبده؟ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فكيف يتوفى نفسه، فيتحد القاتل والقتيل فيكون قاتلاً قتيلاً؟ ثم نقول: أرايتم لو أن رجلاً أمر عبده بأمر. فخالفه العبد فغضب عليه وتوعده فخافه العبد وأشفق من عقوبته وراجع خدمته وشمر في مرضاته؛ فعطف عليه مولاه فرحمه، ثم عمد إلى ولد نفسه فقتله وصلبه على أعلى جذع، ثم التفت إلى عبده فقال: هذا فداؤك. أكتم تعدونه حكيمًا؟

ثم نقول: أستمعتم قول ربنا جلَّ اسمه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنْ شِبْهَ لَهُمْ﴾ وزعمتم: أن ذلك ظلم وحيف لا يليق بالحكمة؟ فكيف نسيتم نفوسكم ههنا، وجوزتم أن يقتل الله المسيح ويصلبه وينكل به فداء عن آدم، ولم تجعلوا ذلك ظلماً وحيفاً؟ والجور لا يجوز على الولد، كما لا يجوز على العبد والأجنبي.

ثم نقول: أليس يجب أن يكون القضاء متصوراً بصورة الأداء - وهو أن يأتي القاضى بمثل ما فات - والمسيح عندكم ليس مثل آدم، لأن آدم إنسان محض

(١) عند الأرثوذكس هو الله متجدد، وعند الكاثوليك ثالث ثلاثة والابن عند الكاثوليك ابن طبيعي.

والمسيح ليس محضاً، بل قلمت: إنه عبارة عن لاهوت وناسوت اتحاداً، وإذا كان الأمر كذلك، فليس في قتله ما يقضى عن آدم.

فإن قالوا: هذا بمثابة مَنْ عليه درهم، ففضى درهما ودينارا، فإن ذلك يُعدُّ من حسن القضاء. قلنا: هذا خطأ في التمثيل، بل ذلك بمثابة مَنْ عليه صوم فقضاه بصلاة أو زكاة؛ لا يكون قضاء. وإذا كان المسيح ليس إنساناً محضاً، فكيف يكون مكافئاً لإنسان محض وأدمى صرفاً؟

ثم نقول: بم تنكرون على من يزعم أن الذى فُدى به آدم إنما هو هايبيل ابنه لصُلبه؟ فإنه استسلم للقتل فحصلت له الشهادة ولأبيه الفداء؟ وهذا أولى الوجهين: أحدهما: أنه من جوهر أبيه آدم، فهو إنسان حق من إنسان حق من جوهر آدم. فأما المسيح فهو عندكم إله حق من إله حق من جوهر الله. كما عقدتم فى أمانتكم.

والوجه الثانى: أن الفداء بهاييل المبادرة إلى خلاص الخلائق من الجحيم، وفى الفداء بالمسيح بقاء آدم وذريته فى العذاب خمسة آلاف سنة.

وكان الفداء بهاييل أولى. ولا سيما على أصلكم؛ فإنكم توجبون على الله تعالى رعاية الأصلح لعباده، وليس من الصلاح - فضلاً عن الأصلح - أن يعاقب الله عبده آلاف من السنين. وله مندوحة عن ذلك.

ثم نقول: أستم رويتم عن توراتكم: أن الله كان قد فدى ولد عبده إبراهيم بذبح عظيم؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: أفكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح أم تقولون: إنه أعوزته الغنم. فلم يقدر على رأس يذبحها ويريح العالم من الفتنة؟ وقد رويتم لنا ما يدل على أن البارى - سبحانه - صان المسيح عن شر أعدائه، وحماءه من القتل والإهانة التى ذكرتم فى التوراة: أن الله تقدم إلى إبراهيم بذبح ولده، فلما عزم على امتثال أمر الله لطف الله بهما وفدى الولد وتعقب ذلك الأمر الحزم والحكم الحتم رحمة لعبده، وإذا كان ذلك جائزاً فى حكمه، فلعل الله تعالى قد أمر المسيح فى حق نفسه بما أمر به إبراهيم فى حق ولده، فاستسلم المسيح وانتهى إلى ما أمره الله به، وصار يخبر بذلك تلاميذه، كما كان

إبراهيم يخبر به ولده.

ثم لما صحَّ عزم المسيح على تجرع الكأس الذي أمر به، لطف الله به ورحمه وفداه برجل قد حضر أجله؛ فإنَّ عناية الله بالمسيح لا تتقاصر عن عنايته بولد عبده إبراهيم.

وقد حكيتُم لنا: أن حَزَقِيَا ملك يهوذا مرض، فأوحى الله إلى إشعياء عليه السلام أن قل لحزقيا يوصي فإنه ميت من علته هذه. فدخل إليه إشعياء عليه السلام وأخبره بوحى الله، فاستقبل حزقيا الجدار، وبكى وتضرع إلى الله تعالى. فنزل الوحي على إشعياء قبل خروجه من الدار. وقال: قل لحزقيا: إنك تُعافى من علَّتكَ هذه، وتنزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام. وقد زيد في عمرِكَ خمس عشرة سنة<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى، فما الذى أحاله فى حق المسيح، وقد تضرع إلى الله غير مرة فى صرف كأس المنية عنه كما شهد به الإنجيل؟ والمسيح لا ترد له - عندهم - دعوة، فلعل الله - تعالى - قد أجاب دعاءه ورحم نداءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه.

ثم نقول لهم: ويم تنكرون على من يرى أن الله تعالى تاب على عبده آدم، وعافى نبيه المسيح وفداه بكافر عجله إلى النار، أو بمؤمن عجله إلى الجنة؟ فأى شيء تنكرونه من ذلك؟ وقد بينا فيما تقدم وقوع الشبه وسؤال رئيس الكهنة للشبه: «أأنت المسيح؟» وتورية الشبه فى الجواب، وأنه لو كان هو المسيح نفسه، لما استعمل الحيدة مع استغناؤه عن ذلك.

ويقال للنصارى: ما تقولون فى أحدنا اليوم إذا عصى ربه وارتكب إثماً واحتقَب وزراً. أنجزه التوبة أم لا بد أن يقتل ويصلب؟

فإن قلتُم: تجزيه التوبة؛ فمن أصاره بهذا التخفيف أولى من صفى الله آدم؟ إذ قلتُم: لا بد مع توبته من قتل المسيح لأجله.

وإن قلتُم لا تجزيه التوبة؛ أكذبتُم فولس الرسول، حيث يقول فى صدر كتابه: «أنراك تقدر على الهرب من عقوبة الله الذى أنت مجترئ عليه؟ أو لا تعلم

(١) إشعياء ٣٨.

أن إمهال الله لك إنما هو ليقبل بك إلى التوبة؟» (١).

فقد صرح فُولُس في هذا الكلام بأن التوبة مجزئة ومخلصة، فلا حاجة إلى قتل وصلب. ويقال للنصارى: أستم تعلمون أن الله إنما فدى آدم بالمسيح رحمة لآدم وامتنانا عليه فقتل المسيح بدلا من الموت الذي وجب على آدم؟ فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: أليس ناسوت المسيح إنسانا من بنى آدم يحس ويألم ويفرح ويغتم؟

فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: فكيف فدى آدم ببعض آدم، فقد صارت النعمة مشوبة بالكدر، والنفع الحاصل مشوشا بالضرر؟ فإن قالوا: هذا بمثابة المال يشرف على الهلاك، فتقتضى الحكمة إتلاف بعضه لصون بقيته. فنقول: إنما ذلك لعسر الأمر على المالك، إذ هو مدفوع إما لهلاك الكل أو البعض، فكأنه كالمكروه المحمول على ذلك، والله سبحانه لا مستكره له وليس مضطرا ولا محمولا ولا يفعل ما يفعله لعلته، فلو عفا عن جرم عبده وأحسن إليه لم يعد ذلك منه إلا حسنا ولم ينقص الإحسان خزائنه، ولو عاقب أطوع الناس؛ لم يقبح ذلك منه. وقد أخبرت التوراة: أن الله تعالى عفا عن «السامري» (٢) مع عظم جرمه. وأهلك بلعام (٣) بن بَعُور مع سابق معرفته ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ .

ويقال لمن زعم أن خطيئة آدم قد عمّت سائر أولاده، وأنه لا يظهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح: فالتوراة والنبوات تردّ هذه المقالة الشوهاء. وذلك أن التوراة تقول في السفر الأول - وهو الذى يعرف بسفر الخليقة - لقابيل الذى قتل هابيل، وردّ الله عليه قربانه، ولم يتقبله: «إنك إن أحسنتَ تقبلتُ منك»، وإن لم

(١) رومية ٢: ٣ + .

(٢) معنى «السامري»: المضلّ، لا أنه رجل بعينه. وكان العبرانيون يطلقون على المسيح لقب «سامري» بمعنى المضل. والسامريون كانوا يريدون بالمثل على العبرانيين «ألستا نقول حسنا: إنك سامري، وبك شيطان؟» إيو ٤٨: ٨ .

(٣) بلعام بن بَعُور. قال عن يوم القيامة: «لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كأخرتهم» [عدد ٢٣: ١٠]. وفى القرآن الكريم: ﴿وَتَوَلَّيْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ وقال عن محمد رسول الله ﷺ: «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريبا» [عدد ٢٤: ١٧] .

تحسن؛ فإن الخطية رابضة ببابك» (١) وإذا كان الأمر كذلك؛ فقد صار إحسان المحسن من بنى آدم مطهراً له ومخلصاً؛ فلا حاجة إلى شيء آخر.

وقال الله تعالى فى السفر الأول من التوراة: «إنى سأجزى هايل عن الواحد سبعة» وفى ذلك مندوحة عن التطهير بقتل وصلب، إذ الجزء طهرة وزيادة.

وقد قال الله تعالى فى بعض النبوات: «لا آخذ الولد بخطية والده ولا الوالد بخطية ولده. طهارة الطاهر له تكون، وخطية الخاطئ عليه تكون» وذلك موافق لقول ربنا جلّ اسمه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

وقد قال الله فى المزمور الرابع: «يا بنى البشر حتى متى أنتم ثقلوا القلوب؟ لماذا تهوون الباطل وتتبعون الكذب؟ اغضبوا ولا تأثموا، والذى تهمون به فى قلوبكم؛ اندموا عليه فى مضاجعكم، اذبحوا لله ذبيحة البر وتوكلوا على الرب» (٢) فهذا المزمور من مزامير داود يقول: إنه لا حاجة إلى قتل المسيح. إذ كان الندم والتوكل على الرب تعالى فيه مندوحة عن ذلك.

وقال الله تعالى فى المزمور الأول: «طوبى لمن لم يتبع سبيل المنافقين، ولم يقف فى طريق الخاطئين، ولم يجالس المستهزئين، لكن فى ناموس الرب يدرس الليل والنهار» (٣) فقد أخبر الله تعالى على لسان داود عليه السلام أن الاشتغال بأسباب الخير ومفارقة أهل الشر مخلص. فلا حاجة إلى الخلاص بقتل المسيح وصلبه.

وقال فولس - خطيب النصارى ومتكلمهم -: «أولا تعلم أن إمهال الله لك إنما

(١) تكوين ٤: ٦ - ٧ وأضيف إلى كلام المؤلف: «وأما النفس التى تعمل بيد ربيعة من الوطنيين أو من الغريباء؛ فهى تزدري بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها؛ لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعاً تقطع تلك النفس. ذنبها عليها» {عدد ١٥: ٣٠}.

«لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيته يُقتل» {ثت ٢٤: ١٦} وفى المزمور المائة والثلاث عشر لداود: «نفسى دائماً فى كفى. أما شريعتك فلم أنسها» {مز ١١٩: ١٠٩}.

وفى إنجيل متى يقول المسيح: «ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدين؛ لأنك بكلامك تُبدر، وبكلامك تُدان» {متى ١٢: ٣٦ - ٣٧} .

(٢) مزمور ٤: ٢ .

(٣) المزمور الأول وهو الذى أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب...﴾ .

هو ليقبل بك إلى التوبة» (١) فإن كان لابد من قتل المسيح لضرورة خلاصهم؛ فلا معنى لتوبة الله على عبده. والدليل على أن التوبة ماحية للخطيئة. قول الإنجيل: إنه لما أسلم المعمداني للقتل، خرج يسوع إلى الجليل، وجعل ينادى ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا وآمنوا بالبشرى» (٢). فقد شهد المسيح عليه السلام في هذا الكلام بأن التوبة تستقل بمحو الآثام. فلا حاجة إلى محوها بأمر آخر.

ويقال للنصارى: ما تقولون فيمن احترموا قبل مجيء المسيح. أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟ فإن قالوا: مؤمنين، فقد سلموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح في تخليصهم، إذ إيمانهم هو الذي خلصهم. وإن قالوا: بل كانوا كفاراً؛ أكذبهم المسيح. إذ يقول في الإنجيل: «إني لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بيت إسرائيل» - «وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء». ثم نقول لهم: أستم تزعمون أن المسيح إنما تجشم ونزل من السماء لخلاصكم. معشر الناس، كما عقدتم في الأمانة التي لكم؟

فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فما قولكم فيمن مات قبل نزوله عليه السلام؟ وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟ فإن قالوا: تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموته. قلنا لهم: جورتم المسيح ونسبتموه إلى الظلم والحيث، حيث لم ينزل لخلاصهم قبل موتهم. فلم آخر ذلك حتى احترموا على الكفر والضلال؟

(١) رومية ٢: ٣ + .

(٢) في الإنجيل أن يحيى عليه السلام قتل وصلب. وفي القرآن أنه لم يقتل ولم يصلب. وذلك لأن الله يقول عن يحيى: ﴿وَسَلِّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا﴾ أثبت موتاً لا قتلاً. ويقول عن عيسى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أثبت موتاً لا قتلاً وأكد بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ويقول: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ .

ويقول النصارى: إن يحيى وعيسى كانا يدعوان معا بدعوة واحدة وهي اقتراب ملكوت الله. ويسمى أيضا بملكوت السموات «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» متى ٣: ١ «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» متى ٤: ١٧ «والبشرى: هي الإنجيل. أي آمنوا ببشارتي عن محمد ﷺ. وهو لفظ يوناني بمعنى الخبر السار.

وكيف صار الأحياء أحق برحمة المسيح عندكم من الأموات؟ وفي هذه المقالة هدم أصلكم في التحسين والتقييح. وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح لما جاء دعا الأحياء وهو حي، ثم مات فدعا الأموات في أجدانهم، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك. فنقول: أدعاهم في أجدانهم وهو حي أم دعاهم وهو ميت؟

فإن قالوا: دعاهم وهو ميت؛ سقطت مكالتهم؛ لتبين جنونهم. وإن قالوا: دعاهم وهو حي؛ نقضوا قولهم: إنه مات فدعا الأموات. ثم يقال لهم: هب أنا ساعدناكم على هذا المحال. فهل لما أتى الأموات دعا المؤمنين والكفار أو اقتصر على دعاء المؤمنين فقط؟

فإن قالوا: دعا الجميع. قلنا لهم: فلعله قد دعا فرعون وثمرود فأمننا، ودعا جماعة من الموحدين فلم يجيبوا، فهل تشكون في أحد من الفريقين؟ فإن توقفوا في ذلك. فقد جوزوا أن يكون فرعون الآن في الجنان، ومن مات على التوحيد في دركات النيران؛ لاحتمال تغير الحال. وإن منعوا ذلك وقالوا: بل كل من الفريقين على ما مات عليه من كفر وإيمان. قلنا: فدعاء المسيح إياهم وموته بسببهم؛ وقع عبثا. وإن قالوا: لا بد من صورة الدعوة لإقامة الحجّة عليهم في القيامة. قلنا: قد دعتهم أنبياءه ورسله وأقاموا الحجّة عليهم، فما حاجته إلى تجشّمه أمرا قد فرغ منه؟ إلا أن تقولوا إنه اتهم أنبياءه في الرسالة والسفارة، أو أنه لم يعلم ما أحدثوا في التبليغ عنه فنزل ليعلم حقيقة الأمر. ثم يقال لهم: أليس قد دعاهم في حالة حياته، فزعمتم أنهم وثبوا عليه فقتلوه فصلبوه وأهانوه؟ أفترّون أنه في حال مماته أنهض منه في حال حياته؟ فما يؤمنكم أن يكون الأموات حين دعاهم في الأجداد؛ قد وثبوا به أيضا؟ وهذا عندكم غير مستبعد. إذ قلتم: إنه دعا الأموات وهو ميت، وإذا كان الميت لا يستحيل منه الدعوة والإجابة؛ فكذلك لا يستحيل الوثوب والقتل.

ثم يقال للنصارى: أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتحدا فصارا مسيحا؟ فإذا قالوا: بلى. قلنا: فالليت أيهما؟ فإذا قالوا: الناسوت. قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت، وعجز عن ذلك لاهوت حي؟ أفقولون: إن ناسوت



المسيح أقدر على الهداية من لاهوته. وأيضا: فإن الناسوت في حال اتحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالناصره وأورشليم لم يتجاوز ذلك فما فارق لاهوته يوماً وليلة. وإن قلت: إنه أتى الأموات وهم في أكناف الأرض متفرقون فدعاهم، فما نرى الناسوت على مقتضى ذلك إلا أعم إحاطة من اللاهوت، وما نرى هذا اللاهوت الذى كان متحداً بالجسد، إلا قد حبسه عن خير كثير، إذ عطله عن الانبعاث ونشر الدعوة. فسحقاً لإله حى أنهضُ منه جسد ميت.

ثم يقال للنصارى: إذا قلت: إن ربكم المسيح قد مات ثم عاش؛ فمن الذى أحياه بعد إماتته؟ فإن قالوا: هو أحيانا نفسه، فنقول لهم: هل أحيائها وهو حى أو أحيائها وهو ميت. والقسمان باطلان على مالا يخفى. وإن قالوا: بل أحياه غيره وهو الذى أماته. قلنا لهم: فذلك الغير الذى تولى موته وحياته أحي هو أم ميت؟ فإن قالوا: ميت، كان ذلك محالاً. إذ الميت لا يحيى ولا يميت. وإن قالوا: إنه حى قادر أمات المسيح، ثم أحياه. قلنا: فقد اعترفتُم بأن المسيح عبد من عبيد الله تعالى، تجرى عليه أحكامه من الموت والإحياء. وفى ذلك بطلان شريعة إيمانكم. إذ تقولون فيها: إن المسيح إله حق خالق، غير مخلوق وإنه أتقن العوالم وخلق كل شيء بيده.

ثم يقال لهم: أخبرونا هل إماتة المسيح ممن أماته وأعدمه؛ فضل وحكمة أو سفه وعبث؟ فإن قالوا: فضل وحكمة؛ فقد أثنوا على اليهود؛ لأنهم ساعدوا على حصول الفضل والحكمة، ومدحوا يهوذا الإسخريوطي؛ لأنه فاز بالدلالة وأعان على حصول هذا الفضل والحكمة. وإن قالوا: إن إماتة المسيح سفه وعبث؛ فقد نسبوا الرب الأزلى إلى السفه والعبث. ويتعالى عن ذلك. وإن قالوا: إن إماتته فضل وحكمة، ولكن لعن اليهود ويهوذا متعين؛ لأن ذلك كسبهم، وإن وافقوا الفضل والحكمة وصادفوا ذلك مصادفة. قلنا لهم: أزريرتم على المسيح غاية الإزراء. إذ زعمتم أنه قال على الصليب: «إلهى إلهى كيف تركتنى وخذلتنى». وقال أيضاً: «إن كان يحسن صرف هذا الكأس عنى فاصرفها» فلزم بمقتضى قولكم أنه قد تطير بهذا الفضل والحكمة، والتمس البقيا وترك هذا الفضل. وذلك فيما زعمتم سفه

يناقض الحكمة. ثم يقال لهم: أخبرونا لو لم يتب آدم، ولقى الله بخطيئته، هل كان قتل المسيح يستقل بخلاصه؟ فإن قالوا: لا. أحالوا الخلاص إلى التوبة دون قتل المسيح. وإن قالوا: نعم في دم المسيح وفاء بالخلاص، وإن لم يتب آدم وبنوه أدخلوا التوبة عن الفائدة، ولزم أن يكون كل فاجر وقاتل وظالم قد خلصوا. وإن التزموا ذلك. قيل لهم: فيهوذا الإسخريوطى وفرعون وثمرود وأشباههم؛ قد خلصوا أيضا. وليس في النصرارى من يتجاسر على البوح بذلك، وهو لازم لهم على مقتضى قولهم هذا. فإن قالوا: بل الخلاص بمجموع الأمرين بالتوبة ودم المسيح. قلنا: كأنكم لا ترون دم المسيح مكافئا لآدم مالم تنضم إليه التوبة؟ وهذا تصريح منكم بنقصه عن مقابلة آدم، وعجزه عن خلاصه لولا التوبة. ولعمري إن من عجز عن خلاص عبد واحد فإنه عن خلاص سائر الخلائق أعجز.

ويقال لمن زعم أن الخلائق لا يخرجهم من خطاياهم ويخلصهم من ذنوبهم إلا قتل المسيح: ليس قد رويتم عنه في الإنجيل<sup>(١)</sup> قوله: «إذا كان في القيامة أقمت الصالحين عن يميني والظالمين عن شمالي، وأقول لأهل اليمين: فعلتم بى كذا؛ فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم بى كذا؛ فاذهبوا إلى الجحيم».

وإذا كان ذلك صحيحا. فأحسان المحسن هو الذى اقتضى خلاصه، لا ما ادعيتم من قتل المسيح. ومما يؤيد ما قلناه: قول مرقس فى خاتمة إنجيله: «إن المسيح حين ودّع تلاميذه صاعدا إلى السماء، قال لهم: كرزوا بالإنجيل الخليفة كلها، فمن آمن؛ خلّص، ومن لا يؤمن؛ فإنه يُدان».

وإذا كان إيمان الإنسان هو الذى يخلّصه بشهادة المسيح؛ فلا حاجة إلى الخلاص بقتل ولا صلب. وقال لوقا أيضا: «إن امرأة صببت على رجلى المسيح دهنا كثيرا له قدر كبير، وبكت حتى بلت قدميه بدموعها. فقال لها: اذهبي إيمانك خلصك». ويقال للنصارى: أخبرونا لو لم يقتل المسيح فداء وقضاء عن آدم، ومات حتف أنفه؛ ما كان يكون حال آدم؟ فإن قالوا: يُعذب على خطيئته. قيل لهم: فلا معنى لقبول توبته إذا. وإذا قالوا: لا يُعذب. قيل لهم: فقتل المسيح وقع عبثا.

(١) النص عن ابن الإنسان .

ويقال لهم: أخبرونا عن قول الله تعالى في التوراة لآدم: «إنك في اليوم الذي تأكل من الشجرة تموت موتاً» ما أراد الله سبحانه بهذا الموت؛ أموت المعصية أم موت الطبيعة؟ فإن قالوا: موت المعصية. قلنا لهم: فقد أحيتة التوبة. وإن قالوا: موت الطبيعة؛ أكذبتهم التوراة والكتب القديمة؛ إذ صرحت بأن آدم بعد ملابسة الزلة عاش دهنراً حتى رزق الأولاد، ورأى فيهم البرّ والفاجر، فقد لزمهم خلو قتل المسيح عن الفائدة. ويقال لهم: أخبرونا هل كان المسيح في الثلاثين سنة قبل الدعوة يسمى ابناً ومسيحاً أو لا؟ فإن زعموا: أنه كان يسمى بذلك. أكذبتهم أقوال التلاميذ في الإنجيل، إذ قالوا: إنه في طول هذه المدة لم يعرف إلا بابن داود وابن يوسف. وإن قالوا: لم يسم ابناً إلا بعد التعميد. فقد اعترفوا بأن المسيح ليس مسيحاً وابناً حقيقة، وإنما هو مسيح بالتسمية لا غير، وفي ذلك تسوية له بيعقوب وداود، وكل من مُسِح من أولاد هارون وسُمي بهذا الاسم. وعند ذلك لأنشأحهم في مجرد التسمية إذا صح إطلاقها على الصلحاء من بنى إسرائيل. وتحقق: أن فداء آدم من خطيئته برجل صالح من ذريته. قد شرفه الله بأن سماه ابناً ومسيحاً كما شرف عبده إسرائيل وغيره.

ويقال لهم: هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح سوء؛ ممكن في قدرة الله أو كان عاجزاً عن ذلك؟ فإن قالوا: لا يمكن ذلك، جعلوا الله - سبحانه - مضطراً مدفوعاً عاجزاً عن سلامة عباده وصونهم عن المحن والبلايا. والتوراة تكذبهم. إذ هي شاهدة بقدرة الله على كل ممكن. وإن قالوا: إنه كان قادراً على ذلك، جوروا الله وحيفوه ونسبوه إلى الظلم. إذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على سلامته وكفائته. وذلك يشوش عليهم القول بالتحسين والقيح.

قال المؤلف: إنما طولنا النَّفس في هذا الباب. هدمنا لقاعدتهم في القتل والصلب. وهي قُطب كفرهم.

والله أعلم.

## الباب السادس

### في الأجوبة المسعدة

### عن أسئلة الملاحدة

نُسِّطَ أسئلة عبثوا بالسؤال عنها ونُشِّفَعها بالجواب؛ لستتفع بذلك من أحب مكالتهم:

#### السؤال الأول:

قال النصرارى: قد علمتم معاشر المسلمين. أن اليهود والنصارى يزيدُ عددهم على عدد التواتر أضعافاً مضاعفة، وها هم أولاء ينقلون ويخبرون: أن المسيح قد قُتِلَ وصلَّب. على رايية من روابى البيت المقدس. وخبر التواتر يُفيد العلم ويوجب القطع. فكيف ينفى كتابكم ما أثبته التواتر؟ وما ذلك إلا بمثابة من ينفى وجود «بغداد» وغيرها. مما عُلِمَ بالضرورة.

**والجواب<sup>(١)</sup>:** هو أننا نقول: مَنْ سَلَّمَ لكم أن الذين شاهدوا القتل وشهدوا به بلغوا حد التواتر؟ كلا. لم يكونوا بهذه الصفة. وبيانه: أن الذين حضروا القتل والصلب

(١) ونذكر باختصار إجابة هذا السؤال هكذا: وهو أن من أوصاف محمد ﷺ في التوراة أن يحيط به أعداؤه في ساحات المعارك، ويصيبوه بالهَمِّ والغم. هو وأصحابه الكرام. وفي أثناء الهم والغم يطلب من الله النصر. والله ينصره. ففي النبوءات أمران ١ - الهزيمة ٢ - والنصرة. والنصارى لما أرادوا تطبيق النبوءات عليه ليقفلوا الباب في وجه محمد من قبل مجيئه. قالوا بهزيمة المسيح على الصليب ثم انتصاره على الموت. وتحيروا فيما بعد انتصاره؛ لأن الانتصار في الحرب يقتضى فتح البلاد والملك على أهلها؛ للتمكن للشرعية. والمسيح لم يفتح ولم يملك ولم تكن له شريعة. وأزالوا التحير بقولهم: إن المسيح سيأتى فى نهاية الزمان ليملك. ويدل على ذلك كله: النبوءات التى وضعوها على المسيح وهو على الصليب. ففي الزمور الثانى والعشرين يقول داود على لسان محمد ﷺ يظهر الغيب: «إلهى إلهى. لماذا تركتني؟» ويعد الكلام عن همه وغمه، يقول: «يا قوتى أسرع إلى نصرتي» ثم يقول: إن الله استمع إلى صراخه ونصره. ومحرف النصرانية وضع الكلام على لسان المسيح وهو على الصليب. وهكذا. ثم كتب فيما بعد أن المسيح بعد الحادثة ظهر للحواريين. وتكلم معهم مدة أربعين يوماً عن ملكوت الله [أعمال ١] وهذا يدل على عدم قتله وصلبه. ونفس المعنى عن يهوذا الإسخريوطي؛ قالوا بانتحاره. لتطبيق نبوءتين من نبوءات محمد ﷺ الزمور ٦٩ والزمور ١٠٩ كما بينا فى التعليقات سابقاً.

إنما كانوا شردمة من اليهود، فأما أصحاب المسيح؛ فلم يحضر منهم أحد البتة - كما قدمنا - وإذا كان المخبرون آحادا وأفرادا؛ فلا تواتر. إذ التواتر شرطه: أن يستوى فيه الطرفان والواسطة. وإذا كان الحاضرون للقتل لم يوصفوا بهذه الصفة؛ فكثرة من جاء بعدهم إنما أخبر عنهم؛ فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز على خبرهم. فهذا وجه.

**والوجه الثاني:** أنا لو قدرنا أنهم بلغوا حد التواتر - غير أن التواتر إنما أثبت قتلاً وصلباً لا غير - فلا جرم أن القرآن الكريم لم ينفه. ولكن القرآن إنما نفى أن يكون المفعول به ذلك المسيح نفسه، وأعلمنا: أنه كان قد شُبه لهم<sup>(١)</sup>. وهذا القدر لو عُرِض على الذين شاهدوا الصلب وقيل لهم: أتجوِّزون أن يكون هذا الذي قد أحضر للقتل ليس هو المسيح، ولكنه رجل قد ألقى الله شبهه عليه أو خلقه الله ابتداءً يُشبه المسيح؟ فإننا نعلم أنهم كانوا<sup>(٢)</sup> يجوزون ذلك، ولا يحيلونه؛ لأن تغيير الأشباه والأشكال جائز في مقدور الله تعالى، وإنما يمتنع ذلك في زمان لا تُخرق فيه العوائد. وقد كان في زمان المسيح خوارق لا يخفى أمرها، فلا يمتنع أن يكون الله سبحانه قد خرق العادة بإلقاء شبه المسيح على غيره، أو أتاح لهم شخصاً يشبهه، كما خرق العادة فقلب النار بردا وسلاما على إبراهيم الخليل، وعلى الفتية في زمن دانيال<sup>(٣)</sup> عليه السلام، وكما حوّل لون يد موسى عن لونها الأول، وغير جوهر الماء إلى الخمر والزيت للأنبياء<sup>(٤)</sup> عليهم السلام، وإذا كان ذلك جائزاً، فالذين أخبروا أن المصلوب المسيح ليسوا على ثبوت، فلم يُوجِب خبرهم علماً، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز عليهم. وإذا ثبت ذلك، لم يقع التعارض بين الأدلة القطعية.

(١) إن كلمة ﴿ شَبَّهَهُمْ ﴾ تحتل شخصاً غير المسيح، يهوذا أو غيره. وتحتل معنى آخر وهو: أن عقائد الرومان فيها التجسد وفيها التثليث. فوضع اليهود عقائد المسيحيين شبه عقائد الرومان، حتى يقبلوا المسيحية ويتركوا عقائد الرومان. ويقوى هذا المعنى قوله تعالى ﴿ يَضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ ﴾ ويقويه أيضاً: مدلول النبوءات كما أرادوا منها. فإنها لا تدل على صلب للمسيح ولا ليهوذا. والقرآن لا يثبت قتلاً ولا صلماً للمسيح ولا لغيره، كما فهم المؤلف.

(٢) إنهم لا يجوزونه لأن كل امرئ بما كسب رهين.

(٣) الأصحاح الثالث من سفر دانيال.

(٤) الزيت كان معجزة لإليسع عليه السلام والخمر كان معجزة لعيسى عليه السلام.

فلإن قيل: من هو الذى وقع عليه الشَّبه، حتى التبس أمره على اليهود والنصارى واشتبه؟

قلنا روى وهب بن منبه: أن المسيح حين أحاطت به اليهود فى بيت كان فيه؛ صورَّ الله الجميع بصورة المسيح، فخرج واحد منهم وكانوا تسعة عشر رجلا فأخذوه وذهبوا ليلا. وكذلك روى مجاهد. وقال ابن إسحاق - عمن أسلم منهم: إن المسيح حين حصره اليهود. قال: من يقبل صورتى فيقتل وله الجنة؟ فقال أحد من معه: أنا. فوقع عليه شبه المسيح، وصعد بالمسيح من ساعته إلى السماء، وأخذ الرجل فقتل صبيحة تلك الليلة. قاله من المفسرين: السُّدِّيُّ وقتادة وابن جريج.

وقيل: إن اليهود لما جاءوا لأخذ المسيح؛ هرب من كان معه من أصحابه وثبت معه رجل واحد يسمى جيس، فألقى الله شبهه عليه، فأخذوه وذهبوا به ليلا، وستر الله المسيح عن أعينهم، فعذبوا الرجل ليلا، ثم قتلوه من صبيحة تلك الليلة، فلم يشك من كان ترك المسيح وهرب عنه: أن المأخوذ هو المسيح. فلذلك أخبروا أن المسيح قد صلب.

قال المؤلف: قد روينا فيما تقدم من كتابنا هذا عن بطرس<sup>(١)</sup> - صاحب المسيح - أن المسيح عليه السلام صعد إلى جبل الجليل فى جماعة من أصحابه، فنظروا إلى وجهه وإذا هو قد تغيرت صورته، وابتضت ثيابه، وإذا موسى وإلياس قد نزلا إليه ومعهم سحابة تظلمهم، وعند ذلك وقع على بطرس وأصحاب المسيح النوم فناموا، وذلك يحقق قولنا فى الشبه.

### السؤال الثاني؛

قال النصارى: كيف يصح أن يكون المصلوب غير المسيح، ثم يقترن بصلبه ظهور ما ظهر من الآيات من اسوداد الشمس<sup>(٢)</sup> وانشقاق حجاب الهيكل وقيام الأموات وغير ذلك. وكم قد قُتِلَ من الأنبياء والشهداء ولم يظهر عند مقتلهم شيء من هذا؟.

(١) راجع تعليقنا على هذه الرواية.

(٢) التعبيرات كلها على سبيل الكناية.

قلنا: قد دللنا على كذب هذا النقل بعدم انتشاره في العالم واشتهاره بين طبقات بنى آدم، وأنه لو كان صحيحاً لَدُوّن في الكتب، ونقله علماء العَجَم والعرب. فحيث لم ينقل ذلك، دلّ على كذبه وافتعاله. ثم لو قدرناه صدقا وأمرنا ثابتا حقا لم يلزم منه أن يكون المصلوب هو المسيح. بل من الحواريين الذين هم عندكم أفضل من الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين. ثم ذلك الحوارى أفضل الحواريين كلهم لوجهين:

أحدهما: لإيثاره المسيح بنفسه حتى فداه من القتل.

والثاني: لإيثار المسيح إياه بشبهه، فقد صار له بذلك مزية أوجبت أن تبكى عليه السماء والأرض، ويتشوش العالم فيأخذ في النقص والنقص.

### السؤال الثالث على النصارى:

يقال للنصارى: قد زعمتم أن المسيح هو إله العباد وخالقهم وبارئهم ورازقهم وأمرهم وناهيهم ومدبرهم في جميع أحوالهم وحافظهم إلى منتهى آجالهم. ثم زعمتم مع ذلك: أن اليهود عدوا عليه فأخذوه قهراً وسحبوه قسراً بعد أن هرب واختفى، وإنما دلّ عليه بعض أصحابه. فلما ظفروا به؛ أهانوا وبذلوه وما صانوه، ثم جعلوا على رأسه إكليلا من الشوك، وعبثوا به كما يعبث بأهل النوك، ثم رفعوه على جذع ضمانا، واستسقى ماء فسقى خلا هوانا، ثم تُرِكَ حتى ألصقت الشمس جسده بالصليب، ولم يكفن لولا تصدق عليه بالكفن إنسان غريب. وبقي برهة تحت التراب، تبكيه الأحباب والأتراب. فأخبرونا يا سخفاء العقول، ومنتحلى هذا المحال المنقول: من الذى كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام؟ وكيف كان حال الوجود والإله فى اللحود؟ ومن الذى دبّر السماء والأرض، وخلقه فيها بالبسط والقبض، والرفع والخفض؟ وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أو خذلته وهربت مع تلاميذه؟ فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبراً وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فُرت وأسلمته، فكيف تصح مفارقتها له بعد اتحادهما به؟ أين ذهب الاتحاد وكيف بطل الامتزاج؟!

وما شأن هذا الإله المسكين. أسلمه قومه لأعدائه وخذله سائر أودائه؟ أين قولكم في الأمانة: إن المسيح أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء؟ أين ما وصفتم عنه في الإنجيل: أن العالم بالمسيح كُون؟

وقولكم: إن الأب لا يدين أحدا، بل الابن<sup>(١)</sup> هو الذى يدين الناس. أترونها كان راضيا بما فعل به قادرا على الدفع عن نفسه أم كان غير راض وهو قادر؟  
فإن كان راضيا؛ فالذى فُعلَ به كفر. ومذهبكم يأبى ذلك، وكان ينبغي على سياق هذا أن تُثنوا على اليهود وتترحموا على يهوذا الإسخريوطى وتصلّوا عليهم؛ فإنهم أعانوا على حصول رضاه، وسارعوا إلى ماقدّره وقضاه. وإن كان ذلك بغير رضاه، فاطلبوا إلها سواه؛ فإن من عجز عن حماية حشاشته حتى تم عليه ما نسبتم إليه، كيف ترجون عنده نفعاً أو تؤملون لديه دفعا؟ وهذه نقيصة تقتضى تنقُص من لصقت به.

فإن قيل: إنما يكون ذلك نقيصة إذا كان المفعول به عاجزا عن الامتناع والدفاع. فأما المسيح فلو شاء لامتنع من اليهود وأهلك من قصده بأذى من سائر الجنود، بل إنما أراد أن يستسلم ويذلل نفسه فداء عن الناس لينقذهم من الخطيئة، ويزيل عنهم درن الذنوب، ويطهرهم من التبعات والحوب.

فنقول: لا نسلم ما ذكرتم، إذ كتابكم شاهد عليه بأنه هرب واختفى واستتر من أعدائه مراراً واعتنى وتنقل من مكان إلى مكان، وبذل في طلب السلامة غاية الإمكان. إلى أن دلّ عليه رجل من أصحابه، فأخذ بغير اختياره وإيثاره. وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم ومن كتابكم. وقد حكيتم أن آخر كلام سُمع منه: «إلهي إلهي لم تركتني؟» مع تقدم قوله في دعائه: «إلهي إن كان يحسن صرف هذا الكأس

(١) ما هو معنى أن الابن هو الذى يدين الناس؟ يقول النصارى: إن الله أعطى الدينونة للابن وهو عيسى المسيح. ومعنى الدينونة: هو أنه فى حال مجيئه لتأسيس ملكوته أو لتكميله سيحارب اليهود والكفار ويدينهم ويخزهم ويكتهم على عدم الإيمان به، مع معرفتهم له. وقد قال المسيح نفسه ذلك لأن تعبير «ابن الله» لقب لمحمد فى المزمور الثانى وهذا واضح من إنجيل يوحنا. بقول المسيح: «لأن الأب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن... كما أن الأب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا؛ لأنه ابن الإنسان...» {يو ٥} .



فاصرفها عني» فبطل قولهم في هذا السؤال إنه لو شاء لامتنع وفعل بأعدائه وصنع.

وأما قولهم: إنه أراد أن يستسلم ويذلل نفسه فداء عن الناس، لينقذهم من الخطيئة والبأس. فهذا كلام من الكلام السخيف. وذلك أنه لا يخلو أن يفديهم بنفسه من عقاب نفسه، أو عقاب غيره. فإن كان إنما فداهم من عقاب نفسه؛ فما حاجته أن يذلل نفسه في أمر هو يملكه وزمامه بيده؟ فهلا عفا عنهم وأعفا نفسه من القتل والإهانة. وإن كان إنما افتداهم من عقاب غيره؛ فقد صار ضعيفاً عاجزاً لم يمكنه صلاح عباده إلا بأن يشفع لهم. ثم لا تقبل شفاعته، حتى يذلل نفسه للصفح والإهانة والموت. والعجب أنه مع بذل نفسه لهذه المحن؛ لم تقبل شفاعته، ولم يحصل لهم الفداء الذي يدعون. هذا مع أن المشفوع إليه أبوه، أفلم يكن له عند أبيه من الجاه ما يُشَفِّعه في مطلوبه، وهو معافى من هذه المحن بلا قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده؟

ومثل هذا الفعل لا يصدر إلا من العدو المشاحن، وأرباب الحقود والضعافن، وما يتعجب منه: أن هذا الرب الذي تدعون بعد أن تعنى ونزل إلى الأرض وحلَّ به ما وصفتم بيتي بذلك خلاصكم؛ لم يحصل لكم خلاص ولا تمَّ له مراد؛ لأنه إن كان أراد خلاصكم من محن الدنيا. فما أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر، ومعالجة الهرم والكبر، ومضاجعة الأجداث والحُفَر. وإن كان أراد خلاصكم من عهد التكليف؛ ليحط عنكم الآثام، ويسقط الصلاة والصيام. فما أنتم أولاء دائبون على التكليف، مخاطبون بالتصحيح والتسوية. وإلا فكان ينبغي أن من زنى منكم وسرق واقتري وفسق؛ لا يؤاخذ بجريرة، ولا يعاقب على صغيرة ولا كبيرة. وإن كان أراد خلاصكم من أهوال القيامة، وأنكال يوم الطامة. وما يتوجه على العباد عند قيام الأشهاد، أكذبكم الإنجيل إذ يقول فيه: «إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيراً فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شراً فاذهبوا

إلى الجحيم» (١) .

وإذا لم يحصل لكم بنزول المسيح خلاص من عقاب الدنيا ولا من عذاب الآخرة. فأين ترجون الخلاص الذي جاءكم لأجله وفعل بنفسه ما ذكرتم، ثم لم يتم له مراد؟ وإذا كان ذلك كذلك؛ فاطلبوا الخلاص ممن هو بيديه، ومُعَوَّل سائر الخلائق عليه وهو الذي لا إله سواه - سبحانه وتعالى عما يشركون -

### السؤال الرابع:

قال النصرارى: إنما استسلم المسيح ليعلمنا الصبر على الشدائد فتعظم أجورنا ونجزل مثوباتنا، والمتابعة بالحال أبلغ منها بالمقال.

فنقول: فما بال أحدكم لا يجلس في بيته حتى يناله ما وصفتم غير منازع خصمه ولا مدافع عدوه؟ وما بالكم تقيمون سوق الحروب، وتبيحون الغضوب. وتنصبون القتال، وتسفكون الدماء من النساء والرجال؟ فما نرى التعليم أفادكم خيراً ولا منعكم شراً ولا أكسبكم علماً ولا أنالكم حلماً. وصار ما وصفتم به ربكم من الإهانة خالياً عن الفائدة صِفراً من الحكمة. وكيف يحسن منكم إيراد هذا السؤال مع قولكم عنه إنه حين نزل به المكروه الذي وصفتم، قال: «إلهي إن كان يمكن صرف هذا الكأس عنى فاصرفه عنى» وهذا القول منه إن صح عنه يكذبكم في قولكم إنه استسلم وألقى بيديه لقصد تعليمكم وتقويمكم.

### السؤال الخامس:

قال النصرارى: إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى لاهوت المسيح، ونحن لا نعتقد ذلك؛ وإنما القتل والضرب والصلب مضاف إلى ناسوت المسيح دون لاهوته.

فنقول: يمتنع ذلك على اليعقوبية منكم القائلين بأن المسيح قد صار بالإنجاد طبيعة واحدة. إذ الطبيعة الواحدة، لم يبق فيها ناسوت متميز عن لاهوت حتى

(١) متى ٢٥: ٣١ - ٤٦ والنص لمحمد ﷺ في فتح أتباعه للقدس في عهد عمر بن الخطاب .

يخص بالقتل والإهانة . بلى قالوا: إنه صار شيئاً واحداً، والشيء الواحد لا يقال إنه مات ولم يمِتْ، وقتل ولم يقتل، وأهين ولم يهن . وأما الروم وغيرهم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين . فيقال لهم: هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل والصلب؟ فإن زعموا أنه فارقه؛ أبطلوا دين النصرانية جملة، إذ بطل الاتحاد . ولا يستحق المسيح الربوبية عندهم إلا بالاتحاد . فإذا حكموا بأن الإله قد تجرد عن الإنسان وفارقه؛ فقد بطلت ربوبية المسيح في ذلك الزمان . وإن قالوا: لم يفارقه؛ فقد التزموا ما ورد على العقوبية، وهو كون اللاهوت قتل بقتل الناسوت وأهين بإهنته . وإن فسروا الاتحاد بالتدَرع، وهو أن الإله جعله درعاً ومسكناً له وبيتاً، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت؛ أبطلوا ألوهية المسيح في تيك الحال . وقلنا لهم: أليس قد امتهن الناسوت وأهين وأرذل؟ وهذا القدر يكفى في إثبات النقيصة إذ لم يأنف لمحلته وسكنه ودرعه أن تناله هذه النقائص، وإن الإنسان ليركب دابة ويلبس ثوبا فيصونه عن الأذى والقذى أن يناله .

ثم كان اللاهوت قادراً على دفع النقائص عن محلته ومسكنه، ثم لم يفعل؛ فقد أساء مجاورته، ورضى بدخول النقص على موضعه . وذلك عائد بالنقص عليه في نفسه . وإن لم يكن قادراً؛ فذلك أبعد له عن عزِّ الربوبية وأقرب إلى ذل العبودية .

### السؤال السادس:

فإن قال النصرارى: كيف يجوز إلقاء الشبه وهو ضلال؟ وإذا كان الله تعالى هو الذى أضل عباده؛ فلا معنى لإرسال الرسل إليهم، بل يكون ظلماً للرسل إذا بعثهم إلى من يكذبهم أقوالهم، يردُّها، وكيف يستقيم أن يرسل رسلاً يهدون العباد من كُفْرٍ وهو الذى زينه لهم؟

قلنا: الانفصال عن هذا السؤال في التوراة والإنجيل . أما التوراة فإنها مصرحة بأن الله قد قَسَّى قلب فرعون فلم يؤمن بموسى فقال الله فيها: «يا موسى اذهب إلى فرعون وقل له: يقول لك إله بنى إسرائيل: أرسل شعبي يتعبد لي، وأنا أَسِّى

قلب فرعون فلا يرسلهم»<sup>(١)</sup> وفي التوراة: «أن كل آية صنعها موسى بمصر؛ قد صنع السحرة مثلها»<sup>(٢)</sup>. وأما الإنجيل فقال: «يسوع: إني ذاهب إلى اورشليم لأقتل وأصلب. فقال له بطرس: حاشاك من هذا، فانتهره وقال: إني جئت لهذا»<sup>(٣)</sup>. فقد علم الكفر وأراده وتعنى بسببه، وقدر على كف اليهود وتركهم على كفرهم فلم يكفهم.

وقد قال يسوع في الإنجيل: «الويل لذلك الإنسان الذي يسلم ابن الإنسان خير له لو لم يولد»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان هذا جائزاً عند النصارى واليهود جميعاً، فكيف يمنعون أن يصون الله نبيه المسيح عن قوم يريدون قتله ويلقى شبهه على رجل آخر قد حضر أجله يجعله له جنة، ويثيب ذلك الرجل عن صبره الجنة؟

على أنا نقول: ليس في الإلقاء الشبه؛ ضلال، كما زعم مورد السؤال. إذ ليس الإلقاء هو الذي بعثهم على القتل، بل ما جاءوا إلى المسيح إلا وهم قد أجمعوا على الفتك به. وبهذا القصد كفروا. وإنما كان الإلقاء لتخليص المسيح من أيديهم. وهذا خلاص من الضلال لا إضلال. وإنما كان يكون تضليلاً لو كان الله أمرهم بقتل المسيح، ثم ألقى شبهه على آخر فقتلوه، وأما إذ نهوا عن القتل فخالفوا وجاروا ليقتلوا، فحال بينهم وبين المسيح وألقى شبهه على غيره، أو أباح لهم من يشبهه في الصورة. فلا يقال لهذا القبيل تضليل.

ثم ولو قدرنا ذلك تضليلاً. فمذهب أهل الحق: أن الله يفعل ما يريد<sup>(٥)</sup>،

(١) خروج ٢١: ٤.

(٢) خروج ١١: ٧.

(٣) متى ٢١: ١٦ والنص من وضع المحرفين.

(٤) مرقس ١٤: ٢١.

(٥) فعل الله ما يريد: هو فعل عام. وما أراد من عباده: أن منحهم الحرية بجوده وكرمه.

يقول الله عن نفسه: إنه سيعطي العاملين أجراً غير ممنون؛ لأنهم عملوا ما عملوا بإراداتهم «لهم أجر غير ممنون» - «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً» وليس في المسلمين من يوجب على الله من شيء. لا بالعقل ولا بالنقل. وذلك لأن الله هو الذي أوجب على نفسه، وهم يحكون عنه ما أوجبه هو على نفسه. فإنه يقول: «كتب على نفسه الرحمة» وما رأيت في كتب المسلمين أحداً قدم العقل على النقل في التشريع وبيان ذلك: أن الشريعة هي التي تجمع بين المسلمين على الدين، والقرآن كتاب الدين. وهم مأمورون بفهمه والعمل به. فالنص أولاً هو الأصل. ولكن كيف أعرف صحة النص؟ إن كتاب تمجيلاً من

ويضل من يشاء من العبيد، ولا يُنسب إلى ظلم ولا جور. إذ له بحق ملكه وملك

=حرف الإنجيل مكتوب لمعرفة صحة النص. وصحة النص يستلزمها عقل سليم. يشهد بصحة النص. فالمؤلف يقول: إنكم تعتقدون أن المسيح هو الله. وأنه صلب تكفيرا عن الخطايا، هذا هو نص الكتب العقائدية. والعقل يقول: أنا لا أقبل هذه العقيدة. وعدم القبول هو بالنص. وذلك لأن التوراة تبين أن الله لا يرى ولا يقدر أحد على رؤيته، والمسيح قد رآه الناس. وبالتالي لا يكون هو الله. والتوراة تبين أن كل امرئ بما كسب رهين. فالقول بقتل المسيح وصلبه يكون باطلا. بناء على تبين التوراة أن كل امرئ بما كسب رهين.

فأنت ترى من هذا المثال: أن النص مقدم على العقل. وإذا تعارضت النصوص في المعنى؛ فإن العقل يردّها بالنصوص أيضا.

وفي دين الإسلام هذا. فإن كثيرين من الزنادقة في بدء الإسلام وضعوا أحاديث نبوية ونسبوا إلى النبي ﷺ، ثم بنوا عليها أحكاما فقهية، ونسبوا الأحكام إلى الأئمة المعظمين. ومثال ذلك: أنهم رووا حديثا يجيز وطء المرأة في دبرها. ولو عرضنا على العقل هذا الحديث وعرضنا «نساؤكم حرث لكم» معه؛ لدل العقل على أن الحديث موضوع. وعلى هذا تكون النصوص موضوعة أمام العقل. ليحكم فيها. فيكون العقل كالقاضي الذي يحكم، وكالقاضي الذي يميز بين أدلة المتخاصمين والنصوص تلزم العقل أن يقول فيها كلمته الزاما. فنسبوا محمد ﷺ يدل العقل على صحتها. ويلزم العقل أن يفصل فيها. فهو قد كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونطق بكلام يدل على علم غزير. فمن أين له هذا العلم؟ يحكم العقل بأنه من الله لأن عصره خال من علماء الذرة والفلك والطب وما شابه ذلك. ويثبت العقل وجود الله. كما يثبت النص. وذلك لأن الإحكام والإتقان في العالم يدلان على مدير حكيم. وهذا الذي قلته في العقل والنص متفق عليه بين العلماء جميعا. والخلاف بينهم هو في نصوص المحكم والمشابه. ومثاله:

١ - «ليس كمثل شيء» نص محكم ٢ - «يد الله فوق أيديهم» نص متشابه يحتمل أ - اليد الجارحة ب - والكناية عن القدرة. فما هو المتفق مع المحكم؟ هنا يتدخل العقل ليحكم ويميز. وعليه يكون النص هو الذي ألزم العقل بالحكم والتمييز لأنه لو لم يكن هذا المحكم والمشابه؛ ما تدخل العقل في الحكم والتمييز فماذا يقول:

١ - أما عقول الاميين فلإنها تقرأ وتسمع وتسلم ولا توفق بين النصوص، وتحكم بأن الله له يد ولكن ليست كأيدينا.

٢ - وأما عقول العلماء فلإنها توفق بين النصوص وتحكم بأن الله لا مثل له. ومن لا مثل له، لا يد له. فتكون اليد كناية عن القدرة.

٣ - وعندئذ يقول العقل: إن الكناية عن القدرة تثبت صفة هي القدرة. والصفة لا بد لها من موصوف. والموصوف لا بد أن يكون جسما. وإذا قال هذا؛ يحكم العقل بأن الله تعالى وصف نفسه بصفات البشر، ليقدر البشر على تصور ذاته. وفي القرآن شواهد منها: أنه وصف نفسه بالأسف وبالمكر وبالنسيان وما شابه ذلك. ليس لأنه يأسف ويمكر وينسى وإنما هو يكلم البشر عن نفسه على قدر عقولهم بحسب لسانهم. أي أن القرآن كلم الناس عن الله بلسان بني آدم. وعلى هذا المعنى. وهو أن الله يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم لا تنحصر صفات الله تعالى في سبع صفات أو في عشرين صفة. وإنما تكون له الأسماء الحسنى والصفات العلا التي تليق بذاته المقدسة.

حقه؛ فهو حسن، وكل ما يوصله من خير؛ فهو ابتداء فضل، وكل ما يتلى به من ضر؛ فهو قضاء عدل. وقد رَكَ وهفا من أوجب على الله ثواب المحسنين أو عقاب المسيئين إذ لا يجب على رب الأرباب ثواب أو عقاب. وقد شهد أهل الكتاب واعترفوا بأن الله تعالى هو الذى نفخ الروح فى العجل، حتى عبده بنو إسرائيل. وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وعيسى وأمه لا جرم لهما. فأخبر تعالى أنه لو أهلكهما لم يكن ممنوعا من ذلك ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

### السؤال السابع:

قال النصارى: شهد كتابكم ونبىكم بأن المسيح عيسى ابن مريم هو كلمة الله. والكلمة عندنا وعندكم قديمة كالكلام.

قلنا: لا نزاع<sup>(١)</sup> فى تسميته عليه السلام «كلمة» كما سُمى إبراهيم خليلا<sup>(٢)</sup> وموسى كليما. والتسميات لا حَجْر فيها. وإذا وافقتاكم على تسمية المسيح كلمة؛ فمن أين لكم قِدْمُهَا؟ وبم تنكرون على من يزعم أن الكلمة عبارة عن الآية؟ والآيات تسمى كلمات؟، وهو المعنى بقوله: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ يعنى آياته ومصنوعاته. وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقال: ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾، فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أن نقول: المعنى بإلقاء الكلمة إلى مريم: تكوين المسيح من غير نطفة فحل. والمقصود: أن الله اخترعه وكونه من غير تناسل معروف. وقال له: ﴿كُنْ﴾ فكان<sup>(٣)</sup>: إذ كل أمر اتصل بمأمور؛ فهو ملقى إليه.

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول: لا نزاع فى تلقيه عليه السلام كلمة. وذلك لأن له اسما واحدا. وهو عيسى بالعربية. وهى عن الكلمة اليونانية «إيسا» التى تنطق فى حالة الرفع «إيسوس» وكلمة الله التى ألقاها إلى مريم؛ جاء عنها فى الإنجيل لوقا: «فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع» [لوقا: ١: ٣١].

(٢) فى مخطوطات التوراة التى ظهرت فى قمران فى «وصية إبراهيم» أن رئيس جند الله حيا إبراهيم بقوله: «السلام أيها الأب الموقر، والروح الصالحة، والصديق الحقيقى للإله السماوي» ولما سأله إبراهيم عن الجهة التى هو آت منها قال له: «أنا مرسل من الملك الأعظم لكى أهتم بميراث صديقه الحقيقى».

(٣) المزمور المائة والثامن والأربعون. فيه: «لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت. وثبتها إلى الدهر والأبد، وضع»

وسمى المسيح كلمة. لقول لوقا في إنجيله: «إن جبريل قال لمريم: السلام عليك أيتها المباركة في النساء إنك تحبلين بولد يسمى المسيح، يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود» فعندها حملت مريم بالمسيح؛ أى عند هذه الكلمة. فسمى المسيح بها كما يُسمى الشيء بما يلازمه عادة، فكان المسيح كلمة بهذا الاعتبار، لا كما اعتقد جهلة النصارى من انقلاب الكلمة الأزلية جسدا. ذا شعر وظفر.

### السؤال الثامن:

قال النصارى: أليس فى كتابكم معشر المسلمين: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا إليه؟

والجواب: أنا نقول: هذا لا يفيدكم شيئا فى مطلوبكم؛ إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتحد بالمسيح. وإنما الذى اتحد به هو العلم.

وقد قلنا: إن الروح ترد على معانى شتى:

منها: أن ترد والمراد بها: الوحي. كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

وترد والمراد بها: جبريل. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾.

وترد والمراد بها: ملك كبير <sup>(١)</sup> يقوم يوم القيامة صفاً وحده والملائكة كلها صفاً

آخر. وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾.

وترد والمراد بها: أرواح الأشخاص وهو المعنى بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾

وإذا كان اللفظ مترددا بين معانى كثيرة؛ فلا يسوغ التمسك به إلا مع اقتترانه بما

= لها حدا؛ فلن تتعداه. سبحى الرب من الأرض يا أيها التنانين وكل اللجج. النار والبرد والتلج والضباب الريح العاصفة كلمته... إلخ.

(١) إن محمدا رسول الله ﷺ مكتوب عنه فى إنجيل يوحنا: «المعزى الروح القدس» والمعزى موضوعة بدل

«فارقليط» وفارقليط موضوعة بدل «فِيرْقَلِيط» وفِيرْقَلِيط بكسر الفاء: اسم «أحمد» وكتاب النبى من بعد

موته يحل محل النبي. فكانه لم يميت. وفى يوم القيامة سيشهد محمد على الخلائق أنه بلغ رسالة

الله. على الخلائق الذين كانوا معاصرين له وراوه بأعينهم، وعلى الذين أبلغتهم رسالته من بعد موته عن

طريق أتباعه. لأن القرآن يحل محله. فقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ يقصد بالروح محمد ﷺ ويقصد

بالملائكة: الملائكة الأربعة. وهذا النص مذكور فى إنجيل برنابا.

وراجع أيضا المسألة ١٧ من كتاب الروح لابن قيم الجوزية.

يفسره. وكل مفتقر للتفسير؛ فلا وجه للاستدلال بظاهره.

فالمسيح سمّاه الله روحاً كتسمية جبريل روحاً.

وقد قلنا: إن الشيء قد يُسمى بما يلازمه، فالله تعالى نفخ في مريم بواسطة جبريل. وهو المعنى بقول لوقا في إنجيله: «روح القدس تحل عليك» .

وقد قالت التوراة: «إن روح الله حالّ في يوسف»<sup>(١)</sup> وذلك كناية عن العلم والحكمة. وفي التوراة: «أن بصليّيل رجل من سبط يهوذا ورجل آخر من سبط دان، قد ملأتهما روح القدس»<sup>(٢)</sup> وفي التوراة: أن يوشع امتلأ من روح القدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه»<sup>(٣)</sup>. وفي كتاب الأسباط: أن روح الله لبست جدعون<sup>(٤)</sup>، وفي كتاب شمويال: أن روح الله تكلمت على لساني<sup>(٥)</sup> وفي كتاب حزقيال يقول: رأيت قدوس الله فوقعت، فدخلت في الروح فأقامتنى<sup>(٦)</sup>.

وفي إنجيل لوقا: إن يوحنا المعمدان امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه<sup>(٧)</sup>. وقال لوقا في إنجيله: كان في بيت المقدس رجل يقال له سمعان ينتظر عزاء إسرائيل وروح القدس كانت تحل عليه<sup>(٨)</sup>. وقال يوحنا التلميذ في إنجيله: كل إنسان لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت الله<sup>(٩)</sup>.

وقال فؤلس في رسالته الأولى لإخوانه: «أولا تعلمون أنكم هياكل الله وأن روح الله حالّ فيكم، ومن يُفسد هيكل الله يُفسده الله»<sup>(١٠)</sup>.

وذلك كله دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء في حلول هذه

---

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فالروح المستول عنه هو محمد ﷺ بلسان أهل الكتاب. وفي الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال للحواريين عن محمد: «وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم [يو ١٤: ٢٦] أي أنهم ما أتوا من عيسى بن مريم من العلم إلا قليلاً.

(١) تكوين ٤١: ٣٨ .

(٢) خروج ٣١: ١ + .

(٣) القضاة ٦: ٣٤ «وليس روح الرب جدعون» .

(٤) حزقيال ٣: ٢٣ - ٢٤ .

(٥) صموئيل الأول ١٠: ١٠ .

(٦) لوقا ٢: ٢٥ .

(٧) لوقا ١: ٤١ .

(٨) كورنثوس الأولى ١٦: ٦ - ١٧ .

(٩) يوحنا ٣: ٣ .



الروح . التى هى إما الملك أو العلم والحكمة . فما أجاب به النصارى عن حلول الروح على ما ذكرنا وامتلائهم منها؛ فهو جواب لنا عن قول جبريل لمريم: «روح القدس تحلّ عليك» .

### السؤال التاسع؛

قال النصارى: قال يسوع للمقعد: «قد غفرتُ لك»<sup>(١)</sup> وذلك دليل ربوبية إذ لا يغفر الذنوب إلا الله .

والجواب: هو أنا نقول: ليس كذلك لفظ الإنجيل؛ وإنما قال له: «مغفورة لك خطاياك» أخبره عن الله بغفر خطاياها لصبره على بلواه، وسكونه تحت مجارى قدر مولاه. ثم لو سلمنا ورود هذه اللفظة بعينها على ما حرفها السائل؛ فليس فيها مستروح لما يحاول، إذ يحتمل أن يكون ذلك المقعد من جملة من كان يؤذى المسيح مع اليهود ويقول فيه كقولهم، فلما رآه المسيح وشاهد بلاه؛ رقّ له وحنأ عليه. فقال له: قد غفرت لك . يريد: حللتك . والدليل عليه: قول بطرس فى الإنجيل للمسيح: «يارب؛ إلى كم أغفر لأخى إذا أخطأ إليّ إلى سبع مرات؟ قال: لست أقول إلى سبع مرات فقط بل إلى سبعين مرة سبع مرات»<sup>(٢)</sup>

وهذه أكابره اليوم يفعلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حظّ ذنوبه، وليس فيهم من يعتقد خروجه عن ربة العبودية. وقد ذكر الإنجيل: أن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال: «ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا»<sup>(٣)</sup> . ففسرّح فى هذا القول بأنه عبد مخلوق، جعل الله له أن يُخبر عباده بغفر خطاياهم لإيمانهم به وتصديقهم له .

وقد قال مرقس فى إنجيله: «قال يسوع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة، لكيما يغفر لكم ربكم خطاياكم»<sup>(٤)</sup> . وقالت التوراة فى السفر الخامس منها: «يا موسى ارحل أنت وبنو إسرائيل، وأنا أرسل معكم ملكا

(١) متى ٩: ٢ «مغفورة لك خطاياك» . (٢) متى ١٨: ٢١ - ٢٢ وفى الاصل يا أبت . بدل يارب .

(٣) متى ٩: ٦ وراجع ما يتعلق بابن الإنسان .

(٤) مرقس ١١: ٢٥ «لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات لانتكم» .

يغفر لكم خطاياكم»<sup>(١)</sup> أضاف الغفران إلى الملك. وهو عبد من عبيد الله تعالى. وقالت التوراة: إن إخوة يوسف دنوا منه لتقبيل رجله، فلم يدعهم، فاعترفوا له بذنوبهم فغفر لهم<sup>(٢)</sup> فقول المسيح للرجل: قد غفرت لك، معناه: قد حاللتك أو قد شفعت لك. وقال فولس في آخر الرسالة الخامسة - وهو يوصى بالبر واللفظ - «وأنتم أيها الأرباب اغفروا ذنوب ممالئكم؛ لأن ربكم في السماء وليس عنده هوادة»<sup>(٣)</sup>.

### السؤال العاشر:

قال النصارى: قال يوحنا المعمدان حين رأى المسيح: «هذا خروف الله يحمل خطايا العالم»<sup>(٤)</sup> فشهد وهو نبي صادق بأن المسيح سيقتل ويصلب قرباناً عن خطيئة آدم.

والجواب: أن هذا السؤال دال على عدم فهم مؤرده، وسوء بصيرته بالإنجيل، وذلك أن يوحنا أورد هذا الكلام شهادة للمسيح بالنبوة والرسالة، أسوة غيره من الأنبياء في حملهم خطايا قومهم بما يرشدونهم إليه من الإيمان والمغفرة بالله - سبحانه - وقد كان المعمدان يتصل به ما يهتف به اليهود من قذف المسيح وقذف والدته الطاهرة، ويبلغه قول اليهود: «إنه لن يجيء من الجليل والناصره نبي»<sup>(٥)</sup> فلما وقع بصره على المسيح وعرفه بتعريف الله له قال: هذا الذي به يحط الله خطايا عالم زمانه. والدليل عليه: بقية الكلام إذ قال يوحنا: «<sup>(٦)</sup> هذا الذي قلت لكم: إنه يأتي بعدي، وهو أقوى مني، وأنا فلا أستحق أن أحلّ سيور حذائه ولا أصلح أفك معقد خقه، وهو الذي بيده الرفش ينقى بيده فيجمع الغلة إلى إهراته، ويحرق الأتبان بالنار التي لا تطفأ».

(١) خروج ٢٣: ٢٣.

(٢) قال إخوة يوسف: «فالآن اصفح عن ذنب عبيد إله أهلك. فبكى يوسف حين كلموه. وأتى إخوته أيضا ووقعوا أمامه، وقالوا: هانحن عبيدك. فقال لهم يوسف: لا تخافوا. لأنه هل أنا مكان الله؟» فتكوين ٥٠: ١٧ + .

(٣) أنس ٩: ٦. (٤) يوحنا ١: ٢٩ والنص محرف كما سبق بيانه.

(٥) يوحنا ١: ٤٦ وقول اليهود صحيح؛ لأن النبي المنتظر سيأتي من فاران وطن بنى إسماعيل عليه السلام.

(٦) النص مركب من عدة نصوص في أماكن من الأناجيل والنص محرف كما سبق بيانه.

فقد أفادنا قول المعمداني هذا معانى شتى فى شأن المسيح . منها : تسويته المسيح مع سائر بنى إسرائيل فى جعله خروفا . قال المسيح فى إنجيله : «إني إنما أرسلت للخراف الضالة من بنى إسرائيل» <sup>(١)</sup> سمى الناس خرافا ، وسماه المعمداني خروفا من غير تفرقة بينه وبين غيره ، وكذلك قال المسيح : «أنا الراعى الصالح وأنا عارف برعيتي» <sup>(٢)</sup> .

ومنها : أن المعمداني شهد بأن المسيح عبد الله ، وأضافه إليه . إضافة ملك فقال : «هذا خروف الله» وقال مرة أخرى : «هذا حمل الله» فشهد بأن الله مالكه ، ولم يقل المعمداني حين رأى المسيح : هذا هو الله . كما يهذى به طوائف من النصارى . ولا قال : هذا الإنسان الذى اتحد الله به أو سكن الله فى إهابه واتخذ له نزلا ومسكنا . كما افتراه متأخرو النصارى .

وفى ذلك تكذيب للأمانة وإظهار لفسادها ومراغمة لمن عقدها حيث يقولون فيها : إن المسيح إله حق ، بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ، وإنه خالق غير مخلوق .

الويل لهم ، أ هم أعلم بالمسيح وأعرف من نبي الله يحيى بن زكريا الذى شهد المسيح «بأن النساء لم تلد» <sup>(٣)</sup> مثله فيوحنا هذا النبي - عليه السلام - إنما بعثه الله على زعم النصارى ليشهد <sup>(٤)</sup> للمسيح ، وها هو ذا يشهد بأن المسيح خروف وأن الله مالكه ، وأنه يأتى بعده <sup>(٥)</sup> يعمد الناس ويستتيهم . كما كان يحيى بن زكريا يفعل غير أنه أقوى منه <sup>(٦)</sup> ، وهذا قد يقوله ذوو الورع والتقوى تورعا وخوفا من السلب بالإعجاب . ولا يلزم أن يكون القائل لذلك دون المقول له ، فلم يزل الصالحون يعتمدون ذلك .

(١) متى ١٠ : ٦ .

(٢) يوحنا ١٠ : ١٤ .

(٣) متى ١١ : ١١ .

(٤) الصواب : ليشهد لمحمد وذلك لأنه هو والمسيح دعوا معا لاقتراب ملكوت الله .

(٥) المؤلف غير فاهم وذلك لأن البعدية لمحمد وليست لميسى . وقد سبق البيان .

(٦) الأقوى منه : هو محمد رسول الله .

وقد شهد متى نبوة المسيح صريحا إذ يقول: إنه <sup>(١)</sup> يجمع الصلحاء إلى ملته والأبرار، ويبعد الكفار إلى النار. فقد وضّح أنه ليس في كلام المعمدانى ما يدل على انتحال الضلال. وإلا فما أحسن رياً له حذاء يتعله وخف يقى رجليه. أعوذ بالله من العمي، وتنكب الهدي.

### السؤال الحادى عشر وهو من معضلات النصارى:

قال النصارى: قال يسوع: «أنا أبى وأبى بي» <sup>(٢)</sup> قالوا: هذا تصريح من المسيح بأنه متحد بالله، والله متحد به.

والجواب: فى قول يوحنا التلميذ فى الفصل السابع عشر من إنجيله، قال يوحنا: تضرع المسيح إلى الله فى تلاميذه فقال: «أيها القدوس احفظهم باسمك ليكونوا هم أيضا شيئا واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذى أعطيتنى ليكونوا شيئا واحداً، فأنا بهم وأنت بي» <sup>(٣)</sup>.

وتأويل ذلك: أنت يا إلهى معى وأنت لى، وأنا أيضا مع أصحابى وأنا لهم، وكما أنك أرسلتني لأدعو عبادك إلى توحيدك؛ فكذلك أرسلتُهم ليدعوا إليك، فكن لهم كما كنت لى. فإن عُدل عن هذا التأويل؛ لزم منه المحال. وهو أن يكون قوام الله وثبوت ربوبيته برجل من خلقه. ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون البارى وعبد من عبيده متداخلين، ويلزم منه محال آخر: وهو أن يكون التلاميذ متداخلين مع المسيح، ويكون المسيح متدخلا معهم. فإن التزمه النصارى: قيل لهم: فإله إذاً حال فى التلاميذ والتلاميذ حالون فى الله - تعالى الله عن هذيان النصارى علواً كبيراً .

وقد قال فونس - وهو يعظ بعض إخوانه ويحذرهم من الزنا -: «أما علمتم أن أجسادكم أعضاء للمسيح، فيعمد أحدكم إلى عضو من المسيح فيجعلنه عضواً للزانية؛ لأن من يصحب الزانية، يصير معها جسداً واحداً، والذي يصحب سيدنا

(١) متى ١٢: ٣ .

(٢) يوحنا ١٤: ١٠ - ١١ .

(٣) يوحنا ١٧: ١١ + .

المسيح؛ يصير معه روحا واحدا»<sup>(١)</sup>. وذلك يفسد على النصارى سؤالهم.

### السؤال الثاني عشر من المعضلات:

قال النصارى: قال يوحنا التلميذ في الفصل الرابع عشر من إنجيله: «من رآني فقد رأى أبي فأنا وأبي واحد»<sup>(٢)</sup>.

### والجواب: أن له وجوها من التأويل:

أحدها: إنه قد اعترف في الإنجيل في غير موضع أنه رسول من الله إلى عباد الله. ولا شك أن رسول الملك إذا توجه إلى قُطر فأبدي بعض الرعية شماسا عن الامتثال. فيحسن منه أن يقول: أنا ومن أرسلني واحد، ومن رآني فقد رأى من أرسلني، ومن بايعني أو عاهدني فقد بايع وعاهد من أرسلني وحصل له العصمة والذمام. وذلك غير مستنكر من الرسل والنواب والوكلاء ومن نُدب لسفارة ووساطة بين اثنين أو جماعة. ومنه قول الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

الوجه الثاني: أن رؤية الصنعة تدل على صانعها، إذ لا يتصور بناء محكم متقن إلا بيان حكيم متقن، وكلما جَلَّت الصنعة دلت على جلال صانعها، والمسيح لما بهر الناس بما صدر على يديه من العجائب ورأى التفاتهم إليه، واشتغالهم به؛ أحب رفع همهم إلى الله الذي هو أعلى وأجلّ وأحكم من كل حكيم. وقد قال في إنجيله: «أبي أعظم مني»<sup>(٣)</sup> وقال له إنسان: «يا معلم صالح. فقال: لا تقبل لي صالحا، لا صالح إلا الله وحده»<sup>(٤)</sup>.

الوجه الثالث: المسيح كان عبرانيون يعتقدون قول التوراة

(١) كورنثوس الأولى ٦: ١٥ - ١٧.

(٢) يوحنا ١٤: ٩ + .

(٣) يوحنا ١٤: ٢٨.

(٤) متى ١٦: ١٩ - ١٧ «أيها المعلم الصالح. أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد؛ وهو الله».

في السفر الأول منها: أن الله خلق آدم يشبهه<sup>(١)</sup>؛ قولا صحيحا، فخاطبهم المسيح بما يفهمون. وإنما أرادت التوراة: أن الله حي عالم قادر. وقد أعطى آدم هذه الصفات من الحياة والعلم والقدرة. فكانه يقول: من رأى فقد رأى آدم ومن رأى آدم فقد رأى الله. فحذف الوسطة.

فإن عدلوا عن هذا التأويل؛ لزمهم أن يكون اليهود وسائر الكفار والحمير والكلاب قد رأوا الله. وأكذبوا التوراة والإنجيل إذ يقول: «إن الله لم يره أحد قط»<sup>(٢)</sup>.

### السؤال الثالث عشر وهو من العضلات:

حكى النصراني عن المسيح عليه السلام أنه قال: «لا يصعد إلى السماء إلا من نزل من السماء»<sup>(٣)</sup>.

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه أشار إلى راعي الأعمال وهي التي نزلت بالوحي مع الملائكة، وكأنه يقول: لا يصعد من الأعمال إلا ما كان خالصا قد أريد به وجه الله. قال الله تعالى: ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

الوجه الثاني: أنه لا يبادر إلى سمو الأخلاق والأعمال والأحوال إلا من له سمو وهممة. مثل الحواريين الذي أجابوا داعي المسيح، من غير تقدم رؤية آية، بل قال لهم: «دعوا الدنيا واتبعوني ففعلوا».

والوجه الثالث: أنه أشار إلى الأرواح الطاهرة السماوية التي تنام على طهارة. يؤذن لها فتعرج وتسرح ثم تعود. فإذا فارقت الجسد صعدت. أما أرواح الكفار والفجار فلا تصعد، وإذا فارقت الجسد أودعت في الأرض السفلى؛ لأنها لم تنزل من السماء.

(١) نص التوراة عن خلق آدم: «فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم» (تكوين ١: ٢٧).

(٢) يوحنا ١: ١٨.

(٣) لوقا ٩: ٥٩ وإلخ ومتى ١٩: ٢٨.

فإن عدلوا عن هذه الوجوه وأجروه على ظاهره، قلنا لهم: فقد صعد إلى السماء من لم ينزل منها. وهو إدريس الذى تسمونه أخنوخ<sup>(١)</sup>.

وناسوت المسيح أيضاً لم ينزل من السماء وقد صعد إلى السماء. فإما أن يتأولوا الخبر وإلا أخرجوه إلى الكذب. فإن قال النصارى: لم يزل أيشوع متجسداً. أكذبتهم نصوص الإنجيل والأمانة. إذ تقول: إنه أخذ جسده من مريم - عليها السلام - وقال فى الإنجيل: «هذا مولد يسوع المسيح»<sup>(٢)</sup> فحكم بأنه مخلوق.

### السؤال الرابع عشر وهو من الأعضاء:

روى النصارى عن المسيح أنه قال: «إن إبراهيم الخليل اشتهى أن يرى يومى؛ فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يأت لك خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟ فقال: الحق أقول لكم: إننى قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»<sup>(٣)</sup> قال المؤلف: هذا من أقوى ما يتمسك به النصارى فى ربوبية المسيح.

والجواب: يحتتمل أن يكون الله تعالى قد أرى إبراهيم أيام المسيح كما أرى آدم جميع أيام ولده، وأعلم إبراهيم بأحواله كما أعلم آدم بأحوال ولده من بعده، وكما أرى موسى ما يؤول أمر بنى إسرائيل إليه. على ما تشهد بذلك التوراة. وذلك بالروح المدركة لا بالعين الباصرة. فإن أبى النصارى هذا التأويل أكذبوا متى إذ يقول فى صدر إنجيله: «هذا مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم» وأكذبوا لوقا فى روايته عن جبريل إذ يقول لمريم: «إنك تلدين ولداً يسمى أيشوع يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود». وإذا كان المسيح إنما هو ابن مريم ولدته فى زمن متأخر عن إبراهيم بمئتين من السنين؛ فكيف يكون قبل إبراهيم إلا على وجه التأويل. وهو أن الله تعالى كان قد قَدَّرَ له الاصطفاء والاجتباء فى سابق علمه قبل إبراهيم، وأعلم الله إبراهيم: أن من ولدك من أجعله آية للعالمين، فاشتاق إلى رؤية هذا الولد، فكشف الله له عن روحه الزكية النبوية، فرآها وفرح بها.

(١) تكوين ٥: ٢٢ + .

(٢) متى ١: ١ .

(٣) سبق التعليق على هذا النص وهو فى يوحنا ٨: ٥٦ والنص عن المسيا الرئيس.

وقد روى في الخير: «أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأشباح بألفى عام»<sup>(١)</sup> وقد قال سليمان عن الحكمة: «أنا قبل خلق الدنيا»<sup>(٢)</sup> كما حكينا فيما مضى، وقال داود في مزموره: «ذكرتني يارب من البدء وقدستني بأعمالك» .  
وقيل لمحمد ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ فقال عليه السلام: «كنت نبيا وأدم منجدل في طيئته»<sup>(٣)</sup> .

### السؤال الخامس عشر وهو من الأعضاء:

روى النصارى عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في صدر إنجيله: «إن الكلمة صارت جسدا وحلت فينا»<sup>(٤)</sup> .

والجواب: إن ذلك يحتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير. وتبدل اللسان. فتكون إن الجسد الإنساني الذي هو جسد المسيح سمي الكلمة. ولا معنى لـ «صار» إلا تجدد مالم يكن، وقوله «وحل فينا» إشارة إلى جسد يسوع المسيح الذي صار كلمة بالتسمية من الله تعالى. وكان يوحنا يقول: إن الذي كفر به اليهود ونسبوه إلى الجنون شرفه الله وسماه كلمة له، وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره. ويحتمل أن يكون يوحنا أشار بهذا القول إلى بطرس كبير تلاميذ ووصى المسيح من بعده؛ فإنه قام بتدبيرهم بعد رفع المسيح بعهد عهده إليه ووصية أوصاه بها. وكان التلاميذ يفزعون إليه في نوازلهم بعد المسيح. على ما يشهد به سيرهم. وكان يوحنا يقول: إن ذهب الكلمة من بيننا فإنها لم تذهب حتى صارت جسدا وحل فينا. يريد: أن بركة الكلمة وتدبيرها حاضر في جسد بيننا. وهو بطرس. ويحتمل أن يكون يوحنا قال: إن الكلمة أصارت جسدا وحل فينا، فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلى اللسان العربي من العبراني، والميز بين صارت وأصارت لا يكاد يدرك في اللسان الواحد. فكيف مع النقل والتحويل

(١) لاحظ: أن إبراهيم قبل عيسى بألفين سنة على حسابهم وهذا الحديث رواه الأزدى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ورواه ابن منده.

(٢) أمثال ٨: ٢٢ + .

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(٤) يوحنا ١: ١٤ .



وفساد الترجمة؟ وقد أخبر الله تعالى: أن المسيح كان يصنع من الطين حيواناً<sup>(١)</sup>. والنصارى وإن أنكروا هذا ففى الإنجيل ما يصدقه وهو أن المسيح عليه السلام تفل على الطين من ريقه وصوره على موضع عيني رجل أكمه قد ولد أعمى. وقال: اذهب فاغتسل فى عين شلوخا. ففعل وأبصر، فتعجب اليهود من ذلك<sup>(٢)</sup>. فإن أبى النصارى تأويلنا لكلام يوحنا هذا؛ لزمهم أن تكون الكلمة الأزلية استحالت لحما ودماً وعروفاً وشعراً وظفراً واغتذت بالطعام وكان منها ما يكون من الأنام، وبقيت ذات البارى خرساء غير ناطقة وجاهلة غير عالمة. وذلك لا يقوله لبيب.

فإن قيل: فما المرضيّ عندك فى كلمة يوحنا هذه على تقدير صحتها وسلامتها عن التحريف والتصحيف؟ فأقول: يحتمل أن تكون كلمة جبريل التى أوردها على مريم قد صارت جسداً وتخلّق منها المسيح الذى حلّ فيهم. وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ وذلك بعينه هو الذى حكاه لوقا فى إنجيله عن جبريل. وإذا كانت الكلمة التى صارت جسداً هى كلمة جبريل؛ اندفعت عنا مؤنة التأويل.

### السؤال السادس عشر وهو من العضلات:

حكى النصارى عن المسيح أنه قال: «كما أقام يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وليالٍ؛ فكذلك ابن الإنسان يقيم فى بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالي»<sup>(٣)</sup>.

### والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: لا أسلم صحة هذا النقل بل هو كذب ومين. إذ الإنجيل يشهد أن المصلوب المقبور لم يبق فى قلب الأرض وبطنها سوى يوم واحد وليلتين - على كلا الروايتين - فقد أخلف قولهم وظهر كذبه وإفكه. فلا حاجة بنا إلى الكلام عليه

(١) هذا فى إنجيل الطفولية وإنجيل لوقا.

(٢) يوحنا ٩: ١ - ٧ وهى عين سلوام.

(٣) متى ١٢: ٣٩ - ٤٠.

والوجه الثاني: أن المسيح لم يقل: إنى أقتل وأصلب وأدفن وأقيم فى بطن الأرض هذه المدة. كما تخرصه النصارى. إنما قال: إن ابن الإنسان يجرى له ذلك، وابن الإنسان هو الذى يُشَبَّه لليهود بالمسيح؛ لا المسيح. على ما قررته وأوضحته فيما تقدم. وقد قلبت الإنجيل دفعات كثيرة، وأنعمتُ النظر فيه؛ فما وجدته قط أضاف ذلك إلى نفسه الكريمة، ولا أورده إلا مضافاً إلى «ابن الإنسان» يعرف ذلك من وقف على الإنجيل. والعجب من النصارى كيف يُنزلون ذلك على المسيح وهم لا يرضون له بنوة إبراهيم وداود؟ فكيف يجعلونه ابن إنسان من عرض الدنيا؟

والعجب أيضاً: أنهم يصفونه بما وصفه به اليهود من حيث لا يشعرون؛ لأن غاية ما قال فيه اليهود: أنه ولد يوسف النجار. فأى فرق بينهم وبين اليهود فى ذلك إذ اعترفوا أنه ابن الإنسان؟ وإذا كان المسيح عندهم إنما هو ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يمكن أن يكون ابن الله يُقتل ويُدفن فى الأرض بين الأمم. هذا مع وصفهم له فى الأمانة بأنه إله حق من إله حق من جوهر الله. فإن صدقوا - وحوشوا من الصدق - فالذى قال المسيح: إنه يكون فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالي، إنما هو ابن الإنسان الذى هو إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه آدم. وفى ذلك تكذيب لهم فى دعوى قتل المسيح وصلبه.

### السؤال السابع عشر وهو من العضلات:

حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: «قال داود فى مزموه له: قال الرب لربي» قال المسيح: فهذا داود يدعو ربه، فكيف تقولون إنه ابنه؟» (١).

والجواب: أنا لا نصحح هذا النقل عن داود نبي الله، فإنه إنما بعث ذاباً عن توحيد التوراة ومقررراً لها أسوة غيره من الأنبياء الذين بُعثوا بعد موسى عليه السلام. والتوراة ليس فيها ما يدل على ضلال النصارى. ومتى شُهر عن موسى أو داود وغيره من أنبياء الله أن الرب يكون له ربا وللإله إلهاً؟ وإذا كان ذلك من الهديان، فلنورك على النقلة عن داود، إذ داود ثابت العصمة وهو أعرف بالله تعالى من أن يجعل له ربا فوقه أو ربا تحته يشاركه فى الربوبية. على أن ذلك

(١) متى ٢٢: ٤١ - ٤٦.

مردود بشهادة الإنجيل عن جبريل إذ قال لمريم: إنك تلدين ولدا يجلسه الله على كرسى أبيه داود. وفي ذلك تكذيب لمن نقل عن المسيح أيضا. إذ المسيح قد شحن إنجيله بتوحيد الله وإفراده بالرؤية كما حكيناه عنه، فكيف يدعى أنه رب لداود والناس ينادونه: «يا ابن داود ارحمنا» فيفعل ويرضى منهم بهذا القول. وهو القائل في إنجيله: «لا صالح إلا الله» - «إن إلهكم واحد» - «إن أفضل الرصايا كلها: الله واحد» - «أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم» - «إلهي إلهي لم تركتني؟» - «إنكم تريدون قتلى وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله» وذلك في الإنجيل كثير جدا. وإذا كان هذا نص المسيح في الإنجيل فقد كذبوا عليه في ادعائه أن داود عبده.

قال مؤلفه: سألت حبرا من أحبار اليهود عن هذا المزمو. قال: قال الرب لربي تفسيره عندنا بالعبرانية: «قال الرب لولبي» قال: والرب عندنا يطلق على المعظم في الدين. ثم تلا قول إبراهيم ولوط الذي حكيناه.

### السؤال الثامن عشر وهو من العضلات:

قال النصراني: نحن واليهود من مخالفينا في الملة ننقل أن الذي قُتل وصلب لم يكن سوى يسوع المسيح. فلو تطرق التشكيك إلى رواتنا ونقله أخبارنا وحملة ديننا؛ لتطرق مثله إلى ما يتقلونه عن أسلافكم ولم يثبت لأحد من أتباع الأنبياء قاعدة البتة.

والجواب: أن الرواة الأربعة الذين رووا لكم القتل والصلب؛ لم يحضر منهم أحد البتة ذلك المشهد من خوف اليهود. بشهادة الإنجيل. وقد شهدت أقاصيص الإنجيل بأن المسيح كان قد تغير منظر وجهه حتى على بطرس وخواص تلاميذه، واستولى عليه ذلك، حتى تعدى إلى لون ثيابه فغيرهما عما كانت عليه، وأنه لما التبس أمره وتكررت حلاه على أصحابه فضلا عن اليهود احتاجوا إلى أن أرسوا رجلا من تلاميذه الاثنى عشر برشوة حتى دلهم عليه، ثم لم يعرفوه حتى قال لهم: إذا رأيتموني أقبل شخصا فامسكوه؛ لأنه يسوع. هذا مع كون المسيح في كل يوم في الهيكل يناظرهم ويفحهم بالحجج النبوية، ويظهر عليهم ويكسر حججهم

في كل مجلس ومجمع يجتمعون فيه .

فما حاجتهم إلى مَنْ يَعْرِفُهُمْ عينه بعلامة وأمارة يجعلها لهم، لولا وقوع الشبه الحائل بينهم وبين رجل من أسباطهم وعشائهم . فأخذهم من أخذوه إنما هو الشبه .

ثم الشبه إنما أخذ ليلا فلم يصيروا به إلى رئيس الكهنة، وله حلية تُعرف . فقتلوه صبيحة تلك الليلة . كما أخبر الإنجيل . وإذا كان هذا نص الإنجيل أن أصحاب المسيح لم يحضروا، واليهود قد اشتبه عليهم الحال وأنكروا صورة المسيح بعد طول المعرفة به؛ فأخبار من جاء بعدهم لا يفيد إلا الظن . إذ كان مستندهم ما ذكرنا . فالقول بقتل المسيح وصلبه لا سبيل إلى صحته بعد إخبار جبريل عن رب العالمين: أن المسيح يُجلسه الرب على كرسى أبيه داود، ويملكه على بيت يعقوب . على ما تضمنه إنجيل لوقا . وقد حققنا ذلك غير مرة فلا نعيده .

### السؤال التاسع عشر وهو من العضلات:

قال النصرارى: قال المسيح: «إذا كان يوم القيامة أرسل ابن الإنسان ملائكته، فجمعوا أصحاب الشكوك وفاعلى الآثام فيلقونهم فى أتون النار، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان» (١) .

قال النصرارى: فقد أثبت لنفسه ملائكة، ولا يثبت ملك الملائكة إلا الله تعالى، وأثبت أنه المقتول المصلوب .

والجواب: أن هذه نسبة صحبة لا نسبة مُلك، والدليل على ذلك من الإنجيل: قول يسوع: «لا تحقروا أحدا من هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات فى كل حين» (٢) فقد أثبت للصغار ملائكة ولم يرد الملك، وقد قال يسوع أيضاً لليهود فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى لا أستطيع

(١) متى ١٣ والمراد بالقيامة: الحرب التى ستكون على اليهود من المسلمين فى فتح فلسطين على يد عمر بن الخطاب [راجع دانيال ٩ ومتى ٢٤] والمراد بابن الإنسان محمد ﷺ والمراد بالملائكة أصحابه الكرام الشبهيين بالملائكة النورانيين فى الطهر والصلاح

(٢) متى ١٨ . ١٠

أن أدعو أبى فيرسل لى اثنا عشر جوقا من الملائكة»<sup>(١)</sup> أثبت ههنا مُلْك الملائكة لله وحده. فكان ذلك المطلق محمولا على هذا المقيد. وقد قالت التوراة: «إن بنى إسرائيل كان لهم مَلَكٌ يحمل عمود الغمام ويسير أمامهم، ويلهب لهم الليل نارا، يؤمونها فى مسيرهم»<sup>(٢)</sup>.

وقوله إنه ابن إنسان يُوهم أنه أراد نفسه. ونحن نحمله على الشَّبه الشديد الذى صلبه اليهود، نعم. فإنه من الحواريين الذين هم تلوا النبيين فى الشفاعة. قال الله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ وإذا كان الشبيه صديقاً؛ فهو من خيرهم. لإيثاره المسيح، فلا بُد أن يشهد له المسيح بأنه يشفع يوم القيامة، ويرسل الملائكة بين يديه يؤمر بامتثال أوامره ويلقى من آذاه وقتله وصلبه فى أتون النار.

والدليل على تشريف الأولياء والأصفياء بهذه الرتبة: الكتاب العزيز والإنجيل. قال الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ دل على أن من الشافعين من تنفع شفاعته. وقال المسيح لتلاميذه: «أنتم الذين صيرتم معى فى تجاربي إنكم يوم القيامة تجلسون على اثنى عشر كرسيّاً من كراسى المجد تدينون اثنى عشر سبطاً من أسباط بنى إسرائيل» فقد أثبت محاسبة الأسباط من بنى يعقوب إلى تلاميذه، والمصلوب من خيرهم كما تقدم، وكيف لا يعظم جرم اليهود ويسلط عليهم فى الدار الآخرة أصحاب المسيح، وإنما قتلوا فى زعمهم واعتقادهم وظنهم المسيح؟ فبشؤم قصدهم عظم إثمهم. وإن لم يصادفوه ولا قتلوه. فسلط الله عليهم فى القيامة بعض خدمه وهو الشبه ليتقم منهم.

### السؤال العشرون وهو من العضلات:

قال النصرارى: قال داود فى مزموه له وتنبأ به على آلام المسيح وما يجرى عليه من اليهود: «ثقبوا يدي، وجعلوا فى طعامى المرار، وعند عطشى سقونى

(١) متى ٥٣: ٢٦ ولاحظ أن الملائكة لا تكون إلا لمحمد ﷺ كما فى نشيد موسى. والمحرف ههنا يطبق نبوة نشيد موسى على المسيح.

(٢) خروج ١٣: ٢١ + .

خلا، يا رب لا تبعد نصرك مني» (١) .

قالوا: فأى حجة أئين أو دليل أوضح من هذا؟

والجواب: عن ذلك من وجوه:

**أحدها:** لا نسلم أن داود عنى بذلك المسيح بل لم يعن إلا نفسه (٢) . والكلام يحتمل على المعنى حيث أعوز حمله على اللفظ، وكأنه عليه السلام كنى بذلك عما هو بصده من قتال المشركين ومنازعة أعداء الدين وجبايرة فلسطين، وكأنهم لطول حروبهم وموالاته شرورهم فعلوا هذه الأشياء. وداود أخبر بهذا المزموه عن نفسه. فمن أراد صرفه عنه إلى غيره؛ فعليه إقامة الدليل.

قال مؤلفه: بعد تبييض هذه النسخة والفراغ سألت حبراً من أبحار اليهود عن قول داود «ثقبوا يدي» بالمزمور، فأجابني بنحو ما ذكرته في الوجه الأول على الفور من غير توقف. فتعجبت (٣) من اتفاقه لنص ما عندهم.

**الوجه الثاني:** نسلم أن داود لم يعن بذلك نفسه، ولكن عنى غيره. فبم تنكر النصرارى أن ذلك المعنى رجلٌ كان قبل داود؟ واللفظ يساعد عليه. فإنه ذكره بلفظ الماضي فقال: «ثقبوا يدي» - «جعلوا في طعامي المرار» وذلك يشير إلى أمر قد وقع وفرغ منه، وإذا كان ذلك لم يصلح للاستقبال. فلعل داود إنما أراد بالمزمور رجلاً من أسلافه الماضين كإبراهيم وموسى وغيره من الأصفياء؛ فتألم بذلك تألم الولد البار لوالده وذوى رَحْمه وعزى نفسه وسلاًها فيما ابتلى به من قتال كفار زمانه وملوك دهره.

**الوجه الثالث:** نسلم أن داود أراد الاستقبال، لكن ليس في المزموه ما يدل على قتل وضرب وصفع وصلب. كما نسبه النصرارى لربهم في زعمهم. وليس فيه إلا أن رجلاً من الناس يُثقب يده ويُسقى خلاً عند عطشه ويُمَرَّر طعامه ويسأل ربه وخالقه إلهه أن ينصره، ولا يلزم من وجود هذه الأمور؛ وجود قتل وصلب، فقد

(١) المزموه ٢٢ وقد بينا سابقاً أنه لمحمد ﷺ .

(٢) المتكلم في هذا المزموه هو محمد ﷺ وداود يحكى كلامه بظهر الغيب.

(٣) الحبر خدع المؤلف. لأن المزموه نبوءة عن النبي الآتي.

يثقب يد الإنسان ويسقى الخلل ولا يموت.

**والوجه الرابع:** سلّمنا أن ذلك يستلزم القتل والصلب والإهانة، وأن داود عبّر ببعض الآلام عن سائرهما. لكن من أين للنصارى أن المفعول به ذلك هو المسيح؟ وليس فى كلام داود له ذكر البتة. فبم ينكرون على من يقول أن المفعول به ذلك هو الشبه لا المسيح؟ وليس دعواهم أن داود أراد المسيح بأولى من دعوى من يقول: لم يرد بذلك إلا الشبه. والدليل على أن داود أراد الشبه <sup>(١)</sup>: قوله: «يارب لا تبعد نصرك مني» فصّح داود بأن المفعول به ذلك عبد من عبيد الله يستصرخ بربه ويلتمس نصر خالقه عند نزوله كربه. ويؤيده قول نقلة الإنجيل: إن المصلوب قال فى آخر كلام تكلم به على الخشبة: «إلهى إلهى كيف تركتني؟» والمسيح ليس كذلك عند النصارى، ولا سيما وقد رووا عن داود أنه عنى المسيح بقوله فى المزمور: «قال الرب لربّي: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطيء قدميه؛ بطل أن يكون عنى بقوله «ثقبوا يدي» المسيح، وصحّ إضافة ذلك إلى الشبه. ثم داود عبرانى اللسان، فلو كان فى مزامير ما ينوه بذكر المسيح وربوبيته وقتله وصلبه؛ لكان العبرانيون - وهم اليهود - أحق بمعرفته من غيرهم، لاشتغالهم بتلاوة مزامير داود وانكماشهم على قراءتها والتعبد بها. فأقدمهم على ما أقدموا عليه من طلب المسيح وتكذيبه، وعزمهم على قتله حتى شغلهم الله عنه بالشبه الذى قتلوه وصلبوه؛ دليل واضح على غلط النصارى فيما استنبطوه من المزامير بعقولهم، واستخرجوه بأذهانهم.

عشرون سؤالاً معدودة منعضلات أسئلتهم مضافة إلى ما قدمناه، غير أن هذه الأسئلة هى أساس كفرهم، وعليها عقدوا أمانتهم التى سنيين بعون الله فسادها وتناقض ألفاظها ومعارضتها للثالوث ومعارضة الثالوث لها.

وقد بين داود فى المزمور التاسع عشر على ما ذهبنا إليه من خلاص المسيح من أعدائه اليهود، وأخبر أن الله تعالى حماه منهم وستره عنهم، فقال: «يستجيب لك الرب فى يوم شديد، ويرسل لك عوناً من قدسه، يعضدك من الآن، عرف

(١) صحة الكلام: أراد محمداً.

خلاص الله لمسيحه، ومن سماء قدسه استجاب له»<sup>(١)</sup> فقد شهد داود بأن الله خلص المسيح. وهذا المزمور مصدق لقول لوقا: إن جبريل خبّر عن الله أن المسيح يكون ملك بني إسرائيل. فأما مزمور «ثقبوا يدي» فكذب بشارة جبريل، وما ردّ بشارة جبريل عن الله تعالى؛ فهو مردود.

فإن قيل: فالمسيح صعد إلى السماء وهذا يدل على ربوبيته. قلنا: هذا من أضعف ما يتمسك به، إذ الملائكة تصعد السماء وليسوا آلهة ولا أربابا، وأخوخ الذى هو إدريس قد صعد إلى السماء. وهو عبد من عبيد الله، وكذلك إيلياء ودّع تلميذه اليسع وصعد إلى السماء على فرس من نور<sup>(٢)</sup>.

والعجب: أن التلاميذ عندكم أفضل من إدريس وإيلياء وغيرهم، وقد قتلوا وماتوا ودفنوا فى الأرض. فليس فى صعود السماء ما يدل على ما يذهبون إليه. فإن قيل: فالمسيح أخبر بالمغيبات وعرف تلاميذه بما سيحدث فى المستقبل<sup>(٣)</sup> ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

قلنا: التعلق بذلك يصلح لإثبات النبوة والرسالة. أما أنه يصلح لما تدعونوه فلا. والدليل على ذلك: أن نوحا وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وجماعة من الأصفياء قد أخبروا بالمغيبات؛ فوقعت على وفق خبرهم. فأخبر نوح بالطوفان وهلاك الخلق بأسرهم إلا من ركب سفينته. وأخبر إبراهيم بأن ذريته يكونون فى العبودية والسخرة بمصر المدة الطويلة وأخبر يعقوب بأن الله سيذكر بنى إسرائيل

(١) المزمور ٢٠.

(٢) الملوك الثانى ٢.

(٣) المغيبات التى أخبر بها المسيح هى مجيء محمد من بعده فقط وهى ليست مغيبات منفرد بها. فإنه قد استدلل بالتوراة عليها ودليل ذلك: اقتراب ملكوت السموات أخذه من الأصحاح السابع من سفر دانيال. وفتح المسلمين لفلسطين فى بدء الإسلام أخذه من الأصحاح التاسع من سفر دانيال. والمغيبات التى أخبر بها محمد ﷺ منها ما تنبأ به التوراة من قبله مثل تأسيس ملكوت الله بعد مملكة الروم. وذلك فى الأصحاح السابع من دانيال. ومثل هزيمة المسلمين على يد اليهود سنة ١٩٦٧ وذلك فى سورة الإسراء والأصحاح الثامن من دانيال. ومنها ما تنبأ به الإنجيل مثل فتح المسلمين لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب كما فى الأصحاح الحادى والعشرين من لوقا وما يوازيه عند متى ومرقس. ومن علامات صدق محمد فى دعوى النبوة أن يخبر عن غيب ويقع الغيب كما قال. وذلك فى سفر التثنية ١٨: ١٥ - ٢٢.



ويخرجهم من مصر إلى بلادهم بيد منيعة عزيزة قوية. وأخبر موسى بشتات أمر اليهود وعبادتهم الأصنام والأوثان وإعراضهم عن طاعة الله الذى أنقذهم من سخرة فرعون. وأخبر يوسف بالغلاء والمجاعة التى تعم الأرض سبع سنين. وأخبر دانيال بختنصر بمغيبات كثيرة، فلم يخرم مما قالوا ولم يخلف. كما شهد بذلك كله التوراة والنبوات. وأربوا على المسيح فى ذلك، وذلك كله بتعريف الله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾.

والعجب كيف يتمسك النصارى فى دعوى ربوبية المسيح بإخباره الغيب، وهذا نوح وإبراهيم ويعقوب يخبرون به وينبئون عنه، مع أن النصارى لا يعتقدون فيهم سوى أنهم قوم صالحون لا غير. وهذا من أجل أغاليطهم وكفرهم. إذ أخرجوا من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم - عليه السلام - مع شهادة التوراة بأعلامهم ورسوخ أقدامهم ومكالمتهم الحق ودعائهم الخلق.

فإن قيل: فالمسيح جاء من غير فحل، ونحن وأنتم قاطعون بطهارة مريم وبراءتها. وإذا كان لا بد من أب، فلا أب له سوى الله تعالى.

قلنا: هذا من أضعف ما يتمسك به. وذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق حواء من آدم. قال الله تعالى فى صدر التوراة: «لا يحسن أن يبقى آدم وحده بل نخلق له زوجا مثله، فألقى الله عليه النوم فنام فنزع ضلعا من أضلاعه وأخلف له عوضه لحما؛ فخلق الله من ذلك الضلع حواء زوجته» (١).

فإذا كان لا بد لها من أم. فهل تقولون: الله أمها؟ فخلق أنثى من ذكر بغير أم أعجب من خلق ذكر من أنثى بغير أب، وأعجب من هذين: خلق بشر من غير أنثى ولا ذكر. وقد خلق الله آدم من تراب، فمن كان قادرا على أن يخلق بشرا من غير أبوين ولا يكون ابنا له، كيف لا يقدر أن يخلق بشرا من أنثى ولا ذكر ولا يكون ابنا له؟

وكم قد خلق الله سبحانه من مخلوقاته من غير تناسل معروف ولا ولادة معتادة؟ ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾؟

(١) تكوين ٢: ١٨ + .

## انتزاعات لهم:

وانتزع النصارى من التوراة والكتب العتيقة مواضع زعموا أنها دالة على ربوبية المسيح. ونحن نوردها في معرض الأسئلة، ونجيب عنها، ونبين أن ليس فيها تفريغ لكربة النصارى لهم فيما يحاولونه.

**الانتزاع الأول:** فإن قيل: ففى التوراة ما يدل على عقد النصارى فى المسيح، وهو: أن إسرائيل لما احتضر بمصر جمع بنيه ودعا واحدا ثم قال لابنه يهوذا: «لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا، ونبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك. وإياه تنتظر الشعوب، ربط بالحبله جحشه، يرحض بالخمير لباسه، ويصبغ بعصير العنب رداءه. عيناه أشد سهولة من الخمر، وأسنانه أشد بياضا من اللبن» (١).

قال النصارى: هذه صفات المسيح.

قلنا: اللفظ للتوراة وهى عبرانية واليهود من أولاد يعقوب أعرف بذلك منكم، وها هم إلى الآن ينازعونكم فى الموصوف بهذه الصفات، ويدعون أنه صاحبهم. وهم إلى الآن ينتظرونه. نحن لا نسلم أن هذا الموعود به عيسى ابن مريم ولا غيره بل هو محمد ﷺ والدليل على ذلك: قول يعقوب «حتى يأتى الذى له الملك» (٢) وليست كذلك وإنما هى «الكل» فحرفت بسوء النقل. وكذلك هى فى

(١) هذه النبوءة فى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين وهى خاصة بمحمد ﷺ.

(٢) النص: «لا يزول صولجان الملك من يهوذا، ولا منتزع من صلبه، حتى يأتى شيلوه أو معناه: من له الأمر فتطيعه الشعوب. يربط بالكرمة جحشه، وبأفضل جفنة ابن أئانه. بالخمير يغسل لباسه. ويدم العنب ثوبه. تكون عيناه أشد سوادا من الخمر، وأسنانه أكثر بياضا من اللبن» [ترجمة كتاب الحياة عربى/المجلىزي]. وعبارة [معناه من له الأمر] فى نفس النص.

والمعنى: يظل الملك مع اليهود، وتظل الشريعة معهم، إلى أن يأتى النبى المنتظر الملقب «شيلوه» وعندئذ يزول الملك من اليهود، وتنسخ الشريعة. ويكون ويتقل الملك إلى شيلوه، وتكون الشريعة الجديدة معه. ثم تكلم بأسلوب الكناية عن كثرة الخيرات فى زمن شريعة شيلوه، الذى له الأمر فقال: يربط بالكرمة جحشه. كناية عن كثرة الخيرات، حتى أن طعام الأدميين الفاضل منهم، تاكله الحميمير بدلا من طعام الحشن. وقال إنه يربط ابن حمارته بأحسن جفنة طعام عليها لحم وثريد. كناية عن كثرة الفاضل من طعام الأدميين. وقال إنه يغسل بالخمير لباسه. بدل غسله بالماء. كناية عن كثرتها. وكثرتها مع غلاء ثمنها تغنى عن الماء فى غسل الثياب. ثم قال ويغسل بدم العنب ثوبه كناية عن رخص ثمن العنب. ولذلك كله يكون من حسن طعام المسلم أن عينيه تكون أشد سوادا من الخمر كناية عن حسن التغذية وجودة صحة بدن =

بعض نسخ التوراة «الكل» فجعله مع النبوة ملكاً مطاع الأمر، كما قال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملك<sup>(١)</sup> ابن أخيك عظيماً. فقال له: اسكت فإنها النبوة وقال: «لقد أتيتُ كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه؛ فما رأيتُ قوماً أهيبُ لملكهم من أصحاب محمد لمحمد ﷺ». وقال صناديد قريش: «لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كَبْشَةَ» جد من أجداد رسول الله ﷺ. وكذلك كان عليه السلام، فإن الله جمع له الكل. كما قال يعقوب النبوة والملك. فاستقام أمره واستوسق سلطانه، واستتبت دولته، وألقت إليه الدنيا سلطان مقاليدها. فكان نبياً رسولاً كما كان سلطاناً مبعوثاً إلى الأحمر والأسود والقريب والبعيد. ولقد هابته الملوك وهادته واعتصمت منه بالذمم، وحضت على مؤازرته، وتابعه قيصر والنجاشي وملوك العرب.

فأما المسيح عليه السلام فقد شهدت عليه أقواله وأقوال تلاميذه في الإنجيل بأنه لم يرسل إلى كل الأمم من العرب والعجم. إذ يقول في إنجيله: «إني لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» وسئل أن يقضى حاجة امرأة من الكنعانيين، فقال: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيلقى للكلاب» وقال المسيح حيث بعث تلاميذه: «مدن السامرة لا تدخلوا، وطريق الزنادقة لا تسلكوا، واذهبوا بالحرى إلى الخراف التي ضلت من بيت إسرائيل»<sup>(٢)</sup>. فبين في كل كلامه: أن دعوته خاصة وليست عامة، فإذا ليس هو المراد بلفظ إسرائيل. إذ إسرائيل = الإنسان. وقال أسنان أكثر بياضاً من اللبن لنفس المعنى الكنعاني. وهذا حاصل في بلاد المسلمين. فإنهم

في رخاء وأمن من حين ظهور الإسلام وإلى يوم القيامة.

(١) في التوراة عن محمد ﷺ: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له اسمعون» أوت ١٨: ١٥ - { ومعنى له اسمعون: أنه يكون صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى، ويكون ملكاً على بني إسرائيل وبني إسماعيل وجميع الأمم. لأن من يلتزمه بشريته فكانه قد ملكه عليه.

(٢) المؤلف يقول إن المسيح لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل من دون الناس. وقد بنى قوله هذا على عدم دقته في قراءة النص. حيث قرأ: «واذهبوا إلى الخراف التي ضلت من بيت إسرائيل» وصحتها: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» أمتى ١٠: ٥ + { لاحظ «الحرى» والمعنى: اذهبوا أولاً إلى ديار اليهود، وبعدما تفرغون من الدعوة فيها؛ اذهبوا إلى الأمم. وهذا ما قد حدث بالفعل. وكانت دعوتهم هي التبشير بمحمد ﷺ المعبر عنه هنا «إنه قد اقترب ملكوت السموات». ولاحظ: «ليس بجيد أن يؤخذ خبز البنين؛ فيلقى للكلاب» كتبها المؤلف «خبز النبين» وكررها في أكثر من موضع ولم يصلحها.

يقول: «إنه تنتظره كل الشعوب» ولم يقل ينتظره من ضل من شعب إسرائيل لا غير .

والعجب من النصارى. كيف ينزلون هذا الكلام على المسيح عليه السلام وهم مجمعون أن صاحبهم كان مستضعفا يبذل الجزية، أسوة سائر أهل الذمة. فرووا فى إنجيلهم الذى بأيديهم اليوم: أن جباة الجزية من جهة قيصر قالوا لبطرس: مابال معلمكم لا يؤدى إلينا الغرم؟ فذكر ذلك بطرس للمسيح، فقال: والبنون أيضا يؤدون الغرم؟ ثم قال لبطرس: «اذهب إلى البحر وألق الصنارة واصطد ما تؤدى عنى وعنك» (١) .

هذا نقلهم والعهدة عليهم. وإذا كان الأمر على ما نقلوا؛ فليس هو صاحبهم؛ لأن الصادق إسرائيل قال: إن هذا الآتى يكون ملكا نبيا وكل الشعوب ينتظرونه، والخلائق معمومون برسالته ودعوته. والنصارى يقولون: هو هذا الذى يبذل الجزية من صيد السمك ويتحمّل الصغار. وإن خساس اليهود وأراذلهم وتبوا به وأرذلوه واستذلوه وربطوه وربط اللصوص وأهل الدعر، ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك، وجعلوا يصفعونه ويسخرون منه. ولما قضوا نهمتهم من عقوبته؛ صلبوه على خشبة فوق نَشْر من الأرض، وقرنوه بلبصين مُصلبين، ثم قتلوه وإياهما. كما حكوه لنا فى إنجيلهم.

أفكانت بشرى يعقوب لسائر الشعوب برجل يُرذل ويصفع، ويؤدى الجزية فيذل لها ويخضع، ويحمل خشبته ويصعد عليها ويرفع، ويستسقى ماء فيُذاد عنه ويدفع، ويسأل القيا فلا يجاب إليها ولا يسمع. قال يعقوب عليه السلام: «إياه تنتظرون الشعوب» والمسيح عند النصارى إله خالق ورب رازق. ومعلوم أن أكثر شعوب الأرض وأهل الدنيا ينكرون هذا ولا يقرون به. فكيف ينتظرونه؟ وإنما ينتظر الإنسان ما يجوزّه. فأما ما يُحيله ويقضى بمنعه واستحالاته؛ فلا ينتظر مجيئه وإتيانه. فقد وضح أن الذى نص عليه يعقوب فى التوراة ليس هو المسيح عليه السلام.

(١) متى ١٧: ٢٤ + .

فأما اليهود فيقال لهم: أخبرونا عن مسيحكم هذا الذى أنتم تنتظرونه، هل يعرفه غيركم أو يقرُّ به سواكم؟

فإن ادَّعوا ذلك كابرُوا العيان، فإن أحدا من الناس لا يعرفه ولا يدين الله بمجيئه. وانتظار الشيء فرع معرفته. وإنما ينتظرون المسيح الدجال الكذاب الضال المضل الذى حذر منه الأنبياء وأتباع الأنبياء .

قالت التوراة فى السفر الخامس بعد أن نصَّ على مجيء النبى الصادق: «فأما الذى يقول ما لم أمره به أو يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك قتلا. وإن أشكل عليكم معرفة الصادق من الكاذب. فانظروا فإنى لا أتمُّ عمل الكاذب ولا أكمل فعله؛ لأن قوله ذاك كذب وجرأة وصفاقة وجه. لا تخافوه ولا تنزعوا منه» فهذا ما فى التوراة.

وأما الإنجيل فقال: «إنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة بآيات وعلامات ويضلون الناس إن قدرُوا، ويتم الذى حكاه دانيال حينئذ «يهرب الناس إلى الجبال، ولا ينزل من على سطح داره لأخذ ثيابه. السويل للحبالى والمرضعات فى تيك الأيام، ويكون ضيق عظيم لم يكن مثله فى العالم، ولولا أن تيك الأيام قصرت لم يخلص ذو جسد، ولكن من أجل المتخبين قصرت تيك الأيام. ومن بعد ذلك تظلم الشمس والقمر لا ينير وتسقط الكواكب، وترتج السماء» (١).

وقد قال المسيح: «ومن قَبْلَ ثمارهم تعرفونهم» ونحن نعلم أن من ثمار محمد عليه السلام توحيد البارى وتقديسه وخلع ما سواه جل وتعالى. وأما المسلمون فلا يعدلون لهذا النعت عن محمد رسول الله ﷺ. وأما النصرارى فمكذبون لليهود، زاعمون أنه المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد أبطلنا ذلك. وأما المجوس وسائر فرق الناس كالصابئة وأصحاب هرمس وغيرهم فينقسمون إلى من

(١) غرض المؤلف من ذكر النص هو: «أنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة» هذا هو غرضه. والنص كله هو كلام لعيسى عليه السلام عن مجيء محمد ﷺ ويستشهد عليه بالأصحاح التاسع من سفر دانيال. ويقول المسيح: إن حربا شديدة ستكون فى دخول المسلمين لفلسطين. وإنى أنصح بهروب الناس إلى الجبال؛ لأن مقاومة المسلمين عديمة الجدوى..

له شبهة كتاب وهو لا يدين بالتوراة ولا بشيء من قول اليهود، وإلى من ينكر النبوات جملة، كالبراهمة والهنود وغيرهم. وإذا كان ذلك كذلك. فليس المذكور في التوراة صاحبهم الذي ينتظره سائر الشعوب. وإذا فسدت دعوى اليهود والنصارى جميعاً، فلا بد من الوفاء بقول إسرائيل الصادق، ولم يُبعث إلى سائر الشعوب سوى محمد رسول الله ﷺ .

ولا يمكن دعوى ذلك لموسى - عليه السلام - إذ هو مهجور على كل قول، ولا ادعاه أحد. ثم اعلم: أنه يتعين تأويل ألفاظ إسرائيل وصرافها عن ظاهرها، فأكثر كلام القوم متروك الظواهر، موكل استنباطه إلى آراء العلماء، وفهوم الحكماء .

والدليل على أن نبينا محمداً ﷺ ينتظره سائر الشعوب: قوله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

وقد قال عليه السلام: «بعثتُ إلى الأحمر والأسود. لو أدركنى موسى وعيسى ولم يتبعانى لأكبهما الله فى النار» وذلك الذى يوضح أنه عليه السلام المراد فى التوراة على لسان يعقوب. وقد نصت الأنبياء فى نبواتهم على أن هذا النبى المنتظر يكون خاتم الأنبياء. وسنذكر ذلك فى الباب الأخير .

أما ما يتعين تأويله: فقوله «ربط بالحبله جحشه» فتأوله بعض أصحابنا فقال: يشد الحمار بالشجرة ثم قال: الحمار هم اليهود والشجرة هم أصحاب النبى عليه السلام. قال: وشاهد ذلك من القرآن والتوراة. قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ فشبّه اليهود بالحمار. وقال تعالى فى التوراة: «أخرجت شجرة من مصر ثم فرعتها فى جميع الدنيا» (١) يعنى بالشجرة: أصحاب موسى. وكذلك أصحاب محمد أيضاً شجرة بهذا

(١) مزمور ٨٠: ٨ - ٩ وإشعيا ١٠: ٥ - ٧ وإرميا ٢١: ٢ و حزقيال ٦: ١٥ و ٦: ١٧ و ١٠: ١٩ .

الاعتبار. وكأنه يقول: يربط الكفار بأصحابه وأهل بيته، قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ۙ ﴾ .

وقد قال المسيح لليهود: «إما أن تكونوا شجرة طيبة وثمرتها طيبة، وإما أن تكونوا شجرة خبيثة وثمرتها خبيثة؛ لأن من الثمرة تعرف الشجرة» (١) .

هذا تأويله عند بعض أسلافنا - رحمهم الله - وأنا أقول: يحتمل أن يريد بالحبلة: جزيرة العرب. وهى الحجاز وما والاها، وقد كانت قبل مبعث سيدنا رسول الله ﷺ محمل الشرور ومحط الأثام كالحبلة التى خمرتها أم الخبائث. فربط عليه السلام مركوبه؛ أى استقر بها فلم يزايلها حتى أزال ما بها من الشرك (٢) ، وأباد ما اشتملت عليه من الكفر والإفك، وأحال حالها من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن كاستحالة الخمر خلا. وقد قال بعض أهل العلم: إنهم غيروا من كلام يعقوب كلمتين:

إحدهما: «جحشه» وإنما هى مهرة.

والثانية: «الملك» وإنما هى الكل.

وذكر: أنه رأى ذلك فى نسخة لم تتغير. قال: وإنما فعلوا ذلك لكى يُخرجوا نص يعقوب عن رسول الله ﷺ. قلت: ولا فائدة لهم أيضا فى ذلك. فلعمري لقد كان له عليه السلام حمار يسمى يعفور، ومعلوم أنه لا بد من ربطه بالشجرة وغيرها. وخفاء علامة واحدة - لو خفت - لا يقدر فى ظهور بقية الصفات.

وأما قوله «يرحض بالخمر لباسه» فذلك كناية عن جهاده الكفار وقتاله فى سبيل الله، أسوة سائر الرسل. كما صنع إبراهيم وموسى ويوشع وداود والخمر: هو الدم. ودليله: قول المسيح وأشار إلى الخمر: «هذا دمي» وكأنه عليه السلام لشجاعته وإقدامه فى طاعة ربه يصبغ لباسه بدماء المشركين. كما ورد: «أنه حين رجع من بعض غزواته ناول سيفه ابته فاطمة - عليها السلام - وقال: «يا بنية

(١) متى ٧: ١٧ + .

(٢) متى ٢٦: ٢٧ + .

أزيلي ما عليه فلقد أبلى عن أيبك اليوم». وكيف لا يصفه يعقوب بذلك. وقد روى: «أنه عليه السلام حمل في بعض مواقفه سبعين حملة على المشركين». وكذلك قول يعقوب عليه السلام: «يصبغ بعصير العنب رداءه» يعني يغمس سيفه في دماء الكافرين. والسيف يسمى رداء وإزارا، ولو تصرف متأول في كلام يعقوب فقدّم وأخر فقال: يرحض الخمر بلباسه؛ لكان محسنا؛ يعني يحرم الخمر ويزيل وضرها بتقواه. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ سمي التقوى لباساً.

وأما قوله: «عيناه أشدُّ سهولة من الخمر» فقد روى في حلاه عليه السلام: أنه كان بعينه حمرة ظاهرة لا تفارقه. ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى شدة حياته عليه السلام فإنه كان أشدُّ حياءً وخفراً من العذراء في خدرها، فكان إذا أتى أهله تلقع من شدة حياته عليه السلام. وكان لا يجابه أحداً في وجهه بما يكره. وإن أمضه ما يصدر منه عرض. فقال: «ما بال قوم يفعلون كذا وكذا» و«وما بال الرجل نوليه مما ولانا الله فيفعل كيت وكيت» و«إن أقواما استأذنونى فى أمر فلا أذن لهم» وذلك لما طبعه الله عليه من الحياء والخفر والسكينة عليه السلام. وأما قوله: «وأسنانه أشدُّ بياضا من اللبن» فإن حمل على ظاهره فكذلك كان عليه السلام لكثرة محافظته على سنة السواك.

وقد اختلف الفقهاء فى وجوب السواك عليه عليه السلام.

وإن تؤول فالأسنان: الأصحاب والأعوان الذين هم أعوان النبى على تبليغ أوامر ربه تعالى كاستعانة الإنسان بالأسنان على تناول غذائه. فوصف يعقوب أصحاب نبينا - رضوان الله عليهم - وأهل بيته الأكرمين بصفاء التوحيد ونقاء العقائد عن ظلم التجسيم والتجسيد.

قال الشاعر يرثى سناً سقط له:

وصاحب لا أمل الدهر صحبته  
يشقى لنفسي ويسعى سعى مجتهد  
لم ألقه مذ تصاحبنا. فمذ وقعت  
عيني عليه. افترقنا فرقة الأبد



**الانتزاع الثاني؛** فإن قيل: وفي التوراة ما يدل على ما ندين به من صلب المسيح. وهو أن موسى عليه السلام صنع لبني إسرائيل في التيه حية من نحاس، وأمرهم بالنظر إليها<sup>(١)</sup>. قال النصراني: فهذا تنويه بأن المسيح سيقتل ويصلب؛ لأن موسى محاشى عن العيب. قالوا: وقد كان المسيح يقول لأصحابه: «اذكروا الحية النحاس». فنقول لهم: يا نوكا. لو قرأتم ما قبل ذلك لتبين لكم غلطكم وسقطكم؛

(١) لما تدمر اليهود على الله وعلى موسى بسبب المنّ والسلوى الذي لم يكن لهم غيره وقد كرهوه «أرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا: قد أخطانا إذ تكلمنا على الرب وعلينا؛ فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات. فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى: اصنع لك حية محرقة، وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها؛ يحيى. فصنع موسى حية من نحاس، ووضعها على الراية. فكلما لدغت حية إنسانا ونظر إلى الحية النحاس؛ يحيى» [عدد ٢١: ٦ +].

والمعنى: أن المريض إذا نظر إلى الحية المرفوعة على الراية؛ يبرأ من مرضه. فكانت الحية النحاسية سبب شفاء في ارتفاعها. وقد شبه الله بها «ابن الإنسان» على معنى مجازي بديع، وهو أنه سيظهر للناس، وسيكون أمره ظاهرا، وسيكون عالي الشأن. وعلو شأنه وظهور أمره هما لمن يريد أن يشفى نفسه من مرض النفاق ومرض المعصية. يريد أن يقول: إن من يؤمن به ويتبعه؛ لن يهلك، وسيصح جسده من الأمراض الظاهرة والباطنة وسيصح عقله وسيصح قلبه ويدل على هذا النص بتمامه. وهو: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان؛ لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به؛ لا يدان. والذي لا يؤمن قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى العالم. وأحب الناس الظلمة أكثر من النور؛ لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يُبغض النور، ولا يأتي إلى النور؛ لئلا تُوبخ أعماله. وأما من يفعل الحق؛ فيقبل إلى النور؛ لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة» [يوحنا ٣: ١٤ +].

لاحظ: ١ - «ابن الإنسان» ٢ - «ابن الله الوحيد».

يقول المسيح: إن «ابن الإنسان» الذي هو لقب لمحمد ﷺ في سفر دانيال ١٣: ٧ - ١٤ سيعلو شأنه، وسيظهر أمره. لكي لا يهلك كل من يؤمن بشريعته ويعمل بها. ثم تكلم عن محمد ﷺ بلقب وضعه عليه داود عليه السلام في الزمور الثاني وهو «ابن الله» فقال «لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» وقوله هذا هو نفسه قوله عن «ابن الإنسان» وبين السبب في أن الله سيرسله. وهو ليس محاربة الناس ولا إدانتهم ولا قتلهم. وإنما هو تخليصهم من أيدي الكفار الذين يضطهدونهم بالحرب. أي أن الحرب للدفاع عن المؤمنين لا لشهوة سفك الدماء. وسبب حرب الكفار هو: أن النور قد جاء. وهو القرآن. وعبر بالماضي لتحقق وقوعه. ولم يقبلوا على هذا النور؛ لأن أعمالهم كانت شريرة. [راجع في هذا المعنى: كل ما كتب عن ابن الإنسان وابن الله].

وذلك أن التوراة تقول: «إن بنى إسرائيل شكوا إلى موسى. وهم فى التيه. من حيات تلدهم، فأهلكك منهم خلقاً كثيراً، فأمرهم أن يصنعوا حية من نحاس ثم يرفعوها على خشبة وقال: من لدغته حية فليأتِ ولينظر إلى تلك؛ فيبرأ. وإنما رفعوها لكبر العسكر حتى تسهل رؤيتها ولا تتعذر مشاهدتها.

وأما ما ذكرته النصارى من أن ذلك تنويه بصلب المسيح؛ فكذب على نبي الله موسى، وكيف يُعدى ذلك إلى موسى عليه السلام وقد شحن توراته بتوحيد الله وتنزيهه وإفراده بالربوبية والألوهية. ثم أمر بقتل المصورين للصور، ونهى عن إتيان العرافين والمنجمين ومتحلمى الأحلام، وحرص على قتل من دعا إلى عبادة غير الله وأشرك مع الله إلهاً آخر كما ذكرت التوراة. قال عليه السلام: «من دعاك إلى عبادة آلهة أخرى، فاقتله، واقتل من استجاب له من الواحد والجماعة والبلدة، ولا تتحننوا عليهم، ولا ترحمواهم، وأزبلوا الشر من بينكم. فالله ربكم واحد هو إله جبار عظيم مرهوب. إله غيور. هو نار محرقة» (١).

فمن زعم من النصارى أن توراة موسى فيها ما يعضد باطله؛ أكذبه بما نقلناه من التوراة.

قال المؤلف: يقال للنصارى: هبْ أن ذلك كان تنويهاً بصلب، فبم تنكرون على من يزعم أن ذلك المصلوب إنما هو الشبه، الذى قدمنا ذكره؟ وبيانه: أن المسيح أعلى قدراً من الشبه؛ لأنه عندنا نبي وعندكم معشر النصارى إله، فلو كانت الحية تنويهاً بالمسيح؛ لاتخذوها من الذهب أو من شيء أعلى من الذهب؛ ليكون ذلك تنويهاً بأن المصلوب يكون أعلى من كل شيء وأفضل. كفضل الذهب على غيره من المنطبعات. فلما اتخذوها من النحاس مع قدرتهم على الذهب؛ دل ذلك على أن المصلوب لا يكون إلا مفضولاً.

وقد شهدت التوراة بأن موسى عليه السلام حلّى قبة الزمان التى بناها للرب بقدر كبير من الذهب (٢). فيا لله العجب تبني قبة للرب وتُحلّى بقناطير من

(١) تنية ١٣: ٦ + أيضاً تنية ١٨ عن السحرة والعرافين.

(٢) الخروج ٣٥ الخ .

الذهب؟ فكيف تتخذ الحية من النحاس وهي تنويه بالرب نفسه؟ هذا مالا يجمل ولا يحسن بمثل موسى وصلحاء أصحابه. ففضل ما بين الذهب والنحاس كفضل ما بين المسيح والشبه. ثم النحاس يسمى بأرض الشام المجاورة لأرض التيه شَبَهَا، فلعل القوم إنما اتخذوا الحية من الشَّبه؛ لتكون منوَّهة بصلب الشبه وحماية المسيح.

فاعجب - هداك الله - المواطأة بين الاسمين. إذ كل واحد منهما يسمى شَبَهَا.

ثم يقال للنصارى: وكيف استدللتم بنصب الحية النحاس على صلب المسيح. وهي على النقيض منه؟ وذلك أن تلك حين صارت على جذعها صارت سببا للشفاء، ووسيلة إلى العافية من البلاء. فمن رآها خلص من علته، وعوفى من لدغته لساعته. فأما أيشوع فحين صار على جذعه صار سببا للهلاك، ووسيلة إلى الاشتراك. فلو أن أيشوع حين صار على الخشبة أطبق اليهود على الإيمان، وخلصوا من لدغات الكفر والعصيان. لكان ذلك موضع شبهة. فأما والأمر على العكس والنقيض مما تذهبون إليه؛ فلا وجه لاستدلالكم بذلك. وهي على نقيض مقصودكم.

فقد صار ما انتزعوه استدلالا على الباطل؛ دليلا على الحق.

تم الجزء الأول، يتلوه الجزء الثاني من كتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» ووافق الفراغ منه: في يوم السبت الثالث من شهر صفر من سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ولله الحمد والمِنَّة.

# تخجيل من حرف التوراة والإنجيل

للإمام: تقي الدين الجعفرى

دراسة وتقديم

خالد محمد عبده

الجزء الثانى



## زيادات من التوراة والإنجيل تدل على وقوع الشبه والاشتباه

قال مؤلفه عفا الله عنه :

ولتزدحم زيادات آخر من التوراة والإنجيل؛ تدلّ على وقوع الشبه والاشتباه؛ ليتأنسوا به ولا يحيلونه .

ومن ذلك أن الله تعالى غيّر صورة يد موسى عن لونها الأول ثم أعادها إلى لونها (١) وفعل سبحانه ذلك تدريجاً لهم، وتأنيساً على الاشتباه قبل وقوعه. إذ النفوس تبتدر إلى إنكار ما لم يتقدم معرفته. فكما جاز في القدرة الإلهية تغيير لون يد موسى حتى صارت تلمع كالثلج؛ فكذلك وجه المسيح. ولهذا نص الإنجيل: أنه قبل الفرع بقليل، صعد إلى جبل بالجليل. ونزل إليه موسى وإيلياء قال التلاميذ: فنظرنا فإذا منظر وجه المسيح قد تغير، وتغيرت ثيابه. فصارت تلمع كالبرق (٢) وهذا الموضع إن وفق الله ذا لبّ من النصارى؛ اضطره إلى ترك القول بقتل المسيح، وأحال ما كان من قتل وصلب على شبه المسيح.

ومن ذلك: أن الله تعالى أمر موسى فضرب البحر بعصاه؛ فتحول دما عبيطاً. فكان المصريون يشربونه دماً، والإسرائيليون يشربونه ماء صافياً (٣).

ومن ذلك: أن مريم ابنة عمران - أخت موسى - تغيرت على موسى في أمر من الأمور، فأمرهما الله أن يصعدا إلى قبة الزمان. فكلم الله مريم وتوعدها في حق موسى. فلما خرجت مريم من القبة إذا هي بيضاء برصاء، من قرننها إلى قدمها. فرق لها هارون. فقال لموسى: يا سيد اشفها. فدعا لها، فأمرها الله أن تخرج خارج المعسكر، وتقيم سبعة ثم تدخل. ففعلت، فزال عنها البرص (٤).

ومن ذلك: أن عصا موسى كانت من شجرة. فبينما هي خشبة يابسة لا نبات

(١) خروج ٤ : ٦ - ٧ .

(٢) متى ١٧ : ١ - ٨ .

(٣) خروج ٧ : ١٩ - ٢٤ .

(٤) عدد ١٢ : ١ + .

بها إذ صارت شجرة ذات أفنان وعرشت وأثمرت لوزا كذلك صارت حية ذات روح تسعى وتأكل ما وجدت. وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأول (١) .  
ومن ذلك: أن امرأة لوط لما التفتت تنظر ما نزل من العذاب بقومها؛ صارت لوقتها نصبة ملح (٢). وكل ذلك تأنس بشبه سيتفق في المستقبل (٣).

هذا ما شهد به المنقول من التوراة. فأما الإنجيل. فقد شهد بأن الماء تحول خمرا (٤)، وشهد سفر الملوك الثاني (٥) بأن الماء انقلب زيتا. فأما ما يشاهد من بديع تدبير الله وعجيب فعله: ما نرى الرجلين قد استويا في الخلى والصورة حتى لا يكاد الإنسان يفرق بينهما. وقد تتعاقب الألوان على الشجر والثمر. فترى الثمرة الواحدة بينما هي في غاية البياض إذ عادت في غاية الاخضرار، وبينما هي كذلك إذ صارت صفراء ثم حمراء ثم سوداء. وكذلك أحوالها في الطعوم وتنقلها من المرارة إلى الغضوضة إلى الحلاوة وذلك في الزمن اليسير. وقد نرى الشخص أزهق اللون نقى البشرة في حال الصبوة، ثم نراه في حال الشيخوخة. فلا تكاد تبين صورته. وهذا الشيب فإنه يصبغ الأسود الحالك أيضا يقًا. وهذا من أعجب أنواع الصباغ. ولا عجب من حسن ما الله خالق، وقد قال شاعرهم في هذا المعنى:

أنكرتني إذ رأيت شيبى بدأ      ثم قالت: مالذي بعدى عراه؟  
قلت: هذا صبغة الله. ومن      يصبغ الأسود مبيضا سواه؟  
وكم من قد اتفق له همّ وغمّ وركوب هول في بر أو بحر؛ فبات غريبيا؛  
فأصبح أشيبا. ولقد خُبرت: أن عندنا بأرض مصر حيوانا يُعرف بالحرباء، يتلون في  
الساعة الواحدة عدة ألوان. وهذه أمور شاهدة بأن الشبه غير مستحيل في نفسه،

(١) عدد ١٧ : ٨ + .

(٢) تكوين ١٩ .

(٣) هذه سقطة من المؤلف .

(٤) يوحنا ٢ : ١ + .

(٥) الملوك الثاني ٤ : ٣ - ٧ .

وإذا كان جائزاً فقد أخبر الصادق بوقوعه. فلا التفات. بعد ذلك إلى جهلة النصارى في رده.

وإن قالوا: لا ننكر جوازه. وإنه غير مستحيل في نفسه، غير أن المسيح قال لنا: إنه سيناله من اليهود قتل وغلب وآلام كثيرة، فوقع الأمر كما أخبر<sup>(١)</sup>. قلنا لهم: أين قال لكم ذلك؟ في الإنجيل أم في غيره؟ فإن عزوه إلى غير الإنجيل. أكذبهم حملة الإنجيل: إذ هو مقصور على أخبار المسيح من حين ولادته إلى حين رفعه، وليس يؤثر عنه شيء خارج عما في الإنجيل. وإن عزوه إلى الإنجيل؛ افتضحوا؛ إذ اللفظ في الإنجيل أقرب إلى مقصودهم قول المسيح: إن ابن الإنسان سيناله من اليهود كيت وكيت. وقد بينا غير مرة: أن ابن الإنسان المذكور إنما هو الشبه الذي قُتل وصلب. والدليل على ذلك: أن النصارى إلى يومنا هذا، ليس فيهم من إذا روى شيئاً عن المسيح قال: قال المسيح ابن الإنسان، ولا إذا أقسم قسماً قال: وحق المسيح ابن الإنسان، ولا إذا دعا وابتهل سأل المسيح ابن الإنسان. ولكن ديدنه وهجيرته أن يقول: قال المسيح ابن الله، وحق المسيح ابن الله. فإذا دعواهم أن المسيح قال: إني سأقتل وأصلب؛ دعوى لا حقيقة لها. فاعلموا ترشدوا.

**الانتزاع الثالث:** وانتزع النصارى من التوراة تحريم الأعمال في السبت. وقالوا: إنما كان ذلك تنويهاً وتنبهاً للناس على آلام المسيح. وذلك لأنه صُلب يوم الجمعة ودُفن ليلة السبت، وقام يوم الأحد باكراً. فنُبِّهت التوراة على أنه يكون يوم السبت كله ميتاً معطلاً من الأعمال.

ونحن - يرحمك مولاك - قد أريناك يعون خالقك حماية الله عبده المسيح وصونه عن كيد أعدائه، وإلقاء شبهه على رجل قد حضر أجله ورضى الله له الشهادة، فلا معنى للإعادة. غير أن النصارى يتعلقون في أباطيلهم بأدنى سبب

(١) «وابتدأ يعلمهم: أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل. وبعد ثلاثة أيام يقوم» (مرقس ٨: ٣١) وهذا لا ينطبق على المسيح لأنه لم يقم بعد ثلاثة أيام، وعلى رعمهم أنه هو النبي المائل لموسى [تث ١٨: ١٥ - ٢٢] لا يقتل؛ لأن من أوصافه أن لا يقتل.



فى اللجة يتعلق بما لا ينجيه . وإلا فأى مناسبة بين خلق الله تعالى العالم فى ستة أيام ، وإنجاز المخلوقات فى اليوم السابع ، وإهانة رجل وقتله وصفعه وصلبه فى ذلك اليوم؟ والفراغ من الأعمال؛ غاية الكمال . والصفح والصلب والقتل؛ غاية الذل والنقص . ولا مناسبة بينهما البتة . وإنما حرّم الله على بنى إسرائيل العمل يوم السبت ليتذكروا ما كانوا فيه من السُّخرة والتعب والتَّصَب عند فرعون . ويحمدوا الله على ما أراحهم من جَورِ الفراعنة ، فرسم لهم يوماً واحداً فى الأسبوع يكونُ لهم تذكرة كيلا يتقادم الزمان فينسون حسن صنيع الله عندهم؛ فتلزمهم العقوبة أو نقص المثوبة ، بقلة الشكر على ما اتخذ عندهم من النعمة . فيقولون: لو أن الله وضع لنا علماً نعلم به ما جرى لسلفنا؛ لم نقصر فى الشكر ، فأراح الله عللهم وعين لهم اليوم الذى تمت فيه خلائق الله ومصنوعاته . فهذه هى العلة فى العطلة من الأعمال يوم السبت . لا كما انتزع النصرارى .

على أنا لو تركناهم وما انتزعوا؛ لم يكن فيه دلالة إلا على قتل الشبه الذى فرغنا من ذكره . وكذلك أمره تعالى برجم الزانى واللوطي؛ تذكيراً لهم ولنا ما فعل بأهل سدوم وعامورا ليحصل الانزجار عن مثل فعلهم . قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾<sup>(١)</sup> . وكذلك أمره سبحانه بالاغتسال من الجنابات والأحداث؛ تذكيراً لهم ما صنع بفرعون وقومه ، وكيف أغرقهم فى البحر وفجّر لهم المياه من الصخر القاسي . وكذلك أمرهم باتخاذ الأواني من الذهب فى بيت مقدسهم؛ إذكاراً لهم بالذهب الذى خرجوا به من مصر ، وكيف سلبوه من الفراعنة ، ومنحهم إياه ، مع عزة المسلوب وضعف السالب . وكذلك أمره إياهم بأن يقدوا أولادهم بذبيحة . كلّ على قدر طوقه ، إذكاراً لهم فعل إبراهيم حين أراد ذبح ولده . ليتأسوا به فى الرضا والتسليم لله - عز وجل - فيعظم مشوبته ويجزل أجرهم . وكذلك أمره سبحانه بالقرايين والأضاحي؛ تذكرة فعل ابني آدم وسخاء نفس هابيل ، وشح أخيه قابيل . ليكف البخيل عن بخله ، ويجود السخى فى سخاه .

(١) سدوم وعامورا فى التكوين ١٩ وموقع سدوم وعامورا قريب من أرض الظالمين . وهى قرية من أرض مصر . والفاصل هو البحر الأحمر .

وكذلك أمره إياهم أن يقربوا عن أبقارهم؛ إذكاراً لهم ما صنعه الله بأبقار فرعون وقومه، وكيف قتل في ليلة واحدة أبقار الناس والحيوان من الملك إلى الآتوني.

وكذلك رش الكهنة الدم على المذبح؛ إذكاراً لهم الدم الذي أرسل على المصريين والنعمة على بنى إسرائيل. إذ يشرب هؤلاء الماء العذب وهؤلاء الدم العبيط من معين واحد ومجرى واحد. وكذلك أمره لهم بعيد المظال؛ إذكاراً لهم على تظليلهم بالغمام من حرّ الشمس وقد ذكرت التوراة العلة في ذلك، فقال الله تعالى: «إن سألك ابنك غداً وبعد غد، وقال لك: أى شيء هذا؟ فقل له: بيد منيعة قوية أخرج قومنا من مصر»<sup>(١)</sup>.

وهذه المواضع تبطل على النصارى ما احتجوا به من العطلة في السبت على قتل المسيح وصلبه.

**الانتزاع الرابع**؛ وانتزع النصارى من التوراة قوله: «تعالوا نخلق بشراً على شبهنا ومثالنا»<sup>(٢)</sup>، وقوله أيضاً فيها: «تعالوا ننزل نبلبل ألسن الناس»<sup>(٣)</sup> قالوا: فهذا دليلنا على الثالوث. وإنما خاطب بذلك الروح والابن. وقوله «شبهنا ومثالنا» دليل على التأنس الذى فعله.

والجواب: أن نقول: أخطأتم الطريق، وقذفتم بنفوسكم من مكان سحيق. وذلك أن الروح والابن قديمان لا دخول لهما تحت أوامر الأب حتى يأمرهم. وليس قوله لهما بأولى من قولهما له. فمن صير الأب أولى بافتتاح القول منهما؟ ثم الأب عبارة عن الذات، والروح عبارة عن الحياة، والابن عبارة عن العلم أو النطق، فكيف يخاطب الله علمه وحياته فيقول لهما: تعالوا ننزل والصفة على تجردها لا تُخاطَب ولا تخاطب؟

فإذا قالوا: فإذا كان لفظ التوراة هكذا. وهو صالح للتثليث. فما وجه

(١) لاويين ٢٣ : ٤٢ .

(٢) «على صورتنا كشبهنا» [تك ١ : ٢٦].

(٣) تك ١١ : ٧ .

حمله على التوحيد؟ قلنا: هذه النون مشهورة في كل لسان وعند كل إنسان يُطلقها العظماء بينهم والأكابر. وهى بالله أليق، إذ هو العظيم على الحقيقة. وكل عظيم سواه؛ فهو عبده، ومخترع من صنعه. وقد قال لوقا فى إنجيله: «إن ناساً راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة»<sup>(١)</sup> فهذا لوقا قد ذكر نفسه بلفظ الجمع. فبطل ما تخيله النصارى من ذلك.

وقد قال الله تعالى فى الكتاب العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ .

ويحتمل أن يكون أمر الملائكة بالنزول وبخمر طينة آدم وتقديرها على هذا الشكل الإنسانى، كالفعللة والعمال الذين يصدرون عن رأى المهندس الحكيم. فلما كملت فخارته؛ نفخ الله فيه الروح. والخلق عبارة: عن التقدير قال الأول:

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ — ضُ القوم يخلق ثم لا يفري

هذا كله إن كانت ألفاظ التوراة والإنجيل لم يدخلها التحريف والتصحيح. وهذا الموضع إن لم يمش على ما قلناه؛ وإلا صادم بقية نصوص التوراة. فى استبداد الله تعالى بالخلق والاختراع. إذ قال الله فى السفر الأول منها: «فى البدء خلق الله السماء والأرض» فقال الله: ليكن كذا . ليكن كذا. حتى أكمل سائر مخلوقاته فى ستة أيام. كل ذلك ليس فيه ما يشعر ثنية ولا تثلثاً.

فأما قوله: «شبهنا ومثالنا» فهذا الموضع هو الذى غلظ اليهود والنصارى. فاعتقدوا أن الله جسم وأنه مشابه لهذا الهيكل الإنسانى. ويتعالى القديم عن مشابهة مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وإنما أراد الله تعالى أن آدم صار يعرف الخير والشر. ولم يرد المثال والشبه الخلقى. وقد فسرتة التوراة بعد ذلك بأسطر فقال الله تعالى: «هذا آدم قد صار كأحدنا يعرف الخير والشر» والسر فى ذلك: أن المَلَكُ مركوز فى خلقه معرفة الخير والشر، والحيوان البهيم خال عن ذلك. وقد كان آدم فى بدء أمره ساذجاً عن

(١) لوقا ١ : ١٠ + .

معرفة ذلك . فلما تناول الشجرة؛ بدت له سوءته، وعرف ما لم يكن يعرف من الخير والشر . وإذا كان الله - سبحانه - إنما أراد المماثلة في العلم بالخير والشر؛ بطل قول النصارى إن ذلك دليل على التثليث .

وأما قوله «نزل نبلبل الألسن» فنزوله: نزول أوامره، وتجدد أحكامه، وهبوط الملائكة بوحيه . وإلا فالحركة والتفريغ والاشتغال يستحيل على القديم - سبحانه - وقد روى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في كل ليلة جمعة . فيقول: هل من تائب . . . الحديث»<sup>(١)</sup> .

وقول التوراة - في خاتمتها: «أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران» فنزوله سبحانه: نزول أوامره، وظهوره: ظهور شرائعه، وإقباله: إسباغ نعمه على خلقه . وهذه كلها معانٍ معقولة يؤمن بها اللبيب، ولا يجريها على الظاهر إلا المريب . ونحن فقد بينا من كتابهم الذى بأيديهم: توحيد الباري . واستشهدنا بأقوال المسيح فى التوحيد وأقوال تلاميذه . وذلك يُبطل تعلقهم بهذا الكلم الذى لا دلالة فيه على التثليث .

### الانتزاع الخامس: وانتزع النصارى من التوراة: أن ثلاثة<sup>(٢)</sup> من الملائكة مروا بإبراهيم

- عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم «يارب» قالوا: فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذى نحن نقول به .

فيقال لهم: غلطتم أيها القوم غلطاً عظيماً، وحدتم عن صَوْبِ الصواب، وأشكل عليكم غير المشكل . وذلك أن التوراة تقول فى السفر الأول منها: إن الله سبحانه كان متجلياً لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثلاثة<sup>(٣)</sup> . فقوله «يارب» خطاب لله وحده . ويؤيد ما قلته: قول التوراة: «ومضى الملائكة نحو سدوم وبقي إبراهيم قائماً بين يدي الله تعالى يشفع فى القوم . ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار

(١) حديث البخارى كل ليلة .

(٢) مخاطبهم «يا سيد» وفى ترجمة كتاب الحياة عربى إنجليزى «ياسيدي» «my lord» {تك ١٨ : ٣} ومخاطبهم لوط «ياسيدي» {تك ١٩ : ٢} «My lords» .

(٣) تك ١٢ : ٧ .

مع الفجار؟ حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن يكون هذا من صنيعك<sup>(١)</sup>. فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أضمر: يا رسل رب. والإضمار في التوراة كثير جداً كقول الملك لهاجر حين رآها ومعها ولدها إسماعيل: «شُدِّي يديك بهذا الغلام؛ فلإني سأكثر نسله كثيراً<sup>(٢)</sup>» فأضمر الملك: يقول لك الله: إني سأكثر نسل ولدك. إذ الملك لا يقدر على ذلك. وهو صادق لا يكذب. وكذلك قول التوراة في هذا السفر: «إبراهيم إبراهيم لا تذبحن الغلام، فقد علمت أنك تخاف الله حين لم تمنعني ابنك وحيدك»<sup>(٣)</sup> فأضمر: قال الله. لأن إبراهيم لم يقصد بذبح ولده التقرب إلى الملك، ولم يكذب في قوله. وإذا ثبت أن إبراهيم إنما خاطب بذلك الله، وسجد له؛ بطل انتزاع النصارى لذلك واستشهادهم به.

على أنا نقول: لو ثبت أن إبراهيم إنما خاطب الملائكة وسجد لهم؛ لم يلزم منه ما انتحله النصارى من عبادة الثالوث؛ لأن قصد الجماعة الكثيرة بلفظ الواحد: كان هو لسان القوم في ذاك الزمان. وشاهده من التوراة: قوله لبنى إسرائيل: «وتعملون للرب إلهكم ليبارك في طعامكم وشرابكم، ويدفع الآلام عن بيوتكم، ولا يجعل عاقراً في أرضكم، وأرسل هيتي بين يديك وأقاتل عنك كل من تذهب إليه، وأجعل أعداءك خاضعة بين يديك»<sup>(٤)</sup> وهذا كما ترى مخاطبة الجمع الكثير بلفظ الواحد. وفي التوراة من هذا الجنس كثير. كقوله لبنى إسرائيل: «إنكم تعرفون أنفس التواينة؛ لأنكم كنتم تواينة بأرض مصر. ازرع أرضك ست سنين، ودعها في السابعة<sup>(٥)</sup>. وشاهده من المزامير لداود: «اسمع يا قوم، أقول لكم يا إسرائيل: أنا الله ربك»<sup>(٦)</sup> وشاهده من الإنجيل: «لا تقابلوا

(١) تكوين ١٨ : ٢٢ + .

(٢) تك ٢١ : ١٧ - .

(٣) تكوين ٢٢ : ١١ - .

(٤) خروج ٢٣ : ٢٥ - ٢٧ .

(٥) خروج ٢٣ : ٩ + .

(٦) مزور ٨١ : ٨ - ١٠ .

الشر بالشر، ولكن من لطمك على خدك الأيمن؛ فحول له الآخر، ومن رام أخذ ثوبك؛ فألق عليه رداءك»<sup>(١)</sup>.

وفى الإنجيل: «لا تصنعوا برِّكم قُدَّام الناس لتراءوا لهم. فيحبط أجركم. لكن إذا صنعت رحمة، فلا تُصوِّت قدامك بالبوق، كما يفعل المراؤون فى المحافل والأسواق؛ لكى يحمدهم الناس»<sup>(٢)</sup>.

وذلك فى كتبهم كثير. فلو كان خطاب إبراهيم للثلاثة بلفظ واحد يدل على التثليث؛ فهذه كتبهم تخطب الجموع الكثيرة بلفظ الواحد؛ فيلزم منه إفساد التثليث. وأما قوله يا رب. فقد قدمنا: أن لغة القوم تُجيز ذلك، وأنهم يخاطبون العظيم القدر، الرفيع المنزلة. ولا يستنكر ذلك منهم. وقد قال زكريا عليه السلام: «قال لى الملك: ما تدرى ما هذا؟ قلت لا يارب»<sup>(٣)</sup>.

ورأى يوشع رجلاً فى يده السيف مصلاً. فذهب إليه فقال: «أمنأ أنت أم من عدونا؟ فقال: أنا رئيس جند الله. فسجد يوشع وقال: أيُّ شيء يقول الرب لعبده؟ فقال: اخلع نعليك؛ فإن الموضع الذى أنت فيه مقدس»<sup>(٤)</sup>.

وهذا فى كتب القوم كثير يخاطبون به أكابره وعظماهم. ولما كان لفظ الرب يطلقونه على غير الله تجوزاً وتوسعاً؛ احتاجوا إلى لفظ التأكيد والتكرار عند إرادة الرب الحقيقي. ف قيل لهم فى التوراة والكتب العتيقة: «اعلموا أن الله ربكم وإلهكم وخالقكم ورازقكم» حتى يرتفع الاشتراك بين المجاز والحقيقة، وقال سبحانه فى التوراة لبنى إسرائيل: «اخذنوا قلفة قلوبكم ولا تنقسوا رقابكم، الله ربكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، إله عظيم مرهوب جبار، لا يرتشى ولا يحابي، ينصف الأيتام والأرامل الذين يقبلون إليه»<sup>(٥)</sup>.

(١) متى ٥ : ٣٩ - ٤٠ .

(٢) متى ٦ : ١ - ٢ .

(٣) زكريا ٤ : ٥ .

(٤) يشوع ٥ : ١٣ + .

(٥) تث ١٠ : ١٦ - ١٨ .

وقد ذكرنا أن السجود كان سلام القوم على أكابرهم وتحتيتهم لعظمائهم. فقد سجد يوشع للملك. والتوراة تشهد بأن إبراهيم ولوطاً وإخوة يوسف وأولاده قد فعلوا ذلك، وذلك مذكور مشهور .

قال مؤلفه - عفا الله عنه - : **في هذا الفصل من التوراة معان رديئة. فتأمل:**

**منها:** قولهم : «إن الله قال لإبراهيم: لقد وصل إليّ إثم سدوم وعامورا. فقلت انزل الآن فانظر. هل صنعوا وأثموا كما بلغني. وإلا عرفت ذلك»<sup>(١)</sup> فإن فيه نسبة البارى إلى عدم العلم بالمغيبات، ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق، وأنهم فى موضع تهمة، ومحل ظنة .

والموضع الآخر: قولهم: «إن الملائكة أكلت الطعام عند إبراهيم ولوط» ونقولوا عن إبراهيم: «أنه أطعمهم خبز ملة، وصنع لهم عجلا سميئا، وسقاهم لبنا وسمنا» وأن لوطا «أطعمهم فطيراً» هذا وأهل الكتاب ينكرون قول أهل الإسلام: أن أهل الجنة يغتذون بالطعام والشراب. ويقولون: لا طعام فى الجنة ولا شراب ولا نكاح؛ بل يكون حالهم كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون. وهذه غفلة عظيمة، وقد قال تعالى فى شأن الملائكة فى هذه القصة: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ وذلك كناية عن ترك الأكل ويشبه أن يكونوا أمسكوا طعام إبراهيم وباركوا عليه، وتقدموا إليه بإطعام أبناء السبيل وذوى الحاجة .

الانتزاع السادس: وانتزع النصارى من التوراة قولها: «وأهبط الرب على سدوم وعامورا ناراً وكبريتاً من بين يدي الرب من السماء»<sup>(٢)</sup> فزعموا أن تكرار «الرب» مرتين دليل لهم على أقنومين، وأن الله أبهم ذكر الألقوم الثالث ووكله إلى استخراج العلماء والفهماء: لتكثر أجورهم وتجزل مشوبتهم بالبحث والاستنباط .

والجواب عن ذلك: أنه سبحانه إنما كرر لفظة الرب للتأكيد؛ ليُعلم عباده أنه

(١) تك ١٨ : ٢٠ - ٢١ يقول اليهود فى مثل هذا : «إن التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم لأرجع دلالة

الحاثرين لموسى بن ميمون» .

(٢) تك ١٩ : ٢٤ .

هو المتولى عذاب الظالمين. وهذا موجود فى كل لغة عند إرادة التأكيد وهو كقول القائل: نعوذ بالله من غضب الله. وكقول التوراة: «وصعد موسى إلى الله وناداه الله: قل لبنى إسرائيل وأعلم بنى يعقوب قد رأيتم ما صنعت بالمصريين»<sup>(١)</sup>. وكرر الله مرتين. وكرر يعقوب. والمعنى واحد. وقد قال إشعيا فى نبوته: «إن الرب سيرحم يعقوب، وسينجى إسرائيل»<sup>(٢)</sup> وقال إشعيا أيضاً: «تكلم يا يعقوب وقل يا إسرائيل ولا تخف»<sup>(٣)</sup>. وفى التوراة: «قال موسى: يا رب. الشعب الذين معى ستمائة ألف، وأنت قلت: إنك تطعمهم لحمًا شهراً كاملاً، فلو ذُبِح لهؤلاء أنعام الأرض وثيرانها، أوصيد لهم سمك البحور. أين كان يقع ذلك منهم؟ فقال الرب: يد الرب تكمل الأشياء، الآن ترى هل يتم كلامى أو لا؟»<sup>(٤)</sup>، فبطل ما تعلقوا به من قوله «أنزل» - «الرب» - «يدى الرب».

ويقال للنصارى: ما قولكم فىمن يدعى أن الأقانيم خمسة، ويستشهد بقول الله تعالى فى التوراة: «فدعا بنو إسرائيل؛ فصعد نحيبهم إلى الله. فرأى الله بليتهم؛ فذكر الله ميثاقه مع إبراهيم أبيهم. فنظر الله لهم، وعلم الله حالهم واضطراهم»<sup>(٥)</sup>. وإن كان قوله «أهبط الرب على سودم» تدل على أقنومين؛ فهذه الآية من التوراة تدل على خمسة أقانيم. ولعل ثم أيضاً عدة أقانيم وراء هذه الخمسة، أظهر منها ما أظهر، وأبهم الباقي؛ ليكثر أجر الحكماء والعلماء فى استنباط ما أبهم منها.

وكذلك قال داود فى المزمور التاسع عشر: «ناموس الرب بلا عيب، شهادة الرب صادقة، أمر الرب مستقيم، ووصية الرب تدبر العيون، خشية الرب زكية، أحكام الرب عادلة»<sup>(٦)</sup> فهذا المزمور قد كرر «الرب» ست مرات. أفتقول النصارى:

(١) خر ١٩ : ٣ - ٤ .

(٢) إشعيا ١٤ : ١ .

(٣) إش ٤٠ : ٢٧ .

(٤) عدد ١١ : ٢١ + .

(٥) خروج ٢ : ٢٣ + .

(٦) المزمور ١٩ وفى الأصل الثامن عشر .



إن الأتانيين ستة؟ فبطل ما ادعوه في قوله: «أنزل الرب على سدوم». ونزل ذلك منزلة قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم» ولا فرق في التكرار والتأكيد بين أن يأتي بالاسم الواحد مرتين، وبين المغايرة بين الاسمين والمعنى واحد.

**الانتزاع السابع:** فإن قيل: دليلنا على ربوبية المسيح: أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه وطهر الأبرص، ومشى على الماء وصعد إلى السماء، وحوّل الماء خمرا، وكثر الطعام القليل، وأقام الزّمن، وحمته الملائكة، وسترته الغمامة، وأخرج الشياطين من الآدميين.

والجواب: أنه لم يُسَلِّمَ لكم هذه الدعاوى سوى هذه الأمة البارة. وهي أمة محمد ﷺ فلولا محمد عليه السلام شهد لأخيه عيسى بالرسالة والنبوة؛ لما عرّج أحد اليوم على أقوالكم ولا وثق برواياتكم. وإلا فما بال بنى إسرائيل على كثرتهم لم يصدقوكم فيما تنقلون؟ هذا وأنتم تنقلون عن أمور محسوسة إذا وقعت لم تكذبوا.

فإن قالوا: إن اليهود لعداوتهم لنا تمالؤوا على ستر هذه الخوارق بغيا وحسدا.

قلنا لهم: فما بال من عدا اليهود من الأمم والطوائف. كالفرس والديلم والترك والهنود والصين؛ لم يصدقوكم على ذلك، ويتفقوا على دينكم ويتابعوكم على معتقدكم. وقد أرخّ الناس أخبار العالم وحوادثه ودونوا في كتبهم عجائبه؟ فما بال العالم يكذبكم ويقولون: إن يسوعكم لم يحي ميتا قط، ولا أقام زمنا البتة، ولا طهر أبرص أصلا، وإن جميع ما تنقلونه من ذلك؛ كذب ومين وإفك واختلاق لا أصل له ولا صحة. فلولا محمد رسول الله ﷺ شهد بصدق أخيه المسيح، وأخبر أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه والأبرص، وخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله، لما عرّج أحد على أمثالكم وأشباهكم.

فأما بقية الآيات التي تدعونها. فإن ثبت أن نبينا ﷺ أخبرنا بها أو أخبرنا صادق آخر من الأنبياء المتقدمين عن شيء منها؛ سمعناه وأمنا به وصدقناه وكان

عندنا علماً من أعلام نبوته - عليه السلام - فأما أنتم فإننا لا نصدقكم فيما تنقلون عن الأنبياء، بعد وقوفنا على تخليطكم فى منقولكم، وفساد عقولكم، وقبولها لكم مستحيل. أستم الذين تنقلون عن يوحنا الإنجيلي: أن كلمة الله التى هى علمه صارت لحما وشعرا وظفرا؟ أستم الذين تنقلون عن أفرام: أن اليدين اللتين خمرت طينة آدم، سُمّرت بالمسامير على الصليب، والشبر التى مسحت السموات؛ علّقت على خشبة، وأن من لم يقل إن مريم ولدت ربها إلهها؛ فهو محروم؟

أستم الذين زعمتم أن لوطا وقع على ابنتيه فأحبلهما وأولدهما الأولاد؟<sup>(١)</sup> وأن رؤييل - بكر يعقوب - وقع على سريّة أبيه وفجر<sup>(٢)</sup> بها؟ وأن يهوذا وقع على امرأة ابنه؟<sup>(٣)</sup> وأن دينا ابنة يعقوب افتrect وأزيلت بكارتها؟<sup>(٤)</sup> وصيرتم ذلك قرآنا يُتلى فى بيعكم وكنائسكم بحضرة جموعكم. أستم الذين زعمتم أن لله الخالق البارئ ابنا، وأنه أرسل أنبياء فقُهرُوا وعُلبُوا. وظهر عليهم الشيطان، وقل جدّهم، وقهر سلطانهم واستولى على ملك الله؛ فاحتاج الله إلى أن يرسل ابنه ذلك إلى الأرض. فولج فؤاد امرأة من خلقه، وأقام برحمتها تسعة أشهر، ثم خرج من فرجها طفلا، وبقي يتردد بين اليهود يدعوهم، وأن الشيطان قهره وأخرجه إلى البرية وسحبه من مكان إلى مكان، ودعاه إلى أن يسجد له. فلما أتى عليه هذا الابن سلط عليه شرذمة من أحس جنده وأدبر أعوانه؛ وهم اليهود. فأخذه وصفعوه ثم قتلوه وصلبوه، وأغضبوا والده وأثكلوه؟

وإذا كان هذا نقلكم. فأى عاقل بعدها يسكن إليكم، أو يعول فى أمر

(١) النص فى تكوين ١٩ : ٣٠ + واعلم : أن تحريم المرأة وحلها لم يكن إلا من شريعة التوراة. فإنها هى التى أحلت من النساء وحرمن منهن. ولا يسمى الزنا بزنا إلا بالشريعة أما من قبل الشريعة فكيف يعرف الحلال من الحرام؟ فإبراهيم على سبيل المثال كان متزوجا من أخته. وعمران كان متزوجا من عمته، ويعقوب كان قد جمع بين الأختين. وكل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل ما عدا لحم الإنسان. فلما نزلت التوراة صار هناك حلال وحرام.

(٢) تكوين ٣٥ : ٢٢ .

(٣) تكوين ٣٨ : ١٢ + .

(٤) تكوين ٣٤ : ١ - .

عليكم؟ فاما إحياء الميت <sup>(١)</sup> : فقد حكينا: أن إلياس أحيا ابن الأرملة، وأن اليسع أحيا ميّتين واحداً في حال حياته وآخر بعد وفاته، وأن حزقيال أحيا الذين قتلهم بختنصر. وكانوا الوفا من الناس، ولهم من يوم قتلوا نيفٌ وأربعون سنة. فقال الله لحزقيال: تنبأ على هذه العظام حتى أحيتها لك. وقد فعل قبر اليسع أعجب من فعل المسيح؛ لأن قوما حملوا جنازة إلى الجبال فأروا عدواً، فخافوا وطرحوا الميت عن رقابهم وابتدروا فزعة. فقام الميت، وجاء يمشى حتى دخل المدينة، فنظروا فإذا هم قد ألقوه على قبر نبي الله اليسع. وفعل حزقيال أبداع من فعل المسيح. وفعل موسى أغرب من فعله. إذ قلب الخشبة. لها عينان تبصر بهما. وأخرج من الرمل قملاً يسعى، حتى ملأ قياطن فرعون وأرض مصر. وهذا أعجب وأغرب من فعل المسيح.

ولما إبراء الأكمه من بنى آدم: فلا شك أنها من الآيات الباهرة أيضا. وهو يلحق بإحياء الميت؛ لأن ذاك عضوا كان ميتاً، فأشبهه إحياء الإنسان جملة. غير أن آية موسى أغرب عند العقلاء منهم. وذلك أن صنعه عينين لخشبة يابسة جافة لا روح فيها أبداع، وأبداع من فتح عيني آدمي. ثم آية موسى كيف أراد؛ أدارها وحوّلها. إذ بينما هي خشبة صارت حيواناً يبصر بعينه، ويأكل ما قدر عليه. وبينما هي حيوان إذ عادت شجرة لوز مثمرة، وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأول. ثم إنها استدعى بها الجراد والذباب والقمل والضفادع، ويثير بها الثلوج والمياه والظلمة، ويشق بها البحر، ويجرى بها المياه من الصخر، ويجاهد بها الجبابرة؛ فتنفذ في كل ما عمل بها أعظم نفوذ.

وهذا - فاعلموا - لم يكن للمسيح من الآيات مثله. وقد فتح يوسف الصديق عيني أبيه يعقوب - عليهما السلام - كل ذلك تشهد به التوراة.

(١) إحياء اليسع لابن الأرملة في الملوك الثاني ٤ وإحياء إلياس في الملوك الأول ١٧ وإحياء المسيح في يوحنا ٧ و ١١ ومتى ٩ وإحياء اليسع ميت بعد وفاته في الملوك الثاني ١٣ وحزقيال في سفره ٣٧ والمقصود من الموت: خراب القرية على المعنى المجازي وهو المشار إليه في سورة البقرة ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت...﴾ .

وقلب موسى للخشبة في الخروج ٤ وإخراج موسى من الرمل في الخروج ٨ .

وأما إبراء الأبرص<sup>(١)</sup>: فقد شهدت التوراة أيضا أن مريم أخت موسى وهارون تكلمت في موسى؛ فبرصت من ساعتها، فأخرجت عن المعسكر. فرضى عنها؛ فزال برصها، ولم يدع عليها في الأول ولا دعا لها في الثاني. وذكرنا عن نعمان الأرامي أنه برص فرحل إلى اليسع، واستأذن عليه فلم يأذن له، وقال: «قولوا له يذهب إلى الأردن فينغمس فيه سبعا؛ فإنه يبرأ» ففعل، فبرأ من برصه.

وأما مشيه على الماء<sup>(٢)</sup>: فقد حكينا أن إلياس وتلميذه اليسع قد مشيا على نهر الأردن جميعا. وكذلك يوشع بن نون قد مشى على الماء بتابوت السكينة، هو ومن معه.

وأما تحويل الماء خمر<sup>(٣)</sup>: فقد حكينا عن سفر الملوك من كتبهم: أن اليسع قلب الماء زيتا؛ فأغنى به بيتا من الفقراء. وذلك أعجب من فعل المسيح - على الكل سلام الله.

وأما تكثيره القليل من الطعام<sup>(٤)</sup>: فقد حكى في التوراة: أن موسى دعا الله فأطعم بنى إسرائيل منّا وسلوى في البرية، وهم ستمائة ألف سوى النساء والصبيان، وذلك أعجب وأغرب من آية المسيح - عليهما السلام - وقد حكى في سفر الملوك: أن إلياس عليه السلام نزل بامرأة أرملة في زمن قحط شديد حتى هلك الناس، ومكثت السماء لم تمطر ثلاث سنين. فقال لها: هل عندك من طعام؟ فقالت: والله يا نبي الله ما عندي إلا كفّ دقيق في قلة لنا. أردت أن أخبزه لطفل صغير. وقد أيقنا بالهلاك. فقال عليه السلام: أحضره ولا خوف عليك. فأحضرته بين يديه، فبارك عليه، فمكث عندها ثلاث سنين وستة أشهر؛ تأكل منه هي وأهلها وجيرانها حتى فرج الله عن الناس. ومن كثر القليل وأدامه؛ أغرب في الإعجاز ممن كثر ولم يدمه.

(١) متى ٨ وحادثة مريم في العدد ١٢ ونعمان الأرامي في الملوك الثاني ٥.

(٢) متى ١٤ والملوك الثاني ٢ وفعل يشوع في الأصحاح ٣ من سفر يشوع.

(٣) يوحنا ٢ وفعل اليسع في الملوك الثاني ٤.

(٤) متى ١٤ والخروج ١٦ ونزول إلياس على الأرملة في الملوك الأول ١٧.

وأما حراسة الملائكة له<sup>(١)</sup>: فالتوراة تشهد بأن الملك كان يسير في عمود الغمام أيام بنى إسرائيل حتى شق بهم البحر وخلصهم من فرعون. وذلك أعجب من تخليص المسيح من يد الشيطان.

والعجب من النصارى يعتقدون أن المسيح رب الشيطان ورب كل شيء. ومع ذلك يُقرون أن الشيطان حَصَرَه في البرية واستولى عليه. وقال له: «اسجد لي» حتى خلصته الملائكة من يده وأنقذته من ورطته.

وأما صعوده إلى السماء<sup>(٢)</sup>: فسائر كتبهم تشهد أن أخنوخ قد صعد إلى السماء. وأن إيلياء قد صعد إلى السماء. فاستوت حالهما مع المسيح.

والعجب: أن الملائكة مأواها السماء. وهى فى زعم النصارى خدَم المسيح. فكيف يعدون صعوده إلى السماء دلالة على الربوبية؟

وأما شفاء الزَّمن<sup>(٣)</sup> من علّة زمانته. فالتوراة شاهدة: أن سارة حملت وهى عجوز فانية، وولدت إسحاق ببركة نبي الله إبراهيم. وكذلك الإنجيل يشهد: أن أليصابات على كبر سنها حملت وولدت يحيى ببركة نبي الله زكريا. وما ذلك إلا عضو أزيلت علته، فبطش بعد ضمان عطبته وزمانته. فاستوى الأمران.

وأما ستره بالغمامة حين صعد إلى الجبل<sup>(٤)</sup>: فالتوراة تشهد بأن بنى إسرائيل إذ كانوا فى التيه مع موسى، وكان الغمام يسترهم من حر الشمس وهم ستمائة ألف، سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان. وذلك أربعون سنة. وهذا أعجب من ستر المسيح بالغمامة ومعه نفر يسير.

وأما شفاء المجنون من جنونه<sup>(٥)</sup>: فالتوراة تشهد: أن موت الفجأة وقع فى بنى إسرائيل فقتل منهم فى يوم واحد آلاف منهم. فأخذ هارون البخور فى مجمره

(١) متى ٤ وقد سرق المحرف نبوءة الملائكة وهى فى نشيد موسى من محمد ووضعها على المسيح. وهى مطبقة فى القرآن على محمد فى غزوة بدر والتخليص من فرعون خروج ١٣ .

(٢) مرقس ١٦ التكوين ٥ الملوك الثانى ٢ .

(٣) متى ٩ تكوين ٢١ لوقا ١ .

(٤) متى ١٧ والعدد ١٠ .

(٥) مرقس ١ عدد ١٦ عدد ٢١ .

وقام بين الأموات والأحياء؛ فكف الموت عن بقيتهم. وما الجنون إلا مرض أصاب العقل. وهو دون مرض جملة البنية. وكذلك نهشتهم الحيات في التيه. فاتخذ لهم حية من نحاس؛ فكان كل من لدغته حية جاء إلى الحية النحاس؛ فيبرأ من علته. فهاتان الآيتان من التوراة أعجب من فعل المسيح.

وأما إجابة دعوته (١): فالتوراة تشهد بأن إسحق حين كبر وقرم إلى اللحم وقضى أولاده شهوته؛ دعا ليعقوب ويعصو فاستجيب فيهما. وكذلك قالت: إن يعقوب بارك ودعا لأولاده عند وفاته؛ فلم ترد دعوته.

ومما أخبر يعقوب تلميذ المسيح في رسالته (٢): أن إلياس دعا على قومه فلم تمطر السماء ثلاث سنين وستة أشهر، ثم دعا بعد ذلك فزال الجذب. وهذا أعجب، من فعل المسيح وأغرب.

وقد بقيت للأنبياء آيات لم يأت المسيح - عليه السلام - بنظيرها، فنسمح بتسطيرها.

والله أعلم.

(١) يوحنا ١١ التكوين ٢٧ التكوين ٤٩ .

(٢) يعقوب ٥ .



## الباب السابع

### في إفساد دعوى الاتحاد

نحكي فيه مقالات الفرق الثلاث من النصارى اليعاقبة والروم والنسطورية في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت، وكيف تناقضوا وتعارضوا، ثم ننكر على الجميع بالإفساد والإبطال.

اعلم: أن فرق النصارى كثيرة. ولكن المشهور منهم الآن ثلاث فرق اليعاقبة والروم والنسطورية. وعقائدهم في الإله مختلفة، وآراؤهم متباينة، ومقالاتهم متناقضة. ولم أر لهم قَدَمًا يثبت، ولا قاعدة تستقر في هذه الدعوى وسبب خبطهم: أن كلا منهم يريد أن يُفْرَع عن أصل مستحيل؛ مذهبا صحيحا جائزا عند العقلاء. وما ذاك إلا كقول القائل:

ومتى كان في الأنايب خُلف  
وقع الطيش في صدور الصُّعاد

### الفرقة الأولى:

فرقة يعقوب السروجي ويسمى البرادعى أيضا. ادعت: أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنوما واحد قالوا: لأن طبيعة اللاهوت تركبت مع طبيعة الناسوت، كما تركبت نفس الإنسان بجسده، فصار إنسانًا واحدًا. فكذلك المسيح. فالمسيح عندهم إله كله، وأنسان كله. وله طبيعة واحدة، وهو يفعل بها ما يشبه أفعال الإله وما يشبه أفعال الإنسان. وهو أقنوم واحد، هو الشخص. والأقانيم هي: الأشخاص. ومجرد حكاية هذا المذهب؛ يكفي في الرد عليه. إذ حاصله: أن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله.

وسبيل الرد على هذه الفرقة: أن يقول لهم:

### الحجة الأولى:

أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين أصارهما الاتحاد طبيعة واحدة، هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أو لا؟ فإن زعمت: أنهما لم يتغيرا، بل بقيت طبيعة الإله بحالها وطبيعة الإنسان أيضًا بحالها؛ فقد نقضوا



مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول: إن المسيح بعد الاتحاد كهو قبل الاتحاد. وسيأتي الكلام عليه. وإن زعمت أن الطبيعتين قد صارتا طبيعة ثالثة، لا تشبه واحدة من الأولين. فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة؛ لا إله ولا إنسان، فكان ينبغي على سياق هذا القول ألاَّ يَصِفُوا المسيح بأنه إله، ولا يصفوه بأنه إنسان؛ بل شيء آخر غريب عجيب. وذلك لأن الطبيعتين كانتا قبل التركيب إلهًا كاملاً وإنساناً كاملاً. فإن كان التركيب قد أخرجهما إلى طبيعةٍ غيرهما؛ لم تكن تلك الطبيعة لا إلهاً ولا إنساناً. فلإن زعموا: أنهما كانتا قبل التركيب كاملتين، والتركيب لم يخرجهما عن الكمال بل بقى المسيح إلهاً كاملاً وهو بعينه إنسان كامل؛ فقد تحامقوا. إذ زعموا: أن القديم هو بعينه هو الحادث، وأن الزماني هو بنفسه الأزلي. وذلك بمثابة قول القائل: إن الحركة: هي السكون، وإن السواد: هو البياض. وذلك هو الجنون.

### الحجة الثانية:

الجمع بين الجوهرين في الجوهرية؛ يُوجب كون الطبيعتين طبعاً واحداً أقنوماً واحداً. فيسقط القول فيه الدنيا<sup>(١)</sup> إن كان المسيح إلهاً، أو يسقط القول بظهور الآيات إن كان المسيح إنساناً. فبطل القول بكونه طبعاً واحداً.

### الحجة الثالثة:

لو قد صار الجوهران واحداً للزم أن يكون القديم هو الحادث من الوجه الذي هو قديم، والمحدث قديماً من الوجه الذي هو محدث؛ فبطل أن يكون صاراً واحداً.

### الحجة الرابعة:

هذا الرأي من اليعقوبية مردود بأقوال المسيح في الإنجيل حيث يقول: «أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»<sup>(٢)</sup> ففرق بين الذاهب والذي يذهب إليه.

(١) يعني أن أعمال المسيح الضعيف في الدنيا، لا تناسب أعمال الله القوي.

(٢) يوحنا ٢٠: ١٧.

فبطل أن يكونا قد صارا وحدا، وإلا لاتحد الذاهب ومن يذهب إليه، والداعى والمدعو. ودعاء المسيح نفسه محال.

### الحجة الخامسة:

إن كان طبع الإله وطبع الإنسان قد صارا واحدا والإله خالق والإنسان مخلوق، فطبع الخالق هو طبع المخلوق، وطبع العلة هو طبع المعلول. وذلك محال.

### الحجة السادسة:

إن كان جوهر الأزلى قد تغير فقد صار الأزلى زمنا والزمنى أزليا. وذلك جهل من قائله.

### الحجة السابعة:

إن كان جوهر الابن الأزلى، وجوهر الإنسان قد تغيرا عن طباعهما؛ فقد بطلت فائدة الاتحاد التى يدعيها النصارى؛ لأن فائدته عندهم: أن يقع الفيض من الطبيعة اللاهوتية على الطبيعة الناسوتية بحلولها فيه. وإذا كانت الطبيعتان قد انقلبتا إلى ثالثة؛ فلا المفيد بقى مفيدا، ولا المستفيد بقى مستفيدا.

### الحجة الثامنة:

إن كان الجوهران سليمين فى المسيح، لم يصدق قول من يقول: إنهما صارا واحدا بالعدد. وكيف يقال فى الكثرة إنها واحد من الجهة التى هى كثرة؟ وكيف يقال فى الواحد: إنه كثرة من الجهة التى هو بها واحد؟ وإن كان الجوهران والأقنومان قد تفسادا وعدما، فكان ينبغى ألا يوجد المسيح بل يعدم ويتلاشى.

### الحجة التاسعة:

إن كان الجوهران قد صارا واحدا بالعدد فيجب أن يبطل فعل هذا وفعل هذا؛ لأن المختلفى الطباع إذا تركب منهم طبع آخر؛ لم يبين فعل الأول ولا الثانى. فكان يجب ألا يظهر المسيح. لا فعلا إلهيا ولا فعلا ناسوتيا. ألا ترى أن

الاستقصات الأربع إذا تركزب عنها جسم . فلا شك أن ذلك الجسم ليس بنار محضة ولا هواء ولا ماء ولا تراب . فعلى سياق هذا كان يلزم أن يكون المسيح بالاتحاد الذي يدعونه؛ لا إلهًا ولا إنسانًا . ويؤول القول بالاتحاد إلى رفع ثمرته وفائدته .

### الحجة العاشرة؛

الإنجيل مصرح بأن المسيح كان يتزايد أولاً أو لا فى بنيته ومعارفه وعلومه، والمتزايد غير الكامل . فبطل أن يكونا شيئاً واحداً؛ لأن الإله لا يتقلب ولا يتغير ولا يستحيل ولا يزيد . فإذا قلتم: إنهما قد صاروا واحداً . ثم انقلب وتغير . فيكون غير المنقلب منقلباً، وغير المستحيل مستحيلاً [نقول] وإذا انقلبت الكلمة فمن القلب لها؟ ثم جوهر الابن على زعمهم غير مائت ولا فاسد، وجوهر الإنسان المأخوذ من مريم مائت وفسد . فإن كان المجتمع منهما صار واحداً فقد صار بجملته لا مائتاً ولا غير مائت، ولا فاسداً ولا غير فاسد . وذلك خبط وجهل . وإنه لقبيح بموجد أوجده خالقه بعد أن لم يكن أن يقول: إنه صار هو وخالقه شيئاً واحداً وطبيعة واحدة . ولا يقبح أن يقال: إن الخالق البارئ أفاض على عبده النعماء . وقال فولس فى أواخر الرسالة العاشرة: «الله مالك العالمين الذى لا يفسد ولا يُرى، هو الله الأحد، له الكرامة والحمد إلى أبد الأبد . جلّ وعلا»<sup>(١)</sup> .

### الحجة الحادية عشرة:

صيرورة الجوهرين المتنافيين - كالثلج والنار - واحداً؛ مستحيل ببداية العقول مع اشتراكهما فى أصل الجوهرية . فصيرورة خالق الجوهر مع الجوهر واحداً؛ أولى بالاستحالة .

(١) تيموثاوس الأولى ١ : ١٧ . «وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى . الإله الحكيم وحده . له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» وكلام بولس هذا يدل على أنه ليس هو الواضع للمسيحيين عقيدة التثليث . وإنما وضع نبوءات التوراة عن محمد على المسيح، وصرح بإلغاء أحكام التوراة كلها . ونادى بمكارم الاخلاق والبعد عن الفواحش .

### الحجة الثانية عشرة:

قال يحيى بن زكريا حين رأى المسيح: «هذا خروف وحمل الله الذى يحمل خطايا العالم»<sup>(١)</sup> ففرَّق بينه وبين البارى تعالى فبطل أن يكونا واحداً.

### الحجة الثالثة عشرة:

قال شمعون الصِّفا: «يا رجال بنى إسرائيل إن أيشوع رجل جاءكم من الله»<sup>(٢)</sup> وأيشوع: اسم المسيح. فشهد شمعون وهو رئيس أصحاب المسيح بأن المسيح رجل، وأن الله أرسله، وأنه إنسان كله. وذلك تكذيب لليعقوبية فى دعوى هذا النوع من الاتحاد.

### الحجة الرابعة عشرة:

سُئل المسيح عن يوم القيامة، فقال: «لا يعرف ذلك إلا الأب وحده فأما الابن فلا يعرفها»<sup>(٣)</sup>، وقول المسيح أولى بالتصديق. وقد أخبر أنه لا يعلم بالمغيبات، ولو قد صار مع الله شيئاً واحداً لعلم ما يعلمه الله؛ لأن الشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض؛ فبطل أن يكونا شيئاً واحداً.

### الحجة الخامسة عشرة:

الأناجيل الأربعة تذكر أن المسيح بكى على صديقه لعازر، وفرح بتوبة التائب، وأكل فى دعوات أصحابه، وشرب وركب الأتان، وتعب من وعر الطريق، وحزن من نزول الموت، وقال: «إلهى اصرف عنى هذا الكأس» وهذه النقائص قبيح إضافتها إلى الابن الأزلي؛ فبطل أن يكونا صاراً واحداً.

فهذه حجج دامغة لليعاقة قاضية بفساد ما ذهبوا إليه، وكثيراً ما يحاولون تحقيق مقالاتهم إذا ألزموا ما يعتقدونه من قتل المسيح وصلبه فلا يمكنهم ذلك إلا أن يفروا إلى مذهب نسطور.

(١) يوحنا ١ : ٢٩ + .

(٢) أعمال ٢ : ٢٢ .

(٣) المسيح لم يسأل عن يوم القيامة، وإنما سئل عن ساعة هلاك اليهود .

### الفرقة الثانية:

فرقة الملكية. ومذهبا: أن المسيح بعد صدور الاتحاد: جوهران وهو أقنوم واحد. وقد حكينا عنهم أن الأقنوم هو الشخص. قالوا: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود. غير أنه أقنوم واحد أى شخص واحد. فردوا الاتحاد إلى الأقنوم. إذا رأوا الاتحاد بالنسبة إلى الجوهر مستحيل.

### وسبيل الرد على هذه الفرقة:

#### الحجة الأولى:

أن نقول: إذا قلتم: إن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد؛ فقد أبطلتم الاتحاد، لأن افتراق أحد الجوهرين بالطبيعة والمشيئة؛ هو غاية الافتراق. وإذا كان ذلك كذلك؛ فلا معنى للاتحاد. إذ الاتحاد عبارة عن صيرورة أكثر من الواحد واحداً، وإذا كان جوهر الأزل باق بحاله وجوهر الإنسان باق بحاله؛ فقد آل الاتحاد مجرد تسمية فارغة عن المعنى، خالية عن الفائدة.

#### الحجة الثانية:

هو أن نقول لهم: أتقولون إن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً فإن قالوا: إن ذلك تجوز وتوسع؛ أبطلوا الاتحاد، وتجاوزوا بإطلاق ما لم يجز إطلاقه على القديم سبحانه.

وإن قالوا: إنه اتحد به حقيقة؛ لزمهم أن تكون مشيئتهما واحدة؛ لأن الواحد لا تكون له إلا مشيئة واحدة. إذ لو كان للواحد مشيئتان؛ للزم إما أن يكونا متماثلتين وإما مختلفتين. فإن كانتا متماثلتين؛ فأحدهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين؛ تناقضت أحكامهما، وامتنع حصول مرادهما. فثبت: أنه لا بد من إبطال إحدى المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة. أو إبطال الاتحاد جملة إن ثبتت المشيئتان.

### الحجة الثالثة على الروم أصحاب الجوهرين والأقنوم الواحد:

هو أن نقول: إن قلت: إن الأقنومين أعنى أقنوم الأزلى وأقنوم الإنسان، قد صارا واحداً، فالجوهران أيضاً قد صارا واحداً. والقول بصيرورة الجوهرين واحداً؛ باطل، والقول بالأقنوم الواحد؛ باطل.

### الحجة الرابعة:

هذا المذهب فيه قباحة. وذلك أن صيرورة جوهرين مختلفى الطباع شخصاً واحداً لا يبوء به عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح بأنه قديم ومحدث إشارة واحدة.

### الحجة الخامسة:

إن كان أقنوم الإله والمسيح قد صارا أقنوماً واحداً، وأحدهما زمنى والآخر أزلى، فقد صار الأزلى زمنياً والزمنى أزلياً، أو صار منهما شيء آخر لا أزلى ولا زمنى، وذلك محال. وعلى هذا يبطل فعل أقنوم الإنسان وهو الأكل والشرب وغيره. وقد وُصِفَ المسيح بذلك، أو يبطل فعل أقنوم الإله. وهو إحياء الميت وتطهير الأبرص. وقد وُصِفَ المسيح به.

### الحجة السادسة:

إن كان الأقنومان قد صارا أقنوماً واحداً مع تنافى طباعهما. فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط؛ فيلزم أن يتغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان. وذلك متعذر على ذات البارئ تعالى.

وأكثر الحجج الواردة على الفرقة الأولى واردة على الفرقة الثانية لقولها باتحاد الأقنومين.

### الفرقة الثالثة:

فرقة النسطورية وهم نصارى المشرق المنسوبون إلى «نسطورس» أخذوا الأمانة عن السليح مارى وعن توما. وساعدوا نسطورس على رأيه فنسبوا إليه،

ومذهبهم: أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان باقيان على طبعهما كما كانا قبل الاتحاد، وردوا الاتحاد إلى خاصية البنوة. وهى علم البارى، قالوا: فهذا الشخص المأخوذ من السيدة شارك الله فى هذه الخاصية؛ فصار بها ابنا ومسيحاً.

### وسبيل الرد على هذه الفرقة:

#### الحجة الأولى:

أن نقول: إذا قلت: إن الجوهرين باقيان والأقنومين كذلك على حالهم؛ فلا موقع للاتحاد. وصار الاتحاد اسماً ساذجاً لا ثمرة له ولا فائدة.

#### الحجة الثانية على نسطور:

أن نقول: القول بكون المسيح أقنومين مكذب بالحس؛ وذلك أن الذى يراه كل ذى بصر سليم من المسيح إنما هو أقنوم واحد. أى شخص واحد. وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه.

#### الحجة الثالثة:

القول بكونه أقنومين يجر إلى السيلان، ويفتح باب السفسطة، ويشكك فى الضروريات. فالقول به باطل. إذ كون المسيح شخصاً واحداً أقنوماً واحداً؛ معلوم ضرورة. ومن زعم أن المسيح كان شخصين؛ لم يسلم من خيل فى عقله.

#### الحجة الرابعة:

هذا رأى - أعنى القول بالأقنومين - مكذب بأقوال حملة الإنجيل الذين كانوا قبل صدور هذا الخلاف؛ فإنهم يشهدون بأن المسيح ابن داود بن إبراهيم، وأنه وُلد فى بيت لحم، ووضع فى معلف، وذلك فى أيام هيرودس. وأنه صام وصلّى وأكل وشرب وفرح وحزن وأنه كان شخصاً. فالقول بأنه كان شخصين مردود التلاميذ الذين هم أعرف الناس بالمسيح.

#### الحجة الخامسة:

قال بطرس - صاحب المسيح - فى كتاب فراكسيس: «يا بنى إسرائيل إن

أيشوع الناصري رجل جاء من الله، وإن الله مسح بروح القدس وبالقوة الإلهية»<sup>(١)</sup> فشهد بطرس المؤمن عند الناصري بأن المسيح رجل واحد شخص واحد أقنوم واحد، فمن قال بأنه شخصان؛ خطأً بطرس وجهله . ومن جهل مثل بطرس منهم فهو بالجهل أجدر .

### الحجة السادسة على النسطورية؛

قال فولس - الذى يسمونه فولس الرسول - : «واحد هو الله، وواحد هو المتوسط بين الله والناس»<sup>(٢)</sup> . فشهد بأن المسيح شيء واحد، وأنه غير الله الواحد . وقال فولس أيضاً: «إن رب جميع الشعوب واحد غنى متسع لكل من يدعو، وكل من يدعو باسم الرب يحيا ولكن كيف يدعو من لم يؤمن به؟»<sup>(٣)</sup> وذلك يقضى بفساد مذهب النسطورية إذ مذهبهم أن المسيح شخصان، وفولس الرسول يقول: كلا ولكنه واحد .

### الحجة السابعة على النسطورية؛

إن يقال لهم : إن كان المسيح شخصين . فلا يخلو الأمر فيه من أن يكونا متجاورين أو متداخلين . فإن كانا متجاورين فيلزم منه أن يكون أقنوم الإله مذروعاً ممسوحاً، له قدر وكمية . إذ كل شيئين تحاذيا فلا بد أن يكونا متساويين أو متفاوتين . فإن كانا متساويين فقد ساوى الإلهى بالإنسانى، وذلك محال . وإن كانا متفاوتين . فإن كان أقنوم اللاهوت أصغر؛ لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر؛ فقد أخذ الأقنوم الإنسانى منه بعضه بالمسامة والمحاذاة . والقدر الزائد منه على الأقنوم الإنسانى يعود إليه التقسيم . فإن كان مساوياً لأقنوم الإنسان؛ فقد ساوى الخالق المخلوق، وإن كان أصغر؛ لم يصلح . وإن كان أكبر؛ فقد ساوى أقنوم

(١) أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ .

(٢) «أما الوسيط فلا يكون لواحد . ولكن الله واحد» [غلاطية ٣ : ٢٠]

(٣) «لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يُخزى . لانه لا فرق بين اليهودى واليونانى؛ لأن رباً واحداً للجميع . غنيا لجميع الذين يدعون به؛ لأن كل من يدعو باسم الرب؛ يخلص» فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟ [رومية ١٠ : ١١ - ١٣]



الإنسان بعض الإله. والقدر الزائد يعود إليه التقسيم، ولذلك يقضى بالكمية على الأَقنوم الإلهي وهو محال.

وإن كانا متداخلين. فلا يخلو أن يتداخلتا داخل امتزاج أو تداخل إدراع كلاهما الدرع. فلإن كانا تداخلتا داخل امتزاج حتى صارا طبيعة واحدة؛ فهذا مذهب اليعقوبية. وقد أبطلناه. وإن تداخلتا داخل إدراع؛ فيلزم منه أن يكون الأَقنوم الأزلي الذي لا يُوصف بالجسم قد تشكل بشكل الأجسام وصار له لحية وفرج مسامت لما تشكل به من أقنوم الإنسان. وكل ذلك محال فالقول به محال.

#### الحجة الثامنة :

الإنجيل يشهد بأن المسيح رفع وجهه إلى جهة السماء وابتهل في الدعاء وقال: «يا أبتِ أدعوك فتستجيب لي، وأعلم أنك تستجيب لي في كل حين، ولكن إنما أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني»<sup>(١)</sup>.

فهذا الداعي المبتهل لا يخلو من أن يكون الأَقنوم اللاهوتي أو الأَقنوم الإنساني. فلإن كان الأَقنوم الإنساني فيلزم منه أن يكون الجسد مولداً من الأب مرسلًا منه، وهذا ما لا يقول به نصراني البتة؛ لأن المولود من الأب عند سائرهم إنما هو الكلمة. وإن كان الداعي هو الأَقنوم اللاهوتي؛ فهذا فيه تدليس عظيم. إذ المشاهد داعياً إنما هو الجسد المشاهد باثلاً وغائطاً.

#### الحجة التاسعة :

هذا المذهب مردود بقول يوحنا الإنجيلي. إذ يقول في كتابه: «إن الكلمة صارت جسداً وحل فينا»<sup>(٢)</sup> وذلك عند النصارى عبارة عن انقلاب الأَقنوم اللاهوتي إنساناً مسيحاً. فكيف يقول النسطورية: إن المسيح أقنومان اثنان ويوحنا يقول إنه واحد؟

(١) يوحنا ١١ : ٤١ + .

(٢) يوحنا ١ : ١٤ .

### الحجة العاشرة:

لا شك أن طائفتي الروم والنسطورية يطلقون اللعن والحرّم على طائفة اليعاقبة لقولهم: إن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت قد صارتا طبيعة واحدة بالاتحاد. فمن قال إن المسيح اثنان في العدد بعد كونه واحداً؛ فهو حقيق بهذا الذمّ.

فهذا ما يخص كل طائفة على انفرادها. وقد عرفت: أن مقالة اليعقوبية: أن المسيح عبارة عن طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وأنهما بالتركيب صارتا طبيعة واحدة، لها مشيئة واحدة.

وأنا مقالة الروم: أن المسيح بعد الاتحاد طبيعتان لكن أقنوم واحد وأن مقالة النسطورية: أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأقنومان. وردوا الاتحاد إلى صفة البنوة.

وما يرد على الجميع ويفسد عليهم دعوى الاتحاد. قول فولس في الرسالة الثالثة: «أولستم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حالّ فيكم. ولئن لم يكن حالاً فيكم إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أن تكونوا لستم بمرذولين»<sup>(١)</sup> فيجب على مقتضى قول فولس أن يكون اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتحاد المسيح بناسوت أمته ومتبعيه، ولئن كان من المستحيل أن يتحد جسد المسيح بأجساد آلاف من النصارى في أقطار الأرض، فاتحاد القديم جل جلاله بجسد المسيح أجدر بالاستحالة.

(١) الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٥ - ٦ .

## القول في إبطال التثليث

اعلم: أن سائر النصارى مجمعون على الثالث. وهو أن ربهم أب وابن وروح. فيعبرون بالأب عن الذات، وبالابن عن النطق الذي هو الكلام، وبالروح عن الحياة. ويزعمون أنه لا يصح التوحيد لموحد دون أن يعتقد هذا. فزعموا أن الأب جوهر وأن له صفة حياة وصفة نطق. قالوا: فلا يكون الإله فاعلا حكيمًا إلا بعد كونه حيا ناطقا. فإذا وجب أن يكون الإله حيا ناطقا. فهل الحياة ذوات أو صفات؟ اختلف فيه أكابرهم. فممنهم من قال: الحياة والنطق صفات لجوهر الأب، وممنهم من قال: بل هي ذوات بأنفسها، وممنهم من قال: بل هي خواص لذلك الجوهر.

**وطريق مفاوضتهم في ذلك:** أن نقول لهم: هل تثبتون الألوهية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أو تزعمون أن الجميع إله واحد، أو تقولون إن الإله واحد منها والباقي صفات له؟ فإن قلتم: بأن الإله واحد والزائد صفات له؛ أبطلتم القول بالثالث ووافقتمونا على قولنا: إن الإله واحد، وله صفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام، وإن شيئا من هذه الصفات ليست إلها وإنما ذات موصوفة بهذه الصفات، وفارقتم حينئذ قول مشايخ الأمانة إذ يقولون: إن الأب إله واحد، وإن أيشوع إله واحد<sup>(١)</sup>، وإن الروح القدس إله ثالث. وأفسدتم صلواتكم حيث تقرأون فيها: «الملائكة يمجدونك، وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة».

وإن زعمتم: أن الجميع إله واحد وأن واحدا من الثلاثة ليس إلها على انفراد؛ فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم إلها واحداً متركبا من ثلاثة أقانيم. وهذا ترك لما انطوت عليه الأمانة في أن كل واحد من الأب والابن والروح القدس إله مستقل بالألوهية، وهدم لأصل النصرانية. إذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت.

وإذا كان الإله عبارة عن الثلاثة الأب والابن والروح. فالأب والروح ما

(١) في الاصل: وإن الاب أيسوع إله واحد.

اتحدوا بالناسوت أصلاً، وإنما اتحد به الابن الذى هو العلم أو النطق. فإذا ما اتحد الإله بل أحد الأقانيم الثلاثة، وذلك على تجرده لا يسمى إلهاً. وفى الأمانة: أن المسيح إله حق، وأنه أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس. وذلك مما يبطل هذا الأَقنوم. لأن الذى نزل إنما هو فى زعمكم أَقنوم الابن. فإذا كان الإله هو مجموع الثلاثة؛ بطل أن يكون الابن هو خالق الأشياء ومتقن العوالم ومخلص الناس؛ إذ لا يوصف بذلك إلا الإله الذى هو مجموع الثلاثة الأقانيم. وهى الأب والابن والروح القدس.

وإن زعموا: أن كل واحد من الثلاثة الأقانيم؛ إله، ومجموعها إله واحد. قلنا لهم: أتزعمون أن كل واحد من الثلاثة إله حقيقة أو على سبيل التجوز والتوسع وأن الإله الحقيقى هو مجموع الثلاثة؟ فإن قالوا بهذا وصرّفوه إلى مجرد التسمية دون الحقيقة؛ تركوا القول بالثالث وأثبتوا إلهاً واحداً، له صفات، ثم سَموا صفاته آلهة، تحكّماً وتخرساً بغير توقيف ولا دلالة، وهدموا قول الأمانة: إن المسيح إله حق. وقالوا: بل هو إله؛ تجوّزاً، وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقرأون فى صلاتهم: تعالوا نسجد، تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا. وردوا قول مشايخ الأمانة إذ يقولون: المسيح إله حق، وأنه أتقن العوالم وخلق كل شيء بيده؛ لأن الذى أتقن العوالم هو الإله بالحقيقة لا إله بالتسمية والتجوز. وهذا الإله الحقيقى لم يتحد بجسد المسيح، بل ما اتحد به إلا واحد، ويسمى إلهاً على سبيل التجوز والاستعارة.

وإن زعموا: أن كل واحد من الثلاثة الأقانيم؛ إله كامل على الحقيقة. إذا أفردوا، وأن الجميع إله واحد على الحقيقة إذا جُمعوا. وبهذا القول يقولون. فهذا فى الدرجة العليا من الفساد والتهافت. وذلك أنا نقول لهم: أيجوز خلوّ الإله عن الحياة والعلم؟ فإن جوّزوا ذلك. قيل لهم: فإذا لا حاجة إلى الأقانيم. إذ الإله مستغن عنها.

وإن قالوا: لا بد للإله من أن يكون حياً عالماً. فيقال لهم: إذا قلتم: إن كل واحد من الأقانيم تسعة؛ فيصير التثليث تسيعاً. إذ حياة كل واحد من الأقانيم

الثلاثة وعلمه أقنومان له، ثم كل واحد من التسع الأقسام إله حقيقة، وإنما يصير إليها حقيقة إذا ثبت وجوده وحياته وعلمه، إذ لا يجوز خلو الإله عن الحياة والعلم، وحينئذ يتسلسل القول إلى إثبات آلهة لا نهاية لها.

وهذا يلزم من يقول: إن كل واحد من الأقسام الثلاثة له حياة وعلم.

وإن قالوا: لا يثبت هذا الوصف إلا لواحد منها؛ امتنع عليهم وصف الثاني والثالث بالالهوية حقيقة. لما تقرر: أن الإله يجب أن يكون حيا عالما، وبطل عليهم القول بالثالث على كل الوجوه.

والله أعلم وأحكم.

## الباب الثامن

في

### الإبانة عن تناقض الأمانة

نبين فيه فساد أمانتهم التي يلقبونها بشريعة الإيمان وهي التي لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها، وكيف أكذب بعضها بعضاً، وناقضه وعارضه، وأنه لا أصل لها في شرع الإنجيل.

قال المؤلف - عفا الله عنه -:

ذكر المؤرخون وأرباب النقل: أن الباعث لأوائل النصراري على ترتيب هذه الأمانة الملقبة أيضاً بالتسيحة والشريعة، ولَعَن من يخالفها منهم وحرّمه: هو أن أريوس أحد أوائلهم كان يعتقد هو وطائفته توحيد البارى ولا يشرك معه غيره، ولا يرى في المسيح ما يراه النصراري، بل يعتقد نبوته ورسالته، وأنه مخلوق بجسمه وروحه. ففشت مقاله في النصرانية؛ فتكاتبوا واجتمعوا بمدينة «نيقية» عند الملك قسطنطين. وتناظروا فشرح أريوس مقاله فردّ عليه إلكصندروس بطريك الإسكندرية وشنع مقاله عند الملك «قسطنطين» ثم جلس إلكصندروس وجماعة من حضر فتناظروا. وطال تنازعهم. فتعجب الملك من انتشار مقالاتهم، وكثرة اختلافاتهم وأقام لهم النزول وأمرهم أن يبحثوا عن القول المرضي، فاتفق رأى إلكصندروس وجماعة على نظم هذه الأمانة، بعد أن أفسدوها دفعات، وأزادوا وأنقصوا. وهي هذه: نؤمن بالله الواحد. الأب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى. وبالرب الواحد أيشوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي وُلد من أبيه قبل انعوائم كلها، وليس بمصنوع. إله حق من إله حق من جوهر أبيه. الذي بيده أُنقنت العوالم، وخلق كل شيء. الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا؛ نزل من السماء، وتجسّد من روح القدس، وصار إنساناً، وحُبل به وولد من مريم البتول، وأتّجع وصُلب أيام فيلاطس النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث - كما هو مكتوب - وصعد إلى السماء

وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه، روح محبته. وبعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الأبدين».

قال المؤلف عفا الله عنه: هذه الأمانة التى أجمع عليها اليوم سائر فرق النصرارى من اليعاقبة والملكية والنسطورية. وهى التى يزعمون أنهم لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها، وهى مع كونها لا أصل لها فى شرع الإنجيل، ولا مأخوذة من قول المسيح، ولا أقوال تلاميذه، مضطربة متناقضة متهافئة. يكذب بعضها بعضا ويعارضه ويناقضه. ويبان ذلك من وجوه:

**أحدها:** قولهم: «نؤمن بالله الواحد الأب ضابط الكل مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى» فهذا أول الأمانة. قد أثبتوا فيه الانفراد لله بالألوهية والربوبية والوحدانية، وأنه المستبد بالخلق والاختراع، وأنه مالك كل شيء وضابطه وخالقه. فدخل فى هذه المخلوقات؛ المسيح وروح القدس وغير ذلك. وذلك أنهما إن كانا مرتين كالأجسام والأعراض؛ فالأب الواحد خالقهما، وإن كانا غير مرتين كالأرواح والعقول؛ فالأب خالقهما وصانعهما. وهذا كلام حسن لو ثبتوا عليه، ولم يشوشوه بالتشريك. غير أنهم نقضوا ذلك على الفور فقالوا: «نؤمن أيضاً أن مع هذا الإله الواحد المستبد بخلق ما يرى وما لا يرى رباً آخر واحداً أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء» وفى أول الأمانة بأن الله هو خالق كل شيء. ثم لم يلبثوا أن قالوا: كلا ولكن المسيح ابن مريم هو خالق كل شيء ومنتقنه. وهذا غاية التناقض. وفيه عبادة رجل من بنى آدم مع الله سبحانه؛ لأن أيشوع المسيح اسم للإنسان المنفصل عن مريم. وذلك مناقض لاعتقاد الماضين من أسلافهم وأكابر دينهم ومُددوئى إنجيلهم - كما قدمناه فى مواضعه - ومناقض لما اشتملت عليه التوراة والمزامير وسائر النبوات من توحيد الله وإفراده بالربوبية والألوهية.

الوجه الثانى: قول الأمانة: «إن يسوع المسيح ابن الله بكر الخلائق الذى ولد

من أبيه» وذلك مشعر بحدوث المسيح. إذ لا معنى لكونه ابنه إلا تأخره عنه وتقدم والده عليه في الوجود. إذ الولد والوالد لا يكونان معا في الوجود، إذ كونهما معا مستحيل ببدائة العقول.

وكذلك قوله: إن يسوع بكر الخلائق كلها. مع ما فى لفظه من الزيادة، ولا يفهم منه إلا أن المسيح خلقه الله قبل خلق كل الخلائق؛ لأن باكورة الشيء أوله. وذلك مناقض لقولهم فى الأمانة: وليس المسيح بمصنوع بل هو إله حق. فبينما هو فى الأمانة مولود مصنوع، إذ نعتوه بكونه غير مصنوع. فصار حاصل هذا الكلام: أن المسيح مخلوق غير مخلوق. وكفى بذلك تجاهلا وخذلانا؛ لأن الأب لا يخلو أن يكون ولد ولدا لم يزل، أو ولد ولدا لم يكن. فإن قالوا: ولد ابنا لم يزل.

قلنا لهم: فما ولد شيئا إذ كان الابن لم يزل، وإن ولد ابنا لم يكن؛ فالولد حادث مخلوق. وذلك مكذوب لقول الأمانة: إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وإنه أتقن العوالم بيده وخلق كل شيء.

**الوجه الثالث:** قول الأمانة فى المسيح: إله حق من إله حق من جوهر أبيه. يتقضيه قول المسيح فى الإنجيل وقد سئل عن يوم القيامة فقال: «لا أعرف ذلك ولا يعرفه إلا الأب وحده»<sup>(١)</sup>. فلو كان من جوهر الأب لعلم ما يعلمه الأب، لكنه إنسان حق من إنسان حق من جوهر أبيه داود<sup>(٢)</sup>، إذ سئل داود وغيره من الأنبياء عن القيامة وأشياء كثيرة فقالوا كقول المسيح هذا: لا نعلم ذلك ولا يعلمه إلا الله وحده.

ولو قال قائل: إن جوهر الماء من جوهر النار؛ لكان أحق. فكذلك من يقول: إن جسم إنسان وهو مركب من لحم ودم وشعر وظفر وأقذار وأسنان من جوهر الإله الذى يستحيل عليه هذه الأمور. ثم لو جاز أن يكون إله يأتى من إله

(١) بينا: أن المراد بالساعة: ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وبها زال ملك اليهود من العالم [مرقس ١٣ لوقا ٢١ متى ٢٤ + ] .

(٢) المسيح ليس له أب. وأمه من هارون .



أول؛ لجاز أن يكون ثالث من ثاني، ورابع من ثالث، ولما وقف الأمر على غاية. وإذ أبطل ذلك من أصله؛ وجب الرجوع إلى قول المسيح: «إن أول الوصايا الرب واحد»<sup>(١)</sup> وقوله في إنجيل يوحنا: «الله الإله الحق هو الذى أرسل يسوع المسيح»<sup>(٢)</sup> وإلى قوله في إنجيل مرقس وغيره: «لا صالح إلا الله وحده»<sup>(٣)</sup> وإلى أول الأمانة: إن الله واحد مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى.

الوجه الرابع: قول الأمانة: إن يسوع المسيح أتقن العوالم وخلق كل شيء. وذلك مناقض للإنجيل ومكذب له إذ يقول متى: «هذا مولد أيشوع المسيح بن داود»<sup>(٤)</sup>، ومن أتقن العوالم وخلق كل شيء لا يكون متأخرا عن العوالم وتكون العوالم سابقة له. ثم من العالم أمه مريم فكيف يوصف بأنه خالق أمه قبل أن تلده؟ ومن العالم الثياب التى لفّ بها والمعلق الذى أكتنه وهو طفل والطعام الذى نمى أعضائه. وذلك من الغلو الذى لا يخفى فساده عن لبيب.

أما كان فى شيوخ الأمانة من تصفح فساد هذا الكلام قبل تسطيره؟ ألم يسمعوا إلى قول الإنجيل: «إن إبليس قال للمسيح: اسجد لى وأعطيك جميع ما فى العالم وأملكك كل شيء»<sup>(٥)</sup> وإبليس يزعمهم من جملة من خلقه المسيح، فكيف بقى خالق العوالم محصورا فى يد بعض العالم يسحبه من مكان ويحول بينه وبين مراده، ويطمع فى تعبد له، وجعله من جملة أتباعه؟ أعوذ بالله من العمى والضلال، والغلوفى الرجال.

الوجه الخامس: قول الأمانة: إن المسيح الإله الحق الذى خلق كل شيء؛ نزل من السماء لخلاص الناس، وتجسد من روح القدس إنسانا وحبل به وولد. فى هذا الكلام عدّة مفاسد:

(١) متى ٢٢: ٣٥ ويقصد الثانية ٦: ٤ - ٩ .

(٢) يوحنا ١٧: ١ + .

(٣) مرقس ١٠: ١٨ .

(٤) متى ١: ١ .

(٥) متى ٤: ٨ - .

منها: أن المسيح اسم لا يخص الكلمة على تجردها ولا الجسد على تجرده، بل هو اسم يخص هذا الجسد المأخوذ من مريم والكلمة معاً، ولم تكن الكلمة فى الأزلى تسمى مسيحاً؛ فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء. والدليل على ذلك: قولهم: وتجسد من روح القدس. لأنه لو كان الذى نزل هو المسيح؛ لم يكن لتجسده ثانية معنى، وتجسد المتجسد محال.

ومنها: قولهم إنه نزل من السماء. وهذا الموصوف بالتزول لا يخلو أن يكون الكلمة أو الناسوت. فإن زعموا: أن الذى نزل هو الناسوت؛ فذلك مكذبٌ بنصوص الإنجيل إذ صرحت بأن الناسوت مكتسب من جسد مريم. وإن زعموا: أنه هو اللاهوت. قلنا لهم: أتعتون الأب أم صفته، وهى العلم؟ فإن زعموا أنه الأب نزل وتجسد؛ لزمهم لحوق النقائص بالبارى من الأكل والشرب والقتل وحصر الشيطان وغير ذلك. ثم ذلك لا يقول به أحد منهم. وإن زعموا: أن النازل المتجسد هو العلم. المعبر عنه بالكلمة. قلنا لهم: لو جاز على ما وصفتموه من التجسد؛ لجاز أحدٌ محذورين. وهو إما بقاء البارى ولا علم له، أو جعله عالماً بعلم قائم بغيره. ثم النزول والصعود والحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال؛ كل ذلك مستحيل على البارى وعلى صفاته. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون النازل من السماء هو المسيح؛ لأن المسيح اسم موضوع للمعنيين الكلمة والجسد - عندهم -.

ومنها: قولهم: إنه إنما نزل وتجسد وحبل به لخلاص معشر الناس. وهم يريدون به أن آدم لما عصي؛ أوثق سائر ذريته فى حباله الشيطان، وأوجب عليهم الخلود تحت طباق النيران. فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه، والتنكيل به. وإنها دعوى لا دلالة عليها. وقد أبطلناها فيما تقدم. وهب أنا سلمناها لكم. فأخبرونا عن هذا الخلاص الذى يعنى الإله الرب الأزلى فعل بنفسه ما فعل من الدنيا التى جرت عليه فى زعمكم. ما هو؟ أو ممن خلصكم؟ أو بم خلصكم؟ وكيف استقل بخلاصكم دون الأب والروح. والربوبية بينه وبينهم أثلاث؟ وكيف صار مبتدلاً ممتناً فى خلاصكم دون الأب والروح؟ فهذه عدة أسئلة.

فإن زعموا: أن الخلاص قد حصل لهم من تكاليف الدنيا وهمومها وأمراضها وأعلا لها وهرمها وموتها؛ أكذبهم الحس؛ فإننا نراهم ولا مزية لهم على سائر البشر. وإن زعموا أنهم قد خلصوا من هموم السعى في طلب الرزق والتكسب للعيال والتبذل في تحصيل ضرورات العيش أكذبهم الحس أيضا. وإن زعموا: أنهم قد خلصوا من تكاليف الشرع، وأنهم قد حط عنهم المسيح بمجيئه الصوم والصلاة وسائر وظائف التكليف، وأنهم غير مؤاخذين بشيء منها؛ أكذبهم العارفون بما وُظفَ عليهم من الصوم والصلاة والقرايين وغير ذلك. وإن زعموا: أنهم خلصوا من أحكام الدار الآخرة، وأن من تعاطى في الدنيا جريرة فزنى منهم وسرق وقتل وقذف؛ لا يؤاخذ يوم القيامة بشيء من ذلك، أكذبهم الإنجيل والنبوت. إذ يقول المسيح في الإنجيل: «إني أقيم الناس يوم القيامة عن يميني وشمالى فأقول لأهل اليمين: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الشمال: فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم»<sup>(١)</sup>. وإذا كان هذا حالكم في الدنيا والآخرة، فأين الخلاص الذى تدعون أن الإله تعنى ونزل إلى الأرض وأكل وشرب وخامرته الهموم والغموم وذاق الموت ليحصله لكم، وسميته مخلص العالم؟ وإذا لم يحصل لكم الخلاص الذى تدعون فقد بطلت الأمانة.

فهذا بحثنا عن ماهية الخلاص الذى جاء لأجله. فلم يتهاى له؛ بل بقيتم مركوسين منكوسين على ما كنتم عليه قبل مجيئه. فأخبرونا ممن خلصكم؟ هل كان قد غلبه عليكم غالب؟ أو سلبكم من يديه سالب؟ وهل كان معه مزاحم له عليكم أوقع بكم من المكروه ما اضطره إلى تجشمه هذه النقائص لخلصكم؟

فإن قلتم: إنه كان له عدو مناصب، قد عاث في مملكته حتى استولى عليها، وحاز أطرافها، وجرت فيها أحكامه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا. فما نرى هذا

(١) المسيح يتكلم في هذا النص عن محمد ﷺ بلقب «ابن الإنسان» والمؤلف يعتقد أن المتكلم هو المسيح عن نفسه. والنص هو: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض. كما يميز الراعى الخراف من الجداء... إلخ» أمتى ٢٥: ٣١ + .

العدو الذى تدعون إلا أعظم منه مملكة، وأعز جانبا، وأنفذ قدرة. ومن كان هذا حاله؛ فهو لا شك أحق بالعباد والبلاد منه.

فما نرى هذا الرب الذى تشيرون إليه إلا معرا بنفسه فى مقاومة هذا العدو، مخاطرا بمهجته، مهورا فى رأيه، مدخولا عقله، خفيفا حكمه؛ إذ رام مكافحة من هو أثبت جنانا وأعز مكانا، وأكثر أعوانا.

فهذا بحثنا عنمن كنتم فى يده. فأخبرونا بم خلصكم؟ فإن زعموا: أنه نزل إلى الأرض فربط الشيطان واستنقذكم من يده، وأهانته ونكّل به غاية التنكيل، وعاقبه أشد العقوبة، ومحى آثاره، وطمس معالمه، وأهان جنده ومن يقول بقوله؛ فلعمري إن ذلك لقمن أن يُعبد، ويفزع إليه فى النوازل ويصمد. وإن زعموا: أن الأمر على العكس من ذلك؛ وإن المسيح الإله الرب الذى يعبدونه، نزل إلى الأرض يروم خلاصكم، فاستعمل التّقية، وأعمل الروية، وسكن إهاب امرأة، يقلب الأمر بطنا وظهرا ويُقدّم تارة ويُحجم أخرى. ثم استعار منها صورة إنسان، وأخفى نفسه بغاية الإمكان، وكان يفر من «الناصره» إلى «الجليل» ويتحول من خليل إلى خليل. والشيطان يطلبه ويرقبه، والمسيح يتباعد عنه ولا يقربه. ولما رآه الشيطان قد أعمل مطايا الحذار، واختار طول الاستتار بالحذار، وكَلَّ به شردمة من أتباعه؛ فأذوه ضربا، ثم قتلوه صلبا.

لقد كذبوا وكذبت الأمانة التى لهم فى دعوى الخلاص.

فهذا بحثنا عن سبب خلاصكم الذى عولتم عليه. فأخبرونا: أليس الأقانيم المعبودة الثلاثة قديمة أزلية، وهى أب وابن وروح قدس. فما الذى أوجب اختصاص الابن بالنزول ومحاربة الشيطان، دون الأب والروح، مع استوائهم فى الربوبية؟ أكان أحنى على العباد منهما وأرحم؟ أم جريمة الشيطان إليه أكبر وأقحم؟ وما الذى أصاره أولى بالتبديل والتبديل من الأب والروح ونسبتهم فى الربوبية واحدة؟

الوجه السادس: قول الأمانة: وتجدس من روح القدس. وذلك باطل بنص الإنجيل، إذ يقول متى فى الفصل الثانى من إنجيله: «إن يوحنا المعمدانى حين عمّد

المسيح جاءت روح القدس إليه من السماء فى شبه حمامة» وذلك بعد ثلاثين سنة من عمر المسيح. وإذا كان ذلك كذلك؛ بطل أن يكون متجسدا من روح القدس وكذبت الأمانة، وإذا كان لا بد من تصديق المخبر فإخبار نبي الله يحيى بن زكريا أولى بالتصديق من إخبار من جاء بعد المسيح بمدة متطاولة. ونظّم هذه الأمانة المتناقضة. ثم التجسد من شيء إنما يصح لو كان من جنسه كالماء مع الماء وكالنار مع النار، ولا تجانس بين الإله والإنسان، وبين القديم والحادث. وكل ذلك يرد الأمانة ويبين زلل من عقدها.

### الوجه السابع؛ دعوى النصارى بأجمعهم أن المسيح ابن الله.

إن كان كما يقولون. فقد كذبت الأمانة فى قولها: إن المسيح تجسد من روح القدس. وإن كانت الأمانة صحيحة. فالمسيح ابن روح القدس، وليس هو ابن الله، فقد تناقضت الأمانة واعتقادهم. إذ فى صحة أحدهما بطلان الآخر.

**الوجه الثامن؛** قول الأمانة: إن المسيح نزل من السماء، وحبلت به امرأة، وسكن رحمها. مُكذَّب بقول لوقا الإنجيلى إذ يقول فى قصص الحوارين فى الفصل السابع عشر منه: «إن الله هو خالق العالم بما فيه، وهو رب السماء والأرض، لا يسكن الهياكل، ولا تناله أيدي الرجال، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو الذى أعطى الناس الحياة. فوجدنا به، وحياتنا وحركاتنا منه». فقد شهد لوقا بأن البارى وصفاته لا يسكن الهياكل، ولا تدنه أيدي الرجال، وذلك مُكذَّب للأمانة فى دعواها سكون الكلمة فى هيكل مريم، وتحولها إلى هيكل المسيح، ومفسد عليهم دعوى قتل المسيح وصلبه، إذ يقول لوقا: «إن البارى لا تناله أيدي الرجال» .

وشهد أيضا بأن المسيح مخلوق؛ لأنه من جملة العالم الذى خلقه الله. وذلك تكذيب لدعوى النصارى، ومشوش نظام الأمانة. إذ يقول: إن المسيح هو إله خالق غير مخلوق وقد شهد فولس بأن المسيح عبد الله، وأن الله إلهه وربّه، فقال فى صدر رسالته الخامسة: «إنى قد سمعت بإيمانكم، لست أفتّر من الدعاء لكم فى صلاتى أن يكون إله سيدى أيشوع المسيح الأب المجيد يعطيكم

روح الحكمة والبيان، وينير عيون قلوبكم»<sup>(١)</sup>.

فهذا فولس المؤمن عندهم يشهد بأن الله هو إله المسيح. وذلك مما يبطل الأمانة التي لفقوها، والثوق بهذا القول من فولس أولى من قول غيره، ممن جاء بعد المسيح، وهذا القول من فولس موافق لقول المسيح حيث يقول: «إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم»<sup>(٢)</sup>.

**الوجه التاسع:** تسمية أيشوع بالمسيح. يستدعى ماسحا مسحه، وفاعلا فعله، وإذا كان مسيحا بمعنى ممسوح، وقد ثبت بقول الأمانة إنه مصنوع. فإذا قالت: إنه ليس بمصنوع، صار تقدير الكلام: أن المسيح مصنوع، ليس بمصنوع ومخلوق ليس بمخلوق.

ولم تزل بنى إسرائيل من زمن موسى يتخذون دهنا مجموعا من عدة أنواع من الطيب في قرن معلق في الهيكل، تسمح به الكهنة من أرادوا تملكه، وربما فار القرن عند دخول من يقع الاختيار على تملكه، فيكون علامة على تملكه.

وقد تنبأ داود على المسيح<sup>(٣)</sup> فقال: «من أجل هذا مسحك ربك بدهن

(١) أنس ١: ١٥ + .

(٢) يوحنا ٢٠: ١٧ .

(٣) المسح حقيقة: هو صب الزيت على الرأس. ومجازا: هو الشخص المصطفى من الله لاداء رسالة مقدسة ولو لم يسح. وكان المسح للكهنة والأنبياء والملوك. ثم انقطع المسح. وعيسى عليه السلام مسيح؛ لأنه كاهن ونبى وليس ملكا. وموسى مسيح لأنه كاهن ونبى وملك. وقال المؤلف: إن داود تنبأ على المسيح عيسى فقال: «من أجل هذا مسحك ربك» أى اصطفاك نبيا. ثم دل المؤلف بنقله على أنه ينقل من غيره من كتاب، ولا ينقل من التوراة مباشرة. فإنه قال بعد: «وقال داود أيضا نبوءة عن المسيح فى المزمور الخامس والأربعين: «يا من فاق الناس جمالا» والحق: أن الموضعين من نبوءة واحدة هى نبوءة المزمور ٤٥: وهى لمحمد ﷺ. وليست لعيسى عليه السلام. ومن أعجب العجب: أن المؤلف طبق النبوءة كلها على محمد ﷺ فى البشرى التاسعة فقد قال: «قال داود النبى عليه السلام: «من أجل هذه بارك الله عليك إلى الأبد...» وطبقها عليه أيضا الشيخ ابن تيمية وابن قيم الجوزية والقرطبي ومؤلف مقامع الصليبان ومؤلف إظهار الحق، ومؤلف الدين والدولة، ومؤلف كتاب المسيا المنتظر وأدلة اليقين وكثيرون. والمزمور هو: «فاصر قلبى بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لسانى قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جمالا من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفيتك؛ لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فترك يمينك مخاوف. نيلك المستونة فى قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون كرسيك ياالله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب=

السرور أكثر مما مسح نظراءك» فشهد داود بأنه مسح، وأن الله ماسحه، وأنه مريبوب، وأن الله ربه، وأن له نظراء قد مسحوا قبله. وذلك مناقض لقول الأمانة: إن المسيح خالق غير مخلوق. وقال داود أيضاً نبوءة على المسيح فى المزمور الخامس والأربعين: «يا من فاق الناس جمالا لقد أفرغت الرحمة على شفاهك». فبين أنه إنسان، وأنه جميل الصورة، وأن الله أفرغ الرحمة على فيه. فلو كان المسيح هو الله أو صفة من صفاته؛ لاتحد الماسح والمسوح والقائل والمقول له. ، ذلك مما يفسد الأمانة، ويزحزح أركانها.

الوجه العاشر: قول الأمانة: إن يسوع بعد أن قُتل وصلب؛ قام من الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه. وذلك من الكذب الفاحش، والاعتقاد الفاسد. أما كونه من الكذب الفاحش: فإنه ليس أحد من القائلين هذا الكلام؛ صعد إلى السماء ورأى ذلك عيانا وعاد إلى الأرض فأخبر به. وأما كونه من الاعتقاد الفاسد: فإنه متى جلس شيء عن يمين شيء أو عن جهة من جهاته ذلّ على حدث الشيطان. ثم لاختلاف عندهم: أن جسد يسوع حادث وإذا قالوا: إن هذا الجسد الحادث قد جلس عن يمين الله؛ فقد اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم من الأجسام، وساوروا فى ذلك الحشوية من اليهود القائلين بأن الله تعالى فى صورة شيخ أبيض الرأس واللحية، وأنه ينزل إلى الأرض، ويتردد فيها.

وقد جمعوا فى هذا الموضوع بين أمرين متناقضين، وهو أنهم قالوا فى أول الأمانة: إن المسيح إله حق خالق كل شيء فإذا قالوا ههنا: إنه قتل وصلب ودفن بين الأموات؛ فقد اعترفوا بأن المخلوق قتل خالقه، والمصنوع صلب صانعه.

---

=ملكك. أحببت البرّ، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. كل ثيابك مرّ وعود وسليخة. من قصور العاج سرتك الأوتار. نبات ملوك بين خطيأتك. جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير.

اسمعى يا بنت وانظرى وأملى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك؛ فيشتهى الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبتت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية.

كلها مجد ابنة الملك فى خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. بملايس مطررة تُحضر إلى الملك. فى إثرها عذارى صاحباتها. مقدمات إليك يُحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. عوضا عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الأرض. اذكر اسمك فى كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والابد {مزمور ٤٥} .

**الوجه الحادى عشر:** قول الأمانة: إن يسوع هذا الرب الذى صُلب و قتل مستعد للمجيء تارة أخرى؛ لفصل القضاء بين الأحياء والموات.

للمنكر عليهم أن يقول (١): إنه تجسّم أول مرة فجرى عليه من الشيطان وحزبه ما وصفتم من الأذى والإهانة والقتل والصلب؛ فرأى إليه ليستريح برهة، وتثوب إليه نفسه وتستجم قوته، وليستظهر بالعدد والعدد من عند أبيه، ثم يأتى ثانية لمحاربة عدوه، فإما عليه وإما له.

وأما قول الأمانة: إنه يعود لفصل القضاء بين الأحياء والأموات؛ فهو نازل منزلة قول القائل:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفى حياتى ما زودتنسى زادا  
إذا زعموا أنه فى المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه حتى تم عليه من أعدائه ما تم، فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم فى المرة الثانية؟

**الوجه الثانى عشر:** قول الأمانة: ونؤمن بروح القدس الذى يخرج من الله. فيه تصريح بأن المسيح وروح القدس أخوان وأن الله أبوهما جميعا، إذ تقول الأمانة: إن يسوع وكُد من أبيه، وإن روح القدس يخرج من أبيه أيضا. وذلك مكذّب بقول متى فى إنجيله إذ حكى أن الذى ولدته مريم هو من روح القدس (٢) وإذا كان المسيح من روح القدس فى الإنجيل، وروح القدس من الله فى الأمانة؛ فقد تناقض الإنجيل والأمانة إذ الأمانة تجعلهما أخوين قد ولدا من الله. والإنجيل يقول: لا بل المسيح من روح القدس. وذلك خبط عظيم. فقد وضح لك بطلان قول الأمانة: إن المسيح ولد من أبيه قبل العوالم كلها، وإنه بكر الخلائق كلهم. فكيف يكون قبل العوالم، وقد سبقه روح القدس. بشهادة الإنجيل؟

**الوجه الثالث عشر:** قول الأمانة: نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا. فيه مناقضة عظيمة لأصولهم، وذلك أن اعتقاد النصارى أنه لا تُغفر خطاياهم بدون

(١) للمنكر أن يقول: إنه قد صرح المسيح فى الإنجيل بعدم مجيئه. فإن قالوا بمجيئه يكونون مكذبين للإنجيل. ذلك قوله: «ولست أنا بعد فى العالم» [يوحنا ١٧: ١١].

(٢) «لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا؛ وأُجِدت حبلى من الروح القدس» [متى ١: ١٨].



قتل المسيح. ولذلك سموه حمل الله الذى يحمل خطايا العالم. ودعوه أيضا: مخلص العالم من الخطيئة. فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هى التى تغفر خطاياهم من ذنوبهم؛ فقد صرحوا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح؛ لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة. وإن كان التعميد كافيا فقد اعترفوا بوقوع القتل عبثا. وإن كان لا تحصل المغفرة بدون قتل المسيح؛ فقد تناقضت الأمانة، وكذبت فى دعوى المغفرة بالتعميد، إذ كان لابد من القتل.

**الوجه الرابع عشر:** قول الأمانة: ونؤمن بجماعة واحدة قديسية. يعنون من عقد لهم هذه الأمانة، التى نحن نتكلم على تناقضها ونوضح فسادها، وفى الإيمان بها لأى من القوم؛ كفرًا بالمسيح، ورد لأقواله وأقوال تلاميذه.

وبيانه هو: أن المسيح عليه السلام قد شحن إنجيله بتوحيد الله وتمجيده وتقديسه وتنزيهه عن الثانى والثالث وإفراده بالربوبية والألوهية. فقال عليه السلام: «الله واحد هو الله» (١) وقال: «إن الله لم يره أحد قط» (٢) وقال: «لا ينبغى لأحد أن يعبد ربَّين» (٣) وقال: «لا صالح إلا الله وحده» (٤) ورفع وجهه إلى السماء وقال: «إلهى أنت الإله الحق الذى أرسلت المسيح». (٥)

فهذه أقوال المسيح التى رواها عنه تلاميذه، ليس فيها تثنية ولا تثليث. بل مجردة لتوحيد البارى جل وعلا.

فإذا قالوا فى الأمانة: إنهم يؤمنون بأن الآلهة ثلاثة أزلية، وإن لها واحدا ولد إليها مثله، وإن امرأة من بنى آدم ولدت ربها، وأرضعت خالقها ثديها، وأفرشته حجرها، وإن الرب الذى أتقن العالم بيده وخلق كل شيء؛ قد قُوتل فقتل، وغُولب فغلب، ودفن فى المقابر - كما رتبوه فى أمانتهم - فلا شك فى كفرهم بالمسيح وتلاميذه؛ لأن من آمن بالثالوث فقد كفر بالتوحيد. فإن كانت صادقة فقد

(١) يو ٥: ١٤ .

(٢) يو ١: ١٨ .

(٣) لوقا ١٦: ١٣ «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» أيضا متى ٦: ٢٤ .

(٤) مرقس ١٠: ١٨ .

(٥) يوحنا ١٧: ١-٣ .

كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صادقا؛ فقد كذبت الأمانة، وتبين غش من ألفها أو غلطه.

وبعد - يرحمك الله - فقد أقام المسيح وتلاميذه وأكابر أصحابه برهنة من الزمان بالناصرية والجليل وأورشليم وغيرها من البقاع، يُصلون لله إله إبراهيم ويتعبدون له. فهل حُفظ عنهم أو عن أحد ممن روى عنهم: أنه كان إذا قام إلى مُصلاةً وشرع يناجى مولاه؛ يقرأ هذه الأمانة المتضمنة عبادة ثلاثة آلهة، بعضها أب، وبعضها ابن، وبعضها قاتل، وبعضها قتيل، وبعضها والد، وبعضها مولود؟ فكون المسيح وخيار أصحابه لم يؤثر عن واحد منهم من ذلك لفظة ولا كلمة واحدة هو أدل على افتعال هذه الأمانة، وجهل من عقدها، وسخريته بدين النصرانية، وقصده الإرزاء بهم وإبداء عورهم.

**الوجه الخامس عشر:** فى طريق امتحان هذه الأمانة، ومعرفة حقها من باطلها وصحتها من فسادها، بأقوال الأنبياء الذين تنبؤوا عن المسيح<sup>(١)</sup>، وأقوال أصحابه الذين شاهدوه وأخذوا عنه أقواله المروية عنه وفى الإنجيل:

فنقول لمن نظم هذه الأمانة وعقد هذه الشريعة: قد زعمت: أن المسيح إله حق، وأنه أتقن العالم بيده، وخلق كل شيء. فنحن نورد عليك نصوص كتبك وآيات صحفك، وأقوال مشايخك وسلفك، وما تنبأ به الأنبياء على من ادعت ربوبيته، ونحاكمك إلى نفسك فنقول: قالت التوراة فى آيات تفوت الحصر: إن الله تعالى إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؛ واحد لا شريك له. وقال فى العشر كلمات من التوراة: «أنا الله ربك الذى أخرجتك من مصر بيدي القوية، لا يكن لك إله غيري»<sup>(٢)</sup> وقال: «لا تشبهونى بشيء مما فى السماء ولا مما فى الأرض، ولا مما فى البحار، أنا الله إله واحد جبار غير، لا تتخذوا آلهة غيري»<sup>(٣)</sup> وذلك فى التوراة كثير وهو تكذيب لأهل هذه الأمانة فى قولهم: إن مع الله إلهين آخرين، أحدهما إنسان من بنى آدم.

(١) لم يتنبأ أحد عن المسيح عيسى عليه السلام .

(٢) خروج ٣: ٢ - ٣ .

(٣) خروج ٢٠: ٤ - ٥ .

وقال إشعيا في نبوته: «قال إله إسرائيل: أنا الأول والآخر وليس غيري»<sup>(١)</sup> وقال: «عرف الحمار والثور ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل»<sup>(٢)</sup> فقد أكدبهم إشعيا في نظم هذه الأمانة، ودعواهم أن الآلهة ثلاثة قديمة أزلية.

وقال داود في مزموره وهو يناجي ربه<sup>(٣)</sup>: «يا رب إنك حين عبرت ببلاد أشيمون تزلزلت الأرض من هيبتك، وانفطرت انفتارا» ثم قال: «ما لك أيها البحر هاربا مزبدا، وأنت يا نهر الأردن ما بالك ولّيت راجعاً، ومالكم أيها الجبال ظفرتن كالأيائل» ثم أجاب عن ذلك بنفسه فقال: «من هيبة الرب تزلزلت البقاع، واضطربت الشوامخ».

فهذا الذي يليق بجلال الله وعظمته لا ما وصفه به النصراني من الجوع والعطش، والتعب والسهرة، والضعف والعجز، والانحصار في الرحم، والقتل والصلب - تعالى الله عن هذيانهم علواً كبيراً -.

وقال المسيح في إنجيله: «الله لم يره أحد قط»<sup>(٤)</sup> وقال أيضاً فيما رواه تلاميذه عنه: «إن أول الوصايا كلها: اسمع يا إسرائيل الرب واحد. فأحبيه من كل قلبك ومن كل قوتك»<sup>(٥)</sup> ففي هذه الوصية سائر وصايا الأنبياء، وقال فيما رواه عنه يوحنا التلميذ: «إلهي أنت الإله الحق، وحدك الذي أرسلت يسوع»<sup>(٦)</sup> وقال له إنسان: «يا معلم صالح. فقال لم تدعونني صالحاً؟ لا صالح إلا الله وحده»<sup>(٧)</sup> وقال: «أنا ذاهب إلى إلهي»<sup>(٨)</sup> وقال: «إلهي أعظم مني»<sup>(٩)</sup> وقال: «إلهي إلهي لم تركتني»<sup>(١٠)</sup> ، وقال لوقا: «قال جبريل لمريم: إنك ستلدن ابناً يكون عظيماً،

(١) إشعيا ٤٤: ٦ .

(٢) إشعيا ١: ٣ .

(٣) المزمور المائة والرابع عشر .

(٤) يوحنا ١: ١٨ .

(٥) متى ٢٢: ٣٥ - ٣٧ راجع أيضاً الثانية ٦: ٤ - ٩

(٦) يوحنا ١٧: ١ - ٣ .

(٧) مرقس ١٠: ١٨ .

(٨) يوحنا ٢٠: ١٧ .

(٩) يوحنا ١٤: ٢٨ .

(١٠) متى ٢٧: ٤٦ .

يجلسه الرب على كرسى أبيه داود»<sup>(١)</sup> فشهد عن الله تعالى بأن المسيح هو ابن داود.

وقال بطرس الحواري في الفصل السابع من رسالته الأولى: «إن الله هو إله النعمة كلها، وهو الذى دعانا إلى مجده الدائم بالسيد المسيح، له التسبيح والعز إلى دهر الدهارين»<sup>(٢)</sup> فهذا توحيد أنبياء الله تعالى لخالفهم، وتزيههم له سبحانه مسطور مزبور فى كتبهم. قد نهجوه لأتباعهم؛ فتلقوه عنهم، وكل ذلك تكذيب لهذه الأمانة، ورد على من عقدها. فإنها تقول: إنه إله، وإنه أتقن العالم بيده وخلق كل شيء. وهذا جبريل يُخبر عن الله أنه ولد من الناس وأن والده داود، وهذا المسيح يخبر عن نفسه بما سطرناه، فلا التفات بعدها للمحال المضمّن فى هذه الأمانة، التى هى فى الحقيقة فساد الأمانة.

وقد قال داود فى المزامير<sup>(٣)</sup>: «إن المسيح رجل قد فاق الناس جمالاً وشبهه برجل كاهن»<sup>(٤)</sup>، كان فى زمن إبراهيم الخليل خادماً للبيت المقدس، فقال فى مزموه: «يا مسيح أقسم الرب أنك أنت الكاهن المؤيد يشبه ملك الصادق».

فما بال داود لم يقل إن المسيح هو الإله الحق الذى أتقن بيده العوالم وخلق كل شيء، وإنه المولود من الله قبل الدهور، كما هذوا به فى الأمانة التى لهم؟ وكيف يقول نبي الله داود: إن المسيح رجل من الأدميين، يشبه كاهنا من الكهان؟

(١) لوقا ١ : ٣٢ .

(٢) بطرس الأولى ٥ : ١٠ - ١١ .

(٣) المزمور ٤٥ وسبق ذكره فى التعليقات بتمامه . وهو لمحمد ﷺ .

(٤) المزمور ١١٠ هو نبوءة عن محمد ﷺ . وقد شبه داود دوام شريعته إلى يوم القيامة بملكى صادق . والمؤلف أخطأ فى قوله : إن عيسى هو المشبه بملكى صادق ؛ لأن عيسى لم تكن له شريعة . وفى النص أن يسحق رهوس أعدائه فى الحروب . وعيسى لم يحارب . والنص هو : «قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك . يرسل الرب قضيب عزمك من صهيون . تسلط فى وسط أعدائك . شعبك منتدب فى يوم قوتك فى رينة مقدسة من رحم الفجر لك كل حدائك . أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا يدين بين الأمم . ملا جثا أرضاً واسعة . سحق رؤوسها . من النهر يشرب فى الطريق . لذلك يرفع الرأس» {أمور ١١٠} .

لاحظ : «أنت كاهن» أى أن التشبيه فى الشريعة . وسيد داود ليس هو عيسى . كما بينا من قبل .

ويقول أصحاب الأمانة: كلا، ولكنه الإله الذى خلق الكاهن ملكى صادق وغيره.

فإن قالوا: قد أخبر جبريل مريم حين بشرها بأن الرب معها، فقال لها: «مريم ربنا معك»<sup>(١)</sup> قلنا: ليس كما ذهبتم إليه، وإنما أراد بالمعية ههنا: المعاوضة والموازرة وحسن الإرفاق والتعهد بالمعونة. والدليل عليه: قول الله فى التوراة لموسى: «اذهب برسالتى إلى فرعون، وأنا أكون معك، وراقبا لسلطانك»<sup>(٢)</sup> وقال ليوشع بعد وفاة موسى: «أنا أكون معك كما كنت مع عبدى موسى»<sup>(٣)</sup> وقال حملة الإنجيل «وكان الله مع الصبي»<sup>(٤)</sup> وقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ وقد قال المسيح: إنه أفضل من يونس وأفضل من سليمان<sup>(٥)</sup>. وقال فولس: «إن يسوع أفضل من موسى»<sup>(٦)</sup>، وقال المعمدانى حين عمّد المسيح: «هذا الذى قلت لكم: إنه يأتى بعد وهو أقوى منى»<sup>(٧)</sup> فما نرى الحواريين ولا يوحنا ولا فولس قالوا كما قالت الأمانة: إن المسيح إله الحق وإنه خلق كل شيء.

(١) لوقا ١ : ٢٨ .

(٢) خروج ٤ : ١٢ .

(٣) يشوع ١ : ٥ .

(٤) لوقا ١ : ٦٦ .

(٥) قال المسيح: «رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه؛ لأنهم تابوا بمناداة يورنان وهودا أعظم من يورنان ههنا» {متى ١٢ : ٤١} عمل مقارنة بين قوم يونس الذين تابوا لما دعاهم يونس، وبين اليهود الذين لم يتوبوا والمسيح يدعوهم إلى التوبة بقوله: «توبوا؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» أى مجيء محمد ﷺ . فلذلك سوف يخزى الثابتون أمة اليهود فى يوم القيامة .

وعمل مقارنة بين حكمة امرأة هى ملكة اليمن وبين حكمة اليهود. وقال: إن المرأة كانت حكيمة ولذلك فى يوم القيامة ستخزى اليهود على عدم توبتهم «ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه؛ لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهودا أعظم من سليمان. ههنا» {متى ١٢ : ٤٣}.

(٦) عبرانيين ٣ : ١ .

(٧) متى ٣ : ١١ - ١٦ .

والعجب من النصرارى يخبروننا أن المسيح كان رجلاً تجرى عليه أحكام  
الآدميين، وأنه أقام مع الشياطين أربعين يوماً محصوراً في البرية، وهو يجره من  
مكان إلى مكان، وأنه جاع وعطش، وفرح وحزن، ولبس الثياب، وركب  
الحمار، وبذل الجزية كسائر المستضعفين. فكيف تقول الأمانة: إن المسيح هو الإله  
الذى أتقن العالم، وخلق كل شيء؟ هل ذلك إلا حمق ورعونة؟  
فإن كانت الأمانة صحيحة؛ فقد كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صادقاً؛  
فقد كذبت الأمانة وكذب من ألفها. فقد وضع: أن هذه الأمانة متقضة فاسدة لا  
تثبت لأدنى نفخة من الحق.

### ولنختم هذا الباب بإبطال التثليث المسطور في هذه الأمانة:

فنقول للنصارى: قد زعمتم أن معبودكم عبارة عن ثلاثة أقانيم، وهى  
الوجود والحياة والعلم. فما دليلكم على حصرها فى هذا العدد؟ وبم تنكرون على  
من يرى أنها أربعة، ويزيد القدرة فيصير التثليث تريبياً؟  
فإن قالوا: لا حاجة إلى ذلك. إذ فى أقنوم العلم مندوحة عن إثبات  
القدرة. قلنا: لا نسلم لكم ذلك. فمن أين يلزم من حصول العلم حصول  
القدرة؟ فقد يكون الواحد عالماً ولا يكون قادراً، إذ حظ العلم أنه يكشف المعلوم  
ومعرفته على ما هو به. وحظ القدرة: الاختراع والإيجاد؛ فلا يلزم من معرفة  
الشيء إيجاده. ولو جاز الاجتزاء بالعلم عن القدرة؛ لجاز الاجتزاء بالحياة عن  
العلم. وكما لا يلزم من الحى أن يكون عالماً؛ فكذلك لا يلزم من العالم أن يكون  
قادراً وكما أن العلم لا يُفقد إلا ويخلفه ضده وهو الجهل؛ فكذلك القدرة لا  
يجوز أن تفقد إلا ويخلفها ضدها وهو العجز.

وقد أوجد البارى تعالى العالم بعد أن لم يكن. وذلك أثر القدرة لا أثر  
العلم، وإلا فقد كان العلم حاصلًا لله تعالى قبل الإيجاد. وهو التعلق، فقد  
وجب وصفه تعالى بالقدرة، وإذا ثبت وصفه بالقدرة؛ فقد وجب وصفه بالإرادة،  
إذ حظ القدرة الاختراع والإبداع، وحظ الإرادة التخصيص بالمقادير والأشكال

والأزمان والأحوال. فقد بطل القول بالتثليث ووجب وصفه تعالى بالجلال والكمال. وذلك يستدعى وصفه سبحانه وتعالى بأنه واحد حى عالم قادر مرید سمیع بصیر متكلم. وهذه الصفات الزائدة على الثالوث قد نطقت به صحف أهل الكتاب، وهى موجودة فى التوراة والإنجيل والزيور. ولو أردنا انتزاعها من كتبهم وإثباتها فى هذا المختصر؛ لما أعوزنا ذلك. ولكننا نؤثر الاختصار.

فقد ثبت بهذه الوجوه الخمسة عشر: بطلان الأمانة وانتقاضها وانتشار نظمها. وإذا بطلت شريعة الدين؛ بطل الدين المبني عليها، ووجب الرجوع إلى أقوال الأنبياء فى توحيد الله سبحانه وإفراده بالربوبية - سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه - .

## الباب التاسع

### فى إثبات الواضح المشهود

### من فضائح النصارى واليهود

نذكر فيه ما اشتملت عليه التوراة وأناجيل النصارى من الفضائح التى يأنف من إيرادها مجآن الصبيان، والمغفلون من النسوان.

**ونبدأ بذكر فضائح اليهود ونقدمهم هنا لتقدم كفرهم:**

#### فضيحة:

عبدت قدماء اليهود عزيراً. وقالوا: إنه ابن الله. وساووا فى ذلك النصارى فى عبادتهم المسيح وقد أخبر الكتاب العزيز بالقصة.

والمتاخرون<sup>(١)</sup> من اليهود ينكرون ذلك ويجدونه. وليس الأمر كما يظنون؛ بل قد صح أن تلك طائفة من أسلافهم يقال لها: المؤمنية. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ فمن عبد المسيح وعدّه من الآدميين إنما تأسى بهم وتسبب بأسبابهم.

#### فضيحة أخرى:

عبدت قدماء اليهود الكواكب والزهرة. وقربت لها القرابين، وقد أخبر بذلك نبى الله إرمياء<sup>(٢)</sup> فى نبوته. فقام إرمياء فيهم فوعظهم وخوفهم بأس الله

(١) يريد أن يقول: لا يصح للمتأخرين إنكار أن الأولين قالوا: إن عزيراً ابن الله؛ فإن «المؤمنية» كانت تقول بذلك. والحق: أن جميع اليهود من يوم الرجوع من سبى بابل إلى هذا اليوم يقولون: إن عزراً ابن الله. ليس على البنية الطبيعية، وإنما على البنية المجازية. ويمتاز عن غيره فيها. ولكن لا أحد منهم قد عبده واتخذة إلها من دون الله. والنصارى مثل اليهود فى شأن عزرا. ويقولون فى المسيح: إنه ابن طبعى لله وهذا هو قول الكاثوليك والبروتستانت. وجميع المسيحيين يعبدون المسيح.

(٢) فى الأصحاح الرابع والأربعين من سفر إرمياء: «فأجاب إرمياء كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يُخرن لألهة أخرى، وكل النساء الواقفات. محفل كبير، وكل الشعب الساكن فى أرض مصر، فى فتروس قائلين: إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خارج من فمنا فنبخر للملكة السموات، ونسكب لها سكائب. كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا وروساؤنا فى أرض يهوذا وفى



وسرعة بطشه وذكرهم بأيامه، وما صنعه من الآيات؛ فتواثب عليه الشعب بأسرهم، وقالوا: إنا لا ندع البخور للزهرة والكواكب، وهموا بقتله.

### فضيحة أخرى:

عبدت اليهود العجل في حياة نبي الله موسى عليه السلام، وذلك حين ذهب عليه السلام إلى مناجاة ربه وترك هارون خليفة عندهم، وكانوا حين أنجاهم الله من الغرق وأصعدهم من البحر؛ رأوا قوما يعبدون أصناما على صور البقر. فبقى ذلك في نفوسهم. فلما استبطأوا موسى صنع لهم «السامري» من الذهب عجلا؛ فأقبلوا على عبادته، وتركوا عبادة الله الذي صنع لهم العجائب، وأراهم الآيات. فقام هارون فيهم خطيبا ووعظهم؛ فهموا أن يقتلوه. فاعتزلهم في طائفة من قومه. وقد نطق بذلك الكتاب العزيز. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ .

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة يقال لها الأشمعية، مشبهة مجسمة. يعتقدون أن خالقهم في صورة شيخ أبيض الرأس واللحية. ويزعمون: أن له في السماء الثالثة خليفة يسمونه الله الأصغر، ويزعمون: أنه مدبر العالم. وهم يقولون بالنسخ.

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة يقال لهم: العنانية، وهم يوحّدون. ولكنهم يُحيلون النسخ

---

شوارع أورشليم؛ فشيئا خزا، وكنا بخير ولم نر شرا. ولكن من حين كفنا عن التبخير للملكة السموات وسكب سكائب لها، احتجنا إلى كل وفينا بالسيف والجوع. وإذا كنا نبخر للملكة السموات. ونسكب لها سكائب. فهل بدون رجالنا كنا نضع لها كعكا؛ لنعبدها ونسكب لها السكائب؟ [إرمياء ٤٤: ١٥ - ١٩]. وهذا اعتراف من المؤلف بأن اليهود عبدوا الأصنام واستدل على عبادتهم للأصنام بالتوراة. فهل في القرآن أن بنى إسماعيل عبدوا الأصنام؟ ليس فيه أن العرب بنى إسماعيل قد عبدوا الأصنام. وفيه أن إبراهيم دعا الله أن ينجب بنيه عبادة الأصنام وأن يبعث فيهم رسولا منهم. ولم يكن لإبراهيم في ذلك الوقت إلا إسماعيل. وكما استجبت الدعوة في بعث الرسول، تكون قد استجبت في تهنيتهم عبادة الأصنام. وفيه أن الله قد عهد إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام وليس في القرآن أنهم نقضوا العهد.

من جهة العقل والسمع جميعاً<sup>(١)</sup> .

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف بالأصبهانية. أصحاب أبي عيسى الأصبهاني . يزعمون: أن أبا عيسى كان نبياً مبعوثاً قبل موسى. وذلك على خلاف رأى سائر اليهود. فليس تعتقد اليهود أنه كان قبل موسى نبى البتة. فينكرون<sup>(٢)</sup> نبوة شيث ونوح وإبراهيم وغيره. ويقولون: إن موسى هو مفتاح النبوة وبكر الرسالة. والتوراة التى بأيديهم تكذبهم؛ إذ هى مصرحة بأن أوامر الله قد وردت على من ذكرنا وانتعضوا دعاء إلى الله. وهذه نبوة دانيال تشهد بأن بختنصر حين غزا البيت المقدس حرق كتب الله المنزلة على إبراهيم وشيث وغيره. قال دانيال: وعدتها مائة كتاب وأربعة كتب. فمن زعم أنه لا نبى قبل موسى عليه السلام؛ فنبوة دانيال حجة عليه .

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف باليوزعانية مشبهة. تزعم: أن المسيح هو يوزعان، وأنه قد جاء مرة وسيأتى مرة أخرى<sup>(٣)</sup> . وتقول: إن ما فى التوراة مما يظنه اليهود

(١) لما تجلى الله تعالى لموسى وبنى إسرائيل على جبل طور سيناء حال نزول التوراة؛ حدث رعد وبرق ودخان ونار وارتجف كل الجبل. فخاف بنو إسرائيل وطلبوا من موسى أن يكلم الله أن لا يحدث هذا المنظر المرعب مرة أخرى. وإذا أراد أن يكلمهم فليكن عن طريق نبي له يسمعون ويطيعون. فوعدهم الله بنبي يكلمهم عن طريقه من بعد موسى. وهو محمد ﷺ فلو كانت التوراة أبدية لا تنسخ إلى يوم القيامة؛ لما كان ينبه على مجيء نبي من بعد موسى له يسمعون ويطيعون. ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر الشثية: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلًا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي، ولا أدرى هذه النار العظيمة أيضا لثلاث أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به... إلخ» .

(٢) معنى أن اليهود لا تعتقد أنه كان قبل موسى نبي: هو أنه لا توجد شرائع إلهية موعظة وتفصيلا لكل شيء مع نبي من قبل موسى. فالتحليل والتحرير من موسى. وقولهم صحيح. فإن من قبل موسى كانوا دعاء إلى مكارم الأخلاق، وأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحب لنفسه. وصحف إبراهيم وشيث وغيرهما لم يكن فيهم شرائع البتة. بل الدعوة إلى حسن الخلق.

(٣) يقول المسيح لله تعالى: «ولست أنا بعد فى العالم. وأما هؤلاء فهم فى العالم، وأنا أتى إليك» أبو

على ظاهره كالسبت وغيره؛ إنما هي معان وأسرار تشير إلى مجيء مسيحهم «يوزعان» .

### فضيحة أخرى؛

من اليهود طائفة تسمى البنيامية أصحاب بنيامين. مُوحدة. غير أنها تعتقد أن الله تعالى مضادا يضاده. وهو فاعل الشر. غير أنه مخلوق من خلقه.

### فضيحة أخرى؛

من اليهود طائفة تسمى الملكية. يقولون بالتوحيد. غير أنهم يزعمون أن الذي خلق العالم ليس هو الله بل ملك من الملائكة، أقدره الله على ذلك. قالوا: وهذا الملك<sup>(١)</sup> هو الذي كلم موسى من الشجر وقلق له البحر. ورأس هذه الطائفة «مالك الصيدلاني» من أهل الرملة.

### فضيحة أخرى؛

من اليهود طائفة يعرفون بأصحاب المغار، وإنما سموا بذلك لأنهم صنعوا كتباً وتركوها في مغار وانقرضوا. فوجدت تلك الكتب، وفيها تأويلات تخالف ما عليه اليهود.

### فضيحة أخرى؛

من اليهود طائفة أخرى تعرف بالفارحية أصحاب يوحنا بن فارح. وكان على زمن إرمياء. كانوا يعبدون صنما يقال له «بعل» ويقربون لنجوم السماء - كما هو مذكور في نبوة إرمياء. ونزلوا أرض مصر، وتكلموا باللسان القبطي. والتوراة والنبوات عندهم مترجمة بالقبطي، ولا يعرفون شيئاً من العبراني البتة.

١١: ١٧} والسبب في قول المسيحيين: إن المسيح سيأتي مرة أخرى: هو أن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ فيها أنه سيحارب وسيقتصر ويفتح مدناً ويملك على أهلها. ولما كان هذا غير متحقق في المسيح وهم يريدون تطبيق النبوءات عليه. قالوا بمجيئه ثانية.

(١) في التوراة السامرية: أن الذي كلم موسى على جبل طور سيناء وتجلي له: هو ملك من الملائكة نيابة عن الله.

وقال الشهرستاني: يهود الروم على مذهب الأشمعية العراقيين.

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة تعرف بالعیسوية. أصحاب أبي عيسى الأصبهاني. وهم يعترفون بنبوۀ عيسى ومحمد - عليهما السلام - غير أنهم يقولون: لم يرسل إلا لقومهما خاصة، ولم يؤمرا بنسخ شريعة موسى عليه السلام.

### فضيحة أخرى:

من اليهود طائفة السامرة. وهم طائفتان؛ طائفة تقر بنبوۀ موسى وهارون ويوشع بن نون لا غير، وتجدد نبوة من عداهم من النبيين. والطائفة الأخرى تعترف بنبوۀ كل من عدا عيسى ومحمد عليهما السلام وتزعم: أن المسيح لم يُبعث بعد. وأنه سيأتي. ولهم خطأ غير الخط العبراني، وآراء غير آراء اليهود، ويخالفون اليهود في القبلة، ولا يصلون إلى صخرة بيت المقدس، ويتوجهون في صلاتهم إلى جبل بالشام، وإليه يحجون. وهو قريب من «نابلس» وهم الذين يُقال لهم: ﴿ لا مساس ﴾ ويرون تحريم أكل ما مسّه غيرهم. واليهود تزعم أنهم ليسوا من بني إسرائيل.

وبالجملّة: فقد ذكر العلماء أن عدة فرق اليهود إحدى وسبعون فرقة. وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى وتُبدّعها. والمعروف الآن منهم أربع فرق، فرقة تعرف بالقرائين، وفرقة بالربانيين، وفرقة تعرف بالعیسوية، وفرقة تعرف بالسامرة. فأما هذه الفرق الأربع <sup>(١)</sup> فيزعمون أنهم أهل توحيد. لا يُذكر بينهم

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول: فأما هذه الفرق الأربع فيعتقدون أنهم أهل توحيد. وذلك لأن اليهود كلهم عبرانيون وسامريون يؤمنون بأن الله هو الخالق للعالم وحده. وهم لا يكفرون به، وإنما يكفرون بآيات الله لقوله في القرآن عنهم: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله؟﴾ وتقسيم الفرق هو: من قبل عيسى عليه السلام كانوا فرقتين اثنتين هما العبرانيون والسامريون. والعبرانيون انقسموا إلى فريسيين وصدوقيين. ومن بعد الإسلام أخذ الفريسيون اسم الربانيين. وقابلتهم طائفة تسمى القرائين. وقد أخطأ المؤلف في قوله فأما القراءون فمشبهة، وأما الربانيون فمعتزلة. والصحيح أن الربانسي يأخذ بظواهر النصوص ولا يؤولها كالحنابلة في الإسلام. والقرائي يؤول النصوص كما يفعل المعتزلة. والقراءون قد أخذوا التأويل عن المسيح عيسى عليه السلام وهذا واضح في إنجيل برنابا.

اختلاف في ذلك. فأما القراءون فمشبهة، وأما الربانيون فمعتزلة، وأما العيسوية فتقرُّ بنبوة عيسى ومحمد - عليهما السلام - وأما السامرة فهم طائفتان كما تقدم.

### الكلام على اليهود

أما العيسوية المعترفون بنبوة محمد - عليه السلام - ورسالته إلى العرب خاصة. فنقول لهم: إذا صدقتم محمداً في قوله: إنه نبي. لزمكم تصديقه في كل ما أخبر به، ومن جملة ما أخبر به: أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ فإن قالوا: ﴿النَّاسُ﴾ أهل مكة لا غير. إذ كل ما في كتابه من تلك الآي؛ فهو مخاطب به أهل «مكة» وما كان منه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالمخاطب به أهل المدينة. قلنا: لا نُسَلِّمُ لكم هذا التأويل. بل الناس المذكورون بالآلف واللام لاستغراق جميع الناس من بني آدم. وقد أكدّه بقوله ﴿جَمِيعًا﴾ والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. وقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «بعثتُ إلى الأحمر والأسود» <sup>(١)</sup> يريد: العربي والعجمي. وقد تواتر عنه - عليه السلام - أنه لم يختص بدعوته قوماً دون قوم، وأنه أرسل رسله إلى ملوك الأطراف والنواحي يدعوهم إلى دينه. والتواتر لا سبيل إلى رده، فمن صدقه عليه السلام في بعض أقواله؛ لزمه تصديقه في جميع أقواله. وقد قتل عليه السلام المخالفين لملته من اليهود. كما قتل موسى ويوشع وداود - عليهم السلام - من خالفهم من أهل الأديان.

فهذا قولنا للعيسوية.

فأما غير العيسوية: فإنهم أنكروا النسخ. فمنهم من أنكره عقلاً، ومنهم من أنكره شرعاً. فالذين أنكروه عقلاً قالوا: يستحيل في العقل أن يتعبد الله عباده بشرع يأمرهم فيه بأمر في وقت ثم يأمر بنقيضه في وقت آخر. قالوا: وهذا هو البداء

(١) البخارى ومسلم .

والبداء لا يجوز إلا من جاهل بعواقب الأمور. فأما البارى فلا يجوز منه ذلك؛ إذ الأمر الأول إن كان حقا وحكمة؛ فنقضه باطل وسفه. وذلك لا يليق بالحكيم - سبحانه - فالتزموا ردّ ما جاء من الناسخ بعد موسى عليه السلام ولزمهم إنكار شرع من كان قبله من شرائع الأنبياء؛ فالتزموه. قالوا: ليس قبل موسى نبي أصلا. فردوا نبوة شيث وإدريس ونوح وإبراهيم ولوط وغيرهم. وقالوا: أوّل الأنبياء موسى بن عمران - عليه السلام - وزعموا: أن الأنبياء أربعة وعشرون <sup>(١)</sup> نبياً أوّلهم موسى .

فيقال لهم: إذا كان إنما مستندكم تعاقل العقلاء وتعارفهم وقياس الغائب على الشاهد. فاعلموا: أن السيد قد يأمر عبده في وقت بفعل وينهاه عنه في وقت آخر؛ لعلمه بمصلحته في إيقاع الفعل وتركه في الوقتين جميعاً. وكذلك الوالد قد يأمر ولده في أول نشوئه بتحصيل الفضائل، فإذا بلغ مبالغ الرجال واحتاج إلى ما لا بد له منه؛ أمره بالكسب، ونهاه عما كان يأمره به أولاً لعلمه بمصلحته في الحالتين. وكذلك الطبيب الماهر قد ينهى العليل في وقت عن الأغذية المقوية للمادة، ويأمره باستعمال اللطيف الذى لا يخضب البدن ويزيده في المادة فإذا نَقَه عاد فأمره بما كان ينهاه عنه؛ لمعرفته بما يصلحه في الحالين، وقد علم أولاً أنه سينهاه عما أمره به، ويأمره بتناول ما نهاه عنه أولاً. وإذا كان ذلك حسناً من الوالد في ولده والطبيب في سقيمته؛ فما المانع أن يتعبد الله عباده في وقت بحكم يعلم أن مصلحتهم في التكليف به، ويُطلق لهم الأمر من غير تقييد بمدة ليكون أَدعى إلى المسارعة والامتثال، ثم يأمرهم في وقت آخر بترك تلك التكاليف واستعمال غيرها؛ لعلمه بكونها مصلحة لهم في ذلك الوقت؟ والشرائع مصالح للعباد، والله تعالى هو العالم بمصالح عباده على اختلاف أحوالهم وأوقاتهم. فما الذى جَوَّر ذلك للوالد والطبيب مع الجهل بالعاقبة؟ وأحاله من العالم بعواقب الأمور الذى لا يخفى عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء المدبر لعباده كما يشاء ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) عدد الانبياء المذكور فى إنجيل برنابا.

واعلم: أن النسخ لا يدخل على الأخبار؛ لأن المخبر عنه يصير كذبا، وإنما يدخل على الأحكام؛ لاختلاف المصالح باختلاف أحوال المكلفين واختلاف الأوقات.

فهذا بيان جواز النسخ عقلا.

فأما جوازه شرعا: فيستدل عليه من توراتهم التي يعتقدون صحتها ليكون أفحم لهم وأقطع لعذرهم. ونحن نُثبت ما فيها من النسخ، والله الموفق والمعين.

فنعول: إن في توراتهم عدة مواضع تدل على تبدل الأحكام، وذلك لاختلاف مصالح الأنام.

**الموضع الأول:** قالت التوراة في السفر الأول الذي يُدعى سفر الخليفة: إن الله تعالى خلق آدم، وخلق من ضلعه حواء وزوجه، وبارك عليهما وقال: «انميا وأكثرأ واملأ الأرض وتسلبا على سمك البحور وطائر السماء والأنعام والدواب وكل شيء على وجه الأرض. وقال لهما سبحانه: «هانذا قد أعطيتكما كل ما على وجه الأرض من شجر ودواب وعشب وطير من البحر والبر؛ ليكون لملككم»<sup>(١)</sup>.

فهذا إخبار من الله أنه قد أباح لأدم وزوجه جميع الحيوان مطلقا لملكهم. فهل ما أباحه الله لأدم؛ مباح لكم في شرع التوراة أو قد حُرِّم عليكم كثيرا من ذلك؟ وههنا لا يحيرون جوابا، ولا يجدون إلى الانفصال سبيلا، فقد قال الله في التوراة لموسى وهارون: «قولا لبني إسرائيل: لا تأكلوا من الأنعام التي على وجه الأرض إلا ما شقَّ ظلفه وهو يجتر. الجمل حرام عليكم، والخنزير حرام، ولا تأكلوا من طير السماء النسر والحدأة والغراب ولا أجناسهم، ولا البوم والعقعق والصعوة والرخمة وأجناسها ولا الهدهد والطاووس. فهذا كله، عليكم حرام»<sup>(٢)</sup> ومعلوم عندكم: أن هذا مما أُبيح لأدم وحواء بنص أول التوراة. فهل النسخ إلا أن يبيح الله الشيء على لسان نبي، ثم يحرمه على لسان نبي آخر أو بالعكس؟ فكيف تقرأ اليهود ذلك ثم تكفر به؟ وإذا كفروا بما في أيديهم من كتب الله، كيف يُطمع

(١) تكوين ١ .

(٢) لاويين ١١ .

فيهم أن يؤمنوا بما ليس فى أيديهم من عند الله؟

**الموضع الثانى:** قالت التوراة: كان آدم يزوج بنيه من بناته بإذن الله له فى ذلك<sup>(١)</sup>. وحُرِّمَ بعد ذلك {فى شريعة موسى} وهذا نسخ لشرع آدم نفسه<sup>(٢)</sup>.  
فإن قالوا: ذلك لضرورة عدم اتساع الخَلْق. قلنا: قد كان الله تعالى قادرا على أن يخلق لهم أزواجا ولا يحوجهم إلى وطء الأخوات.

**الموضع الثالث:** قالت التوراة: جمع إسرائيل بين أختين فى عصمته. وهما ليثا وراحيل ابنتا لابان<sup>(٣)</sup>. وإسرائيل نبي ثابت العصمة وهو عند اليهود والنصارى من الصالحين لاغير، وهو إسرائيل الله، ومنصبه يَجَلَّ عن الإقدام على ما لا يحل. ومن ظن به سوى ما ذكرناه؛ فقد قدح فيه. ثم قالت التوراة فى السفر الثالث منها: «لا تنكح المرأة على أختها فتغبطها وتجتلى عورتها فى حياتها، ولا تقترب من امرأة طامت فى حيضها. ومن فعل شيئا من هذه النجاسات منكم أو ممن يقبل إليّ ويسكن بينكم؛ فلتُبَد تلك النفس»<sup>(٤)</sup>.

وهذا. فاعلموا تحريم ما كان مباحا لإسرائيل. ولا جواب لكم عن ذلك.

**الموضع الرابع:** قال الله تعالى فى التوراة: «إبراهيم. قال: ها أنذا يارب. قال: اذهب بابنك الذى تحبه. فقربه لى قربانا على أحد الجبال التى أمرت، فبكر إبراهيم وذهب بالولد وبنى مذبحا وأوثق الولد ورفعته على المذبح وجذب السكين لينحره، فناداه الملك: إبراهيم إبراهيم لا تذبحن الصبي؛ فقد علم الله أنك تخشاه إذ لم تبخل عليه بولدك. ورفع إبراهيم بصره فرأى الكباش فذهب فأخذه ورفعته على المذبح»<sup>(٥)</sup>.

وهذا. فاعلموا أنه لا معنى له غير النَّسخ. أفقولون: - ويلكم - إن ذلك بدء

من الله؟ - تعالى الله عن كفركم علوا كبيرا - .

(٢) اللاويين ١٨ .

(٤) لاويين ١٨ .

(١) تكوين ٤ .

(٣) تكوين ٢٩ .

(٥) تكوين ٢٢ .



**الموضع الخامس:** الجمع في النكاح بين الحرة والأمة. قد كان جائزا في شرع يعقوب. فجمع في عصمته بين حرتين وأمتين<sup>(١)</sup>. ثم نسخته التوراة بعد ذلك فلم تجزه.

**الموضع السادس:** قالت التوراة: قال الله تعالى لموسى: «اخرج أنت وشعبك من مصر ليرثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورثها نسله»<sup>(٢)</sup> فلما صار بهم موسى في التيه قالت التوراة: قال الله تعالى: «لا تدخلوها أنتم لأنكم أغضبتموني»<sup>(٣)</sup> فلم يدخلوها هم ولا موسى وهارون، ولم يدخلها أحد ممن خرج من مصر، سوى رجلين: يوشع بن نون وكالاب بن يوفينا. وهذا نسخ لشرع موسى نفسه.

**الموضع السابع:** قالت التوراة: قال الله تعالى لموسى: «تنح عن هذا الشعب الخبيث القلوب القاسى الرقاب، فإنى أهلكه وأبيده عن جديد الأرض، وأبدلك شعبا خيرا منه. فلم يزل موسى يصلى ويشفع فيهم؛ حتى عفا الله عنهم فلم يهلكهم ولم يبدهم»<sup>(٣)</sup> وهذا نسخ.

**الموضع الثامن:** تحريم السبت. وقد أقام الناس من لدن آدم إلى زمن موسى لم يتعبدوا بتحريم الأعمال فيه، بل كانت الأعمال فيه مباحة، ثم حرمت على لسان موسى.

ولولا إيثار الاختصار؛ لتلونا عليكم من هذا الجنس كثيرا.

فهذه نصوص التوراة تصرخ بنسخ الأحكام، وتبديل الحرام حلالا والحلال حراما. فمن أشد كفرا وأبين ضلالا من قوم يقرءون التوراة ثم يكفرون بها بعد اعتقاد صحتها، وينسبون أنبياء الله إلى تعاطى المحرمات واستباحة الفروج بغير أمر الله؟ ومن قدح في أنبياء الله؛ فقد كفر بالله.

(١) التكوين ٣٠ .

(٢) خروج ٣٣ .

(٣) عدد ١٤ وهذا الموضع غير حجة في النسخ. لان الإرث للشعب على طول الزمان إلى أن تظهر بركة إسماعيل عليه السلام.

ولو كان اليهود أولى أحلام؛ لما ردُّوا النسخ ، واعتلوا بأنه بدء مع وصفهم الله تعالى بالندم والأسف. وذلك أشد شناعة من البدء.

فرووا في السفر الأول من توراتهم: «أن الله رأى ظلم الناس وشرهم قد كثر على وجه الأرض؛ فأسف الله. إذ خلق آدم على الأرض. فقال: لأزيلن ما على الأرض من البشر والأنعام والدواب وطير السماء؛ لأنني قد ندمتُ على خلقي إياهم»<sup>(١)</sup> فوصفوا ربهم - تعالى - بالأسف والندم الدالين على غاية النقص والجهل بالعواقب، ثم أنكروا النسخ. وهو ضد البدء. إذ النسخ أمر بمصالح العباد في أوقاتهم وأحوالهم.

وقد حكوا في توراتهم ما هو أقبح من البدء صريحا: فرووا في السفر الأول من التوراة «أنه لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهم ما أحبوا؛ قال الله: لا تسكن الروح بعدها في شر، ولتكن أيامهم مائة وعشرين سنة»<sup>(٢)</sup> فهذا إخبار من الله أنه لا يُعمَّر بشرا أكثر من مائة وعشرين سنة. ولا يسكن الروح في بشر. ثم نصت التوراة بعد هذا القول: أن أرفشخذ عاش من بعد ما وُلد له شالغ أربعمائة وثلاث سنين وعاش رعو من بعد ما ولد ساروج مائتي سنة وسبع سنين وعاش إبراهيم مائة سنة وخمسا وسبعين سنة. وعاش إسحق مائة سنة وثمانين سنين، وجماعة كثيرة عُمِّروا أعمارا تزيد على ما حكوه عن الله تعالى. وهذا أشد من البدء؛ لأنه كذب في الأخبار، وإذا كان هذا جائزا عندكم معشر اليهود؛ فكيف تمنعون النسخ وتعللون بأنه بدء من الله؟

وقد جاء<sup>(٣)</sup> في قصة حزقيا ملك يهوذا أنه مرض فأوحى الله إلى إشعياء النبي عليه السلام أن قل لحزقيا يوصى فإنه ميت من علته هذه. فدخل عليه إشعياء وأخبره بوحي الله إليه في شأنه. فاستقبل حزقيا الجدار وبكى وتضرع إلى الله فنزل الوحي على إشعياء النبي قبل خروجه من الدار يقول له: إن حزقيا يقوم من علته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام، وأنه قد زيد في عمره خمس عشرة سنة.

(١) خروج ٣٢ .

(٢) تكوين ٦: ٥ - ١٣ ويقول اليهود في تفسير ذلك: إن التوراة تكلمت عن الله بلسان بنى آدم .

(٣) تكوين ٦: ١ - ٣ .

وإذا كانت كتب اليهود تشهد بمثل هذه الأشياء؛ فإنه لا يلتفت إليهم بعدها في ردّ النسخ.

هذا. وقد ابتدأ الله تعالى العالم بعد أن لم يكن، وفرض تكاليف بعد أن لم تجب وأحدث أموراً. ولم يدل ذلك على البداء، وقد نقل سبحانه عباده من حال إلى حال، ومن صحة إلى سقم، ومن حياة إلى موت. ولم يدل ذلك على البداء. وكذلك نقلهم من جنس من التكاليف إلى جنس آخر؛ لا يدل على البداء. وكأنه سبحانه يأمر عباده بالأمر فيتمرنوا عليه المدة الطويلة حتى يصير عندهم من قبيل الاعتياد فيأمرهم بتركه والتزام سواه؛ اختباراً لهم وامتحاناً لطاعتهم له. وهل امثالهم لأمره طاعة محضّة أو عادة مستحبة؟ وكل ذلك منه حسن؛ فلا يدل شيء من ذلك على البداء والاستدراك. فإذا وردت العبارة مطلقاً بلفظ يوهم التأييد، ثم نُسخت. تَبَيَّنَا: أن المراد بها وقت دون وقت.

وقد تمسكت اليهود بقول التوراة: «تمسكوا بالسبت أبد الدهر»<sup>(٢)</sup> فظنوا أن ذلك للتأييد، وأن نلفظه نص لا يحتمل التأويل، وقالوا: أمرت التوراة بقتل من أحلّ السبت، وجوز فيه الأعمال<sup>(٣)</sup>. قالوا: وقد أحدث سلفنا في السبت حدثاً؛ فمُسَخُوا.

واعلم: أنهم لما ألزموا بما في التوراة والنبوات من الأحكام التي نُسخت وتجدد غيرها؛ عدلوا إلى هذه اللفظة. وليس كما ذهبوا إليه. إذ قوله: «تمسكوا بالسبت أبد الدهر» يحتمل صلة محذوفة وهي (ما لم يأتكم نبي يأمركم بحله) والدليل على هذا الاحتمال: أنه لو قرن بآخر الكلام وسيق معه؛ لم يتناقض ولم ينب عنه، وإذ كان الكلام يقبله حملناه عليه. إذ نبوة عيسى ومحمد لا سيبل إلى ردها.

وقول التوراة - إن صح - يمكن تخصيصه. فواجب أن يُخصَّص. لضرورة الجمع بين أقوال الصادقين، حتى لاتقع المعارضة بين الأدلة القطعية. فتحريم العمل في السبت حكم من جملة الأحكام التكليفية فنسخه كمنسخ سائر الأحكام. والدليل على

(١) إشعياء ٣٨ .

(٢) خروج ٣١ .

(٣) خروج ٣١: ١٥ .

أن قوله «تمسكوا بالسبت أبد الدهر» ليس للتأييد بل لدهر مخصوص وزمان مؤقت. قول التوراة: «قال الله تعالى لنوح لما كثرت خطايا البشر: لاتسكن روحى فى البشر إلى الدهر»<sup>(١)</sup> ثم قال بعد ذلك لموسى عليه السلام: «يعمل لك قبة الزمان بصلثيل الذى من سبط يهوذا الذى ملأته روح الله بالعلم والحكمة»<sup>(٢)</sup> - وقال أيضا كذلك فى رفيقه الذى من سبط دان. وهما من البشر، فوضح أن لفظه الدهر؛ لاتقتضى التأييد<sup>(٣)</sup>.

وفى نبوة حزقيال أيضا: أن الله تعالى قال له: «تنبأ على هذه العظام وأنا أبثّ روحى فيهم فيحيون»<sup>(٤)</sup> ففعل. فقد سكنت روح الله فى البشر. وفى التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم: «إن أرض الشام له ولذريته من بعده أبد الدهر»<sup>(٥)</sup> وفى عدة مواضع من التوراة. وذلك لا يتقاضى إلا دهرا مخصوصا. بدليل: خروجها من أيديهم فلم يرد سبحانه إلا المدة التى أقامت فى أيديهم.

وقالت التوراة: إن الله تعالى قال لموسى: «اصنع قبة الزمان» ومن صفتها كيت وكيت. ويلبس هارون ثيابا للتكهن. من صورتها كذا وكذا للدهر»<sup>(٦)</sup> وليس بقاء القبة ولا هارون مؤبدا.

(١) تكوين ٦: ٣. (٢) خروج ٣٦: ١ + ٣٥: ٣٤.

(٣) معنى أن لفظ الأبد فى التوراة محدد بمدة: هو أن موسى رسول الله ﷺ أخبر عن أمر الله فى التوراة أن نبيا مثله من إخوة بنى إسرائيل سيأتى ليكلّمهم نيابة عن الله. فالأبد محدد بمدة هى من زمان موسى إلى مجيء هذا النبي. ويقول اليهود: إن المدة من موسى إلى مجيء المائل له تسمى دهرا. فإذا جاء النبي انقضى الدهر، وجاء دهر جديد. وكل حكم مغيا بغاية فى التوراة يقولون عنه إلى الأبد أى إلى انتهاء غايته. ومثاله: أن العبد اليهودى يخدم ست سنين، وفى السنة السابعة يخرج حرا مجانا. فإن أبى الخروج وفضل العبودية على الحرية يأخذ سيده المخرز، ويجعله فى أذنه وفى باب المسجد؛ فيكون له عبدا مؤبدا {تثنيسة ١٥: ١٢ + }

ويظل العبد المؤبد إلى سنة البيوبيل. وإذا جاءت يخرج العبد حرا من بيت السيد، ويرجع إلى أرض السبط الذى هو منه. فيكون التأييد قد زال فى مجيء سنة البيوبيل {لاوين ٢٥: ١٠ + }.

(٤) حزقيال ٣٧.

(٥) وعد الله لإبراهيم بإرث ذريته أرض الشام، وهو وعد صحيح. وقد تحقق وبيان ذلك: أن الله قسم بركة إبراهيم على إسحق وإسماعيل. والبركة ملك ونبوة وقد ورثها بنو إسحاق على شريعة التوراة، وورثها بنو إسماعيل على شريعة القرآن. لقوله: «إسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه

وقالت التوراة في السفر الرابع منها لموسى: «اصنع قرنين من فضة تستعين بهما على الدعوة للرحلة، فإذا نفخ فيهما اجتمع بنو إسرائيل عند قبة الزمان، وبنو هارون هم الذين يهللون بالقرون. ولتكن هذه سنة لكم إلى الدهر»<sup>(١)</sup> وليس ذلك للتأييد بل لدهر مخصوص.

ثبت بذلك: أن الذى وعد به إبراهيم من تمليك ولده الأرض مخصوص به ولد يعقوب فى ذلك الدهر، الذى انقضى ومضى. ثم قد زالت من أيديهم وزال ملكهم عنها. إذ قد ثبت بهذه النصوص أن لفظ «الدهر» لا يقتضى التأيد فى سكنى روح الله فى البشر، ولا فى ملك الأرض ولا فى لباس هارون الثياب، وضربه بالقرون للرحيل، بل لدهر مخصوص فى علم الله؛ فكذلك لفظ «الدهر» فى تحريم السبت. وهذا هو أقوى ماتمسك به اليهود فى تأييد تحريم السبت. ولا جواب لهم عما ألزمنهم من نصوص توراتهم.

وأما احتجاجهم بمسخ من مسخ من أسلافهم قرده وخنازير: فذلك لتعديهم فى السبت قبل نسخه. إذ كانوا مكلفين فى ترك الأعمال فيه. فلما دلسوا على الله وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه مع بقاء حرمة؛ عاقبهم بالسخ. فلما بعث الله نبيه المسيح ابن مريم عليه السلام نسخ السبت<sup>(٢)</sup>، وأباح الأعمال فيه، وغير كثيرا من الأحكام، وآمن طوائف من اليهود بالمسيح عليه السلام وتركوا السبت؛ فلن يُنسبوا بعد إلى عدوان ولم يسخوا.

فقد ثبت جواز النسخ عقلا، ودلنا على وقوعه شرعا، وانقطعت معاذير اليهود والله ربنا المحمود.

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: «أن روح الله قبل خلقه العالم كانت ترفرف على المياه» انظر - عفاك الله - إلى سوء هذا التعبير وسماجته. كأنهم يعتقدون أن حياة البارئ تُزايه

نسلك {تكوين ٢١: ١٢ - ١٣} أيضا ١٧: ١٨ و ٥ - ٨ .

(١) الخروج ٢٥ ومعنى لبس هارون الثياب إلى الدهر: هو إلى انتهاء زمان شريعة موسى. ومجيء النبي المائل له. وهو محمد ﷺ .

(٢) عدد ١٠: ٨ - ٨ .

وتفارق ذاته. فلإن قالوا: إنما عنيما أن المياه كانت مصنونة بحفظه عن الضياع. قلنا لهم: فليس للمياه اختصاص بذلك؛ فهلا قلت: وصان الله المياه وحفظها كى لاتضيع؟ ولم استعملتم هذا اللفظ الموهم الموجب للالتباس، القاضى بالفكر الرديء والوسواس؟

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الله تعالى حين أكمل خلقه العالم قال: «تعالوا حتى نخلق بشرا شبهنا ومثالنا. فخلق آدم»<sup>(١)</sup> فلذلك اعتقد كثير من اليهود التجسيم. فقال: إن الله فى صورة آدمي، وأنه شيخ أبيض الرأس واللحية، وإنه جالس على كرسى والملائكة قيام بين يديه والكتب تُقرأ بحضرته. والويل لليهود. من أين لله شبه ومثال؟ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن البارى لما خلق الخلق فى ستة أيام؛ استراح فى اليوم السابع<sup>(٢)</sup>. واعتقدوا بغلظ أفهامهم: أن البارى يعتوره التعب والنصب. وربما نقل عن بعض اليهود أن البارى فى اليوم السابع استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى. وهذه الزيادة لم أفق عليها فى نسخ التوراة، غير أنها قد نُقلت عن بعضهم. ولست أبعد من عقولهم اعتقادها، والبوح بها.

(١) المؤلف يعتقد أن المسيح ابن مريم عليه السلام قد أتى بشرىة مغايرة لشريعة التوراة. وهذا خطأ. وذلك لأن المسيح ما نسخ أحكام التوراة، وإنما كان مصدقا لها، ومبشرا بمحمد ﷺ. وما حلّه المسيح لليهود؛ هو ما كان علماء اليهود قد حرموه عليهم من تلقاء أنفسهم، وفى نهاية حياته على الأرض قال لأتباعه: «على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه» فقد أوصى بالحفظ وبالفعل.

(٢) تكوين ١: ٢٦ وفى الأحاديث النبوية: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن. والغرض: هو تقريب الله ذاته إلى عقول البشر؛ لا أنه جسما.

وفى سفر دانيال: أن دانيال رأى الله فى رؤيا. ولم يره فى اليقظة. ذلك قوله: «كنت أرى فى رؤى الليل... الخ» {دانيال ٧: ١٣ - ١٤}.

**فضيحة أخرى:**

زعم اليهود: أن الله تعالى قال لأدم وحواء: «إنكما في اليوم الذي تأكلان فيه من الشجرة التي نهيتكما عنها تموتان موتاً»<sup>(١)</sup>، وذلك من الكذب الفاحش على الله. فإن التوراة تشهد أنهما عاشا بعد الأكل دهرا حتى رزقا الأولاد، ورأيا فيهم البر والفاجر.

واليهود تزعم: أن الجنة لا أكل فيها ولا شراب. وهذا الموضع يكذبهم، وقد قررت ذلك في مسألة مفردة أثبت فيها اشتغال الجنة على أصناف من الملاذ من الأكل والشراب والنكاح.

**فضيحة أخرى:**

زعم اليهود أن نمروود<sup>(٢)</sup> لما بنى الصرح وشيّدته؛ نزل الباري إلى الأرض حتى هدمه وحال بين نمروود وبين ما أراد من ذلك. واليهود كثيرا ما يُطلقون في توراتهم نزول الباري. فكأنما يعجزون الله تعالى عن القدرة على ما أراد حتى يصفونه بالحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال. وذلك كله من صفات المحدثين، ويتعالى عن ذلك رب العالمين. أين هذا من ألفاظ الكتاب العزيز حيث يقول: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ ؟

**فضيحة أخرى:**

زعم اليهود: أن إبراهيم<sup>(٣)</sup> حين مرّت به الملائكة لهلاك سدوم وعامورا مدائن لوط عليه السلام أضافهم وأطعمهم خبزا ولحما وسقاهم سمننا ولبنا. ولما باتوا عند لوط؛ عشّاهم فطيرا، وذلك جهل عظيم. إذ اعتقدوا أن الملائكة شأنهم شأن آدميين يتناولون ما يتناوله الآدميون من الأغذية. وتلك أجسام روحانية إنما غذاؤها وقوت أرواحها جنس آخر روحاني لا يعرفه اليهود.

(١) تكوين ٢: ١٠ + .

(٢) تكوين ٢: ١٧ والغرض من الموت: موت الخطيئة مجازا لان العمل بالشرعية حياة. والمعصية موت.

(٣) تكوين ١١ .

وقد قال أهل الكتاب: إن المؤمنين في الجنان لا يأكلون ولا يشربون، بل يكون حالهم عند الله كحال الملائكة. فكيف ناقضوا ههنا فزعموا: أن الملائكة أكلت الطعام وشربت الشراب؟ وبهذا التحريف وشبهه تعلم: أن أهل الكتاب ليس بأيديهم من كتب أنبيائهم إلا الرسوم. وقد قال الكتاب العزيز: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ وذلك كناية عن عدم الأكل ويشبه أن يكون الملائكة وضعوا أيديهم على الطعام، وتقدموا به إلى الفقراء وأبناء السبيل.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود - أبعدهم الله - أن نبي الله لوطا لما تقدم الله إليه بالخروج من تلك القرية الظالمة؛ لم يُسارع إلى الخروج<sup>(١)</sup> وتباطأ في الامتثال. حتى جعل الملائكة يدفعون في ظهره دفعا عنيفا حتى أخرجه كرها. والأنبياء محاشون عن عوارض الشكوك فيما يأمر به الله - سبحانه - أعوذ بالله من القدح في عصم الأنبياء، والتشبه بأمثال اليهود الأغبياء.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود أن نبي الله إبراهيم حين حضرته الوفاة، وأشرف على القдом على الله تعالى، ورث ماله كله إسحق ولده، وحرّم باقى أولاده<sup>(٣)</sup>. فنسبوه - وهو خليل الله - إلى جهل وحيف، يتزّه عنه جهال الصبيان. وقد قال خاتم

(١) تكوين ١٨ .

(٢) تكوين ١٩ وفيه «ولما تواني؛ أمسك الرجلان بيده... إلخ» .

(٣) إن إبراهيم عليه السلام أعطى لأولاده عطايا. وأعطى إسحق كل ما كان له ذلك قوله: «وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له. وأما بنو السراري اللواتي كن لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرّفهم عن إسحق ابنه شرفا إلى أرض المشرق وهو بعد حي» [تلك ٢٥: ٥ - ٦] وهذا لا يدل على أنه ورث إسحق فقط. لقوله: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» فإسماعيل وارث. وإسماعيل هو وحيد إبراهيم ووحيد سارة ووحيد هاجر. ولا يمكن إخراجه من الإرث بحسب شريعتهم [تلك ١٦: ٢ +] أو غرض الكاتب أن يقول: إن إبراهيم فرق أولاده على أماكن من الأرض، وأعطاهم عطايا. وجعل إسحق في مدينة الخليل التي كان مالكا عليها ومقيما فيها. وأعطاه إبراهيم ما كان يخصه هو فيها. من دار الملك ودار الأسلحة وأماكن الجند، وأماكن حفظ القوات. وما شابه ذلك. لأن إسحق هو الذي سيتولى الملك من بعد أبيه في مكانه.



التبيين: «إننا معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة» (١).

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن نبي الله يعقوب احتال على أبيه وقد كذب عليه قولا وفعلا وأوهمه أنه العيص (٢) ولده إذ كان إسحق يحب العيص أكثر من يعقوب، وأنه لبس حلة أخيه العيص، وجعل على ذراعيه وعنقه جلد ماعز، حتى ذهب بدعوته إسحق التي أدخرها للعيص. فتمت حيلته على أبيه، ونجحت مكيدته، وأن إسحق لما عرف حقيقة الحال تعجب من ذلك. وقال: ليت شعري من هذا الذي ذهب بدعوتي (٣).  
والأنبياء وأولادهم متزهون عن الكذب والتدليس وسائر الكبائر، وعن كل ما يجر إليهم حرجا، أو يقتضى قدحا. والعجب أن اليهود يظنون أن هذه حيلة على إسحق وهي في الحقيقة على الله - عز وجل - .

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الذبيح هو إسحق وليس هو إسماعيل. فأكذبهم التواتر، وسخر منهم البادى والحاضر. وذلك أن التواتر يشهد بأن الذبيح والنحر إنما هو بني. وهي موطن إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ولم تزل قرون الكباش - كباش إسماعيل - معلقة في جوف الكعبة إلى أيام ابن الزبير. فاحترقت في فتنة الحجّاج بن يوسف.

والدليل على أن الذبيح إسماعيل، وأن القصة كانت قبل أن يولد إسحق: قول التوراة: إن إبراهيم لما أهوى بالسكين إلى نحر ولده ناداه الملك: «إبراهيم إبراهيم. قد علمت أنك تخشى الله حيث لم تمنعه ابنك وحيدك» (٤) وهذا من أدل

(١) الأنبياء بشر. ولا وجه ههنا للتمييز عن سائر البشر. بدليل: أن فاطمة رضى الله عنها طلبت ميراثها في أبيها. ولو كانت تعلم وجها للتمييز؛ ما طلبت. وقد ورث سليمان أباه داود. وهما من الأنبياء.

(٢) العيص = عيسو .

(٣) تكوين ٢٧ .

(٤) تكوين ٢٢: ١٠ - ١٢ .

الدليل على أنه إسماعيل. فإن قالوا: فقد نصت التوراة على أنه إسحق. قلنا: ذلك من تحريفكم. والدليل على كذبكم: قوله «ابنك وحيدك» فلو قلنا: إنه إسحق؛ لكان قوله «وحيدك» باطلا. وكيف يكون إسحق واحده وابنه إسماعيل أكبر منه<sup>(١)</sup>؟ فليس واحده سوى إسماعيل. وقد نقلنا التواتر. ومن خالف التواتر؛ فهو مخصوم به.

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الله تعالى لما رأى معاصى بنى آدم قد كثرت على الأرض. قال: لقد ندمتُ إذ خلقت آدم. فأرسل ماء الطوفان، وأباد ما على الأرض من الحيوان. وزعموا: أنه لما فعل ذلك؛ ندم أيضا. وقال: لا أعود أفعل ذلك. وذلك مذکور فى سفر الخليفة<sup>(٢)</sup> من توراتهم. فقبح الله هذه الأحلام، التى تترفع عن أمثالها الأنعام. وهل خفى عن علام الغيوب ما سيقترفه العباد، ويجرى فى مستقبل الزمان من الصلاح أو الفساد؟ وإنما يتصور الندم والأسف من الجاهل بعواقب الأمور. والبارى تعالى عالم بالخفيات محيط بجزئيات ما فات، وما هو آت.

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن الذى وسوس لأدم وحواء حتى أكلتا من الشجرة ليس هو إبليس، وإنما هى الحية. قالوا: وكانت أحكم الدواب. فأما إبليس فلا يعتقدون بوجوده، وليس له فى توراتهم ذكر البتة<sup>(٣)</sup>. والله تعالى يقول: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾. والنصارى وهم أفخاذ منهم يخالفونهم فى ذلك ويشبثونه ويعتقدون وجوده. وذكره فى الأناجيل كثير.

(١) فى إنجيل برنابا أن إسماعيل أكبر من إسحق بسبع سنين وفى التوراة بأربع عشرة سنة.

(٢) تكوين ٦ .

(٣) فى الزمور ١٠٩: «فأقم أنت عليه شريرا، وليقف شيطان عن يمينه» .

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود أن نوحا عليه السلام نام فى خيمته فكشف الريح عورته؛ فضحك منه ابنه حام. فدعا عليه وعلى عقبه<sup>(١)</sup>. وذلك من ترّهات العوام وخرافات العجائز. فجعله اليهود قرآنا يتلى فى المحارِب.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود - أخزاهم الله - أن نبي الله لوط لما انجّاه الله من عذاب سدوم؛ سكن كهف جبل ومعه ابنتاه اللتان سلمتا من أهله، فلما استقر بهم الحال قالت إحداهما للأخرى: هلمى نسقى أبانا الخمر حتى إذا سكر ضاجعناه وأقمنا من أبينا نسلا. وأنهما فعلتا ذلك فوطئهما لوط، فحملتا منه بولدين وهما مؤاب وعمّون.

أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن يتلى الله من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم؟ فأيّ فائدة فى نشر هذه الفاحشة وتخليدها الكتب ليقرع بها الأنبياء قرنا بعد قرن وحقبا بعد حقبا؟ الصلوات أكرم من ذلك.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود أن رؤييل بكر يعقوب من ولده، زنى بسرية أبيه يعقوب وافترشها، وأن أباه يعقوب لما حضر أجله ودنت وفاته؛ قرّع رؤييل ابنه بذلك وعيّره بين إخوته وقال له: يا رؤييل حقا لقد نجست فراشى وامتهنته؛ فلذلك لست أعطيك السهم الزائد<sup>(٢)</sup> قالوا: وكان من سنة إبراهيم أن يرث الولد البكر سهمين

(١) تكوين ٩ .

(٢) معنى أنه لم يعطه السهم الزائد. هو أن التوراة معاد كتابتها بعد موسى. لأن أخذ البكر سهمين مذكور فى التوراة، ومن قبلها لم يكن مذكورا. والزنا محرم فى شريعة موسى. ومن قبلها لم تكن إلا

من الميراث، وغيره يرث سهما واحدا.

فأى فائدة وأى حكمة فى نقل هذه الفاحشة؛ يُعَيَّر بها سبط عظيم من الأسباط؟ ومآثر الآباء مفاخر الأبناء، وههنا حرف يتبين به كذب اليهود فى توريث إبراهيم لإسحق ماله كله وحرمان إسماعيل وهو أن سنَّة إبراهيم توريث البكر من الأولاد سهمين، فكيف حرموه الميراث؟ هل ذلك من اليهود إلا غفلة وجهالة بما فى أيديهم من كتب الله؟!

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود أن يهوذا بن يعقوب<sup>(١)</sup> زنى بكنته ثامار ورهنها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه واشتهرت قصته وقصتها فى بنى إسرائيل، وصارا بذلك شهرة. هذا مع حظوته عند أبيه، ودعائه له بتخليد الملك والنبوة فى عقبه حتى يأتى محمد رسول الله ﷺ فأى فخر فى ذلك؟ وأى فضل يودعه التوراة ويعظموه تعظيم الوحي والتنزيل جيلا بعد جيل؟

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود<sup>(٢)</sup> أن دينا ابنة يعقوب خرجت وهى عذراء فرآها مشرك من عبدة الأوثان وهو سحيم بن حمور رئيس القرية. فوقع عليها وافترعها وأزال

شريعة نوح التى تحرم القتل ظلما. [تكوين ٩] راجع فى زنا راوبين: تكوين ٣٥: ٢٢ وفى السهم الزائد: تثنية ٢١: ١٧ .

(١) قوله زنى يدل على أن التوراة مكتوبة من بعد موسى بزمان طويل.

(٢) الغرض من وضع اليهود لقصة دينا فى التوراة: هو أن اليهود كانوا مكلفين من الله بفتح بلاد الوثنيين لنشر التوراة فيها، والملك على أهلها؛ لغرض عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. وقد استقر رأى اليهود وهم فى سبى بابل على عدم الجهاد فى سبيل الله. وقالوا: ليس علينا فى الامين سبيل. ويقول الكاتب: لو فرض أننا رأينا مدينة فيها خيرات عظيمة. فكيف نأخذ خيراتها؟ يقول: نحتال على أهلها بأننا هداة مهتدين، ونفتق أهلنا بأن يحاربوها تحت ستار الدين. فإذا فعلنا ذلك ودخلنا فاتحين؛ لانهدبهم ولا نعلمهم

بكارتها وأنزل العار بأبيها نبي الله يعقوب، وأن حمور أباه جاء إلى بنى يعقوب وتنصل وآمن والتزم أحكامهم، هو وجميع أهل القرية. وأن بنى يعقوب قالوا لأهل القرية: «إن أحببتم الاستئناس بالدخول في ديننا؛ فاختنوا؛ لنصير شعبا واحدا» ومكروا بهم واحتالوا عليهم. فلما اختن كل من في القرية؛ دخلوا عليهم فوجا فوجا وهم بالسلاح، وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وانتهبوا أموالهم وحريمهم، وأن يعقوب لما انتهت إليه القصة قال لبنيه: «أنا رجل قليل العدد، الساعة يميل عليّ أهل هذه القرى والشعوب فيبيدوا حضرائي» وأنه اتخذ الليل جملا؛ فأصبح ولا أثر له بتلك البلاد.

فحكّموا على أولاد نبي الله يعقوب بأنهم قتلوا المؤمنين، وأبادوا الموحدّين، وانتهبوا الأموال الحرام. ونحن نورّك على اليهود في نقل هذه الأحاديث عن الأنبياء وأولاد الأنبياء.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود <sup>(١)</sup>: أن يعقوب عند منصرفه من حران طالبا بلاده؛ تصارع مع الملّك؛ فغلبه يعقوب، وتألّم ورّك يعقوب حين دنا منه الملك، وأن الملك بقى في يد يعقوب مقهورا حتى قال له: «دعنى وأباركك» فلهذا لا يأكل اليهود عرق الفخذ. وربما قال بعض جهال اليهود: إن الذى صارعه يعقوب هو الله - تعالى الله عن جهلهم علوا كبيرا وأستغفره من حكاية أقوالهم - .

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود: أن الله تعالى نزل إلى الجنة، ومشى فيها حين كلم آدم، وأنه تعالى نزل إلى الأرض حتى أنقذ بنى إسرائيل من سحرة فرعون، وأنه نزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق <sup>(١)</sup> وأنه نزل عندما كلم إبراهيم وبشره

«وإنما نقلتهم وناخذ الخيرات العظيمة ونقيم فيها. انظر إلى القصة وهى فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين. ونجد فيها: «إن صرتم مثلنا نجنتكم كل ذكر نعطيكم بناتنا وناخذ لنا بناتكم، ونسكن معكم، ونصير شعبا واحدا» ونجد فيها: «ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة».

(١) فى التوراة السامرية وفى سفر هوشع أن المصارع ملك من الملائكة [تكوين ٢٢] .

بالولد، وأنه نزل حتى لبليل ألسن نمرد وقومه ومن معهم من بناء الصرح. وكل ذلك جهل منهم بأن البارى يتقدس عن الحركات والتنقل فى الجهات، فظنوا: أن سماع آدم ونوح وإبراهيم وموسى كلام البارى من الجنة وشجرة العليق؛ يقتضى الحلول، أو يُوجب على البارى الصعود أو النزول.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود: أن هارون ومريم أخته وقعا فى موسى وتناولاه، وجرى بينهم شرّ وتحاسد، وأن مريم عابت على موسى نكاحه امرأة سوداء. وأنهما قالوا له: «أتظن أن الله تعالى إنما كلّمك وحدك؟ كلمنا نحن أيضا». قال اليهود: «فنزّل الله تعالى إلى قبة الزّمان، ودعا هارون ومريم وتوعدهما، وبرّص مريم فصارت برصاء من ساعتها» (٢).

وكذب اليهود هذا مالا يتلى به أمثال هؤلاء الأعلام، إذ الحسد مراغمة لمقدور الله. وهو كبيرة لا تجوز على الأنبياء. وهارون نبي ثابت العصمة، مريم لا خلاف بين أهل الكتاب فى نبوتها. فصدور الكباثر منهم تخرم الثقة بهم والطمأنينة إليهم. فلعن الله اليهود. ما أكثر ما يتناولون أنبياء الله قتلا وقذفا.

### فضيحة أخرى؛

زعم اليهود: أن أسلافهم الذين شاهدوا الآيات مع موسى عندما خرجوا من البحر. قال لهم موسى: «ادخلوا الأرض المقدسة التى وعدكم الله بها على لسان أبيكم إبراهيم» وأنهم أبوا عليه وخالفوا أمره (٣). قال الله عز وجل حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ وقال بعضهم لبعض: هلم فلنؤل علينا ولأه، ويؤمر كل سبط رجلا عليه، وندع موسى ونرجع إلى مصر. فقد كان الموت بين يدي فرعون خيرا

(١) راجع: تكوين ٣ وتكوين ١٨ وتكوين ١١ وخروج ٣١٤ ويقول علماء اليهود فى نزول الله: إن الله يكلم

الناس عن نفسه على قدر عقولهم ليقدروا على تصور ذاته.

(٢) العدد ١٢ .

(٣) العدد ١٣ + .

لنا من الدخول إلى الأرض التي وعدنا بها. وهذا مع ما شاهدوا من الآيات، وعانوا من العبر والمعجزات. فإن صدقوا في نقلهم؛ فبئس السلف سلفهم. وإن كذبوا عليهم؛ فبئس الخلف خلفهم.

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى حين أراد قتل أبقار فرعون وجنوده قال لموسى: «مُرْ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَذْبَحُوا حَمَلًا وَيَنْضَحُونَ مِنْ دَمِهِ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ، حَتَّى إِذَا جُزَّتْ اللَّيْلَةُ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَرَأَيْتَ الدَّمَ؛ عَرَفْتُ أَبْوَابَكُمْ مِنْ أَبْوَابِ الْمِصْرِيِّينَ؛ كَيْلَا أَهْلِكُكُمْ مَعَهُمْ»<sup>(١)</sup>. كأنهم يعتقدون أن البارئ تعالى لا يرى إلا بامارة، ولا يعلم إلا بإشارة ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟

فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن موسى عليه السلام لما جاء لميقات ربه، واستخلف هارون على قومه، وأمره بإصلاح أحوالهم، ونهاه عن اتباع سبيل من أفسد منهم؛ خالف موسى في ذلك واتخذ لهم عجلا وأمرهم بعبادته<sup>(٢)</sup>. وذلك مردود عليهم بما حكاه دانيال نبي الله في نبوته إذ قال: إن الذي صنع العجل لبني إسرائيل حتى عبده؛ هو ميخا السامري<sup>(٣)</sup>، وكان أباه يعبدون البقر؛ فاستتابه موسى، ونفاه إلى الشام.

فالسامرة بالشام أكثر منهم بغيرها. وذلك موافق للكتاب العزيز حيث يقول:

(١) خروج ١٢ .

(٢) خروج ٣٢ .

(٣) اعلم: أن السامري ليس اسما لرجل. وإنما هو لقب يضعه اليهود العبرانيون على أي رجل يضل الناس أو على أية امرأة تضل الناس. وذلك لأن السامريين في اعتقادهم كفار، ولا يعاملونهم معاملة حسنة. وقد أطلقوا على المسيح عيسى عليه السلام لقب «سامري» بمعنى المضل للناس. فقله تعالى ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ معناه: ما شأنك أيها المضل للناس بتقديمك العجل لهم ليعبده مكان الله. ففي إنجيل يوحنا: «لأن اليهود لا يعاملون السامريين» [يو ٤: ٩] «فأجاب اليهود وقالوا له: ألسنا نقول حسنا: إنك سامري وبك شيطان؟ أجاب يسوع: أنا ليس بى شيطان. لكنى أكرم أبى وأنتم تهينونى» [يو ٨: ٤٨ - ٤٩].

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ .

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ وإلا فكيف يحسن بهرون نبي الله وخليفة موسى وصفيه؛ أن يتدبه موسى للإصلاح فيدعو إلى الكفر الصراح؟

### فضيحة أخرى:

عبدت اليهود الكواكب والأصنام، وقربوا لها القرابين وعاقروا الزنا. وموسى بين أظهرهم حي. فبينما هم مجتمعون إذ هجم زمرى رجل من قبيلة شمعون على بغى من البغايا يقال لها كسى ابنة صور؛ ففجر بها بحضرة الجمع. فضربهم الله بموت الفجأة. فقتل منهم فى يوم واحد أربعة وعشرين ألفا. كما شهد بذلك الأصحاح الثامن عشر من السفر الرابع من توراتهم (١) .

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن موسى عند خروجه ببنى إسرائيل من مصر قال لهم: «استعبروا حليّ المصريين؛ عارية» فلما فعلوا واستعاروا حلى المصريين وثيابهم؛ أمرهم موسى أن يهربوا بها ويغصبوها. وقال: «هذه أجرة سُخرتكم» فلبسوها وذهبوا ليلا (٢) .

ومعلوم: أنهم لا أجرة لهم على الأيتام والأرامل والمستضعفين من أهل مصر، بل على فرعون وذويه الذين استوفوا منافعهم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ﴿وقد هاجر رسول الله ﷺ من بين المشركين كما فعل موسى، غير أنه ترك من أهل بيته من أدّى الودائع إلى أربابها، ولم يخلّ بأمانته ﷺ﴾ .

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى فى التوراة أمرهم بالربا من الأمم وأباحه

(١) العدد ٢٥ .

(٢) الخروج ١١ .



لهم . فلذلك استحلوه . وقالوا : «لم يحرم علينا إلا فيما بيننا فقط» <sup>(١)</sup> وقد أخبر الكتاب العزيز عنهم بذلك فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله - تعالى - أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها . فبنوها له على النعت الذي طلبه . قالوا: فكان موسى إذا أراد الرحيل قال: «انهض إلينا يا رب لنكتبَ شأنك» قالوا: فكان الباري - جل اسمه - يظعن بظعنهم، ويقيم بإقامتهم وزعموا: أن الله تعالى أبى مرة أن يسير معهم . وقال: «اطعنوا أتم؛ فيأني لا أظعن أنا، بل أنا أبعث معكم ملكا يغفر ذنوبكم» <sup>(٢)</sup> .

وهذه الأقاويل تؤذن باستخفافهم بالله - عز وجل - .

### فضيحة أخرى:

زعم اليهود: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «إن بنى إسرائيل تُستعبد بأرض مصر أربعمئة سنة» <sup>(٣)</sup> وقد تضمنت توراتهم ذلك . ولا خلاف عند متأخريهم ومتقدميهم: أن بنى إسرائيل لم تُستعبد بمصر سوى مائتى سنة وخمس عشرة سنة .

ذكر ذلك محرور بن قسطنطين المنبجي . أسقف منبج . وذلك خُلف عظيم .  
إخبار الله تعالى بما يؤول أمر اليهود إليه من الكفر والعناد وسلوك سبل الضلال والفساد:

ذكرت التوراة فى أواخر السفر الخامس منها: أن الله تعالى قال لموسى: «أنت ميت ومنتقل إلى آبائك، وأن هذا الشعب - يعنى بنى إسرائيل - سيضلّ ويتبع آلهة أخرى من آلهة الشعوب التى تُعبد من دوني، ويخالفني، ويترك عهدى الذى

(١) تنية ٢٣: ١٩ - ٢٠ .

(٢) العدد ١٠ والخروج ٣٣ .

(٣) تكوين ١٥: ١٣ أعمال كا: ٦ وقال بولس: «أربعمئة وثلاثين سنة» (غلاطية ٣: ١٧) .

عهدتُ؛ فيشتدُّ غضبي عليهم، وأخذلهم وأدير وجهي عنهم، وأجعلهم مأكلا لأعدائهم وأنزل بهم شرا شديدا وغما طويلا» (١).

قال المؤلف: قد أخبر الله تعالى عنهم بذلك. فجاء الأمر كما أخبر - سبحانه - فكفروا وضلوا وعبدوا الأوثان والأصنام وقربوا القرايين للزهرة ونجوم السماء ونحروا لها النحور. فلما بعث الله إليهم إرمياء النبي - عليه السلام - قام فيهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم. وقال: «يا بني إسرائيل لِمَ تعملون هذا الشر، وتلتون عن طاعة الله، وتهلكون الرجال والنساء من آل إسرائيل، ولا تبقوا لكم بقية عند الله تعالى؟ بخترتم للنجوم والأوثان في أرض مصر وغيرها، حتى أراد أن يهلككم ربكم ويصيركم عارا بين الشعوب» فلما فرغ إرمياء من موعظته. أجابوه وقالوا: «أما ما قلت لنا عن الرب؛ فلا نقبله. ولكننا نفعل ما أحببنا وحسن في أعيننا. وننحر ونبخر لنجوم السماء، ونقرب القرايين للزهرة، كما يفعل آباؤنا وأشرفنا في قرى يهوذا. وكنا بخير، ولم نُعابِ الشر. والآن فمذ تركنا البخور للزهرة، وأهملنا القرايين لها؛ أعوزتنا الأشياء وجعنا».

ثم تصايح الشعب كله على إرمياء وقالوا: «نحن لاندع البخور لنجوم السماء والقرايين لها، بل نفعل كما فعل آباؤنا».

فقال إرمياء عليه السلام: «اجتمعوا يا معشر اليهود، اسمعوا أقوال الرب إله إسرائيل. قال الرب. قد أقسمت باسمي العظيم أنه لا يذكر اسمي في جميع أفواه اليهود الذين بأرض مصر؛ لأنى معجل لهم الشر، ومهلكهم بالجوع والموت، وسيعلمون أى القولين أصدق؟ قولى أم قولهم؟».

وكذلك أخبر صَفْتِيَا بن كوش النبي - عليه السلام - في نبوته قال صفتيا: «قال الرب: لأزِلن إسرائيل عن وجه الأرض زوالا، ولأبدين طير السماء وسمك البحور، ولأنزلن عذابي بالخطاة من بين إسرائيل، ولأصيرن أيامهم عبرة، ولأهلكنهم عن جديد الأرض، ولأرفعن يدي على يهوذا وسكان أورشليم، ولأهلكن كل من عبد بعلا الصنم، ولأعاقبن الذين يسجدون لنجوم السماء كما

فعلتُ بأبائهم الذين عبدوا الأصنام والنجوم والعجل» (١).

فالعجب من اليهود ينكرون إخبار الكتاب العزيز بعبادتهم عزيراً. وهذه توراتهم ونبوات أنبيائهم تشهد عليهم بما هو أخبث من ذلك. وقد أخبر إلياس النبي في كتابه. وهو يشكو بنى إسرائيل إلى الله تعالى: «فقال: يا رب إن بنى إسرائيل قد كفروا وضلّوا، فقتلوا أنبياءك، وهدموا مذابحك، وهامهم يريدون قتلي» (٢).

فقد تضافرت شهادات أنبيائهم بالكفر والضلال وعبادة غير الله تعالى.

شهادة موسى عليه السلام على خيار أسلاف اليهود بالكفر والفسق، وارتكاب محارم الله، واستحقاقهم الخزي واللعن في الدنيا والعذاب في الآخرة: لما قربت وفاة موسى - عليه السلام - قال لمن حضره من اليهود: (٣) «قد عرفت جفاكم وقسوة قلوبكم وما تصيرون إليه، وكيف لا تكونون كذلك، وقد أغضبتم الله وأنا حيّ بين أظهركم. فمن بعد موتى أحرى أن تفعلوا ذلك» ثم قال عليه السلام: «أخطأ أولاد الأنجاس. الجيل المعوج المتقلب الجاهل الذى ليس بحكيم، الناسى ما صنع الله إلى من الإحسان وأراه من العجائب. شرب الخمر وملاً بطنه فتبطن وغلظ وشحم ونسى الإله العظيم الذى خلقه وبعده من الله

(١) نص إرميا في الأصحاح الرابع والأربعين «لماذا أنتم فاعلون شراً عظيماً؟... إلى أن قال: «فينخر للملكة السموات، ونسكب لها سكائب... الخ. وهذا يدل على أن اليهود عبدوا الأصنام، ونسبوا عبادتها إلى العرب بنى إسماعيل. وهم من عبادتها برآء. فإن السله قد استجاب دعاء إبراهيم فى نسل إسماعيل أن يجنبهم عبادة الأصنام. ولم يكن له وقت الدعوة ولد غيره. واستجاب دعاءه فى أن يرسل منهم رسولا هو محمد ﷺ. وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام، ولم يذكر فى القرآن أن نسله نقضوا العهد. وقال الله فى القرآن: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وفى التوراة أن اليهود وأدوا أولادهم وبناتهم للأوثان فى المزمور السادس بعد المائة: وذبحوا بنينهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا. دم بنينهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنت الأرض بالدماء» ويقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ﴾ وفى سفر إشعيا أن اليهود عبدوهم. وقد بينا ذلك فى كتابنا «البداية والنهاية لامة بنى إسرائيل».

(٢) الملوك الأول ١٩.

(٣) هذا النص فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية. وهو نبوءة عن مجيء محمد ﷺ من العرب بنى إسماعيل. وأن الأمم ستفرح مع بنى إسماعيل بمجيئه، وأن الملائكة ستكون فى نصرته.

مخلصه» ثم قال: «قال الله: أسخطوني بأوثانهم، وأغضبوني بأصنامهم، وذبحوا للشياطين ولم يقربوا لإله إبراهيم، ولم يعرفه الجيل الجديد، ونسى عهده. يا إسرائيل تركت الإله الذى أشبعك، ونسيته وأسخطته، لأصرفن وجهى عنك، ولأظهرن ما يكون من عاقبتك؛ لأنك جيل خبيث. أولاد من آسفى بالهته، وأسخطنى بأوثانه؛ لأبتلينه بأمّة جاهلة ضالة بعيدة عن الحكمة. لا تعقل ولا تفهم.

يقول الرب: هذا كله عندي، ومحفوظ فى خزانتى إلى يوم النقمة. أجازيهم فى اليوم الذى تزلّ فيه أقدامهم؛ لأن يوم هلاكهم قريب، معدّ لهم. أنا الله الرب وليس غيري، أنا أميت وأحيى وأسقم وأبرىّ وليس هارب من يدي، أنا الذى أشحد سيفي، وتجري الأحكام بيدي، وأجازى الأعداء بالنقمة وأسكر نُبلى من الدم، ويأكل سيفى لحوم الجرحي. أين هى آلهتهم التى توكلوا عليها وأكلت قرايينهم؟ فلتقم الآن وتُغنى عنهم شيئاً. والرب سبحانه يرحم شعبه، وعلى الصالحين من عباده يترأف».

فقد أخبر الله تعالى عن اليهود بما أخبر، وشهد عليهم الصادق موسى بما شهد. وصدق الله ورسوله، وتعين علينا وعلى كافة عباد الله بغض اليهود ومقتهم وتكذيب أقوالهم ورد رواياتهم.

قال المؤلف - عفا الله عنه - : إنا لم نعتد فيما نقلناه على تعليقات علمائنا ومؤلفاتهم، حتى طالعنا توراة اليهود وأنجيل النصارى ومزامير داود ونبوات الأنبياء مرة بعد أخرى، ونقلنا كما رأينا واستنبطناه واستخرجناه مما وجدنا، فمنه ما نقلناه على نصه ومنه ما أوجزناه لركاكة نصّه. وإن ما نقلناه من فضائحهم؛ قليل من كثير ويسير من خطير.

والله الموفق.

## فضائح النصارى

اعلم: أن جميع ما ذكرناه من فضائح اليهود؛ لازم للنصارى أيضا؛ لأن كلتا الطائفتين تعتقد حرمة الكتب التى نقلنا منها وتعظمها جدا. وما النصارى إلا فخذ من اليهود، خلا الروم وقوم من المشرق؛ فإنهم ليسوا من بنى إسرائيل. والذى يخص النصارى من الفضائح دون اليهود:

فمن ذلك:

### فضيحة:

زعم كل النصارى: أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد امرأة عذراء وسكنت برحمتها تسعة أشهر، تغتذى بفاضل قوتها، ثم خرجت من فرجها إنسانا فتردد فى الأرض بين الناس، وناله ما ينال الأطفال من الآلام والإعلال، وتقلبت به الأحوال إلى أن بلغ مبالغ الرجال. فلما شرع يُشهر نفسه، ويظهر قدسه؛ توثبت عليه طائفة من عبيده، فكذبوا فمه، وسفكوا دمه. وقتلوه ظمأنا، وصلبوه عريانا.

فإذا قيل لهم: ما الذى أحوج الكلمة الأزلية، إلى تجشم هذه القضية الدنية؟ قالوا: إنما فعل ذلك؛ ليخلصنا من الجحيم، ويخصصنا بالنعيم المقيم. تبا لهم. أيزعمون: أن البارى أو صفته عجز عن خلاص عباده حتى اعتضد بناسوت اكتسبه من امرأة منهم؟ وما نراه أيضا قدر على خلاصهم وهو معافي، بل جاء بخلاصهم؛ فعطب، ورام سلامتهم؛ فقتل وصلب. هذا لعمرك هو التلاعب بالدين. أعوذ بالله من الضلال، واعتقاد الربوبية فى الرجال.

### فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن إلههم صُلب مع اللصوص ودفن فى المقابر بين الأموات، وقام فى اليوم الثالث إلى السماء، وجلس فيها. وذلك مما يأنف عن اعتقاده أهل الجنون وأرباب المجون. أسأل الله العافية.

### فضيحة أخرى:

زعم النصرارى: أن إبليس - لعنه الله - احتمل المسيح ورفع على جبل عال. وأراه الدنيا بأسرها. وقال: «هذا كله لى وأنا أعطيكه إن خررت لى ساجدا» وهذا ينقض قولهم: إن المسيح رب إبليس، ورب كل شيء، وإذا كان إبليس عبدا للمسيح، فكيف يسومه السجود له؟

### فضيحة أخرى:

روى النصرارى: أن جبريل قال لمريم: «إنك ستلدين ولدا تسميه أيشوع المسيح، يكون عظيما ويجلسه الرب على كرسي أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب».

ثم رووا عن بطرس أن المسيح وأصحابه كانوا يذلون الجزية لقيصر، أسوة بسائر المستضعفين. وذلك تناقض عجيب. والصحيح: ما أخبر به جبريل الأمين عن رب العالمين، وأما الرواية الثانية فيلزم من القول بصحتها تكذيب جبريل. ومن كان عدوا لجبريل الأمين، فهو عدو لله رب العالمين.

### فضيحة أخرى:

عند النصرارى ثلاثة آلهة قديمة أزلية، ورجل من بنى آدم. وعبروا عن ذلك بالأب والابن والروح القدس. وعيسى ابن مريم على ما تشهد به صلواتهم الثماني. وذلك باطل وكفر. والدليل عليه: قول التوراة والإنجيل: إن الله خالق واحد لا شريك له. وأنه الإله الحق الذى لا رب غيره ولا معبود سواه - على ما تقدم - فمن أشرك مع الله غيره؛ فقد كفر بالتوراة والإنجيل.

### فضيحة أخرى:

زعم النصرارى: أن المسيح خلق آدم وذريته وسائر الخلق أجمعين. فيقال لهم: فمريم من خلقها؟ فإن قالوا: ليست من خلقه؛ نقضوا مقالهم. وإن زعموا أنه خلقها. فيقال لهم: يا نوكا كيف تلد المسيح وهو خالقها؟ أم

كيف ترضعه وهو رازقها؟ أسمعتم يا معشر العقلاء نامراً ولدت خالقها وأرضعت ثديها رازقها؟

### فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن ربهم وإلههم أكل وشرب ومشى وركب وهُزِمَ وغُلِبَ وصلب وأكذبهم الإنجيل إذ يقول: إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد ولا رآه أحد قط إلا مات.

### فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن معبودهم حين ولدته أمه فى السَّفر؛ لفته فى الخرق وتركته فى مذود من مذاود البقر، إذ لم تجد موضعاً تجعله فيه تعالى الله رب الأرباب، أن تحويه معالف الدواب. بل لا تحويه الأقطار، ولا يحده المقدار. ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات.

### فضيحة أخرى:

من مشايخ النصارى رجل يقال له أفرام يُعظَّمونه جداً ويرون فيه. وهو الذى يقول: «إن الأيدى التى جبلت طينة آدم هى التى سُمِّرت على الصليب. وإن الشبر التى مسحت السموات هى التى علقت على الخشبة». وهذا الرجل قد جمع إلى الكفر؛ الجنون - والجنون فنون - ومن يعتقد فيه خير فهو أجهل وأكفر منه.

### فضيحة أخرى:

النصارى يعظمون غرغوريوس وهو القائل: «إن الذى لا يألم ولا يتجع صار متجعاً، وإن الذى لا يحس صار محسوساً، وإن الذى لا يحد صار محدوداً، وصار الخالق مخلوقاً وإن من لا يقول إن مريم ولدت الله؛ فهو بعيد عن ولاية الله».

قال المؤلف: وهذا خلاف قول النصارى. وذلك أن عندهم إنما كان خاصية الاتحاد وثمرته أن يقع الفيض الإلهى على الشكل الإنسانى فتكسبه شرفاً، فأما أن يقع الأمر بالعكس فيكتسب الإله خسة ونقيصة. فهذا مالا يقول به إلا جهلة القبط.

من النصرارى . فاما اذكيائهم فيأنفون من القول به .

### فضيحة أخرى على الطائفتين جميعا،

رووا عن توراتهم: أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه السلام: «إن ذريتك يُستعبدون بأرض مصر أربعمئة سنة» .

قال مؤرخهم: إن هذا القول لم يتم بل أخلف؛ لأن بنى إسرائيل لم يَكثوا بمصر أكثر من مائتين وثلاثين سنة، وقال المنبجى أسقف منبج: مائتى سنة وخمس عشرة سنة لا غير . - كما تقدم فى حاشية وعد خليله إبراهيم - على أنا لو أضفنا لهم إلى إقامتهم بمصر سنى التيه . وهى الأربعون لم يكمل لهم العدد . والله تعالى محاشى عن وقوع الخُلف فى خبره، بل قوله الحق ووعد الصديق . سبحانه وتعالى عما يشركون .

### فضيحة أخرى؛

النصارى إذا تقربوا فى الكنيس الذى لهم فأكلوا الخبز وشربوا الخمر قالوا: قد أكلنا جسد الرب وشربنا دمه . ورووا عن المسيح أنه أعطاهم خبزا وقال: «هذا دمي فاشربوه» .

وهذا لعمرك إلى أن يعدّ جناية موجبة للعقاب، أقرب من تسميته قربة مستدعية للثواب . فليت شعرى أى شيء أبقوا لليهود ولم يبلغوا منه من النكاية إلى هذه الغاية . بل قالوا: إنهم اقتصروا على قتله وصلبه . فاما النصرارى فكانهم لم يرضوا له بهذا القدر حتى ترقوا إلى تمزيق لحمه وشرب دمه . وهذا لم يُسمع به إلا من العدو المشاحن، وأرباب الأحقاد والضغائن .

قال المؤلف: صرح لى بهذا الحرف بعض النصرارى، وكان معنا فى المجلس رجل من عقلائهم . فقطع عليه الكلام وانتهره حتى فهم القصة من حضر ذلك المجلس . فأى فائدة وأى فضل وفخر فى دعوى هذا المحال على عبد الله المسيح وجعله قرآناً يتلى؟! ولقباحة هذه الأقوال وسماحتها وبعدها من كلام الأنبياء؛ صار كثير من النصرارى يُسلم من غير أن يطلع على محاسن دين الإسلام، ونظافته



من هذا الهديان. بل تبرما وتطيرا من قباحة ما عليه النصارى لا غير.

### فضيحة أخرى:

ترك طوائف من النصارى الاختتان وحرموه ورأوا أنه معصية، وأن إطالة القلف دين يُدان الله به وشرع لا يسع المكلف خلافه. فيجامع أحدهم امرأته وجلدة قلفته مستطيلة والأخرى عضوها بارز نابت كأنه عرف ديك فيكونان أقيح شيء وأسمجه.

وراعموا التوراة والإنجيل وسائر النبيين.

أما التوراة: فنصت أن إبراهيم الخليل أمره الله بالختان. فقال له: «هذه عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك أن يختنوا غرلة كل ذكر منكم ومن عبدانكم ليكون عهدي ميسما في أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد، وكل ذكر لا يختن غرلته، فلتهلك تلك النفس من شعبها؛ لأنها أبطلت عهدي. فعمد إبراهيم فاختن وهو إذ ذاك شيخ كبير وختن أولاده وعبدانه»<sup>(١)</sup>. فإذا كان هذا نص التوراة، أنه واجب إلى الأبد وأن تاركه يقتل؛ فقد وضع كفر من خالفه من النصارى، وغيرهم. وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان.

وأما الإنجيل فقد اختتن المسيح وتلاميذه<sup>(٢)</sup>. والعجب من النصارى. منهم من يجبّ مذكيره ويخصى نفسه. وآخرون يحلقون لحاهم. ولم يأت ذلك في شرع ولا نزل به كتاب، ويتركون الختان. ولم يزل النصارى يختنون بعد رفع المسيح. إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم فولس بعد المسيح بمدة متطاولة. فقال لهم: «إن الختان ليس بشيء وإن الغرلة ليس بشيء» وما أعلم على النصارى أشأم من هذا الرجل - أعنى فولس - فإنه حلهم من الدين بلطيف خدعه. فحلهم من

(١) النص في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين باختصار.

(٢) إن الله لما أمر إبراهيم بالجهاد في سبيله، جعل للجهاد علامة. وهى الختان. وذلك لأن المقتول في الحرب من المسلمين، يتميز بالختان. فلما انفصل المسيحيون عن اليهود، وأبطلوا الجهاد في سبيل الله، لم يعد للختان من فائدة، فلذلك ألغوه، ووضعوا المعمودية مكانه. وفي الشريعة الإسلامية لم ينص الله تعالى على الختان في القرآن. وذلك لأن المسلمين إذا خرجوا للحرب. فإنهم قد يحاربون اليهود. واليهود مختنون فلا يحصل التمييز. وهذا هو السبب في عدم النص عليه في الشريعة الإسلامية.

سنّة الختان، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يُلقى إليها.

### فضيحة أخرى:

للنصارى كنيسة ببعض البلاد يحجّون إليها ويعظمونها. ويزعمون: أن يد الله تخرج إليهم من وراء ستر منها؛ فتصافحهم. وذلك فى يوم من السنة. فبلغ ذلك بعض رؤساء دولتهم. وقيل له: ألا تعجب من يد الله كيف تظهر للناس ويرونها؟ فمضى ذلك الرئيس إلى الكنيسة فى ذلك اليوم، فلما ظهرت اليد قرّبه الأقساء إليها ليقبلها. فلما رآها وضع يده فيها والتزمها. فصاحوا به وقالوا: الساعة تخسف بنا الأرض، أو تسقط علينا السماء أو ترسل الصواعق؛ فنهلك. فقال: دعوا عنكم هذا. فإنى والله لا أدع هذه اليد من يدي حتى أرى وجه صاحبها. فلما شاهدوا منه التصميم. قالوا له: أرجعت عن دين النصرانية وهو دين آبائك وأسلافك؟ قال: لا. ولكنى أردتُ الوقوف على سرّ ذلك. قالوا: فإنها يد أسقف من أصحابنا وراء هذا الستر. فلما رآه وشاهده؛ أرسل يده وخرج من تلك الكنيسة فلم يعد بعد. واشتهرت القصة. قال المؤلف: سمعت ذلك من كثير من أصحابنا المغاربة، ثم شاهدت القصة مسطورة فى تصنيف لبعض المغاربة.

### فضيحة أخرى:

للنصارى صليب من حديد معلق فى قبة كنيسة لهم بالمغرب، قد وقف فى الهواء بغير علاقة ولا دعامة. والناس يحجّون إليها ليشاهدوا الصليب، ويتعجبون من تلك الآية. فأكثر التعجب من ذلك بعض ملوكهم. فقال لكاتب كان عنده من اليهود: ألا تعجب يا فلان من هذه الآية العظيمة التى فى هذا الصليب؟ فذكر له اليهودى أن فى جهات الصليب المذكورة حجارة المغناطيس العظام مخبأة فى الجدران وفى ما يوازيه من سقف القبة وأرض الكنيسة. فهى التى أوجبت قيامه، ومنعته من السقوط. فحضر الملك إلى الكنيسة المذكورة فى وقت خلوة وتقدم بالكشف عن الحجارة من بعض الجدران من الصليب، فاضطرب الصليب حتى خافوا أن يسقط. فعرف حقيقة الحال وانصرف.

### فضيحة أخرى:

للنصارى فى بلد من بلاد المغرب أيضا كنيسة فيها ثريا معلقة نحو تعليق الصليب، ينزل إليها نور من فوق؛ فتتقد ليوم فى وقت من السنة. فهم يعظمون ذلك اليوم ويفخّمونه. فأطرق بها بعض ولاتهم فصار إليها. فعرف حقيقة الحال وذلك أنهم مدّوا من الجدار قصبه حديد مجوفة وأبرزوا لها أنبوا دقيقا على وزان طرف الذبالة. فإذا كان ذلك الوقت المخصوص؛ أرسلوا نار النفط فى تيك القصبه، فتخرجُ بسرعة فتتقد للوقت. فلما عرف وجه هذه الحيلة؛ أمر بصفع السدنة وانصرف.

### فضيحة أخرى:

زعم النصارى: أن مريم أم المسيح تنزل من السماء على الأرض فى دار المطران بطليطلة فى يوم معروف من السنة بكسوة تلبسها له. وهم لا يشكّون فى صحة هذا بيلادهم. قال بعض من نقلها: ياليت شعرى هل نزلها بغير إذن الأب أو بإذنه؟ فإن كان ذلك بإذنه؛ فكيف لم يُرسل بعض ملائكته ورسله ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبى عنها؟ وإن كانت تنزل بغير إذنه مستبدة برأيها، فكيف يجوز من الأب أن يصطفى لنفسه خائنة تخونه وتخرج من بيته بغير إذنه إلى رجل بكسوة تكسوه وتزينه بها؟ أترون الأب لا يعلم خيانتها وتردها إلى من ليس لها بمحرم؟ أو ترونها قد عشقت المطران فهى تتردد إليه شغفا به؟ فما بالها لا تولى ذلك غيرها من خدمها حتى تتجشم هى بنفسها؟

### فضيحة أخرى:

للنصارى عيد بيت المقدس مشهور يُعرف بعيد النور يحجون إليه فى يوم من السنة، وإذا اجتمعوا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذبالة القنديل فيتقد بسرعة، فتكثر الأصوات وتعجّ بالدعاء والابتهال؛ فلا يشك الغرّ ولا يرتاب الغمر أن تلك آية نزلت من السماء، دالة على صحة دينهم. ووجه الحيلة فى ذلك: أن رجلا يختبئ فى إفريز القبة من داخل وهى غلسة جدا، فإذا كان ذلك الوقت الذى يكمل فيه اجتماعهم، وقرأ الإنجيل والكتب؛ أرسل الرجل قبسا من

نار النفط؛ فجرت على خيط مدهون بدهن اللسان؛ فتبتدر الذبالة فتتقد. فيجأرون حيثذ بالأدعية.

قال علماؤنا: وقد تظن لذلك بعض ولاة «بيت المقدس» فصار إليهم فى ذلك العيد، وأراد أن يفضحهم بكشف القصة. فبدلوا له مالا. فقعق به منهم وانصرف. ومعلوم: أن ذلك لو كان نوراً لم تتقد منه المصابيح. إذ صفة النار الإحراق، وصفة النور الإشراق فقط. ولو كان ذلك نازلا من السماء - كما يدعى النصرارى - لروى خارج القبة. والدليل على كذبهم: أن تلك البقعة ظلت فى أيدي اليهود مدة طويلة، ثم جاء الله بالإسلام ولم يرَ شيء من هذا الجنس.

### فضيحة أخرى:

النصرارى يُصلّون إلى مشرق الشمس ويتخذونها قبلتهم<sup>(١)</sup>، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلّى إلى قبلة «بيت المقدس» قبلة موسى بن عمران والأنبياء وقال: «إنى لم آت لأنقض التوراة بل لأكملها، وإن السماء والأرض ليزولان وكلمة واحدة من الناموس لا تزول حتى يتم بأسره». غير أن النصرارى خالفوا المسيح والأنبياء، واعتذروا فى توجيههم إلى المشرق بأنه الجهة التى صلّب إليها ربهم، وقُتل فيها إلههم. فيقال لهم: يا حمقى لو كنتم أولى الباب لمقتم جهة المشرق وأبغضتموها وتطيرتم بها ورفضتموها فى أمور العادة، فضلا عن العبادة. وذلك لأنها الجهة التى لم يصلّ إليها المسيح، ولا الأناجيل شهدت له بأنه صلّى إليها ولا نبى من الأنبياء البتة. ثم إنها الجهة التى تشتت بها شملكم، وبُددت كلمتكم وفُرقت جموعكم. فتعظيمكم لهذه الجهة وهى أشام الجهات عليكم؛ أمر يقتضى السخرية بكم والإزراء عليكم. وكان الأولى بكم أن لا تحولوا عن جهة «بيت المقدس» لقول الإنجيل: «إن امرأة سامرية من اليهود قالت

(١) اعلم: أن الله تعالى لم يحدد لبنى إسرائيل جهة قبلة. فكانوا يتجهون إلى أية جهة. وكانوا يستحسنون التوجه إلى جهة الكعبة فى مكة المكرمة. على أنها جهة. وكان الأنبياء يتجهون إليها. وبعد رجوع اليهود من سبى بابل، حددوا لأنفسهم على سبيل الإلزام جهة فلسطين. العبرانيون إلى أورشليم والسامريون إلى نابلس. ولما ظهر عيسى عليه السلام أخبر بأن القبلة التى حددوها لأنفسهم ستترع من المكائين [يوحنا ٤] وقد ظهر محمد ﷺ وجعل القبلة إلزاما إلى جهة الكعبة عن أمر الله تعالى.

للمسيح: يا سيد، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل للأب، فكيف تقولون أنتم إنه أورشليم؟ فقال لها: أيتها المرأة أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم<sup>(١)</sup>.

فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبله يُصلى إليها إلا بيت المقدس الذي هو أورشليم. أفأنتم أعرف وأعلم من المسيح بما يحب الله تعالى؟ إنا لله وإنا إليه راجعون على عقولكم. لقد رُميت فيها بداهية.

### فضيحة أخرى:

الروم من النصارى على كثرة طوائفها لا يرون وجوب الاستنجاء. فيبول أحدهم ويغوط ويقوم من فورهِ إلى مصلاة. وهو متضمخ ببوله. وذلك مما أحدثوه بعد المسيح. وإلا فشرائع الأنبياء - عليهم السلام - قد وردت أن العبد لا يقوم إلى الصلاة إلا وهو على أكمل أحواله. فيجتمع لهم في الصلاة أمور قبيحة؛ منها: أن يقوموا بغير طهارة. ومنها: استدبارهم قبله المسيح التي كان يُصلى إليها. ومنها: دعواهم وتضرعهم إلى رجل من بني آدم أن يغفر لهم خطاياهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، وربما سألوه بحق المسامير التي سُمّ بها في يديه وبالخشبة التي صُلب عليها بزعمهم على ما أذكر منه طرفاً في آخر فضائحتهم.

### فضيحة أخرى:

من النصارى من لا يقبل التوبة للمذنب ما لم يعترف له بذنوبه. ويقر له بإجرامه، ويشرح ما فعله في طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل وفعل كيت وكيت ويعدّد الخاسر ما ستره الله عليه ويُبدى عورته لهم؛ فيجد أكبرهم الوسيلة إلى التحكّم في ماله والتبسط فيما حواه من دنياه. فيطوفون حوله ويوظفون عليه ما رأوه لاثقاً بماله واتساع حاله، ويبقى المثكل في أيديهم وفي قبضتهم طوال عمره؛ وقد أرخت عليه سيئاته وخُلدت في دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن غيرهم، وغير بها أولاده وعقبه من بعده جيلاً بعد جيل وقرناً

(١) يوحنا ٤ وبرنابا.

بعد قرن .

ولقد بلغنى عمن لا أشك فى صدقه وثبته: أن النصرارى عندنا بمصر أرادوا نصب رجل من أفضلهم بطريكا عليهم فبينما هم على ذلك إذ جاء آخر من أكابره وذوى الهيبة فيهم؛ فاعترف أنه وهذا المرشح للبركة قد فعل كل واحد بصاحبه الفعل المحذور أيام الحداثة. وتصادقا على ذلك. فأفسدوا على النصرارى ما راموا من نصب الرجل وتوليته عليهم. وهذا أمر لا أصل له فى شريعة ولا نص عليه ناموس. ولكنه شيء اختلقه الجهلة من مشايخ النصرارى اختلاقا، وابتدعوه بعقولهم ابتداعا.

### فضيحة أخرى:

زاد النصرارى فى صومهم الكبير جمعة يصومونها لهرقل ملك «بيت المقدس» وسبب ذلك: أن الفُرس لما استولوا على «بيت المقدس» وقتلوا النصرارى وهدموا الكنائس؛ أعانهم اليهود على ذلك وكانوا أشد فتكا فى النصرارى من الفُرس. فلما توجه هرقل إلى «بيت المقدس» تلقاه اليهود بالهدايا، وسألوه الأمان. فكتب لهم كتابا يؤمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم. فلما دخل «بيت المقدس» شكا إليه النصرارى ما لقوا من اليهود، وكيف مالوا عليهم الفرس. وسألوه قتل اليهود فقال: كيف أقتلهم بعد أن أمتهم؟ فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة فى أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم فى الصوم ما دامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونُعيرُه ونكتب به إلى الآفاق غفرانا لذنبك. فأجابهم إلى مسألتهم وملتمسهم وقتل اليهود قتلا ذريعا. فصاموا له جمعة فى أول الصوم. وكتبوا بذلك إلى سائر البلاد وأهل «بيت المقدس» و«مصر» يصومونها وبقية أهل الشام لا يأكلون اللحم فيها، ويصومون الأربعة والجمعة. ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين. وقد صار هذا النمط سجية للنصرارى وخلقًا. أليس هم الذين عمدوا إلى إنسان قد تربى بينهم طفلا ونشأ حتى صار كهلا؛ فاتخذوه إلهًا، وأعلنوا بعبادته سفاها، وخاطبوه بالربوبية سفاها؟ نعوذ بالله من الضلال، وأن نشرك مع الله الرجال.

### فضيحة أخرى:

لِلنصارى عيد يقال له «عيد ميكائيل» ليس له أصل في شرعهم ألبتة، بل هو ممن أحدثوه وابتدعوه. وسبب إحدائه على ما ذكر أهل العلم: أنه كان بالإسكندرية صنم وكان أهل الإسكندرية ومصر يُعيدون له عيداً عظيماً، ويذبحون له الذبائح. فولى بطرقة «الإسكندرية» رجل يقال له «الأكسيدروس» فرام إبطال هذا العيد وتعطيل الصنم؛ فلم يقدر من عوام النصارى. فقال: إن تعبدكم لصنم لا يضر ولا ينفع؛ لضلال وكفر. فلو جعلتم هذا العيد لميكائيل الملك وذبحتم له الذبائح؛ لكان يشفع لكم عند الله. وذلك خير لكم من هذا الصنم. فأجابوه إلى ذلك؛ فكسر ذلك الصنم، واتخذ منه صلباناً. وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» وتحول العيد فصار لميكائيل إلى اليوم، بمصر وتخومها. ولا أصل له في زمن المسيح ولا في زمن الحواريين. والشيء الضعيف لا يزيده الأمر الباطل إلا ضعفاً. والحق مستغن بنفسه عن أن يقوى بأمثال هذه التُّرُهات.

### فضيحة أخرى:

لِلنصارى عيد يعرف بـ «عيد الصليب» لا أصل له ألبتة. وهو مما أحدثوه بعد رفع المسيح. كعيد ميكائيل وعيد النور وغيره.

قال العلماء: من ميلاد المسيح إلى أن وجد الصليب ثلاثمائة سنة وثمانى عشرة سنة. وسبب إحدائه: أن اليهود اتخذوا المقبرة التى دُفن فيها الشَّبه مزبلة يطرحون فيها الكناسات والأوساخ، تحقيراً لشأن المصلوب وتصغيراً لقدره. فأقامت مزبلة نحواً من ثلاثمائة سنة، إلى أن جاءت أم قسطنطين الملك، فأمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا فيها ثلاثة صُلب. وهم صليب اللصين والشبه. فقالت: كيف لنا أن نَعْلَم خشبة ربنا التى صُلب عليها؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الموت، فأمرت فوضع عليه الصليب فلم يقم، فأمسته الثانى فلم يقم، فأمسته الثالث فقام وبرأ من علته كان لم يكن به بأس. قال النصارى:

فعلت أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك وإذا كان هذا إنما جرى بعد المسيح بهذه المدة، فكيف يعدّ مأخوذاً عن المسيح؟ وهذه الأعياد لو كانت معتبرة لكان الأولى أن تكون مسطورة في الإنجيل ومأخوذة عن التلاميذ. ولو بعث الله التلاميذ الآن لم يعرفوا منها ولا مما عليه النصارى شيئاً. إذ ما في أيديهم شيء مما كان عليه المسيح وأصحابه.

ونحن - يرحمك الله - نسأل النصارى فنقول: أخبرونا بماذا استحق الصليب عندكم هذا التعظيم والتفخيم، حتى صرتم تُقبلونه وتمرونه على أعينكم وتصلبون به على وجوهكم. فمنكم من يصلب على وجهه بإصبع واحد وهم القبط، ومنكم من يصلب بإصبعين وهم الروم، ومنكم من يصلب بالخمسة وبالعشرة وهم الفرنج؟

أفهذا دين نقلتموه عن الأنبياء وأخذتموه من شرائع الرسل؟ فأرونا ذلك في توراة موسى ونبوات إشعياء وإرمياء ومزامير داود، وأنتى تجدون ذلك في هذه الكتب وهى مشحونة بالتوحيد كما قد بيناه؟ وقد كان من حكم الصليب لو كنتم ألباء عقلاء أن تمقتوه وتلعنوه وتميتوا ذكره وتخفوه فلا تلعنوه.

فإن قالوا: إنما عظمناه؛ لأنه شرف بصعود المسيح عليه ونحن نقبله ونعظمه لذلك.

قلنا: فهلاً تعظموا الحُمُر وتقبلوها وتسجدوا لها لأن لوقا وغيره قد أخبر أن المسيح ركب حماراً عند دخوله المدينة والصبيان بين يديه ينادون: «مبارك الآتى باسم الرب»<sup>(١)</sup> فكان ركوبه الحمار فى حال تعظيمه وكرامته، وركوبه الصليب فى حال تصغيره وإهانتة. فهلاً تعظمون الحُمير، وتضخمونها بالعبير، وتقبلونها فإنها أفضل من الصليب بكثير فستان بين مركوب بالرتاسة مخصوص، ومركوب قرنه باللصوص. فلو عقل النصارى لأسقطوا ذكر الصليب ورفضوه، ولعنوا ذكره وأبغضوه. فإن ذكره يُعرض بربهم، وينوء بثلبهم.

(١) مزمو ١١٨ متى ٢١ والمبارك الآتى هو محمد ﷺ.



### فضيحة أخرى:

النصارى مختلفون في السجود للصور، فمنهم من يؤثره ويهواه، ومنهم من كان يكرهه ويأباه، وأكثرهم على المذهب الأول. بدليل: أن كنائسهم لا تكاد تخلو من الصور. وهذا مما أحدثوه بعد المسيح وأصحابه. وهذه الأناجيل الأربعة في أيدينا ليس فيها شيء يدل على انتقال ذلك البتة، بل قد صرحت بالتوحيد في غير موضع - كما قدمناه - وأي فرق بين السجود للصورة والسجود للوثن والصنم؟ ولو كان ذلك من الدين لكان أولى بالصور المسيح وأولى الناس بالسجود لها الحواريون. وقد بقوا بعد المسيح حتى احترموا ولم يؤثر عنهم شيء من هذا القبيل. وقد ذكرنا: أن التوراة قد شددت وغلظت على من يفعل شيئاً من ذلك. والمسيح عليه السلام قد قال في إنجيله: إنه لم يأت لنقض التوراة بل جاء لإكمالها.

فهذه التوراة مصرحة بتكفير عابد الصور. وهذا الإنجيل ليس فيه لها ذكر، وهذه كنائس النصارى مملوءة بها، فلم يبق إلا المجاهرة والعناد وعبادة الأنداد.

### فضيحة أخرى:

للروم كنيسة ببعض بلادهم يحجّون إليها في يوم من السنة فيشاهدون صنما بها، إذا قرئ الإنجيل بين يديه درت ثدياه وخرج منه اللبن فيشاهده من حضر ويتحدث فيه من غاب ويعدها آية بينة، ودلالة على الدين ليست بالهينة. ويحصل للسنة بسبب ذلك مال عظيم. فبحث ملكهم عن ذلك فوجد القيم قد ثقب من وراء الجدار طاقة لطيفة وهندمها حتى أوصلها بثدى الصنم، وجعل فيها أنبوب من نحاس وأصلحها بالجير وأخفى أمرها. فإذا كان يوم العيد فتحها وصب فيها لبنا فيخرج من ثدى الصنم، ويسقط نقطة نقطة على تدريج. فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل وبركة العيد. فلما انكشف له وجه هذه الحيلة؛ ضرب عنق القيم وعزم أن لا يبقى في الكنائس بيلده صورة. فوقع بينهم اختلاف بذلك وكفر بعضهم بعضاً وبدّعه وتبرأ منه.

### فضيحة أخرى؛

للنصارى صنم بالقسطنطينية له عيد فى السنة تحج إليه النصارى من كل وجه فى يوم مشهود، فإذا تلى الإنجيل بين يديه بكى بالدموع الغزار، فيشاهد ذلك من حضر ويكثرون الابتهاال والدعاء ويعجبون بالبكاء. فاجتمع عنده مال، واحتاج الملك إلى قرض. فرام اقتراض ذلك وأخذه.

فأبى عليه القيم فحضر الملك إلى الكنيسة بنفسه. وقال للأسقف: اقرأ الإنجيل الساعة حتى نرى كيف يبكى الصنم. فقال: إنما يبكى فى يوم واحد من السنة. فاستشعر الملك أن تلك مخرفة فتقدم يحفر ما تحت الصنم فوجد حفرة مصنوعة والصنم مجوّف من أسفله تجويفاً ضيقاً. فإذا كان ذلك اليوم وضع الأسقف فى تلك الحفرة قربة ماء وجعل فيها أنبوب مستطيل رقيقة متصلة برأس الصنم وستر الحفرة ستراً محكماً، فإذا مسّها ماس، وأضغطها صعد الماء فى الأنبوب إلى رأس الصنم وقد حشى رأسه بالقطن فإذا تشرب القطن الماء سالت منه دمعات وسقطت من عيني الصنم على تدرّيج، بأمر قد أحكم، وحيلة قد أتقنت، فلما اطّلع الملك على ذلك؛ أمر بالصنم فأخرج وأخذ ما وجد بالكنيسة من المال وأدب القومة وشردهم.

### فضيحة أخرى؛

افترقت النصارى فرقا كثيرة. وتقاطعوا وتدابروا وكفّر بعضهم بعضا وضلله. والكل ضلال، فمنهم اليعقوبية ومنهم الملكية ومنهم النسطورية - وقد تقدم ذكرهم - ومنهم الآريوسية أصحاب آريوس. واعتقادهم: أن المسيح مخلوق جسمه وروحه، وأنه ليس بآله ولا رب غير أن له سلطانا على السماء وأنه قد قُتل وصلب. واتفق النصارى بـ «نيقية» على لعنه والتبرى منه. وبسببه عقدوا الأمانة التى أوضحنا فسادها وجهل من ألفها.

ومن النصارى فرقة تُعرف بالليانية شاركت السوفسطائية فى السيلان فى المسيح خاصة. فقالت: إن الذى تراه العين من المسيح ليس هو المسيح، وإنما هو خيال. وإلا فالمسيح ليس يُتصور أى يرى. وفى نفس دعواهم هذه ما يقضى بردها إذ يقال لهم: إذا كان المسيح لا يُرى وإنما هو خيال. فمن أين لكم أن الذى أثبتموه

خيالا للمسيح أنه هو المسيح؟ ولعل الذى رأيموه خيالا ليس بخيال أيضا، ولعل أحدكم حمار أو كلب أو حيوان آخر، وإن كان آدميا فى رأى العين. وذلك قلب للحقائق.

ومن النصارى من يقول: إن مريم لم تلد إنسانا وإنما ولدت جسداً. وجاءت الكلمة فاتحدت به، فصار بها إنسانا كاملا. ومن النصارى من يعتقد أن المسيح مولود من الأب والروح. وأن الروح قوة تحمل على الصالحين كما حلت على يوحنا. وهى التى تحمل على القربان فتبارك فيه. وأنها إذاً من إرث الأنبياء أتتهم فى صورة إنسان حسن الصورة. ومن النصارى فرقة تسمى القافرونية تزعم أن أورشليم ليست بيت المقدس وإنما هى قافرون بإفرنجية، ويزعمون أن المسيح تراءى لهم فى تلك المدينة. وهم يتخذون القسيسين من النساء. ومن النصارى فرقة تعرف بالمريمية يزعمون: أن مريم حين ولدت المسيح لم تكن عذراء، وأنها كانت ولدت قبله عدة أولاد من يوسف.

ومن النصارى فرقة تخالف سائرهم فى أمرين: أحدهما يقول: إن ملك المسيح على الأرض لا غير. والآخر يقول: إن فى الجنة طعاماً وشراباً لكنه لا يبقى أكثر من ألف سنة. ومن النصارى فرقة لا يدخلون الكنائس إلا عراة ويحرمون النكاح. ومن النصارى فرقة يعبدون حيّة، ويعظمونها كتعظيم المسيح. ومن النصارى فرقة يزعمون أن المسيح جاء معه بجسد من السماء وجرى من مريم مجرى الماء فى الميزاب.

ومن النصارى فرقة تعرف بالوغانية ينكرون إنجيل يوحنا التلميذ ولا يعترفون به البتة ويقولون: ليس المسيح إلهاً غير أنا قد أمرنا بعبادته. ومن النصارى فرقة تقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار أخذت من شعلة نار لم تنقص بالأخذ. وقد بقيت من النصارى فرق لو ذكرناها لأطلنا وخرجنا عن شرطنا فى الاختصار. وقد ذكر العلماء أن عدة فرق النصارى اثنتان وسبعون فرقة.

**فضيحة أخرى:**

ترك طوائف من النصرارى أكل اللحم فى صيامهم وحرموه، وذلك مما أحدثوه بالرأى بعد المسيح وتلاميذه. فانتحلوا مذهب المانوية أصحاب مانى الزنديق.

قال الشاعر فى المانوية:

والقلة والضيق	تركنا اللحم للإفلاس
بقول غير تحقيق	فقالوا منوبين
أكلناه على الريق	ولو مَرَّبنا مانى

وبعد؛ فقد أكل الأنبياء والنبياء من عباد الله اللحم، واغتذوا به. فلو كان لذلك أصل؛ لكان مذكورا فى نبواتهم، ومأثورا عنهم.

**فضيحة أخرى:**

جوز النصرارى على البارى تعالى النزول والصعود والحركة والسكون. وتلك أدلة حدت العالم عند المحققين. فإذا وصفوا البارى بذلك فقد أبطلوا الدلالة على حدث العالم. وذلك يمنع من إثبات الصانع. فكأنهم يحاولون إثبات الربوبية بما يستدعى نفيها وإبطالها.

**فضيحة أخرى عظيمة:**

أكل النصرارى لحوم الخنازير وأحلوه. وذلك مما أحدثوه بعد المسيح. وقد رفع الله المسيح وإن الخنزير لحرام. فراغموا التوراة والإنجيل. أما التوراة: فقال الله فيها: «الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه»<sup>(١)</sup>.

وهذا نص لا يحتمل التأويل. وأما الإنجيل فقد حكى مرقس فى إنجيله: «إن المسيح أترف الخنازير وغرق منهم فى البحر قطعاً كبيراً»<sup>(٢)</sup> وقال لتلاميذه: «لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير»<sup>(٣)</sup> فقرنها بالكلاب.

(١) لاويين ١١: ٧ .

(٢) مرقس ١: ٥ - ١٤ .

(٣) متى ٦: ٧ .

فمن أحلّ الخنزير فقد كفر بموسى والمسيح. فإن قالوا: إن بطرس رأى فى النوم صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات وصور الخنزير. وقيل له: يا بطرس كل منها ما أحببت <sup>(١)</sup>.

قلنا لهم: الشرايع والأحكام لا تُنسخ بالنام والأحلام. ونحن نحاشى بطرس أن يخالف التوراة والإنجيل بمنام رآه، والتوريك على من نقل ذلك عنه أولى من رفع القواعد الثابتة بالرؤى والأحلام.

### فضيحة أخرى:

اعترض النصارى على قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ <sup>(٢)</sup> قالوا: إنما عنى بأهل الذكر: حملة التوراة والكتب العتيقة. وقد قال أهل الذكر: إن الله قد بعث أنبياء من النساء. منهن مريم أخت موسى وخذلى ورفقا وأستار.

فافتضح النصارى لما حققوا جريان الآية على سبب: وهو أن مشركى العرب أنفت أن يأتيها برسالة الله رجل منهم. وودت أن لو كان الرسول إليهم ملكاً من ملائكة السماء. فقالوا ما أخبر الله به فى كتابه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ فقال الله: ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ .

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ ولم نرسل الملائكة بل لم نبعث إلى البشر إلا من جنسهم. فقل لمن تعند: فليسأل أهل الكتاب هل بعث الله قط الرسل إلى الناس إلا من جنسهم؛ فإنهم سيخبرونهم بصحة ذلك. والنزاع لم يكن بين النبی عليه السلام وبين العرب فى إرسال النساء أو الرجال بل فى إرسال الملائكة والأدميين. هذا إن سلمنا لهم ما ادَّعوه من نبوة هؤلاء النسوة. ونحن لم نصدقهم فيما لم تقم عليه حجة ولا دَلٌّ عليه دليل، ولم تتجاوز بهم القدر اللائق بهم والمشهود به على لسان إرمياء وإشعيا - عليهم السلام - من لعنهم وخزيتهم ومقتهم. ولنا فى ذلك أسوة حسنة بمن تقدمنا من أنبياء الله. فقد قال إشعيا

(١) أعمال ١٠ .

(٢) الغرض: اسألوا أهل الذكر عن إرسال الرجال هل حصل أو لم يحصل لا عن إرسال الرجال والنساء.

فيهم: «عرف الثور من اقتناه، والحمار مربوط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل» ومن لا يعرف ربه فالأولى أن لا يعرف نبيه، ومن جهل المرسل جهل الرسول لا محالة، ومن غلط فأخرج من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم وإسرائيل، فغير عجيب منه إثباتها للنسوة المجاهيل.

### فضيحة أخرى؛

ترك طوائف من النصراري النكاح المباح ورفضوا النساء ولم يروا بالتناسل وإبراز الذرية الصالحة إلى الوجود. وهذا شيء لو مالا هم الناس عليه لانقطع التناسل وانقرض جنس الآدميين. وهذا - فاعلم - مما أحدثوه بعد المسيح وكأنهم نَحَوْ فِيهِ نَحْوَ الْمُتَفَلِّسِينَ مِنَ الطَّبَائِعِيِّينَ.

فإن تمسكوا بقوله في الإنجيل<sup>(١)</sup>: «من ترك زوجة من أجلي؛ فإنه يعطى للواحد مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة».

قلنا: في الفصل كلام أسقطتموه. وهو قوله: «من ترك بنين وبنات أو حقولا؛ فإنه يُعْطَى» وذلك مما لا نُصَحِّحُه عن المسيح إذ لا يجوز إجراء هذا الكلام على ظاهره؛ فإن الفرار عن الأولاد والأطفال وتركهم بلا كافل يكفلهم ومنفق يتفق عليهم؛ مما لا يجوز. ومن نسب المسيح إلى الجهل بذلك؛ فقد كفر بالمسيح. ثم ذلك على تقدير صحته؛ معارض<sup>(٢)</sup> بنصين عن المسيح. أحدهما: قوله في جواب

(١) كلام المسيح عليه السلام في الحث على الدعوة إلى ملكوت السموات. وهو ملكوت محمد ﷺ. يريد أن يقول: إن من لا يتزوج ليستفرغ للدعوة، ومن يترك ربة الدنيا من البنين والممتلكات ليتفرغ للدعوة. سوف يأخذ عوضا عن ذلك في الدار الآخرة. ذلك قوله: «فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسی مجده؛ تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيا، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا، من أجل اسمي؛ يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرين أوليين، يكونون آخرين. وآخرين أوليين. فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه؛ فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم، وأحملهم إلى كرمه... الخ» { متى ١٩: ٢٠ } .

(٢) المعارضة التي ذكرها المؤلف لا وجه لها. وذلك لأن التوراة تبيح الطلاق بأي سبب والمسيح مصدق لها. ولأن المسيح ينصح بأن يكون الطلاق لسبب قوي، لا لأي سبب حتى لا تتعرض المطلقة لأن تزني. ومن ينصح ليس كمن يشرع.

والنص الأول الذي ذكره موجود في متى ١٩: ٦ والنص الآخر في متى ١٩: ٩ .

الزنادقة الذين جاءوا متعنتين له «إن الذي زوجه الله لا يقدر أحد على تفريقه». والآخر قوله عليه السلام: «إن من طلق زوجته باطلاً؛ فقد عرضها للزنا ومن تزوج بمطلقة؛ فقد زنى بها».

ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء، وخواص الأولياء، ودأب النجباء والأقوياء. وقد امتن الله على إبراهيم وإسرائيل وزكريا ومريم وغيرهم بنعمة الأولاد - كما هو مزبور في كتبهم - ومن رغب عن سنة الأنبياء، التحق بالأغبياء. وقد قال فولس في الرسالة الثانية عشرة: «إن القسيس<sup>(١)</sup> محقوق أن يكون غير ملزم فإنه وكيل الله غير حقوق، ولا يستبد برأيه. ولا مجاوزاً للقصد في الخمر، ولا يسرع بيده إلى الضرب، وأن يكون محباً للغرباء والأعمال الصالحات، وأن يكون عفيفاً باراً ضابطاً لنفسه عن الشهوات، عنيا بالعلم والتعليم، ويكون له زوجة واحدة وبنون صالحون».

فمن رفض النكاح ومنع منه؛ فقد خالف من ذكرنا من الأعلام والقُدوة.

#### فضيحة أخرى:

مع غلبة الجهل على النصارى؛ فهم أشد الناس دعاوى وأوسعهم تخرصاً على الله. يزعمون أن فيهم اليوم من يمشى على الماء ويحى الموتى ويفعل العجائب، ويدعون أن بفارس بيعة لهم كانت على قمة جبل ولها مرتقى صعب، وأن واحداً منهم دعا إلهه الذى صلبته اليهود فحطها له من أعلى الجبل حتى جعلها على وجه الأرض.

ويزعمون: أن كنيسة بالسوس كانت بأعلى تل ولها بئر فى أسفله، وأن القيم بالكنيسة كبر وعجز عن النزول، فدعا ربه المصلوب، وتوسل إليه وأقسم عليه بالخشبة التى صُلب عليها. فرفع البئر إليه، فيدعى ذلك اليعقوبى على النسطوري، والنسطورى على الملكى.

(١) «لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله، غير معجب بنفسه... إلخ» [نيطوس ١: ٧+] .

### فضيحة أخرى:

النصارى أنزل الناس لما فى كتبهم ولما نص عليه المسيح من التواضع واللفظ والإيثار. وذلك أن القتال لم يكن من سنة المسيح ولا من طريق تلاميذه الذين صحبوه، بل كان مذهبهم الذى جاء به المسيح الاستسلام إذا عجزوا، والعفو إذا قدروا. وهم الذين رووا عنه فى الإنجيل: «من لطمك على خدك الأيمن؛ فحوّل له الآخر، ومن نازعك ثوبك؛ فزده رداءك، ومن سَخَّرَك مِيلًا فامض معه اثنين»<sup>(١)</sup> وهم الذين حكوا عنه فى الإنجيل: «أحبوا مبغضيكم، وصلّوا على لاعنيكم، وأعطوا من حرمكم، وصلّوا من قطعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم»<sup>(٢)</sup>.

وقالت أوائلهم: لو أراد المسيح نصب الحروب؛ لم يستسلم فنحن لا نخالف سيدنا المسيح. وقد قال المسيح: «طوبى للذين يرحمون وأن الرحمة تكون لهم، طوبى للذين يصلحون بين الناس، أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم»<sup>(٣)</sup>. فهم مع كونهم يروون ذلك عن المسيح؛ أنزل الناس له، وأبعدهم منه. وقد قال فولس فى الرسالة الحادية عشرة:<sup>(٤)</sup> «أهرب من جميع الشهوات، وأسع للرب وللإيمان والود والسلام، وتنكب المنازعات؛ فإنها تولد القتال، وليس يحل لعبد من عبيد الله أن يقاتل» فأمر فولس بترك ما يؤدى إلى القتال سداً للذريعة، فكيف خالفه النصرارى وشرعوا الحروب وسفكوا الدماء الحرام؟

### فضيحة أخرى:

أخصت الحبشة من النصرارى أولادهم، وكذلك بعض الروم. والخصى أشد المثلة وأفظع الذنوب. ثم هم يفعلون ذلك بأطفال لادفاع عندهم، وتلك قسوة عظيمة وغلظة جسيمة، وقد قال المسيح عليه السلام: «طوبى للرحماء» ثم هم يخصونهم ويبيعونهم فيأكلون أثمانهم وهذه مَعْرَةٌ لو وافقتهم عليها الناس لذهب

(١) متى ٥: ٣٩.

(٢) متى ٥: ٤٤.

(٣) متى ٥: ٧ - ١٠.

(٤) تيموثاوس الثانية ٢: ٢٢ - ٢٤.



بنو آدم ومُحى جنس البشر. ثم هم يتصرفون في وجوههم ولحاهم بالخلق والتف والكشط فيصيرون مع عوج الستهم أسمح شيء خلق الله. وهذه كتب الأنبياء لم تأمر بشيء من هذا الجنس.

### فضيحة أخرى؛

ليس بين النصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات. والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح، وأكاذيب كثيرة لم يصدقهم عليها أحد من الأمم. وأكثر ما يفزعون إلى أحكام المسلمين؛ لخلو أكابره عن معرفة الحلال والحرام، وأى شيء استحسونه بعقولهم شرعوه وحكموا به. فمن نازعهم من أهل ملتهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس. فيحكمون فيهم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

قال أبو الطاهر بن عوف رحمه الله: وليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة ونيف، وليست مأخوذة عن المسيح.

### فضيحة أخرى؛

زعم النصارى أن يوحنا أحد مُدَوِّني الإنجيل جلس بأفسس بلدة من بلاد الروم يكتب إنجيله، فوقع مطر، محابعض ما كتب. فغضب يوحنا، ورفع وجهه إلى السماء. وقال: أما تستحي أن تمحو اسم ابن إلهك؟ قالت النصارى: فلم تمطر تلك القرية من بين سائر البلاد.

فليت شعري ما طريق تصحيح هذه الدعوي؟ وهل البلدة تمطر اليوم أولاً؟ وإن كانت قد مَحَلت، فهل كان ذلك بسبب غضب يوحنا على ربه وتخطئته لخالفه أولاً؟

وبعد؛ فلعلّ في بلاد الله بلاداً وبقاعاً كثيرة لا تمطر، وأخرى لا تخلو من المطر.

وقد حكى النصارى أن بين هذه القرية وبين «القسطنطينية» نحو ألف فرسخ. وهذا دأبهم فيما يستشهدون به على أباطيلهم؛ فإنهم يبعدون شاهدتهم غاية

البعد؛ ليعسر على الممتحن مراجعته. وليت شعري هل كان يعدو أمر ذلك المطر: إما أن يكون الله هو الذى ساقه، أو مَلَكٌ من قِبَلِ الله، أو سحابة سخرها الله. فإن كان إنما انتهر الغيم والسحاب؛ فهذا سخيف العقل. إذ وَيَخَّ من لا يعقل ولا يفهم ولا ذنب له. وإن كان إنما ويخ الملك المتولى سوقها؛ فهو جاهل إذ الملك إنما يصدر عن أمر الله تعالى. وإن كان إنما خاطب الله؛ فقد زعم أن لله إلهاً فوقه.

وبالجملة: ففى إنجيل يوحنا هذا أمور. انفرد بها عن أصحابه، ولم يوافقوه عليها. والنصارى يكاثمونا اختلافهم، ولا ييوحون به لنا لأنه اختلاف فى الإله نفسه، وليس هو فى الفروع؛ فيغتفر.

### فضيحة أخرى؛

قال النصارى: إن المسيح لم يتكلم فى المهدي، ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيراً بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه ولد زنا. فلزم على سياق قولهم: أنه لم تلق أمٌ بسبب ولدها من الشر ما لقيت مريم من المسيح؛ لأنه فضحها وهتك سترها ودعا إلى رميها بالزنا ولم يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود. وهو قادر على ذلك. ثم إنه كَلَّفَهَا عبادته. فأوجب عليها الصوم والصلاة، وألزمها ترك الشهوات ومخالفة الهوى؛ فهى ملتزمة لذلك إما خوفاً من عقابه أو رجاءً لثوابه، ثم قضى عليها الموت وجرَّعها غصصه وسلط على جسدها البلى. وهذا شيء لم يُعرف فى برِّ الأولاد وما سمعنا بعاقٍ بلغ هذا المبلغ من أمه. فمقتضى قولهم: يقال إنه كان مشؤوماً عليها. والله تعالى يقول فى حقه: ﴿وَجَعَلْنِي مَبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَتِي﴾ .

### فضيحة أخرى؛

رُبَمَا عَرَّضَ بَعْضُ النَّصَارَى بَرْدَةَ ابْنِ أَبِي السَّرْحِ (١) عَنِ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ: كَيْفَ

(١) ابن أبي السرح كما قال الرواة كان من كتاب الوحي. وارتد عن الإسلام؛ فأهدر النبی دمه يوم فتح مكة. فشفع فيه عثمان بن عفان. ثم أسلم وفتح مصر مع عمرو بن العاص. وغرض النصارى من رده بعد كتابته للقرآن أنه ربما وضع فى القرآن من عنده كلاماً كثيراً. والحق: أن قصة ارتداده باطلة.

يكون نبيا يوحى إليه، ولا يعلم بحال من يرشحه ويختاره لكتابة الوحي. فيقال له: يا أخرق. النبي لا يعلم من المغييات إلا القدر الذي أعلمه الله به، وكونه لا يعلم بفساد نية من يصحبه؛ لا يقدر ذلك في نبوته. فإن آبيتَ إلا القول بذلك؛ فارغب بنفسك عن أتباع المسيح؛ فإنك رويت وروى أصحابك وأهل دينك: أن المسيح اختار رجلا من تلاميذه الاثنى عشر الذين شهد لهم بإدانة بنى إسرائيل يوم القيامة وولاه صندوق مال الصدقات، وقدمه على غيره من أصحابه ورشحه لأمانته - وهو يهوذا الأسخريوطى - كفر وفجر وواطأ اليهود على المسيح، وارتنى منهم على المسيح ثلاثين درهما، وزاد على «ابن أبي السرح» بأن قتل نفسه كافرا. فأما ابن أبي السرح فإنه راجع الإسلام ومات مؤمنا. فإذا كُفِرَ مَنْ كَفَرَ من أتباع النبي؛ لا يقدر ذلك في نبوته. بدليل: أن اليهود كفروا بعد موسى، وفي حياته عبدوا العجل. ولم يقدر ذلك في نبوة موسى وصحة رسالته.

### فضيحة أخرى:

عاب النصارى قول ربنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ ونظائرها في إثبات الخير والشر من الله تعالى وقالوا: لا يفعل الله سوى الخير المحض، فأما الشر فهو من الشيطان لا من الله، فالتزموا مذهب الثنوية<sup>(١)</sup> القائلين بأن الخير من النور، وأن الشر من الظلمة؛ فلزمهم أن يكون مراد الله أقل وقوعا وأن إرادة الشيطان أنفذ من إرادة الباري. وكذلك يلزمهم من عزو الشرور إلى النفوس - ممن ينكر وجود الشياطين من اليهود وغيرهم - أن يكون سلطان النفوس أنفذ من سلطان الله.

ولو عقل النصارى واليهود لعرفوا في كتبهم ما أنكروا علينا: إذ هو مسطور في صحفهم ولكن لا يهتدون إليه سبيلا، قال الله تعالى في التوراة لموسي: «امض إلى فرعون وقل له: أرسل شعبي يعبدني وأنا أقسى قلب فرعون فلا يرسلهم»<sup>(٢)</sup>

(١) مذهب الثنوية هو نفسه مذهب اليهود. فإنهم يقولون بالهين اثنين أحدهما الله عز وجل والآخر الهوى وحب المال والشهوة. وقال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وفي المزمور السادس عشر لداود عليه السلام: «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر» وفي الإنجيل يقول المسيح: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» إلى أن قال: «لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» متى ٦: ٢٤ + .

(٢) خروج ٩ .

ثم قالت التوراة عقيب كل آية صنعها موسى بحضرة فرعون: «وقسى الله قلب فرعون فلم يؤمن. كما قال الرب»<sup>(١)</sup> وهذا تصريح من الله لا جمجمة بأنه سبحانه هو الذى يقذف فى قلبه القسوة والكفر. وهذا بعينه هو قول المسلمين إن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، ولأنه تعالى لو أراد هداية فرعون؛ لشرح صدره للإيمان، ولم يقس قلبه. كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ .

ولما أخرج الصواع من رَحْلِ بنيامين؛ جنزِع إخوته وقالوا: «من عند الله نزلت هذه الخطيئة»<sup>(٢)</sup> كما نطقت به التوراة. وهذا دليل على أنهم كانوا يعتقدون صدور الخير والشر من الله تعالى. وهذا الجنس فى التوراة كثير. وقال بلعام بن بعور لما قال له الملك: العن لنا بنى إسرائيل. فقال: «إنى لا أستطيع أن أفعل خيرا ولا شرا من قبل نفسي، وإنما أقول ما أمرنى به الرب»<sup>(٣)</sup> ذكرت التوراة ذلك .

وقد قال المسيح فى الإنجيل: «إنى لم آت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى»<sup>(٤)</sup> وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقالت التوراة فى عدة مواضع: «وقسى الله قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل»<sup>(٥)</sup> وذلك نظير قوله: ﴿وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ . وضرب المسيح مثلاً فى الإنجيل: فقال: «إن ملكا عمل وليمة ودعا إليها أهل مملكته وأمر ألا يتخلف عنها أحد فلما جلس ولم ير إلا بعض القوم قال: المدعوون كثير والحاضرون قليل»<sup>(٦)</sup> فبين عليه السلام عموم الدعوة وخصوص الهداية. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ . فبين الله تعالى: أن دعاء الأنبياء

(١) خروج ٩ .

(٢) تك ٤٤ .

(٣) عدد ٢٢ .

(٤) يوحنا ٦ .

(٥) خروج ١٠ .

(٦) متى ٢٢ وهذا مثل للمكوت السموات .

عموم وهداية الله خصوص. فلا يُستنكر قول الإسلام إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. فلم ترد شريعة ولم ينزل كتاب إلا وهو متضمن ذلك. وبذلك يتحقق أن أصول الشرائع ومقاصدها واحدة، وإن اختلفت الأحكام التكليفية لاختلاف مصالح المكلفين.

## الكذب في التوراة

### فضيحة أخرى:

لازمة للنصارى واليهود وهي ما اشتملت عليه كتبهم من الاختلاف والتكاذب. وقد ذكرنا فيما تقدم نبذاً من ذلك ليستدل بها من وقف عليها على قلة ضبطهم لدينهم.

ولنذكر ههنا ما وقع في التوراة من التكاذب.

فمن ذلك:

ما وقع في تاريخ عمر آدم وأعمار مشاهير أولاده. ففي نسخة من نسخ التوراة: أن آدم عاش مائة وثلاثين سنة، ثم ولد على شبهه ولد فسماه شيت، وفي نسخة أخرى: أنه لم يزرق شيت حتى صار له من العمر مائتان وخمسون سنة. وعاش آدم بعد أن ولد له شيت ثمانمائة سنة، فولد له بنين وبنات. ثم مات وكان جميع عمر آدم تسعمائة سنة، وفي نسخة: ألف وثلاثون سنة.

ثم عاش شيت مائة وخمس سنوات فولد له أنوش، وعاش من بعد ما ولد أنوش تسعمائة واثنى عشرة سنة ثم مات وفي نسخة تسعمائة وسبع سنين. ثم رأيت هذا التناقض والتكاذب جارياً في أعمار مشاهير أولاد آدم إلى نوح عليه السلام، فلم تكد نسخة توافق أخرى. وإذا كان هذا ضبطهم للتوراة. وهي أس دينهم. فكيف يوثق بهم فيما عداها؟

وليس يمكن إضافة هذا التحريف إلى سواهم. فإن التوراة لم ينقلها من اللسان السرياني إلى غيره إلا اليهود. وذلك يشعر بتهاونهم بأمور دينهم، وإلا فكيف يحسن أن يخبر عن شخص أن عمره مائة سنة، وأن عمره خمسين سنة ويكون الخبران صدقاً؟

وإذا كان هذا تحريفهم لما لا يتعلق به غرض. فما ظنك بتحريفهم لما يتحققون به الدلالة على نقض أصولهم. وذلك من مرغوبات النفس وحب الانتصار والتعصب القاضى بعمى البصيرة؟ ولن يتخلص من ذلك إلا موفق قد أعانه الله على قمع هواه. وجعل الحق مطلوبه، والانقياد إليه مراده ومقصوده. فهو يتقاد إليه. حيث دعاه لبَّاه، ولو على لسان عدوه. وبذلك وعد الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

### فضيحة أخرى:

زعم النصرارى أن المسيح أراد بقتل نفسه تطهيرهم من خطاياهم، فيقال لهم: تطهير من آمن به واتبعه أو تطهير من كفر به وخالفه؟ فإن قالوا: تطهير من كفر به. قلنا لهم: كيف يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم، وما هذا إلا بمثابة من غسل البول بالعدرة يريد تطهيره. فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، وعلى هذا ينبغى أن يكون اليهود الذين قتلوه وصلبوه والأسخريوطى الذى تمَّ عليه ونمرود وفرعون قد طهروا من خطاياهم، وكذلك الهنود والمجوس وكل كافر على وجه البسيطة. وإن قالوا: إنما أراد تطهير من آمن به واتبعه. قلنا: فكيف تكون معصية العدو طهرة للولي؟ وإنما يُطهَّر الإنسان عمله الصالح وتوبته الصادقة دون كُفر من كُفر. ثم إن كانوا قد آمنوا بالمسيح؛ فإيمانهم يطهرهم. فلا حاجة إلى قتل المسيح وصلبه.

وإن قالوا: إنما أراد تطهير الحواريين. فيقال: وما هذا الذنب الذى لا يطهره إلا قتل الله وصلبه؟ وينبغى أن يكون الحواريون شرار خلق الله. إذ كان لا يطهرهم إلا هذا الغسل الذى لا يشابهه غسل. فليت شعري أيُّ ذنب لقوم عند النصرارى خير من جبريل وميكائيل وسائر النبيين والمرسلين؟

وإن قالوا: إنما أراد بتسليمه نفسه ليتهدَّب الخلق ويتعلموا الصبر على الشدائد والمحن ولا يضطربوا تحت مجارى الأقدار ليفوزوا بأجور الصابرين. قلنا: فإصلاحه لقلوبهم بخلق الصبر فيها والاحتمال، مع بقاء جلاله وعظمته كان أليق بالربوبية. فإن كان إلها قادرا فهلا أصلح قلوبهم، وهذَّب نفوسهم. من غير أن

يتلبس بما وصفتم من الصفع والضرب والقتل والصلب ليصلحهم .

ثم أى صلاح يظهر فى العالم بقتله؟ وأى فساد زال؟ أليس العالم على ما كان عليه قبل مجيئه؟ السارق يسرق، والفاسق يفسق، والقاتل يقتل، والظالم يظلم، وأسواق الشرور قائمة، وعيون الشياطين عن إغواء الأدميين غير نائمة، بل قد زادت الشرور بما ذكرتم زيادة كثيرة، لأن أهل العالم بزعمكم قتلوه وصلبوه ونكلوا به وبتلاميذه الذين هم عندكم أفضل من الأنبياء والمرسلين. فقد تفاقمت الشرور، واتسعت بمصرعه دائرة المحذور. وقد كان أهل العالم قبل مجيئه يعبدون الله تعالى، وإن عبُد صنم ففي العقول السليمة مندوحة عن المتابعة عليه، فلما جاء هذا الذى زعمتم أنه قتل وصلب، عبُد مع الله غيره .

وإن كابرتم وقتلتم: إن الخطيئة قد ارتفعت بمجيء المسيح وقلته؛ صرتم ضحكة بين العقلاء. على أنكم قد تأستم بإزراء العقلاء بكم، وتمرتم على السخرية منكم. أستم الذين تقرأون بعد الفطر بجمعتين التسيحة المشهورة عندكم وهي: «بصلبوت ربنا يسوع المسيح، بطل الموت وانطفأت فتن ودرست آثارها؟» أستم تقرأون يوم الأحد من الصوم التسيحة المشهورة عندكم وهي: «إن المسيح هو الذى أنقذ رعيتيه من الفتن والكفر وغلب بصومه الموت والخطيئة؟» أستم الذين تقرأون بعد كل قربان: «يا ربنا يسوع الذى غلب بوجعه الموت الطاغى؟» كذلك قولكم فى ثانى جمعة من الفطير: «إن فخرنا إنما هو بالصلب الذى بطل به سلطان الموت، وصرنا إلى الأمل والنجاة بسببه» .

وفى هذه التسابيح التى كم ما يضحك من تأملها. إذ يحسن منه أن يقول: كيف بطل الموت بصلب المسيح وموته؟ ألسنا نرى الموت فاغرا فاه. لا يشبع والشيطان مستمرا على الإضلال والإغواء لا يقلع؟ وأنى يغلب الموت من قد مات وغلب، ويقهر الشيطان من قد قُهر وصلب؟

### فضيحة أخرى،

النصارى يقرءون فى الصلاة الأولى وهى التى يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر: «تعالوا نسجد وتضرع للمسيح إلهنا. أيها الرب خروف الله. ارحمنا، أنت

وحدك القدوس المتعالى. أيها المسيح الرب إنا بكل كل يوم إلى الأبد».

واعلم: أن هذه الصلاة للمسيح خاصة. وقد صرحوا فيها بأن المسيح هو الله الرب، وأنه وحده المتعالى المبارك إلى الأبد. وهو كما ترى الكفر الصراح الذى لا غبار عليه. وهو باطل بالتوراة والإنجيل والنبوات والمزامير. فأما التوراة فليس فيها شيء من هذه النجاسات البتة، بل هى مشحونة بتوحيد البارى إله إبراهيم وتنزيهه وإفراذه بالربوبية. وقد قال فى السفر الخامس منها: «الرب واحد فى السماء والأرض وليس غيره»<sup>(١)</sup> وقال سبحانه فى العشر الكلمات: «أنا الله الذى أخرجتك من مصر؛ لا يكن لك إله غيري»<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى فى التوراة: «لا تتخذوا أصناما ولا أشباها. مما فى السماء فوق ولا فى الأرض أسفل ولا فى البحر تحت، ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها. أنا الله إله غيور»<sup>(٣)</sup> وقد كلم الله فى التوراة آدم ونوحا وإبراهيم ويعقوب وموسى وهارون وأمرهم ونهاهم. وكذلك يقول: «أنا الله وحدي» وقال الله لموسى: «أنا الله إله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. لا يكن لك إله غيري»<sup>(٤)</sup>.

فحذرهم من الإشراك واتخاذ إله آخر. وذلك من أدل الدليل على كفر النصرارى وأما الإنجيل. فقال المسيح: «لا يقدر أحد أن يعبد ربين»<sup>(٥)</sup> وقال: «لا صالح إلا الله الواحد»<sup>(٦)</sup> وقال: «أول الوصايا كلها فى الناموس: اسمع يا إسرائيل الرب الإله واحد هو. فأحبيه من كل قلبك»<sup>(٧)</sup>. وقال المسيح لليهود: «أنتم تمجدون نفوسكم ولا تمجدون الله»<sup>(٨)</sup> وسئل عن القيامة<sup>(٩)</sup> فقال: «لا يعرفها إلا الله

(١) تث ٤: ٣٩ .

(٢) خر ٢٠: ٢ - ٣ .

(٣) تث ٥: ٦ - ٩ .

(٤) خر ٢٠: ٢ - ٣ .

(٥) متى ٤: ١٠ .

(٦) متى ١٩: ١٧ .

(٧) مر ١٢: ٢٩ .

(٨) لو ١٦: ١٥ - ١٦ .

(٩) هو سئل عن فتح المسلمين لفلسطين [متى ٢٤] .



وحده»<sup>(١)</sup> ورفع وجهه إلى السماء وقال: «أنت الإله الحق وحدك»<sup>(٢)</sup> .  
 وأما المزامير والنبوات. فكلها توحيد أيضا وليس فيها من كفر النصارى شيء  
 البتة. قال داود في المزمور السابع عشر: «الله لا ريب في سبله، كلام الرب  
 مختبر، وهو منجى من توكل عليه. لا إله إلا الرب، لا عزيز مثله»<sup>(٣)</sup> وقال في  
 المزمور التاسع عشر: «الرب يستجيب لك، في يوم شدتك، إله يعقوب ينصرك،  
 ويرسل لك عوناً من قدسه، ومن صهيون يعضدك سؤلك، هؤلاء بالخيال وهؤلاء  
 بالمراكب، ونحن باسم إلهنا ندعو»<sup>(٤)</sup> .  
 فقد وضع لك: أن هذه الصلاة التي للنصارى مقصورة على عبادة رجل من  
 بنى آدم، وأنها باطلة بما نصت عليه كتب الله المنزل.

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون في صلاة الساعة الأولى: «المسيح الإله الصالح الطويل  
 الروح الكثير الرحمة الداعي الكل إلى الخلاص» هذه الصلاة من النمط  
 الأول. وهي باطلة بشهادة المسيح. إذ نطق الإنجيل بأن إنسانا قال: «يا معلم صالح  
 ما أعمل من الصلاح؟ فقال: أتدعوني صالحا؟ لا صالح إلا الله وحده»<sup>(٥)</sup> وإذا لم  
 يرض المسيح أن يكون معلما صالحا، بل أنكر ذلك وأولى الصلاح لله  
 وحده. فكيف تخطى النصارى أمره وزادوا حتى سموه الإله الصالح؟ وإذا أنكر عليه  
 السلام القول الأول فالأولى أن ينكر هذه الصلاة وهذه القراءة، ثم قول  
 النصارى: «المسيح الإله الصالح» وتخصيصه بذلك دون الأب والروح القدس؛ فيه  
 إبطال لمذهبهم في الثالوث. إذ لا خلاف عندهم: أن التعبد لأقنوم الكلمة على  
 تجردها ليس بجائز، إى الإله المحقوق بالعبادة هو عبارة عن ثلاثة أقانيم. وهى  
 الأب والابن والروح القدس.

(١) متى ٢٦: ٢٤ .

(٢) يوحنا ١٧: ٣ .

(٣) مزمور ١٨: ٣٠ - ٣١ .

(٤) مزمور ١٢٠: ١ .

(٥) متى ١٩: ١٧ .

فما لم يتوجه المكلف بالعبادة إلى هؤلاء الثلاثة؛ لم تعتبر عبادته. فإذا قصدوا المسيح بهذه الصلاة؛ فإنما قصدوا أفتوما واحدا. والمسيح عندهم ما اتحد به، سوى العلم. فأما الأب والروح فما اتحدا به. ثم هذه القراءة منهم تشعر بأن المسيح أصلح الثلاثة. ثم لا يخلو أن يقصدوا بهذا القول لاهوت المسيح أو ناسوته. فإن قصدوا ناسوته؛ - لزمهم أن يكون الجسد المخلوق إلها خالقا. وذلك جهل. وإن قصدوا لاهوته - وهى صفة العلم - لزمهم أن تكون صفات الله من العلم والقدرة آلهة معه. وذلك لا يقول به عاقل.

وأما قولهم «الطويل الروح» فإن عنوا به الروح التى زعموا أنها جاءت عند المعمودية؛ فتلك إن كانت قديمة لم يصح وصفها بطول ولا قصر. إذ كل ما دخله المساحة وكان له طول وعرض وعمق؛ فهو جسم مخلوق حادث؛ وإن عنوا به روح الإنسان على معنى أن المسيح صبر فى زعمهم على إهانة اليهود مع قدرته على الانتصار؛ فقد ناقضوا قولهم: إنه الإله الصالح. إذ الإله هو الذى لا تمتد إليه الأيدي، وهو الذى يأمر عباده بالصالح. وأما من يشرع الفساد فلا يستحق اسم الصلاح. وأما قولهم: «الداعى الكل إلى الخلاص» فنقول: أدعاهم وأراد هدايتهم أم دعاهم ولم يرد ذلك؟ فإن كان قد دعاهم ولم يرد هدايتهم؛ فقد ظلمهم بعدم إرادة هدايتهم. وقد فعل الشر وضد الصلاح. وهذا يهدم أصول النصرارى فى القول بالتحسين والتقبيح، وإن زعموا أنهم قد اهدتوا بدعائه أكذبهم شاهد الوجود.

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الساعة الثالثة: «يا والدة الإله السماوى أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة ثمرة الحياة. إليك نتضرع لترحمى نفوسنا. يا والدة الإله السماوى افتحى لنا أبواب رحمتك».

أول ما نبدا به: أن نقول للنصارى: أخبرونا هل هذا القول منكم من أصول العقائد التى لا يسع المكلف جهله أو لا؟ فإن زعموا أنه لا بد للمكلفين من اعتقاده والصلاة به وأنه لارخصة لعبد حتى يعتقد أن لله والدأ ولده، وأما حملته وأرضعته.

فإن قالوا: لا يسع مؤمننا إلا ذلك. قلنا لهم: أخرجتم آدم وإبراهيم وموسى ومن بينهم من المؤمنين عن الإيمان إذ لم يعرفوا ذلك ولا اعتقدوه ولا سمعوا به، ولو كان ذلك إيمانا وتوحيداً لم يجهلوه. وإن زعموا أن موسى وإبراهيم ومن بينهم كانوا يعتقدون أن لله والدة حملت به ووالداً ولده. قلنا لهم: أرونا ذلك فى توراة موسى ونبوات الأنبياء وأنى يجدون إلى ذلك سبيلا.

ثم نقول لهم: ما قولكم فيمن خرج عن دين المسيح وخالفه من طبقات بنى آدم؟ أكفارهم أم مؤمنون؟

فإن قالوا: إنهم كفار فجار قد هلكوا بتكذيبهم المسيح. قلنا: فقولهم فى أم المسيح: «إنها حملت ثمرة الحياة» كذب وزور وإفك ومين. إذ الذين هلكوا بانتهاك عرضها وقذفها من اليهود وغيرهم أكثر من أن يحصوا. فقد كذبتهم فى قولكم: «إنها لكرمة الحاملة ثمرة الحياة» وصارت بمقتضى ما ذكرتم حاملة الهلاك. كما قال ولدها فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى جئت لألقى على الأرض سلاما. ما جئت لألقى عليها سلاما لكن سيفا وأوقد بها نارا»<sup>(١)</sup>. وإذا كان هذا قول المسيح وهو الثمرة التى ذكرتم، فما صدقتم فى تسميته فى صلاتكم «ثمرة الحياة».

واعلم: أن هذه الصلاة أيضا مقصورة على عبادة مريم - عليها السلام - وهى خارجة عن أصول النصارى؛ لأن جسد مريم لم يتحد به شىء عند كافة النصارى، بل جسدها كسائر أجساد بنى آدم. فلو جاز أن تُعبد مريم، لكونها حملت بالمسيح عن عدة الله؛ لجاز أن تُعبد أليصابات وسارة وهاجر. إذ حملوا عن عدة الله تعالى. فقد زاد النصارى على الثالوث إلها رابعا وخالفوا أهل ملتهم من القدماء.

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة السادسة: «يا من سُمِّرت يدها على الصليب من أجل الخطيئة التى تجرأ عليها آدم، خرقت العهدة المكتوب فيها خطايانا وخلصنا. يا

(١) متى ١٠: ٣٤.

من سُمِّر على الصليب، وبقي حتى لصق على الخشبة بدمه قد أحببت الممات لموتك، أسألك بالمسامير التى سُمِرت بها، نجنى يا الله» هذه القراءة وإن كانت تصلح لتعاليق المجان ومن يعتنى بالأضاحيك؛ فلا بد أن نبين مراد النصارى بها. ومرادهم: أن آدم أُبيح له كل شجر الجنة. وقيل له: «كُلْ مَا أَحْبَبْتَ خِلا شَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَإِنَّكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَأْكُلُ تَمُوتُ مَوْتًا» قالوا: فلما أكل وخالف أمر ربه، وجب فى حكم الله تعالى أن يميتَه موت الخطيئة لا موت الطبيعة. إذ سبق فى علم الله أنه لا يفرغ العالم من نسله. فلما ورد عليه العتاب والتوبيخ؛ أسف وندم على ما فعل، وأنه تعالى تاب عليه وبقي فى عهدة قوله السابق. فلطف له وبعث المسيح فصام بدلا من توسع آدم فى تناول الشجرة، وصلب على خشبة بدلا من تيك الشجرة، وسمرت يدها بالجذع، لامتدادها إلى الثمرة المنهى عنها، وسقى المرار لالتذاذ آدم بحلاوة ما أكله من الجنة، ومات بدلا عن الموت الذى كان الله يهدد به آدم. وهذه دعوى لا برهان لهم عليها. ولو ادعاها بعض الناس لبعض من صلب فى الدنيا قَبْلَ المسيح أو بعده؛ لما وجد النصارى إلى رد ذلك سبيلا، وليس - وعزة الله - لما لفقوه من ذلك أصل فى كتاب الله. لا فى العتيقة ولا فى الجديدة.

وقولهم: «خرق العهدة التى كتبت فيها خطايانا وخلصنا» وذلك أنهم يعتقدون أن خطيئة آدم التى جناها على نفسه قد شمل وزرها وتبعثها سائر ولده حقا بعد حقب، وقرنا بعد قرن إلى مجيء المسيح. وقد أبطلنا ذلك فيما تقدم وتلونا ما ورد فى التوراة والإنجيل والمزامير مما يكذب هذه الدعوى.

وقد قالت التوراة: إن الله قال لقايل بن آدم: «إن أحسنت تقبلتُ منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك. أنت تقبل إليها وهى تسلط عليك» (١). فقد أخبرت التوراة أن فى إحسان المحسن وقبول البر من الرجل البار مندوحة عن قتل المسيح وغيره. وقالت التوراة أيضا: «أما هايل فإنه يُجزى للواحد سبعة» (٢) وفى ذلك مندوحة عن القتل والصلب. إذ الجزاء خلاص وزيادة. وقال الله تعالى فى

(١) تكوين ٤: ٦ - ٧.

(٢) تكوين ٤: ١٥.

المزامير: «طوبى للرجل الذى لم يتبع رأى المنافقين ولم يقف فى طريق المستهزين ولم يجالس الخاطئين لكن فى ناموس الرب هواه، يدرس ليلا ونهارا» (١) فقد شهد المزمور: أن الاشتغال بقراءة كلام الله وعبادته مخلص لصاحبه، وأن الطوبى له، فلا حاجة إلى الخلاص بشيء آخر، وإلا فيلزم تكذيب داود فى خبره عن الله تعالى. وقد قال التلاميذ للمسيح وسألوه: من العظيم فى ملكوت الله تعالى؟ فقال: «من تواضع مثل الصبيان. فهو العظيم فى ملكوت الله» (٢).

فقد أخبر المسيح أنه لا حاجة إلى قتل وصلب، بل من تواضع لله ولم يتكبر؛ كفاه ذلك وخلّصه. والعجب كيف تحكّم النصارى بصحة توبة آدم ويقولون: إن ذريته مأخوذة بجريرته، وقد رووا فى بعض نبوات أنبيائهم عن الله: «لا آخذ الولد بذنب والده، ولا الوالد بذنب ولده. طهارة الطاهر؛ له تكون. وخطيئة الخاطيء عليه تكون» (٣) وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والعجب كيف يثبتون عند سماع هذه القراءة ولا يستغربون ضحكا، ولعمري ما بلغ أعداؤهم منهم ما بلغوا من أنفسهم فى جعل مثل هذا السخف قرآنا يتلى.

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الساعة التاسعة: «يا من ذاق الموت من أجلنا فى الساعة التاسعة. إليك ابتهالنا. يا من سلم نفسه إلى الأب لماً علق على الصليب لا تغفل عنا. يا مَنْ من أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت؛ لا تخيب من خلقت بيديك واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحق ويعقوب» وفى هذه الصلاة يقرءون أيضا: «لما رأت الوالدة الحمل والراعى ومخلص العالم على الصليب قالت وهى باكية: أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عندما أنظر إلى صلبوتك يا بني».

(١) المزمور الأول وقد أشار الله إليه فى القرآن بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا... الخ﴾.

(٢) متى ١٨: ١ - ٤.

(٣) حزقيال ١٨: ٢٠ - تثنية ٢٤: ١٦.

والغَيُّ قولهم: «يامن ذاق الموت من أجلنا» قد بينا خُلُو هذه الدعوى عن الفائدة، وأن القتل والصلب وقع باطلاً. إذ الخلاص الذى قُتِل لأجله لم يعرفوا له حقيقة ولا وقفوا من أمره على نَبأ إلى الساعة. وما هو إلا عتقاء مغرب يُسمع به ولا يُرى. على أن هذه القراءة مع أنها سبِّة على قارئها فيها تناقض لا يخفى على من تأمله. وذلك: أن أولها يشهد بأنه قتل وصلب وذاق الموت من أجل خلاصهم، وقد سمته أمه بزعمهم: «مخلّص العالم» فما حاجتهم إلى التضرع إليه ألا يخيبهم ولا يغفل عنهم وأن يمدوا إليه بشفاعته والدته؟ أهم شاكون فى خلاصهم بقتله وصلبه؟ أم يقولون إن الأب لم يَفِ له فخسر نفسه ولم يحصل لهم خلاص؟

وأما قولهم: «ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحق ويعقوب» فذلك غلط من النصرارى إذ ما عاهد إبراهيم وإسحق ويعقوبُ الأب. وقد قال المسيح: «الله لم يره أحد قط»<sup>(١)</sup> وعلى مقتضى هذه الصلاة المدبرة يكون المصلوب المُسمَّر اليدين بالمسامير هو الأب الذى عاهد إبراهيم وإسحق ويعقوب. والذى غلَط النصرارى ههنا قول أفرايم - من جهال سلفهم - : «إن اليدين التى جَبَلت طينة آدم هى التى علقت على الصليب، وإن الشبر الذى مَسَّحت السماء هى التى سمرت فى الخشبة» فاستغفر الله من حكاية أقوال هؤلاء الضلال.

وأما قولهم: «إن والدة إله إبراهيم وإسحق ويعقوب واقفة تبكى تحت خشبته وتناديه: يا بنى وإلهي. أحشائى تَحترق لصلبك» فلو سمعه بعض المجان لاتخذه من أظرف ما يجنب به؛ لأن حاصله: أن ابنها إلهها الذى ولدته، وخالقها هو ولدها الذى أَرْضعته.

ولاشتمال صلوات النصرارى على هذا السخف، يبالغون فى ستر أحوالهم ولا يُعجبهم أن يحضر بيَعهم أحد غيرهم.

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة الغروب: «يا والدة الإله العذراء إسعى فى خلاصنا، وافرحى يا والدة الإله. مباركة أنت فى النساء ومبارك ثمرة بطنك؛ لأنك

(١) يوحنا ١: ١٨ .

ولدت لنا مخلصاً، يا والدة الإله لا تُغفلى عن وسائلنا ونجنا من المعاطب» وفي هذه الصلاة: «يا صابغ المسيح يوحنا اذكر جماعتنا ونجنا».

قولهم «يا والدة الإله» اعلم: أن الألوهية عندهم تكون حقيقة وتكون مجازاً، فالإله الحقيقي: هو الله الأب عندهم. والإله المجازى هو المعظم فى الدين الذى يدعو إلى الله ويعلم الناس أوامر الله، ويبين لهم أحكامه، فإن عنوا ههنا الإله الحقيقي؛ سقطت مكالمتهم، لبيان جنونهم. وإن عنوا القسم الثانى وهو الإله الذى هو معظم فى الدين كقول الله فى التوراة لموسى عليه السلام: «أخوك هارون يكون لك مترجماً وأنت تكون له إلهاً ومدبراً»<sup>(١)</sup> وكقول داود لعلماء بنى إسرائيل فى المزامير: «أنا قلت: إنكم آلهة وبنى العلى كلكم تدعون»<sup>(٢)</sup> وكقول حَبَقُوق النبي: «إله يأتى من التيمن ومقدس من جبال فاران»<sup>(٣)</sup> يصف نبيا يخرج من الحجاز - صلوات الله عليه وسلامه - فإذا قال النصرارى فى صلواتهم: «يا والدة الإله» لم يعلم من هى المدعوة؟ أهى أم إبراهيم؛ فإنه فى التوراة عظيم الله، أم أم إسرائيل؛ فإنه فى التوراة بكر الله، أم والدة موسى؛ فإنه فى التوراة «إله ومدبر» أم إحدى أمهات أصحاب داود؛ فإنهم فى المزامير آلهة؟ وإذا كان هؤلاء يدعون آلهة؛ فقد صار اللفظ مجملاً، فمن التى دعوا لتنجيهم من المعاطب وتسعى فى خلاصهم؟

وقد زادوا فى هذه الصلاة إلهها سادساً. وهو يوحنا إذ قالوا: «يا يوحنا صابغ المسيح؛ نجنا من المعاطب» فصارت الآلهة ستة: الأب والابن وروح القدس والمسيح ومريم والمعمداني. وفى دعائهم يوحنا وطلبهم النجاة منه تكذيب لهم فى دعوى الخلاص بقتل المسيح؛ إذ لو كانوا قد خلصوا بالمسيح؛ لم يفتقروا إلى دعاء غيره، وحيث احتاجوا إلى الغير؛ دل أنهم ما خلصوا، وصار ما ادعوه من قتل المسيح خالياً عن الفائدة.

(١) خروج ١: ٧ .

(٢) مزمو ٦: ٨٢ .

(٣) حبقوق ٣: ٣ .

## فضيحة أخرى،

النصارى يقرءون فى صلاة النوم: «الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة؛ لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة، ثالث واحد».

أما قولهم إن الملائكة يعتقدون الثالث الذى يقولون به؛ فبهت قبيح وكذب صريح، بَنُوهُ عَلَى فاسد معتقدهم. وإلا فمن أين علموا أن اعتقاد الملائكة ما حكمه عنهم؟ والدليل على تخرص ذلك على الملائكة: التوراة والإنجيل والمزامير؛ فإنها شاهدة بالتوحيد وتنزيه البارى عن الثانى والثالث. فقد قال لوقا: إن جبريل حين خاطب مريم وسلّم عليها؛ ارتاعت منه، وقالت: «ما هذا السلام؟ فقال لها جبريل: اعلمى أنى أنا جبريل الواقف قدّام الله؛ جئتك أبشرك». وقد أكثرنا من ذكر الشواهد على التوحيد مما يقضى ببطلان هذه القراءة، وتبين تخرص من ألفها.

وفى قول النصرارى ههنا: «لأنك قبل الكل لم تزل» يدل على حدّث الابن والروح القدس، لتأخرهما عن الأب فى الوجود. إذ لو كانا قديمين لم يكونا مسبوقين. فإن عبر النصرارى عن صفتى العلم والحياة بالابن والروح. قلنا لهم: فالصفتان قديمتان أيضاً، فكيف يكون الأب قبل الكل، والصفة لا تتأخر عن موصوفها؟ فالقراءة على ذلك باطلة. فنحن نسألهم عن الابن والروح أهما إلهان أزيان أو مخلوقان حادثان؟

فإن كانا حادثين مخلوقين؛ فقد أبطلوا القول بالوهيتهما، وأبطلوا القول بالثليث. وإن كانا إلهين خالقين؛ بطل أن يكون الأب سابقا لهما. وفسدت هذه التلاوة.

وأما قولهم: «ثالثوا واحدا» فلا تظن أنهم يعتقدون أنها صفات للذات بل مرادهم أن الآلهة ثلاثة فقط بغير رابع. والدليل عليه: أفراد كل واحد منهم بالذكر والتعبد والسؤال - كما شهدت به الصلوات والامانة التى لهم والتساييح - ولو كانوا يردّون ذلك إلى أنهم صفات للذات لاقتصرنا على أفراد الله تعالى بالذكر كما أفرد موسى وعيسى والأنبياء - عليهما السلام - فهل تجدون فى التوراة



والنبوت للتثليث ذكرا البتة؟ على أن النصارى قد عبدوا بنى آدم ألا تراهم كيف يقرءون فى الصلاة الأولي: «تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا» والمسيح هو المولود الذى ولدته مريم - عليها السلام - .

### فضيحة أخرى:

النصارى يقرءون فى صلاة نصف الليل . وهى الثامنة «تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالى إلى الدهر، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح وفوق المتعالى إلى الدهر، أنت فوق المسيح وفوق المتعالى إلى الدهر» وكرروا هذه الفوقية فى هذه الصلاة دفعات، فوصفوا الله تعالى بأنه فوق المسيح وفوق من هو أعلى من المسيح . وذلك مناقض لما قرءوه فى صلاة النوم إذ قالوا فيها: «إن المسيح نظير الله فى الابتداء، وإن روح القدس مساويه فى الكرامة» فإن كان الله فوق المسيح؛ بطل قولهم إنه نظيره، وإن كان المسيح نظيره؛ بطل أن يكون فوقه . فلا بد من إبطال أحد القراءتين ضرورة الوفاء بالأخرى .

ثم نقول لهم: أليس أقنوم الوجود وأقنوم الحياة وأقنوم العلم، متساوية فى الأزلية والقدم واستحقاق الربوبية؟ فما الذى خصص أحدهم بالفوقية دون الآخرين وليس متقدما عليهم؟ فإن أبيتم إلا إثبات الفوقية له عليهما؛ فقد أثبتتم أنهما دونه . وذلك تشويش للثالث، وإن وفيتم بالثالث؛ أبطلتم هذه القراءة . ولا سبيل إلى إبطالها؛ فإن التوراة والإنجيل والنبوت شاهد بالصحة . إذ خصصت البارى بالالوهية ووصفته بأنه المتعالى فوق المسيح وفوق كل شيء - جل وعلا وتقدس عما يقول الجاحدون علواً كبيراً - .

فهذه بهذيكم ثمانى صلوات قد اشتملت على الكفر والبهت والفجر وقلة الحياء . وذلك أن أحدهم يقوم مضمخاً ببوله؛ فيتوجه إلى مشرق الشمس - وهى جهة كان المسيح وغيره من الأنبياء يتكبهها فى صلاته؛ فيناجى رجلا من بنى آدم فيقول فى قراءته: «يامن قتله اليهود وصلبوه، وسمروا يديه على خشبة وتركوه على جذعة بين اللصوص حتى أسالت الشمس دمه وحتى لصق بالخشبة جسده . بحرمة المسامير التى سمرت بها يديك؛ ارحم من خلقت بيديك . يا

الله». وهذا - حوشيتم - لو خوطب به زعيم قرية أو رئيس محلة لتطير من سماعه وعجل العقوبة لقاتله. فكيف بمن يناجى بذلك إلهه وربه جل وعلا؟

### سؤال على النصارى:

نقول للنصارى: أخبرونا ما الذى صنعه الله أيشوع حتى صار ابنا له. إذ لم تقولوا بالبنوة المعروفة المتحدة من الزوجة والمملوكة؟

فإن قالوا: مسحه فصار بمسحه له مسيحا وابنا. قلنا: أبنوا لنا: هل مسحه بدهن؟ فإن قالوا: نعم، ساووا بينه وبين داود وغيره. إذ قال داود فى مزاميره: «صبيا كنت فى غنم أبى؛ فأخذنى ربى ومسحنى بدهن مسيحه»<sup>(١)</sup> وقال داود فى مزموه آخر: «اتتمر الشعوب على الرب وعلى مسيحه»<sup>(٢)</sup> يعنى نفسه<sup>(٣)</sup>. وقال الله تعالى فى السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة: إن الحبر المسوح من أولاد هارون هو الذى يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح<sup>(٤)</sup>. وذلك مشهور عندهم. فالمسيح هو المسوح. فما زادوا أن وصفوه بوصف كاهن. وفى الأصحاح الخامس من هذا السفر «قال الله لموسى: اعمد إلى هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن المسحين الذى يسمح به الأحبار وخذ الجماعة كلها إلى باب قبة الأمد، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة وكلله بأكلييل من ذهب، وصب على رأسه من دهن المسحين وامسحه وقدسه ففعل موسى ذلك بهارون»<sup>(٥)</sup>.

فما نرى المسيح له مزية على داود وهارون فى ذلك، وما نراه نسج له إلا على منوال من تقدم من صفوة الله تعالى.

وقد حكوا فى إنجيل لوقا: أن جبريل بشر مريم بأن ولدها المسيح ابن داود يجلسه الرب على كرسى أبية داود ويملكه على بيت يعقوب. وذلك يتقاضى أن يكون أفضل منه أو معه فى رتبة الفضل. فيالله العجب. جبريل يخبر عن الله أن

(١) صبيا كنت فى غنم أبى: هذا فى المزمور المائة وواحد وخمسين ويوجد فى النسخة القبطية.

(٢) المزمور الثانى.

(٣) داود لا يعنى نفسه. وإنما يعنى محمدا ﷺ.

(٤) لاويين ٤: ٥ - ٦.

(٥) خروج ٨.

المسيح هو ابن داود، وأنتم تقولون كلا. ولكنه رب داود. لقد تباعد ما بينكم وبين جبريل. ومن كان عدوا لجبريل الأمين؛ فهو لاشك عدو لله رب العالمين.

وإن قالوا: إنما جعله مسيحاً وابناً بتسمية سماه بها وسمى نفسه ابناً له. قلنا: وكذلك يعقوب إذ حكيتُم لنا في التوراة. أن الله تعالى قال لموسى: «ابنى بكرى إسرائيل»<sup>(١)</sup> والبكر أَجَلٌ قَدْرًا عند والده من غير البكر، على ما لا يخفى. والتوراة تشهد بأن للولد الأكبر سهمين في الميراث ولغيره سهم واحد ثم هو جَدُّ المسيح، وعامة الأنبياء من نسله. فهلا عبدتموه واتخذتموه إلهاً؟

وإن زعموا: أن المسيح إنما سماه الله ابناً للتربية وحسن التأديب. فلعمري لئن كان الله قد غَدَّاه بغير رضاع وقواه بسوى الطعام المألوف، وألبسه غير الثياب المعهودة، وبعث إليه ملكاً يؤدبه، واختلفت الملائكة إلى بيت أمه لزيارته وامثال أوامره ليخالف بينه وبين سائر الناس؛ إن ذلك لموضع شبهة. فأما وأمره في جميع أحواله على ما يُعهد من الناس ولم تظهر له آية في صباه ولم يتكلم في المهد كما زعموا ولا زاد إلى أن بلغ ثلاثين سنة على رجل من بنى آدم، فما وجه ادعاء ربوبيته وألوهيته؟

ولو أن النصرارى قالوا: إنه تكلم في المهد، وخلق من الطين كهيئة الطير كما يقول فيه المسلمون؛ لوجدوا شعباً يستريحون إليه ساعة وساعة.

وإن قالوا: إنه إنما صار مسيحاً وابناً بمعمودية يوحنا. فقد اعترفوا بأن مريم لم تلد الابن المسيح في الحقيقة وإنما هي امرأة ولدت طفلاً من أطفال بنى آدم، وحينئذ تكون بنوة المسيح مجرد تسمية لاغير، ويستوى حاله وحال من تَقَدَّمه في هذه التسمية من بنى إسرائيل. وإن قالوا: إنما اتخذه الله مسيحاً وابناً لأنه أطاع الله طاعة لم يطعها أحد قبله، وعبيده عبادة لا يتصور أن يبلغها أحد. فنقول: كيف ذلك وإنما أطاع الله تعالى منذ عقل وبلغ مبالغ الرجال وذلك دون العشرين سنة، وأنتم حكيتُم لنا في التوراة: أن موسى عليه السلام عمَّرَ مائة وعشرين سنة<sup>(٢)</sup> فإذا طرحنا سنَّ الصبا، كان عمر المسيح خُمسَ عمر موسى. وإذا كان الأمر كذلك؛

(١) خروج ٤: ٢٢.

(٢) تثنية ٣٤: ٧.

فقد زادت أعمال موسى وطاعته وأرْبَت على طاعة المسيح. وقد حكيتُم لنا: أن موسى مَلَكَ جانباً كبيراً من الأرض وقاتل الجبابرة وجاهد العمالقة وأباد الفراعنة وقتل عوجاً مبارزة وواصل لله أربعين يوماً وأربعين ليلة، لا يذوق طعاماً. وابتلى بخلاف قومه وكثرة تلونهم وتعنتهم بالجهل المركوز فى طباعهم فصبر عليهم ورفق بهم وساسهم وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحيب، فلم يهب جباراً وإن عَظُم قَدْرُهُ، ولا نكل عن عدو وإن تفاقم أمره. حتى فتح الشام ودوَّخ البلاد. ولما دنا حِمامه وزمَّه من المقدور زمامه؛ تقدم إلى خادم كان له يقال له يوشع بن نون ليفتح باقى بلاد الشام، وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمته ما شَدَّد شكيمته وأيَّد نحيزته. فقاتل أربعة وعشرين مَلِكاً وأبادهم عن جديد الأرض. وهذه عبادات لم تتفق للمسيح - عليه السلام - مع نزول سنه. وأنتم أخبرتمونا فى الإنجيل أن المسيح كان مذ بلغ الحلم إلى أن ناهز الثلاثين مشتغلاً بتعلم التوراة واقتباس العلم من أتباع موسى، فلم يكن يُحَارِب ولا يُحَارَب ولا امتحن بما امتحن به موسى. فقد كذبتُم فى قولكم إنه اتخذ ابناً لتقدمه فى الطاعات على غيره.

وكيف تستقيم لكم هذه الدعوى والمزامير تشهد بخلافها. قال داود عليه السلام مستنبها على المسيح: «أقسم الرب ولا يكذب أنك أنت الكاهن المؤيد تشبه ملكى صادق»<sup>(١)</sup> فشبّه المسيح برجل كاهن كان فى زمن إبراهيم الخليل وأقصى درجات الشبه: أن يساوى المشبه فى الفضل. وهذا الكلام من داود يفضى بانحطاط درجة المسيح عن درجة إبراهيم موسى - عليهما السلام - إذ لا خلاف بين أهل الكتاب أن إبراهيم وموسى أفضل من ملكى صادق هذا الذى شُبّه به المسيح. فاعلم ذلك.

وإن قالوا: إنه كان له من النية ما لم يكن لموسى ولا غيره - والأعمال بالنيات - قلنا: لو عكس عليكم الأمر وقيل لكم: بل نية موسى كانت أعظم، وقصده كان أتم وأفخم. فبماذا كنتم تجيبون؟ فإن من كان له من أنواع العبادات والقُربات ما وصفنا؛ فهو أحق بأن يقال: إن نيته أعظم من نية غيره. فقد بطل جميع ما تمسك

(١) مزمو ر ١١٠: ٤.

النصارى به فى بنوة المسيح، واستوى حاله وحال أحبار بنى إسرائيل فى المسيحية والبنوة.

وإنما أوردنا ما أوردنا من ذلك؛ كسراً لحجج النصارى وهدماً لأباطيلهم. ونحن والحمد لله أسلم قلوبنا لأنبياء الله وأحسن قولاً منهم وأجمل اعتقاداً - صلوات الله عليهم أجمعين - .

## الباب العاشر

في

البشائر الإلهية بالعزة المحمدية

وتشتمل على قسمين:

**نذكر في القسم الأول:** ما نصت عليه الأنبياء من لدن إبراهيم إلى المسيح عليهم السلام مما يشهد بنبوته محمد رسول الله ﷺ ويحقق رسالته، وأنه عليه السلام أفضل النبيين والمرسلين، فلو لم يبعث محمد ﷺ لاختلفت أقوال الأنبياء، وردت شهاداتهم، وعكّر ذلك على نبواتهم بالإبطال، وقد بالغوا - عليهم السلام - في التنصيص على اسمه ونعته وحليته وذكر أرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمته، وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، وأن دعوته تدوم إلى قيام القيامة.

**والقسم الثاني نذكر فيه:** ما جاء به من الآيات البينات، والخوارق الباهرات مما تضمّنه الكتاب العزيز، واشتملت عليه السنة الطاهرة. فأوجب الله به الحجّة، وأثار الحجّة. وأقام منار الأبرار، ومحى بذلك آثار الكفار. ولتقع البداءة بما في التوراة من ذلك.

## القسم الأول

### من هذا الباب

### فى البشارة بالنبى فى التوراة والإنجيل

#### البشرى الأولى:

قالت التوراة فى الفصل العاشر من السفر الأول منها: إن الله تعالى قال لإبراهيم: «إن فى هذا العام يُولد لك ولد. اسمه إسحق. فقال إبراهيم: ليت إسماعيل هذا يحيا بين يديك، يُمجدك. فقال الله تعالى: قد استجبت لك فى إسماعيل وإنى أباركه وأُنمّيه وأعظمه جداً جداً. بما قد استجبتُ فيه. وأصيرُه لامة كبيرة، وأعطيه شعباً جليلاً. وسيلد اثنى عشر عظيماً» (١).

قلت: قد علم الموالف والمخالف والموافق والمفارق: أنه لم يكن فى ذرية إسماعيل من ظهرت بركته ونمت أمتُه وأعطى الشعب الجليل سوى محمد رسول الله ﷺ فلقد ملأوا الأرض برحبها وطبقوا من شرق الدنيا إلى غربها. ودوخوا الآفاق، وأربوا فى العدد على أولاد إسحق. وهم - والحمد لله - لا يزدادون على مر الأيام إلا نماءً وكثرةً. وهذا بالغ فى شرف إسماعيل. إذ فخر الولد يكسب الوالد فخراً، ويرفعه دنياً وأخري. وناهيك بمن يصفه الله بالعظم والبركة واليُمن والجلالة. وبأقل من هذه الوعود، يثبتُ الفضل على سائر المخلوقات. إذ اليسير من الله؛ عظيم. والعظيم منه؛ فلا شيء أعظم منه.

#### البشرى الثانية:

قالت التوراة فى الفصل التاسع من السفر الأول: إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة. فقال: «يا هاجر من أين أقلت؟ وإلى أين تريدين؟» فلما شرحت له الحال قال: «ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحصون. وها أنت تحبلين وتلدن ابناً تسمينه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع تذلللك وخضوعك. ولذلك يكون وحشياً الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم

(١) التكوين ١٧: ١٦ - ٢٠.

جميع إخوته» (١) .

فهذه بشارة شافه الله تعالى بها هاجر على لسان ملكه، وأخبرها أنه جاعل يد ابنها العليا ويد من سواه السفلي. ولم تتم هذه البشرية إلا بمبعث محمد ﷺ .

### البشرى الثالثة:

قالت التوراة فى الفصل الثالث عشر من السفر الأول أيضا: قال الله لإبراهيم: «إنى جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة؛ لأنه من زرعك» (٢) .

### البشرى الرابعة:

قالت التوراة فى الفصل العشرين من السفر الخامس: قال موسى: «أقبل الله من سيناء، وتجلّى من ساعير، وظهر من جبال فاران. معه ربوات الأطهار عن يمينه» (٣) .

فسيناء: الجبل الذى كلم الله فيه موسى. وساعير: هو جبل الخليل بالشام. وكان المسيح يتعبد فيه ويناجى ربه. وفاران: جبل بنى هاشم الذى كان رسول الله ﷺ يتحنّث فيه ويتعبد. وقد خصت التوراة نبينا محمد ﷺ بزيادة على موسى وعيسى. فقالت: «معهم ربوات الأطهار عن يمينه» وذلك كناية عن أصحاب رسول الله ﷺ يعنى بالربوات. الجماعات من الأكابر، والمعظمين فى الدين. على مذهب تسمية العظيم القدر: ربا. فجمعوا الرب (٤) ربوات. ولم يقولوا: أرباب؛ لفساد التعبير وسوء الترجمة. كما قال فولس مفسرهم: «إن جبل فاران متصلا ببلاد أرابيا» (٥) يريد بلاد العرب.

ويحتمل: أن يكون أراد بالربوات جماعة الملائكة. وهو الأقرب؛ لأن الربوات: الجماعات. واحدها: ربوة. قال داود فى المزمور الثالث: «الرب ناصرى. لا

(١) تكوين ١٦: ٧ + .

(٢) تكوين ٢١: ١٢ - ١٣ .

(٣) تثنية ٣٣: ١ + .

(٤) الربوة: الجماعة العظيمة من الناس.

(٥) غلاطية ٤: ٢٥ .



أخاف من ربوات الشعوب المحيطين بي»<sup>(١)</sup> فيكون ذلك كناية عن تأييد الله نبيه محمد ﷺ بالملائكة في حروبه وغزواته، وترددهم إليه بالوحي والتنزيل. وفي التوراة: أن إسماعيل سكن برية فاران، ونشأ بها وتعلم الرمي»<sup>(٢)</sup> وذلك كله بمكة. وإذا كان ذلك كذلك؛ فلم يأت من جبال فاران من دعا إلى الله وأظهر أحكامه، ونشر أعلامه، وشرع الدين القويم، ونهج للأمم الطريق المستقيم، ومهد الحاج، وعمر الأندية، وعمر رءوس الجبال، وبطون الأودية بالتلبية سوى محمد رسول الله ﷺ.

### البشرى الخامسة:

قالت التوراة في الفصل الحادى عشر من السفر الخامس: يا موسى إني سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم، مثلك، أجعل كلامى فى فيه، ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى؛ أنا أنتقم منه ومن سبطه»<sup>(٣)</sup>.

قلت: هذه آثار النعمة على من فارقه لائحة، وآثار النعمة على من وافقه واضحة. واعلم: أن إخوة بنى إسرائيل هم ولد إسماعيل. ولا يجوز أن يكون هذا النبى المذكور من بنى إسرائيل. ألبتة؛ لأن الله تعالى يقول لموسى نبى مثلك ولم يبعث من بنى إسرائيل نبى مثل موسى جاء بكتاب منزل وشرع مبتدأ. فوجب أن يكون من ولد إسماعيل. ولم يقم من ولد إسماعيل من يمكن تنزيل هذا الوعد الحق عليه سوى رسول الله. فلو لم يبعث محمد ﷺ لأخلفته أقوال التوراة. وخبر الله تعالى محاشى عن الخلف، بل قوله الحق ووعد الصدق سبحانه وتعالى.

### البشرى السادسة:

قالت التوراة فى هذا السفر: قال موسى لبنى إسرائيل: «لا تطيعوا العرافين

(١) معنى كلام داود: هو الجماعات العظيمة، لا الملائكة والنص فى المزمور الثالث.

(٢) تكوين ٢١: ٢٠ - ٢١.

(٣) تثنية ١٨: ١٨ - ١٩ أيضا سفر الأعمال ٣: ٢٢ +.

ولا المنجمين؛ فسَيَقِيمُ لَكُمْ الرب نبيا من إخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي» (١).  
فإن قيل: فلعل هذا الموعود به بنو إسرائيل: هو هارون أخو موسى ووزيره أو  
يوشع خادمه ومشيره.

قلنا: التوراة تأبى ذلك. إذ قد أُخبرت أن هارون توفي في حياة موسى وعاش  
موسى بعده. وأما يوشع بن نون فهو من بنى إسرائيل والله تعالى يقول: «من  
إخوتهم» ولم يقل من أنفسهم. والتوراة أيضا قد سدت هذا الباب فقالت في آخر  
ورقة فيها من السفر الخامس: «ومات موسى. فكان بنو إسرائيل يسمعون من يوشع  
ويطيعونه. ولم يقم من بنى إسرائيل بعد موسى مثل موسى الذى عَرَفَ الله وجهاً  
قَبْلَ وجه. وصنع الآيات والعجائب» (٢) ثم هارون ويوشع قد كانا أقيما للنبوة قبل  
صدور هذا الخطاب من الله.

ولا يصح أن يُنَزَّلَ على المسيح. بإجماع الأمم. أما اليهود فهو عندهم كذَّاب  
أشر، وأنه ما أحيا ميتاً قط، ولا أبرأ أبرصا. وأما النصراري فهم يزعمون أنه الرب  
الذى بعث الأنبياء، وأرسل الرسل، وأنه الذى خلق الخلق، وأتقن العالم. فلإن  
رجعوا القهقري وقالوا: إن المسيح مثل موسى؛ فقد تناقض قولهم، وخبطوا  
عشوي. وأما المسلمون فالمسيح عندهم نبى كريم غير أنه من بنى إسرائيل، والله  
تعالى يقول: «من إخوتهم» ولم يقل من أنفسهم؛ فبطل أن يكون المسيح أو  
غيره. وتعيّن أن يكون محمداً (٣) ﷺ ضرورة الوفاء بقول الله تعالى.

### البشرى السابعة:

قالت التوراة: لما حضرت إسرائيل الوفاة وهو بمصر عند يوسف؛ دعا أولاده.  
فحضروا بين يديه. فباركهم واحداً واحداً، ودعا لهم. ولما انتهت النبوة إلى ابنه يَهُوذَا  
قال فيه: «لا يَعدِمُ سبط يهوذا ملكاً مُسَلِّطاً وأفخاذه نبيا مرسلًا؛ حتى يأتى الذى له  
الكل» (٤). وإنما عنى بذلك رسول الله ﷺ وقد ثبت ذلك فيما تقدم.

(١) هي نفسها البشارة الخامسة والنص في التثنية ١٨: ٩ + .

(٢) تثنية ٣٤: ٥ + .

(٣) تعين أن يكون محمداً؛ لنص البركة في إسماعيل وللکلام الذى ذكره المؤلف.

(٤) تكوين ٤٩: ١٠ والمعنى: يكون الملك فى اليهود جميعا، لا فى سبط يهوذا وحده. وتكون البشريعة فيهم

إلى أن يأتى الذى له الكل. ويكون من إسماعيل لان لإسماعيل بركة.

فهذه سبع بشائر من التوراة باقية خالدة قد صانها الله عن التحريف، وحماها عن التغيير والتصحيف. ولو غسل الخاطر من وضر الهموم، وإنجاب عن القلب غيوم الغموم. حتى تطهر النفس، ويضيء الحس. ويصفو ذهن الذهن؛ لتوسعت في استخراج جميع ما في التوراة من أعلام نبينا محمد ﷺ وفي هذا القدر بلاغ وكفاية.

#### البشرى الثامنة من مزامير داود:

في زمور له: «سبحوا الله تسبيحا جديدا، وليفرح بالخالق؛ من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة. يُسَبِّحُونَهُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَيَكْبُرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ مَرْتَفَعَةٍ، بِأَيْدِيهِمْ سِوْفَ ذَوَاتِ شَفْرَتَيْنِ؛ لِيَتَّقِمَ بِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَهُ» (١).

فقوله: «يكبرون الله بأصوات مرتفعة» إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية. وهذه كلها صفات النبي محمد وأمه.

#### البشرى التاسعة:

قال داود النبي عليه السلام: «من أجل هذه بارك الله عليك إلى الأبد، فتقلد أيها الجبار السيف؛ لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك. اركب كلمة الحق وسَمَّتْ تَالَهُ؛ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ وَسَهَامِكَ مَسْنُونَةٌ، وَالْأُمَمُ يَخْرُونَ تَحْتِكَ» (٢).

ليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى نبينا عليه السلام وهو الذي خَرَّتْ الْأُمَمُ تَحْتَهُ وَقُرْنَتْ شَرَائِعُهُ بِالْهَيْبَةِ. فلما القبول وإما الجزية وإما السيف. وتصديقه: قوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ» فإن قالوا: سماه المزمور جبارا. قلنا: لا يمتنع أن يكون النبي جبارا على الكافرين، رحيفا بالمؤمنين. كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وقد شهد المزمور له بالنبوة

(١) المزمور ١٤٩ .

(٢) المزمور ٤٥ .

صريحا. إذ أخبر أن له ناموسا وشرائع كنواميس الأنبياء وشرائعهم. وقال إن دينه يظهر على كل دين؛ فلم يُخرم ما أخبر به.

### البشرى العاشرة:

قال داود فى مزموه له «إن ربنا عظيم محمود جدا، وفى قرية إلهنا قدوس. ومحمد قد عمَّ الأرض كلها فرحا» (١).

فقد نص داود على اسم محمد وبلده وسماه قرية الله تعالى، وأخبر: أن كلمته تعم أهل الأرض.

### البشرى الحادية عشرة:

قال داود فى مزموه له: «إن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً» (٢).

(١) فى المزمور الثامن والأربعين: «عظيم هو الرب، وحميد جدا. فى مدينة إلهنا جبل قدسه. جميل الارتفاع، فرح كل الأرض جبل صهيون، فرح أقاصى الشمال مدينة الملك العظيم. الله فى قصورها، يُعرف ملجأ. لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعا. لما رأوا بهتوا. ارتاعوا فروا. أخذتهم الرعدة هناك، والمخاض كوالدة. بريح شرقية تكسر سفن ترشيش. كما سمعنا هكذا، رأينا فى مدينة رب الجنود، وفى مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد. سلاه. ذكرنا يا الله رحمتك. فى وسط هيكلك. نظير اسمك يا الله تسيحك إلى أقاصى الأرض. يمينك ملأته برا. يفرح جبل صهيون، تبتهج بنات يهوذا. من أجل أحكامك. طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارسها. تأملوا قصورها؛ لكى يتحدثوا بها جيلا آخر؛ لأن هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهديننا حتى إلى الموت» {مزمور ٤٨} .

لاحظ:

١ - وحميد جدا. ٢ - وصف محمدا بالانتصار على أعدائه «أخذتهم الرعدة» ٣ - شريعة محمد إلى الأبد «الله يثبتها إلى الأبد» ٤ - من هو نظير اسم الله فى الحمد؟ ٥ - شريعة محمد عالية «يا الله تسيحك إلى أقاصى الأرض» ٦ - كثرة الخيرات فى زمن شريعة محمد «يمينك ملأته برا» ٧ - الجيل الآخر ٨ - الله سيهدى بشرية على يد النبى الأتى.

(٢) قول المؤلف: «إن الله أظهر من صهيون إكليلا محموداً» المزمور ١٣٢: ١٨ والمزمور ١٣٣ وجاء الإكليل أيضا فى المزمور الحادى والعشرين على النبى الأتى على مثال موسى. وعبر عنه داود بالملك ووصفه بالانتصار على أعدائه. فقال: «يارب بقوتك يفرح الملك، وبخلاصك كيف لا يتهيج جدا. شهرة قلبه أعطيته، وملتمس شفقتي لا تمنعه. سلاه. لأنك تتقدمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجا من إبريز. حياة سألك فأعطيته. طوال الأيام إلى الدهر والأبد. عظيم مجده بخلاصك. جلالا وبهاء تضع عليه؛ لأن جعلته بركات إلى الأبد. تفرحه ابتهاجا أمامك؛ لأن الملك يتوكل على الرب. وبنعمة العلى لا يتزعزع... الخ»

وفى المزمور العشرين يقول عنه داود: «ليستجب لك الرب فى يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب».

فهذا داود قد أكثر في مزاميره من ذكر سيدنا محمد رسول الله ﷺ فهو محمود وأحمد والمحمود. ووصف داود له بأنه «إكليل» يشير إلى أنه رئيس الأنبياء - عليهم السلام - إذ الإكليل هو الذي يُجعل على الرأس.

### البشرى الثانية عشرة:

قال إشعياء: <sup>(١)</sup> «لترتاح البوادي وقراها، ولتنصر أرض قيثار مروجاً ولتنسبح سكان الكهوف، ويهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحهم في الجزائر».

فلت شعري لمن البوادي من الأمم سوى أمة محمد؟ ومن قيثار سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ﷺ؟ ومن سكن الكهوف وقلل الجبال سوى العرب؟

### البشرى الثالثة عشرة:

في صفة رسول الله ﷺ قال داود في مزموه له: «ويجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض. تخرّ أهل الجزائر بين يديه، وتلحس أعداؤه التراب. وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطر البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء. ويصلى عليه ويبارك في كل حين» <sup>(٢)</sup>.

وهذه صفات محمد رسول الله ﷺ فلقد جرت الملوك بين يدي أصحابه، وأسروا ملوك الفرس والروم، ودانت له ولأمته الأمم، ولحسوا التراب وصلى عليه على توالي الأيام.

---

«ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون ليعضدك» إلى أن قال: «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه» والمسيح - بحسب لسانهم - هو محمد ﷺ. وفي المزمور الخمسين: «إله الآلهة الرب تكلم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. ومن صهيون كمال الجمال، الله أشرق» والمحرف يذكر صهيون. بدل مكة المكرمة» لا حظ «شهوة قلبه؛ أعطيته، وملتئم شفتيه لا تمنعه» وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

(١) في الأصل قال داود في مزموه: «لترتاح...» والنص في الأصحاح الثاني والأربعين من سفر إشعياء.  
(٢) النص في المزمور الثاني والسبعين. وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ وفي هذه النبوة: «ويصلى عليه».

### البشرى الرابعة عشرة:

قال داود فى مزموه تنبأ على نبينا عليه السلام: «دامت شكايى، ونزلت فى مساكن قيذار، وكثيرا ثوت نفسى مع الذين يبغضون السلم. وبالسلم كنت أتكلم فيهم. وهم كانوا يحاربونى» (١).

فهذا تنويه بأن الساكن مساكن قيذار هو رسول الله. وإلا فمتى فارق داود البيت المقدس ونزل بمكة فى منازل قيذار ابن إسماعيل؟

### البشرى الخامسة عشرة:

قال داود فى مزموه له وتنبأ به على كثرة أمة محمد ﷺ ودوام شرعه إلى الأبد ووجوب النبوة له قبل خلق العالم: «ثمارة مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض كالذى يطلع من لبنان، ويدوم ذكره إلى الأبد. وإن اسمه لموجود قبل الشمس، وكل الأمم يتبركون به ويحمدونه» (٢).

وهذه كلها صفاته وصفات أمته. وقد أخبر داود بتأييد شرعه وتأييده. وأنه لا نبى بعده، وأنه خاتم الأنبياء.

### البشرى السادسة عشرة:

قال داود فى المزمور الثانى له، وتنبأ له على اتساع حُطّة الإسلام: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلتنى أعطيك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقطار الأرض، ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل أنية الفخار تسحقهم» (٣).

قال مؤلفه: اعلم: أنه لا يتصور من عارف صرف هذا المزمور عن سيدنا

(١) بدء المزمور المائة والعشرين: «إلى الرب فى ضيقى صرختُ؛ فاستجاب لى» ومعناه: أن النبى الامى الآتى على مثال موسى. وهو محمد رسول الله سيحاربه أعداؤه بقوة، وسيصرخ إلى الله طالبا منه النصر عليهم. وأن الله سينصره. والمزمور يبين أن أعداءه من اليهود؛ لقوله: «يارب نج نفسى من شفاه الكذب. ومن لسان غش» ثم يقول عن نفسه: «أنا سلام» ويقول عن أعدائه «فهم للحرب» ويقول عن مكان ظهوره: «ويل لغربتى فى ماشك، لسكنى فى خيام قيذار» وقيذار هو ابن إسماعيل عليه السلام.

(٢) نص البشرى الخامسة عشرة؛ هو نفسه نص البشرى الثالثة عشرة.

(٣) هذه النبوة أصل أقنوم الابن عند النصراري. وهى نبوة عن محمد ﷺ وقد طبقها عليه المسيح فى إنجيل برنابا والشيخ ابن تيمية الحرانى والإمام القرافى.

محمد رسول الله ﷺ لأنه عليه السلام هو الذى ورث الشعوب كلها، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، ورعى الأمم وأحاطهم بسيفه. ولا يمكن صرف هذا المزمور إلى داود؛ لأنه لم يرث سائر الشعوب، ولا بلغ سلطانه إلى أقطار الأرض، إذ ما ملك سوى ناحية من الأرض، وهي «بيت المقدس» ثم خرجت من بعده إلى أمة هذا النبي والأقطار والنواحي وقد بلغ سلطان محمد عليه السلام جوانب الدنيا وأطراف العالم ففتح الله عليه الحجاز واليمن والحبشة والنوبة والهند والسند إلى الصين، ودوخت أمته الشام والعراق وفارس إلى الترك، وافتتحوا أرض مصر والمغرب الأقصى إلى بحر طنجة. فقد ورث محمد سائر الشعوب، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض؛ فصار هذا المزمور مضاءها لبشرى يعقوب فى التوراة بمحمد ﷺ الذى نقلناه (١).

فأما قوله فى أول المزمور: «أنت ابني» فجرى فيه داود على عادتهم فى إطلاق لفظة البنوة على النبي والمطيع لله. فقد قال فى التوراة: «إسرائيل ابني بكري» (٢) وقال المسيح فى الإنجيل: «أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم» (٣).

### البشرى السابعة عشرة:

قال داود فى مزمور له مخاطبا ربه ومتنبئا على رسوله ﷺ: «إلهى من الرجل الذى ذكرته، والإنسان الذى أمرته، وألبسته الكرامات والمجد، وملكته على خلقك» (٤).

### البشرى الثامنة عشرة:

من نبوات نبي الله إشعياء:

قال إشعياء مبشرا برسول الله ﷺ: «قيل لى: قم نظارا. فانظر ماذا

(١) يقصد نبوة «شيلون» فى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين.

(٢) خروج ٤: ٢٢.

(٣) يوحنا ٢٠: ١٧.

(٤) المزمور ١٤٤ وفيه يقول النبي محمد عن نفسه: «مبارك الرب صخرتى الذى يعلم يدي القتال... إلخ ويحكى داود كلامه بظهر الغيب.

(٥) هذا النص فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر إشعياء وقد تكلمنا عنه فى التقديم لهذا الكتاب.

تري؟ فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر» فراكب الحمار هو المسيح ابن مريم، وراكب الجمل هو محمد ﷺ وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار. وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل.

### البشرى التاسعة عشرة منه أيضاً:

قال إشعياء النبي عليه السلام متنبئاً على مكة - شرفها الله تعالى - :  
«ارفعى ما حولك بصرك فتبتهجين وتفرحين من أجل أن الله يُصيرُ إليك ذخائر البحرين، ويحجّ إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، وتأتيك أهل سبأ، وتسير إليك أغنام فاران، وتخدمك رجال «نبايوت»<sup>(١)</sup>.

يريد سدنة الكعبة وهم أولاد نبايوت ابن إسماعيل. وهذه الصفات كلها حصلت بمكة، فحملت إليها ذخائر البحرين، وحج إليها عساكر الأمم، وسيقت إليها أغنام فاران للهدايا والأضاحي.

### البشرى العشرون<sup>(٢)</sup> :

قال إشعياء النبي والمراد مكة: <sup>(٣)</sup> «أيتها المتغلفة فى الهموم التى لم تنل حظوة إنى جاعل حجرك بلُّور، ومُوثَّق أساسك بالحجر الإسمانجوني، ومزِين حيطانك باللأزورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة، وأعم أبنائك بالسلم، وأزينك بالصلاخ والبر، وأبعد عنك الأذى والمكارة وأجعلك آمنة. ومن انبعث إلى فإليك قصده وفيك حلوله، وتصيرين ملجأ ووزرا لقاطنك وسكانك»<sup>(٤)</sup>.

(١) النص فى الأصحاح الستين من سفر إشعياء.

(٢) فى الأصل التاسعة عشرة.

(٣) النص فى الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء. وقد استدل به المسيح نفسه على محمد، طبقاً لرواية الإنجيل يوحنا فى الأصحاح السادس. يقول إشعياء: «أيتها الذليلة المضطربة غير التعزية ها أنذا أبني بالإثم حجارتك... الخ».

(٤) ليس الغرض من الوصف الظاهري. وإنما الغرض هو الكناية عن اتساع ملك بنى إسماعيل فى العالم بشريعة محمد ﷺ.



وهذه صفات مكة والكعبة والمسجد الحرام؛ لأن مهدي بنى العباس والملوك قبله وبعده قد تأنقوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة والذهب والأصباغ واللازورد، وحملت تيجان الملوك وذخائرهم فحُليت بها الكعبة. ولقد شاهدتُ سقوف الحرم وهي تكاد تلمع البصر حسنا. فمن رام صرف كلام النبي إشعياء هذا إلى غير مكة من البلاد أكدَّ خاطره، وأكدى سعيه. ولم يظفر ببيت آخر، وحرم آخر، ينزل ذلك عليه. ولا يمكن تنزيل ذلك على «بيت المقدس» لأنه لم يكن متغلغلا في الهموم ولا ساقط الحظوة بل هذه صفة الكعبة. فاعلم ذلك.

### البشرى الحادية والعشرون:

قال إشعياء يُخاطب الناس عن محمد رسول الله ﷺ: «تفهّمى أيتها الأمم إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا فى الرحم، وجعل لسانى كالسيف الصارم، وأنا فى البطن، وحاطنى بظل يمينه، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته، وخزنى لسره. وقال لي: أنت عبدي. فصر فى وعد لى حقا؛ قدام الرب وأعمالى بين يدى إلهي، وصرت محمدا عند الرب. فيألهي حولى وقوتي» (١).

(١) النص فى الأصحاح التاسع والأربعين من إشعياء هكذا: «اسمى لى أيتها الجزائر، واصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعائك، من أحشاء أمي؛ ذكر اسمي، وجعل فمى كسيف حاد. فى ظل يده؛ خيائى. وجعلنى سهما مبريا. فى كنانته أخفانى، وقال لى: أنت عبدي. إسرائيل الذى به أتمجد. أما أنا فقلت عبثا، تعبت باطلا وفارغا. أفنيت قدرتي. لكن حقى عند الرب. وعملى عند إلهي. والآن قال الرب جابلى من البطن عبدا له. لإرجاع يعقوب إليه؛ فينضم إليه إسرائيل؛ فأتمجد فى عينى الرب، وإلهي يصير قوتي. فقال: قليل أن تكون لى عبدا لإقامة أسباط يعقوب، ورد محفوظى إسرائيل. فقد جعلتك نورا للأمم؛ لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادى إسرائيل. قدوسه. للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين. ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون. لأجل الرب الذى هو أمين وقدوس إسرائيل الذى قد اختارك».

هكذا قال الرب. فى وقت القبول استجبتك، وفى يوم الخلاص أعتك، فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب لإقامة الأرض لتملك أملك البراري. قاتلا للأسري: اخرجوا. للذين فى الظلام: اظهروا. على الطريق يرعون، وفى كل الهضاب مرعاهم. لا يجوعون ولا يعطشون، ولا يضربهم حر ولا شمس؛ لأن الذى يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم. . . الخ» [إش ٤٨ و٤٩].

لاحظ: ١ - أن اليهود أشرار. وقبل هذه النبوءة: «لا سلام قال الرب للأشرار» فيكون الهلاك لليهود على يد النبى الآتى الذى يقول: «اسمى أيتها الجزائر. . . الخ» فلا يكون النبى الآتى منهم. ووصف نفسه بالامية «جعل فمى» وقال إن الله عرف العالم باسمه من قبل أن يولد «من أحشاء أمي ذكر اسمي» واليهود وضعوا بدل اسم محمد كلمة «مجاد ماد» فى سفر التكوين ١٧: ٢٠ وهذا هو المعنى الذى ترجم به =

فهذا نبى الله إشعياء قد صرح باسم نبينا. ولم يجمعهم، وأعرب عنه ولم يُعجم، فلا حاجة بنا مع بيان إشعياء عليه السلام إلى مترجم. وقوله: «إن الرب أهاب بى من بعيد» يريد أنه لم يكن من بنى إسرائيل ولا من بلدهم بل من غيرهم، فليرونا آخر اسمه محمد جاء بشريعة جديدة داعية إلى الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب حتى تنصرف هذه البشارات إليه.

### البشرى الثانية والعشرون؛

قال إشعياء النبي. والمراد هاجر أم العرب: (١) «سبحى أيتها النور الرقوب واغتبطى بالحمد. لقد زاد ولد الفارغة المَجْفُوة على ولد المَشْغُولَة المَحْظِيَّة» وقال لها الرب: «أوسعى مواضع خيامك ومُدَى مضاربك وطَوَلَى أطنابك واستوثقى من أوتادك؛ فإنك ستنبسطين وتنتشرين فى الأرض يمينا وشمالا، ويرث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة البنيان».

فهل بقى بعد هذا البيان بيان؟ وهل تليق النبوة بغير هاجر ونسلها أو الكعبة شرفها الله تعالى؟

### البشرى الثالثة والعشرون؛

قال إشعياء نبوة على محمد رسول الله ﷺ: «عبدى الذى يرضى نفسى، أعطيه كلامى، فيُظهر فى الأمم عدلى، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يصخب، يفتح العيون العور، ويسمع الأذان الصم، ويحيى القلوب الميتة، وما المؤلف فقال: «وصرت محمدا عند الرب» ووصف نفسه بالانتصار على أعدائه، لان الله معه «فى كنانته أخفاني».

لاحظ: أن «لا سلام. قال الرب للأشرار» لا تتطابق مع «أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد» لان الله قد رفض اليهود من السير أمامه {إشعياء ٥٠: ١} فتكون العبارة مقحمة للتحريف. لاحظ: أن النبى الأتى سيرُجَع يعقوب إلى الله. لينضم إسرائيل إلى شعب النبى الآتى. فيكون فى العالم شعبان عند ظهور محمد. أولهما شعبه، وثانيهما: الناثبون من بنى إسرائيل. وصف النبى الآتى بأنه نور للأمم، وبأن شريعته عالية.

لاحظ: «قد اختارك» ومعناها: أن بنى إسماعيل مكروهون عند اليهود. والله سيختاره من المكروهين. ولذلك يتعجب الملوك ويسجدون له. أى يخضعون لشريعته.

لاحظ: كثرة الخيرات فى زمن شريعة هذا النبى «لا يجوعون ولا يعطشون...».

(١) هذه البشارة هى نفسها البشارة العشرون وهى نبوة العاقر فى إشعياء ٥٤ .

أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا، يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية وسكانها، ويوحّدون الله على كل شرف، ويعظمونه على كل رايبة. لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف بل يقوى الصديقين المتواضعين. وهو نور الله الذي لا يُطفأ. أثر سلطانه على كتفه» (١).

فهذا إشعياء نبي الله قد أعلن باسم رسول الله ﷺ كما أعلنت به الأنبياء، وهذا الكلام من إشعياء إيانة واضحة لمن كان مطلبه الحق والهدى، ولم يمل به التعصب والهوى إلى الاعتداء.

### البشرى الرابعة والعشرون:

قال نبي الله إشعياء مُنَوِّها باسم رسول الله ﷺ: «لتفرح البادية العطشاء، ولتبتهج البرارى والفلوات، ولتزهو، فإنها ستعطى بأحمد أحسن محاسن لبنان حتى تصير كالدساكر والرياض. وسيرون جلال الله وبهاء إلهنا» (٢).

فذكر البرارى القفار أنها تصير بأحمد ﷺ مأهولة معمورة محجوجا إليها. أفلا يستحي من يُحجم عن الإسلام من نبي الله إشعياء أن يرد قوله؟ وكيف يصح الإيمان بإشعياء مع إبطال أقواله، ورد أخباره وتكذيب شهادته والقدح فى رواياته؟ وأيُّ شك فى صدر لبيب بعد سماعه إشعياء ينصّ على اسم نبينا واسم أرضه؟

### البشرى الخامسة والعشرون:

قال إشعياء: «هتف هاتف فى البدو. وقالوا: خلّوا طريق الرب، وسهّلوا لإلهنا السبيل فى القفر فستمتلي البادية مياها وتفيض فيضا، وتصير الأكام دكادك والوعر سهلا، وتظهر كرامة الرب. الرب يقول ذلك» (٣).

وذلك كله إشارة إلى ما مهد الله برسوله محمد عليه السلام والصلاة.

(١) إشعياء ٤٢ وفى القرآن الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

(٢) الخامس والثلاثون من إشعياء.

(٣) إشعياء ٤٠: ٣ + وهى نبوة الكلمة.

### البشرى السادسة والعشرون:

قال إشعيا: «يا آل إبراهيم خليلي الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض، لا تخف ولا ترهب. فأنا معك، ويدي العزيزة مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد تدق ما يأتي عليه دقا، وتسحقه سحقا حتى تجعله هشيما، تلوى به هوج الرياح، وأنت تبتهج وترتاح وتكون محمدا» (١).

ألا ترى هذا النبي الكريم الذكر العظيم القدر لا يكاد يخلى كلامه من التبرك باسم سيد المرسلين، حتى كان ذلك عليه ضربة لازب وحتم واجب. فهؤلاء الأنبياء الأطهار والأصفياء الأبرار يُصرحون باسم محمد؛ فلا حاجة بنا بعدها إلى الاستنباط والاستخراج.

### البشرى السابعة والعشرون:

قال إشعيا النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله ﷺ: «إني جعلت اسمك محمدا. يا محمد يا قدوس الرب. اسمك موجود من الأبد» (٢).

فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال، أو لطاعن مجال. وقول إشعيا إن اسم محمد موجود من الأبد؛ موافق لقول داود الذي حكيناه: «إن اسمه موجود قبل الشمس» (٣). وقوله «يا قدوس الرب» يعنى يا مَنْ طَهَّرَهُ الرب وخلَّصه من شوائب بشريته، واصطفاه لنفسه.

(١) النص في الأصحاح الحادى والأربعين من سفر إشعيا والمؤلف يترجم «عبدى» بمحمد. ففى النص: «وقلت لك: أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك، لا تخف لاني معك».

(٢) هذا النص موجود فى الأصحاح السابع والخمسين من سفر إشعيا. وهو: «أما المتوكل علىّ؛ فيملك الأرض ويرث جبل قدسى. ويقول: أعدوا. أعدوا. هيثوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبي؛ لأنه هكذا قال العليّ المرتفع ساكن الأبد. القدوس اسمه. فى الموضع المرتفع المقدس؛ اسكن. ومع المنسحق والمتواضع الروح؛ لأحى روح المتواضعين، ولأحى قلب المنسحقين» إلى أن قال: «ليس سلام قال إلهى للأشرار».

وقبل هذا النص يتكلم عن هلاك اليهود. فيقول: «أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة، نسل الفاسق والزانية» ووصفهم بعبادة الأصنام، وقتل أولادهم شركائهم. فقال: «المتوقدون إلى الأصنام، تحت كل شجرة خضراء، القاتلون الأولاد فى الأودية تحت شقوق المعازل...».

وبعدنا تكلم عن هلاكهم. ابتداء فى الحديث عن النبى الأمى الآتى فقال: «أما المتوكل علىّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسى...» وقد ترجم المؤلف المتوكل على الله بمحمد ﷺ لأنه هو.

(٣) مزمو ٧٢.

### البشرى الثامنة والعشرون:

وشهد إشعيا لهذه الأمة بالصلاح والديانة فقال: «سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً، فيصفر لهم من أقاصى الأرض فيأتون سراعا»<sup>(١)</sup>.  
فالتداء: هو ما جاء به النبي عليه السلام من التلبية فى الحج. وهم الذين جعلوا لله الكرامة فوحّدوه وعبدوه وأفردوه بالربوبية وكسروا الأصنام وعطلوا الأوثان، والعلم المرفوع هو النبوة، وصفيره: هو دعاؤهم إلى بيته ومشاعره؛ فيأتون سامعين مطيعين.

### البشرى التاسعة والعشرون:

قال إشعيا النبي والمراد مكة شرفها الله: «سرى واهترى أيتها العاقر التى لم تلد، وانطقى بالتسييح، وافرحتى إذ لم تحبلى، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي»<sup>(٢)</sup>.

يعنى بأهله بيت المقدس، ويعنى بالعاقر: مكة شرفها الله؛ لأنها لم تلد قبل نبينا عليه السلام نبيا، ولا يجوز أن يريد بالعاقر: بيت المقدس؛ لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي؛ فلم تزل تلك البقعة ولآدة.

### البشرى الثلاثون:

قال إشعيا النبي - ونص على خاتم النبوة - «يولد لنا غلام يكون عجبا ومشيرا. والشامة على كتفه. أركون السلام، إله جبار، سلطانه سلطان السلامة، وهو ابن عالمه، يجلس على كرسى داود»<sup>(٣)</sup>.

قال المؤلف: الأركون: هو العظيم بلغة الإنجيل. والأراكنة: المعظمون؛ فإنه لما أبرا المسيح مجنوننا من جنونه قالت اليهود: «إن هذا لا يُخرج الشياطين من

(١) إشعيا الأصحاح الخامس.

(٢) إشعيا ٥٤ وهذه البشارة مكررة مرتين. لأن المؤلف قسم النبوة الواحدة ثلاثة أقسام. وهذا هو القسم الثالث.

(٣) المؤلف دمج نبوءتين فى نبوءة واحدة. فإن نبوءة يولد لنا ولد. ونعطى ابنا فى الأصحاح التاسع من إشعيا. والعذراء باللغة العبرانية «علمه» وهى الامراة الشابة، سواء أكانت بكرا أم ثيبا. والمؤلف قال وهو ابن عالمه. ودل بما قاله على أنه دمج النبوءتين.

الآدميين إلا بأركون الشياطين»<sup>(١)</sup> يعنون عظيمهم.

وقال المسيح أيضا في الإنجيل: «إن أركون هذا يُدان»<sup>(٢)</sup> يريد إما إبليس أو الشرير العظيم الشر من الآدميين. وسماه إلهها على نحو قول التوراة: «إن الله جعل موسى إلهها لفرعون»<sup>(٣)</sup> أى حاكما عليه ومتصرفا فيه. وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه: «إنكم آلهة»<sup>(٤)</sup> فقد شهد إشعياء بصحة أمر محمد رسول الله ووصفه بأخصّ علاماته وأوضحها وهى شامته. فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح. وقد وصفه بالجلوس على كرسى داود. يعنى: أنه سيرث بنى إسرائيل نبوتهم وملكهم وبيتهم رئاستهم.

### البشرى الحادية والثلاثون؛

قال إشعياء ووصف أمة محمد عليه السلام: «ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قيّدار، يسبحون من رعوس الجبال ينادون. هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه فى البر والبحر»<sup>(٥)</sup>.

### البشرى الثانية والثلاثون؛

وقال إشعياء والمراد هاجر أو مكة: «أنا رسمتك على كفى، وستأتيك أولادك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخزيك، فارفعى بصرك إلى ما حولك؛ فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك، قسما باسمى إنى أنا الحى لتلبسى الحلل وتزينى بالأكاليل. مثل العروس، ولتضيقن خزاباتك من كثرة سكانك والراغبين فيك، ولينهزمن كل من يناوؤك، ولتكثرن أولادك حتى تقولي: من رزقنى هؤلاء كلهم وأنا وحيدة فريدة نزور رقوب؟ فمن ربّى لى هؤلاء ومن تكفل لى بهم»<sup>(٦)</sup>.

(١) متى ٩: ٣٤ .

(٢) يوحنا ١٦: ١١ والمراد: إبليس.

(٣) خروج ١٠: ٧ .

(٤) مزمو ٨٢: ٦ .

(٥) الثانى والأربعون من إشعياء ١١ - ١٢ .

(٦) «هو ذا على كفى نقشتك...» إشعياء ٤٩: ١٦ .

وذلك إفصاح من إشعياء بشأن الكعبة. فهي التي ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة، ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك. ومكة هي التي ربي الله لها الأولاد من حجاجها والقاطنين بها. فالحمد لله الذي أوضح لنا الدين، وقمع الملحددين.

### البشرى الثالثة والثلاثون؛

قال إشعياء: «مثل الريح العقيم يأتى من التيمن، والظالم يظلم، والمنتهب ينتهب» (١).

التيمن: تهامة، وشبه رسول الله ﷺ بالريح العقيم فى تدميره الكافرين، وأنه عليه السلام يبعث فى زمن جاهلية يظلم بعضها بعضاً ويتهبه. فجاء الأمر كما تنبأ به إشعياء عليه السلام.

### البشرى الرابعة والثلاثون؛

قال إشعياء ونبه على انتشار العلم من الحجاز إلى أقطار الأرض: «يا سكان التيمن اسقوا العطاش الماء، وقوتوهم بخبزكم» (٢) فالماء ههنا كناية عن العلم. قال المسيح فى الإنجيل: «من شرب من هذا الماء يعطش، ومن شرب من الماء الذى أسقيه؛ لا يعطش أبداً، بل تنبع من بطنه عين ماء الحياة» (٣)، يريد بالماء: العلم والحكمة. وذلك إخبار من إشعياء عن ظهور كتاب الله وسنة نبيه. وكذلك قوله: «قوتوهم بخبزكم» على نحو قول المسيح فى الإنجيل: «أنا هو خبز الحياة الذى من أكل منه لم يموت» (٤) وهذه كلها كلمات متروكة الظاهر مؤولة.

### البشرى الخامسة والثلاثون؛

قال إشعياء حاكياً عن الله تعالى: «اشكر حبيبي وابنى أحمد» (٥).

(١) إشعياء واحد وعشرون .

(٢) إشعياء واحد وعشرون. وهو رمز للهجرة.

(٣) يوحنا ٧: ٣٧ - ٣٨ .

(٤) يوحنا ٦: ٣٥ .

(٥) نص إشعياء هو: «لأنشدن عن حبيبي، نشيد محبى لكرمه» [إش ٥: ١] وقبله نبوءة. بأن مملكة المسيح المنتظر. الذى هو محمد رسول الله - بحسب لسانهم - تكون ملجأ فى الشدادت «فى ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجداً وثمر الأرض فخراً» ومن عادة المؤلف ترجمة عبد الرب بمحمد وحبيب الرب وما شابه ذلك. لأن نبوءات التوراة كلها تتحدث عنه. واسمه معروف من التكوين ١٧: ٢٠ فإن المحرف رفع =

فسماه الله حبيبا، وسماه ابنا. على اصطلاح اللسان العبراني. كتسمية إسرائيل ابنا، غير أنه خصه عليهم بمزية فقال: «حبيبي ابني. أشكره» فَتَعَبَّدُ مثل إشعياء بشكر محمد ﷺ ووضع عليه وعلى قومه شكره وإجلاله؛ لتبيين قدره ومنزلته عنده. وتلك منقبة لم يؤتها غيره من المرسلين.

### البشرى السادسة والثلاثون:

قال إشعياء: «إن الأمة التى كانت فى الظلمات رأت نوراً باهراً، والذين كانوا فى الدجى وتحت ظلال الموت؛ سطع عليهم الضوء. فلقد أكثرت من الأتباع والأحزاب لم تستكثر للاغتباط بهم. فأما هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد وعند اقتسام الغنائم، لأنك فككت النير أيضا الذى كان أذلهم والعصا التى كانت على أعناقهم، وكسرت القضيب الذى كان يستعبدهم مثل كسرك من كسرت فى يوم مدين»<sup>(١)</sup>.

وذلك موافق لقول الله تعالى فى نعت نبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وبرسول الله ﷺ زالت ظلمة الشرك، وحصل ضوء الإيمان؛ فكسرت الأصنام، وأباد الأوثان، وأعلن بالقرآن، وعُبد الرحمن.

### البشرى السابعة والثلاثون:

قال إشعياء: «إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»<sup>(٢)</sup>.

=اسم محمد ووضع بدله بماد ماد، بحساب الجمل. وهذه النبوة لها صلة بنبوءة المزمور الثامن. وقد ذكرها المؤلف. وبدؤه: «أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك فى كل الأرض...» ثم تكلم الله عن نزع الملكوت من بنى إسرائيل وإعطائه لأمة أخرى. ورمز للملكوت بالكرمة. راجع: إشعياء ٢٧: ٢ وإرميا ٢١: ٢ ومتى ٢١ ومرقس ١٢ ولوقا ٢٠ وقال المسيح بعد ذكر مثل الكرامين الأدياء لليهود: «إن ملكوت الله يتزع منكم؛ ويعطى لأمة تعمل أثماره».

(١) إشعياء - تسعة.

(٢) النص فى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر إشعياء. وهو: «من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة مجدا للبار» ومن عادة المؤلف ترجمة صفة محمد باسمه.

كما سبق بيانه فى التعليقات. وهنا ترجم «البار» باسم محمد ﷺ.



وهذا إفصاح وليس بجمجمة وإعراب من إشعياء باسم رسول الله ﷺ  
فليُرنا أهل الكتاب نبيا نصّت الأنبياء على اسمه صريحا سوى رسول الله ﷺ .

### البشرى الثامنة والثلاثون؛

قال إشعياء - وسمى رسول الله ﷺ ربا وإلهها. كتسمية موسى فى التوراة :-  
«إن الرب الإله سيظهر بالعزّ والحول والقوة. أجره معه وعمله أمامه. فهو كالراعى  
الذى يحوط غنمه ويذودهم عن مراتع الهلاك» (١) .

والدليل على ما قلناه: أنه جعل «الرب الإله» المذكور هو إنسان، له أجر  
وعمل. وقوله «أجره معه» يشير به إلى الغنائم التى أحلت له وصدفياها. وقد  
وصفه إشعياء بالجهاد فى سبيل الله واستيلائه على أعدائه بالحول والقوة  
والعز. وكذلك كان عليه السلام. وهو وأمته الذين قهروا الجبابرة، وكسروا  
الأكاسرة، وأبادوا الفراعنة والقياصرة، واستولوا على ممالك العالم. وهابتهم  
طبقات بنى آدم. ومن شدا طرفا من مغازيهم، عرف صحة ما قلناه.

### البشرى التاسعة والثلاثون؛

قال إشعياء وذكر ما امتنّ الله به على أهل الحجاز واليمن، من أهل ملّة  
محمد ﷺ: «إن المساكين والضعفاء والذين جفّت ألسنتهم من الظما؛ سأسقيهم  
ماء حيث لا ماء لهم؛ أنا الرب أجيب دعوتهم ولن أهملهم، بل أفجر لهم فى  
الجبال الأنهار، وأجرى بين القفار العيون، وأجعل فى البدو آجاما، وأجرى فى  
الأرض العطشى معينا، أنبت فى القفار غروسا؛ ليعلم الناس أن يد الرب فعلت  
ذلك، وقدوس إسرائيل ابتدعه» (٢) .

فقد نص على أرض رسول الله ﷺ ووصفها بصفاتها وما فجر بها من  
الأنهار وأجرى العيون وأنبت من الخيرات لأهلها. وذكر أن يده هى التى فعلت  
ذلك. وقد أكثر إشعياء عليه السلام من ذكر محمد وأحمد ووصف أرضه وبلاده  
وبيته ومنازل أبيه إسماعيل. فلم يبق لجاحد علة ولا لمنكر ريبة.

(١) إشعياء - الأصحاح الأربعون. وهو تكلمة - نص نبوة سبق للمؤلف ذكره. وهو نبوة الكلمة.

(٢) إشعياء ٤١: ١٧ + .

### البشرى الأربعة:

قال إشعيا: «لتسبحنى وتحمدنى حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام؛ لأنى أجريت الماء فى البدو لتشرب منها أمتى المصطفاة التى اصطفيتها»<sup>(١)</sup>.

هذا يصدقه قول رسول الله ﷺ وقد ولى على أهل مكة عتاب بن أسيد فقال له: «يا عتاب أتدرى على ما وليتك؟ وليتك على أهل الله» قالها مرتين أو ثلاثا. وكنتى عن أهل الحجاز والبرارى بينات آوى والأنعام؛ لسكنى الفيافى والقفار. وأخبر إشعيا أن الله تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم.

### البشرى العادية والأربعة:

قال إشعيا: «أنا الرب ولا إله غيرى، أنا الذى لا يخفى عليه خافية، بل يخبر العباد بما لم يكن قبل أن يكون، وأكشف لهم الحوادث والغيوب، وأتم مشيئتى كلها إنى سادعو طائراً من البدو البعيد الشاسع»<sup>(٢)</sup>.  
والطائر المدعو البعيد الشاسع: هو محمد رسول الله ﷺ.

### البشرى الثانية والأربعة:

قال إشعيا متنبثاً على ما شرحه الكتاب العزيز من نعيم أهل الجنة: «يا معشر العطاش توجهوا إلى الماء المورود، ومن ليس معه فضة فليذهب وليمتار ويأكل ويشرب من الخمر واللبن مجاناً بلا ثمن»<sup>(٣)</sup>.

ذلك تصديق لقوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وفى ذلك تكذيب للنصارى واليهود وطائفة من أهل الأهواء إذ قالوا: ليس فى الجنة شيء من هذه الملاذ<sup>(٤)</sup>.

(١) إشعيا ٤٣: ٢٠ - ٢١.

(٢) إشعيا ٤٦: ٩ - ١١.

(٣) إشعيا ٥٥: ١ +.

(٤) والنص كناية عن كثرة الخيرات فى مدة شريعة محمد.

### البشرى الثالثة والأربعون:

قال إشعياء على دعاء محمد رسول الله ﷺ الكافة، وأخبر أن رسالته عامة إلى الناس أجمعين: «إني أقمتك شاهداً للشعوب، ومدبراً وسلطاناً للأمم، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً. من أجل الرب إلهك، قدوس إسرائيل هو الذي أحمدك، فاطلبوا ما عند الرب واستجيبوا له، وليرجع الخاطيء عن خطيئته والفاجر عن فجوره وليتب إلى لأرحمه» (١).

فهذه نبوة مفصحة وبشرى مصرحة باسم أحمد ﷺ وكان كلماتها قد جمعها إشعياء من الكتاب العزيز والسنة الطاهرة.

### البشرى الرابعة والأربعون:

وقال إشعياء: «إن الله سبحانه نظر في الناس فلم ير من يعين على الحق. فانكر ذلك وبعث وليه فأنفذه بذراعه ومهد له بفضلته، فاستلام العفاف والبر كالدرع، ووضع على رأسه إكليل الإغائنة والفلح. ولبس الخلاص ليتقم من المبغضين له المعادين، ويجزى أهل الجزائر (٢) جزاءهم أجمعين، ليدوم اسم الله في مغارب الأرض وليخشع في مشارقها لجلاله سبحانه» (٣).

فقد استلام عليه السلام بالبر التقى ولبسه والتحفه وارتدى، وخلص أوليائه وانتقم من أعدائه، وأعلن باسم الله في مشارق الأرض ومغاربها. فهذه نبوءات ظاهرة وبشارات متضافرة، يؤمن بها من قضى الله له التوفيق، ويجعلها من عدل به عن نهج الطريق.

### البشرى الخامسة والأربعون:

قال إشعياء وتنبأ على مكة: (٤) «قومي وأزهري مصباحك. فقد دنا وقتك،

(١) هذا النص تكملة للنص السابق ٤: ٥٥ + .

(٢) إشعياء ١٦: ٥٩ + .

(٣) في نص النبوة الجزائر.

(٤) المؤلف غفل عن موضع الشاهد في هذه النبوة ولم يكتبه. وهو «ويأتي الفادي إلى صهيون» والفادي: هو

وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام، وغطى على الأمم كلها الضباب، يُشرق عليك إشراقاً، ويظهر عليك كرامته، فتسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك. إنهم سيأتونك ويحجّون إليك من البلد البعيد، ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك» (١).

وهذه نبوءة على تخصيص مكة بشد الرحال إليها وتمليك أهلها وظهور الإيمان بالله منها، وإزالة ظلم الجهل بمصباح العلم المأخوذ عن أولادها. فمن أبى من المخالفين تنزيل هذا الكلام على مكة والكعبة فليرنا كعبة أخرى فى الأرض شرقاً وغرباً وشريعة هادية من الضلال، وملة ثابتة خالدة على مر الأحوال.

### البشرى السادسة والأربعون:

وقال إشعياى باسم الكعبة وحجّها وتعظيمها: «إنه سيرد عليك أبناؤك من بلد بعيد، ومعهم فضّتهم وذهبهم من أجل اسم الرب إلهك قدوس إسرائيل الذى أحمدك، وتبنى أبناء الغرباء سورك، وتخدمك ملوكهم، وتفتح أبوابك آناء الليل والنهار؛ فلا تُغلق، وتدخل إليك أرسال الأمم، وتُقَاد إليك ملوكهم أذلة، وكل أمة لا تخضع لك تتبدد تبديداً، والشعوب التى لا تخدمك تصطلم اصطلاماً، وتأتيك الكرامة من صنوبر لبنان البهي، ومن الأبهل لتبخر به بيتى وموضع قدمى ومستقر كرامتى. والقوم الذين كانوا يذلّونك يأتون لتقبيل آثار أقدامك، وأجعلك كرامة إلى الأبد وغبطة وفرحاً إلى دهر الدهارين.

سترضعين ألبان الشعوب، وتصيبين من ذخائر الملوك وتعلمى أنى أنا الرب مخلصك، والذى يجعل مصابحك تزهو إلى الأبد» (٢).

فهذا إشعياى قد نصّ فصرح، وحقق أمر بيت الله العتيق وأفصح. فليوجد لنا

=النبى المنتظر. وتكملة النص نصّ فى أن النبى المنتظر هو محمد ﷺ وهو: «ويأتى الفادى إلى صهيون، وإلى الثانين عن المعصية فى يعقوب. يقول الرب. أما أنا فهذا عهدى معهم. قال الرب. روحى الذى عليك، وكلامى الذى وضعته فى فمك، لا يزول من فمك، ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك. قال الرب. من الآن وإلى الأبد».

(١) إشعياى ٦٠: ١ + .

(٢) هذا النص تكملة للنص السابق ٦٠: ٩ + .

المخالف بيتا لله تعالى موصوفا بهذه الصفات، مخصوصا بهذه الكرامات. مشتلا على قدم إبراهيم، مقبلا مقبولا في الغداة والأصيل.

### البشرى السابعة والأربعون:

قال إشعياء مخاطبا للنبي محمد ﷺ: «هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل: ستقوم لك الملوك إذا رأوك، وتسجد لك السلاطين؛ لأن وعد الله حق. وأنا الذى انتخبتك واخترتك وفى شدائدك أعتتك. لنفسى اجتبيتك، جعلتك ميثاقا للشعوب ونورا للأمم؛ لترث الأرض وتطلق الأسرى المسجونين وتؤمنهم، وتجعل الجبال طرقا مذللة، وتوافيك الأقوام من بلاد شاسعة، فسبحى أيتها السماء واهتذى أيتها الأرض فرحا وابتهجى أيتها الجبال بالحمد؛ فقد تلاقى الرب شعبه، ورحم المساكين من خلقه»<sup>(١)</sup>.

اعلم: أن هذه النبوة لا تليق بغير رسول الله ﷺ فهو مختار الله ومجتبهه ومنتخبه من خلقه، الذى أعانه على شدائده، وهو رجل واحد بغير أعوان، ولا معتضد بأنصار. حتى قهر الملوك فدانوا بدينه، والتزموا شرعه وتقيدوا بأحكامه وأخذوا بستته طوعا وكرها واختيارا وجبرا، وورث الأرض وفتحها هو وأمه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وقيد الملوك والطغاة، وفك الأسرى والمسجونين، وأمن الجبال الوعرة ودكها؛ فصارت شرائع وطرقا مسلوكة. وقد كانت العرب قبل مبعثه ﷺ محبوسة بأرضها لا يتجاوزونها من خوف فارس وكسرى وقيصر وغيرهما من الملوك، وأطلقها الله برسوله من سجنها، وأورثهم أرض فارس وقيصر وغيرهما وملكهم أموالهم فاستخرجوا ذخائرهم وحازوا معاقلهم وتملكوا عقائلهم.

فإن قيل: ما معنى قول إشعياء فى أول هذه البشارات: «يا قدوس إسرائيل». قلنا: هو إنما يخاطب فى أيامه بنى إسرائيل، وبنو إسرائيل إذا دعوا الله قالوا: «يا قدوس إسرائيل» افعل بنا كذا وكذا. فاحتاج أن يخاطبهم بما يفهمون.

(١) إشعياء ٤٩: ٧ + وهو تكملة البشارة رقم ٢١ .

### البشرى الثامنة والأربعون:

قال إشعيا وتنبأ على الكعبة والركن الأسود: «هكذا يقول الرب: هأنذا ناصب للأمم علماً وراية، وهى أنهم يأتونك بأبنائهم وبناتهم على أيديهم وأكتافهم وتكون الملوك ظؤورتك وعقائل نساتهم مرضعاتك ويخرون على وجوههم سجدا لك ويلحسون تراب أقدامك. فتعلمين حينئذ أنى أنا الرب الذى لا يخزى الراجون لذي»<sup>(١)</sup>.

الظؤورة جمع ظئر وهي: الداية والمزينة والمرضعة، يُشير إلى ما سيقوم به الملوك ونساء الملوك من خدمة المسجد الحرام وتحلية الكعبة وتزيينها بالديباج والذهب والفضة وتغليفيها بالمسك وغسلها بالماورد، المفتوق فيه الطيب الفاخر، وتذللم حولها وخضوعهم لأهلها وتطوافهم حولها وتقيلهم حجرها، حفاة الأقدام حسر الرؤوس مبتذلين متواضعين. فأى بيان أبين من هذا البيان لمن نور الله قلبه وجوهر لبه، وأراد به الخير وحماه من الهوى؟

### البشرى التاسعة والأربعون:

قال هوشع النبى وتنبأ على محمد رسول الله ﷺ: «قال الرب: أنا الرب الإله الذى رعيتك فى البدو، وفى أرض قفر خراب غير مأهول، وفى أرض لا أنيس بها»<sup>(٢)</sup>.

وما يُعرف من هذا حاله سوى محمد رسول الله ﷺ أو أبوه إسماعيل عليه السلام.

### البشرى الخمسون:

قال يوثيل<sup>(٣)</sup> متنبأ على أمة محمد عليه السلام: «قال الله: إنها أمة جليلة

(١) إشعيا ٤٩: ٢٢ + وهو تكملة لنص البشارة السابقة والبشارة ٢١ .

(٢) هوشع ١٣: ٤ + والنص فى وصف أحوال اليهود.

(٣) فى الأصل هوشع. والنص فى الأصحاح الثانى من سفر يوثيل. وهو عن «يوم الرب» يوم هلاك اليهود على يد المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. يوم فتح المسلمين لفلسطين. وفيه يقول: «شعب كثير وقوي، لم يكن له نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضا بعمده إلى سنى دور فدور. قدامه نار تاكل، وخلفه لهيب يحرق الأرض قدامه كجنة عدن، وخلفه قفر خراب. ولا تكون منه نجاة...» يوثيل ٢: ٢ - .

عزيزة لم يكن مثلها قط ولا تكون، النار تحرق من أمامها ومن خلفها». وتلك أمة النبي محمد ﷺ وهي التي لا تقوم لها بشيء من الأمم. كأنها النار في إحراقها، وقد وصفها الله بالجلالة والعزة وأنه لم يكن في العالم مثلها. ولا يكون أبداً. وتلك تزكية ومدحة جليلة وثناء فخم من الله لهذه الأمة، وهو دليل محبته لها؛ لأنه تعالى إذا أحب شيئاً فخمه وعظمه، فله ربنا الحمد السرمد والمدح المؤيد.

#### البشرى الحادية والخمسون:

قال هوشع النبي على محمد رسول الله ﷺ: «قد بلغ وقت النعمة ودنا ميقات الجزاء؛ فليعرف بنو إسرائيل الجهلة النبي السفير وليتبينوا شأنه، فإنه لا خفاء بالرجل الذي عليه روح السفارة، وإن كثرة إثمهم وخطاياهم هي التي حملتهم على الخبث»<sup>(١)</sup>.

قوله «قد بلغ وقت النعمة» يعني بذلك محمد ﷺ فشهد هوشع: أنه نعمة على العالمين. نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

#### البشرى الثانية والخمسون:

قال هوشع وهو أحد الاثنى عشر، وتنبأ على أمة محمد عليه السلام: «إن إفرام قد اكتفى بالكذب والفرية، وبنو إسرائيل ويهوذا قد عنوا بالكذب والخيانة، حتى نزلت أمة الله الأمة المقدسة المؤمنة»<sup>(٢)</sup>.

وهذه صفة أمة محمد ﷺ.

#### البشرى الثالثة والخمسون:

قال ميخا النبي وتنبأ على بيت الله الحرام وما يحججه من الناس: «إنه يكون

(١) المؤلف يترجم بالمعنى. وبدء النص: «جاءت أيام العقاب» وليس فيه «قد بلغ وقت النعمة» وهي تعرف من فحوى الكلام؛ لأن العقاب هو لرفض النعمة. والنعمة هي ظهور النبي ﷺ ومحرف النص كأنه وضع نقطا؛ ليلغز المعنى. هكذا: «جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل. النبي أحق. إنسان الروح مجنون من كثرة إثمك، وكثرة الحقد. أفرام متظنر عند إلهي. النبي فُخ صياد على جميع طرقه. حقد في بيت إلهه. قد توغلو فسدوا كأيام جبعة. سيذكر إثمهم. سيُعاقب خطاياهم؛ إهو ٩: ٧ - ٩.

(٢) هوشع ١١: ١٢.

فى آخر الايام بيت الرب مبنا على قلل الجبال، وفى ارفع رءوس العوالي؛ ياتيه جميع الأمم يقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب» (١).

وذلك كله صفات البيت العتيق وجبل عرفة. فإن زعم أهل الكتاب: أن ذلك بيت المقدس؛ لم يصح قوله: «إن ذلك إنما يكون فى آخر الايام» وبيت المقدس قد كان موجودا معظما فى زمن ميخا قائل هذه النبوءة. والنبي إنما يتنبأ على شيء لم يأت، ولا يتنبأ على ما هو حاضر عنده.

### البشرى الرابعة والخمسون؛

قال حَبَّقُوق. وسمى محمدا رسول الله مرتين فى نبوته: (٢) «إن الله جاء من التيمان، والقدوس من جبل فاران. لقد أضاءت السماء من بهاء محمد (٣)، وامتلات الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط ببلاده بعزة، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده. قام فمسح الأرض. فتضعضت له الجبال القديمة، وانخفضت الروابي، وتزعزعت ستور أهل مدين. ولقد حاز المساعى القديمة».

ثم قال: «زجرك فى الأنهار واحتدام أصواتك فى البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ، وسترع فى قسيك إغراقا وترعا، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء، ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السيل، ونعرت المهاوى نعييرا ورعبا، ورفعت أيديها وجلا وخوفا، وسارت العساكر فى بريق سهامك ولمعان نيازكك. تدوخ الأرض غضبا وتدوس الأمم زجرا؛ لأنك ظهرت بخلص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك».

(١) ميخا ٤: ١ + .

(٢) حبقوق ٣: ٣ + .

(٣) النص: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران» يريد أن يقول: إن النبي المنتظر سيأتي إلى فلسطين من جهة الجنوب، جهة اليمن. وهذا النبي مولده جبل فاران «جلاله غطى السموات» الضمير يعود إلى محمد، الموصوف بالقدوس. والمعنى كثرة جيشه تدل على مجده. ومن عادة المؤلف ترجمة الصفة بالاسم كما سبق أن بينا. وهو هنا يترجم القدرس بمحمد وفى النص «خرجت لخلص شعبك، لخلص مسيحك» والمسيح بلسانهم هو محمد. ولذلك ترجم المؤلف المسيح بمحمد فقال: «وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء».



اعلم: أنه من رام صرف نبوءة حبقوق هذه عن محمد ﷺ فقد رام ستر النهار وحبس الأنهار. وأنى يقدر على ذلك وقد سماه باسمه مرتين وأخبره بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم. وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ولا تصلح إلا له ولا تُنزل إلا عليه. فمن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعا.

### البشرى الخامسة والخمسون:

قال صفنيا النبي عليه السلام وتنبأ على كلمة التوحيد وهى شهادة أن لا إله إلا الله: «أيها الناس تَرَجَّوْا اليوم الذى أقوم فيه للشهادة. فقد حان أن أظهر حكمى لحشر الأمم كلها. هنالك أجدد لهم اللغة المختارة؛ ليعلموا باسم الرب جميعا ويعبدوه فى ربة واحدة، ويأتون بالذبائح فى تلك الأيام من معابر أنهار كوش»<sup>(١)</sup>.

واللغة المختارة: هى لغة العرب، وهى التى طبقت الأرض وملأت الدنيا وتكلم بها غير أهلها وهجروا لغاتهم؛ لخفتها. ومعابر أنهار كوش: هى نواحي اليمن والحجاز. وهى التى تُساق منها الأغنام والهدى إلى بيت الله الحرام. فمن ظن أن «كوش» تحمل أغنامه وذبائحه إلى الشام وبيت المقدس؛ فقد ظن عجزا.

### البشرى السادسة والخمسون:

قال زكريا النبي وتنبأ أيضا على جمع كلمة التوحيد وصيرورة الدين دينا واحدا: «إنه يكون الرب يومئذ ربا واحداً ويكون اسمه اسما واحدا»<sup>(٢)</sup>. وقد صار الأمر كذلك بمحمد رسول الله ﷺ شرقا وغربا فجنوبا وشمالا. فمن شدَّ عن ذلك فإلى النار.

### البشرى السابعة والخمسون:

قال زكريا أيضا: «وفى ذلك اليوم يكون اسم الرب القدوس على كل شيء حتى على لجام الفرس»<sup>(٣)</sup>.

(١) صفنيا ٣: ٨ .

(٢) زكريا ١٤: ٩ .

(٣) زكريا ١٤: ٢٠ .

فقد تمت هذه النبوة ببعثة محمد ﷺ وصار اسم الله على كل شيء، من ثوب ودار وسلاح وذهب وفضة وغير ذلك، وذلك شيء لم يكن يعرف قبل بعثة رسول الله ﷺ.

### البشرى الثامنة والخمسون:

قال إرمياء النبى عليه السلام وخاطب بها محمدا - صلى الله عليهما - حاكيا عن الله: «من قبل أن أصورك في الرحم عرفتك، ومن قبل أن تخرج من الرحم قدستك، وجعلتك نبيا للأمم؛ لأنك بكل ما أمرك تصدع وإلى كل من أرسلتك تتوجه، وأنا معك لخلاصك. يقول الرب: أفرغتُ كلامى فى فمك إفراغا، فانظر فقد سلطتك اليوم على الأمم والممالك لتنسف وتهدم وتبتر وتسحق وتغرس وتبنى ما رأيت» (١).

قال المؤلف: قول إرمياء: «أفرغتُ كلامى فى فمك إفراغا» نظير لقول الله تعالى فى التوراة: «أجعل كلامى فى فمه» (٢) يعنى النبى - عليه السلام - وهذه نبوات متضافرة ودلالات متظاهرة، فسبحان من يخس اليهود والنصارى حظهم من الإيمان بها والتمسك بسببها.

### البشرى التاسعة والخمسون:

قال إرمياء أيضا وتنبأ على نصر الأمة المحمدية على اليهود والنصارى وغيرهم: «إنى مهيِّج عليكم يا بنى إسرائيل من البُعد أمة عزيزة، أمة قديمة، أمة لاتفقهون لسانها وكلها مجرب جبار» (٣).

فهذه هى الأمة الحنيفية العربية التى سلطها الله على كل من كفر به، وعبد معه عجلاووثنا، واتخذ من دونه آلهة أخرى. وقد صدق الله فى خبره، ووفى بقوله سبحانه وتعالى.

(١) إرمياء ٤: ١ + .

(٢) تثنية ١٨: ١٥ - ٢٢ .

(٣) إرمياء ٥: ١٥ + .

### البشرى الستون:

وقال إرمياء متنبأ على أمة محمد ﷺ: «إني جاعل شريعتي في أفواههم وأكتبها في قلوبهم، وأكون لهم إلهًا ويكونون لى شعبًا، ولا يحتاج الرجل أن يتعلم من غيره الدين والملة ومعرفة الله، بل يصير الكل عارفين بالله. صغيرهم وكبيرهم، وأنا أغفر حينئذ ذنوبهم ولا أفرعهم بخطاياهم» (١).

هذه النبوة الجليلة القدر شاهدة بأن هذه الأمة هي أمة الله، وأن هذا الشعب الطاهر شعبه، وكفى بذلك فضلاً وشرفاً. فلا نعلم أمة تقرأ كتاباً ولها عن ظهر قلب من الملك إلى الأتوني سوى هذه الأمة المحمدية. فأما من عداها من الأمم فإنما يقرءون من الصحف، ويسمعون من غيرهم.

### البشرى الحادية والستون:

قال إرمياء أيضاً وتنبأ على إزالة ملك الفرس وهلاك فارس بالمسلمين من أمة محمد ﷺ: «يقول الرب: إني كاسر قوس عيلام. رأس عزهم وجبروتهم، وإني أغرى بعيلام أربعة رياح من أربع جهات السماء، وأبدد أهلها في تلك الجهات، وأفض عيلام قدام أعدائهم فضاً، وأفلهم قدام طالبي أنفسهم فلا، وأنزل عليهم البلاء والرجز الأليم حتى أفنيهم، ثم أنصب كرسي عيلام وأيد من هناك من الملوك» (٢).

عيلام: هي العراق. والملوك الذين كانوا بها هم ملوك الفرس. ونزوله تعالى: هو نزول الأمة المحمدية التي ذكر في النبوة المتقدمة أنها شعبه وأمه. ونصب كرسيه بها: هو إقامة الخلفاء من أهل بيته بها وبنائهم بها المساجد والجوامع والمدارس لإقراء كلامه وسنن رسله. ولا خفاء أن ذلك كله لم يتحقق إلا بمحمد وأمه.

### البشرى الثانية والستون:

قال إرمياء وشافه بها محمدا رسول الله ﷺ: «أعد آلات الحرب؛ فإنني أبدد بك الشعوب، وأبدد بك الخيل وفرسانها والمراكب وركبانها، وأبدد بك الطغاة

(١) إرمياء ٣١: ٣٣ + .

(٢) إرمياء ٤٩: ٣٥ + .

لتجاري الكذابين بأوزارهم التي ارتكبوها. هذا قول الرب» (١) .  
 فقد صدق الله ورسله، وبدد برسول الله ﷺ شعوب المشركين وخيلها  
 وفرسانها ومراكبها وركبانها، وانتقم به وبأمته من الكذابين من الفرس والديلم  
 والروم وأهل الكتاب. فكذب الفرس أنهم أناطوا الألوهية والربوبية بالنار. واليهود  
 أنهم قذفوا أنبياءهم وحكموا بأن معبودهم جسم من الأجسام. وكذب النصراني  
 لاعتقادهم أن ربهم الذي خلقهم ورزقهم هو رجل من بني آدم. وكذب اليهود  
 إناطتهم الربوبية بالأنداد من الحجارة والخشب، وكذب الصابئة وغيرهم إناطتهم  
 الربوبية بالكواكب ونجوم السماء. فسلب الله عليهم رسوله محمدا ﷺ فأباد  
 أبادهم، وأحمد نيرانهم، وكسر صلبانهم، ومحق أوثانهم، وأفنى فرسانهم.

### البشرى الثالثة والستون؛

قال حزقيال النبي متنبئا على هذه الأمة العربية المحمدية: «إن كرمة أخرجت  
 ثمارها وأغصانها، فأشرفت على أغصان الأكابر والسادات، وارتفعت ويسقت  
 أفنانها، فلم تلبث تلك الكرمة أن قُلعت بالسخط، ورمى بها على الأرض فأحرقت  
 السماء ثمارها وتفرقت قواها ويس عصى عزها، وأتت عليها النار فأكلتها، فعند  
 ذلك غرس غرس فى البدو وفى الأرض المهملة المعطلة العطشى وخرجت من  
 أغصانه نار فأكلت تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية ولا قضيب ينهض بأمر  
 السلطان» (٢) .

يريد بالغرس الأول: ملل النصراني واليهود وسائر الطوائف. وكيف سخط  
 الله عليهم وأباد جموعهم واجتث أصولهم وفروعهم، ويريد بالغرس الجديد  
 الذى غرسه فى البدو والأرض العطشى: هذه الأمة العربية والشريعة المحمدية  
 واستيلائها على ممالك من تقدم حتى لم يدع لهم عزا ولا سلطانا إلا احتوت عليه  
 وأكلته. وهذه نبوءة واضحة وبشارة صادقة.

### البشرى الرابعة والستون؛

وقال حزقيال أيضا وهو يتهدد اليهود ويصف أمة محمد ﷺ: «وأن الله  
 مظهرهم عليكم ويبعث فيهم نبيا، ومنزل عليهم كتابا، ومملكهم رقابكم

(٢) حزقيال ١٩: ١٠ + .

(١) إرميا ٥١: ٢٠ + .

فيقهرونكم ويدلونكم بالحق، وتخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب، معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون بكم، وتكون عاقبتكم إلى النار»<sup>(١)</sup>. نعوذ بالله من النار.

### البشرى الخامسة والستون:

قال حبقوق<sup>(٢)</sup> النبي عليه السلام وذكر محمدا رسول الله ﷺ باسمه فقال: «ستنزع في قسيك إغراقا، ترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء». فهذا تصريح بغير تعريض وتصحيح ليس فيه تمريض، فإن نازع في ذلك منازع فليوجد لنا آخر اسمه محمد. له سهام تنزع، وأمر مطاع لا يُدفع.

### البشرى السادسة والستون:

قال دانيال عليه السلام: «طوبى لمن أدرك أيام الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين»<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر حزقيال . يتحدث عن قلة حياء اليهود من الله ويبين أن الله سينزع منهم الملك بعد عقاب أليم . ومؤلف الكتاب اختصر المعنى الذي سمعه مشافهة وأتى بكلمات تدل على موضع النص من السفر . فقال: على خيل . أي «كلهم راكبون الخيل» وقال : «في جماعات الشعوب» أي «وبجماعة شعوب يقيمون عليك الترس والمجنّ والخوذة من حولك» وهذا معنى قوله «متسلحين» وقال المؤلف : «وتكون عاقبتكم إلى النار» وفي النص : « وتؤكل بقيتك بالنار» وقال : «ويدلونكم بالحق» وفي النص : « فيحكمون عليك بأحكامهم» وقال «مظهرهم عليكم» وفي النص : «وأسلم لهم الحكم فيحكمون عليك بأحكامهم» وقال : «فيقهرونكم ويدلونكم» وفي النص : «يقطعون أنفك وأذنيك وبقيتك تسقط بالسيف . يأخذون بنيك وبناتك» .

وليس في هذا الموضع من النص قيدار كما ذكر المؤلف . وإنما هو في موضع آخر من السفر . وهذا هو النص : « . . . كلهم رؤساء مركبات وشُهوراء . كلهم راكبون الخيل . فيأتون عليك بأسلحة . مركبات وعجلات . وجماعة شعوب يقيمون عليك الترس والمجنّ والخوذة من حولك . وأسلم لهم الحكم؛ فيحكمون عليك بأحكامهم، وأجعل غيرتي عليك؛ فيعاملونك بالسخط . يقطعون أنفك وأذنيك، وبقيتك تسقط بالسيف . يأخذون بنيك وبناتك وتؤكل بقيتك بالنار» .

(٢) في الأصل دانيال . والنص الذي سيذكره المؤلف سبق له ذكره في البشرى الرابعة والخمسين .

(٣) النص في الأصحاح الثاني عشر من سفر دانيال . والغرض منه : هو أن الله تعالى في القرآن الكريم قضى على بني إسرائيل بأن يفسدوا في أرض فلسطين مرتين . والنص على المرة الأولى في الأصحاح الثامن من سفر دانيال . وتم بعد ألفين وثلاثمائة سنة . ولما كان الإسكندر الأكبر قد دخل فلسطين فاتحاً . والسفر مكتوب في سنة دخوله وقد كان في سنة ثلثمائة وثلاثة وثلاثين . فإنك لو طرحت ٣٣٣ من ٢٣٠٠ يبقى ١٩٦٧ وهي السنة التي تمت فيها المرة الأولى . ثم إن المسلمين يهزمون اليهود وبعد هزيمتهم يتجمع اليهود للمرة الأخيرة في فلسطين ويهزمون المسلمين . ومن بعد الهزيمة يتنصر المسلمون عليهم . والنص على المرة الأخيرة مذكور في الأصحاح الثاني عشر من سفر دانيال . وبعده : «طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف»

وقد اعتبر العلماء العارفون بأيام الناس وتواريخهم؛ فلم يجدوا ذلك ينزل على واقعة بعد أيام دانيال سوى عدد من كان من المسلمين مع رسول الله ﷺ فى عام الحديبية. وهى مقدمات الفتح.

### البشرى السابعة والستون؛

قال دانيال<sup>(١)</sup> النبى عليه السلام حين سأله بختنصر عن تأويل رؤيا رآها. ثم نسيها: «رأيت أيها الملك صنما عظيما قائما بين يديك. رأسه من ذهب، وساعده من الفضة، وبطنه وفخذه من النحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من خزف، ورأيت حجرا لم يقطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتا، ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر؛ فصار جبلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها.

هذا ما رأيت أيها الملك.

فقال بختنصر: صدقت فما تأويلها؟

قال دانيال: أنت الرأس الذى رأيت من الذهب، ويقوم بعدك ولدك اللذان رأيت من الفضة. وهم دونك. ويقوم بعدهما مملكة أخرى. وهى دونهما. وهى التى تشبه النحاس، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذى يدق كل شيء. فأما الرجلان التى رأيت من خزف: فمملكة ضعيفة وكلمتها متشتتة. وأما الحجر الذى رأيت قد صك ذلك الصنم العظيم ففتته: فهو نبى يقيم الله إله السماء والأرض من قبيلة شريفة قوية، فيدق جميع ملوك الأرض وأمها حتى تمتليء منه الأرض ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا.

فهذا تعبير رؤياك أيها الملك.

فقد أخبر دانيال عن الله تعالى: أن نبينا هو خاتم الأنبياء ودولته خاتمة

الدول، وصدق بنبوءته هذه على جميع النبوءات الواردة فى رسول الله ﷺ.

### البشرى الثامنة والستون؛

قال دانيال النبى أيضا: «رأيتُ فى نومي: كأن الرياح الأربع قد هاجت

=والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوما أى سنة.

والعلم عند الله. والواقع هو الذى سيظهر الحساب الصحيح.

(١) النص فى الأصحاح الثانى من سفر دانيال.

ويعوج بها البحر، واعتلج اعتلاجاً شديداً، ثم صعد منه أربعة حيوانات عظام مختلفة الصور. الأول: مثل الأسد وله أجنحة نسر. والحيوان الثاني: مثل الدبّ وفي فمه ثلاثة أضلاع. وسمعت قائلاً يقول له: قم فكل من اللحم واستكشر منه. والحيوان الثالث: مثل النمر وفي جبينه أربع أجنحة وله أربعة رؤوس وقد أعطى قوة. والحيوان الرابع: عظيم قوى جداً. وله أسنان من حديد عظام؛ فهو يأكل ويدق برجليه ما بقي. ورأيته مخالفاً لتلك الحيوانات، وكانت له عشرة قرون فلم يلبث أن نجم له قرن صغير من بين تلك القرون، ثم صار لذلك القرن عيون ثم عظم القرن الصغير جداً أكثر من سائر القرون. فسمعت يتكلم كلاماً عجيباً وكان ينازع القديسين ويقاومهم».

قال دانيال: «فقال لى الرب: تأويل الحيوان الرابع: مملكة رابعة تكون فى آخر الممالك وهى أفضلها وأجلها تستولى على جميع الممالك وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً».

وقال دانيال: «وكننت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء. مثل ابن البشر؛ أتى وجاء إلى الله؛ فقدموه إليه. وأعطاه سلطاناً ومجداً وملكاً؛ لتتعبد له كل الأمم. وسلطانه دائم إلى نهاية الزمان».

وقال دانيال عن ابن البشر: «والمملكة تعطى لشعب رجال الله. وملكه ملك دائم وجميع الملوك تطيعه».

فقد شهد دانيال النبى عليه السلام وأخبر عن الله: أن أمتنا أمة ابن البشر هى الدائمة إلى الأبد، وأن ملتنا هى التى لا يقاومها أحد وهى التى ستبقى بإذن الله إلى الأبد. ووعدّه الحق، وخبره الصدق. فهل بقى بيان آيين من بيان الله تعالى على ألسن أنبيائه الأطهار؟

وقد قال من فسّر كتب أهل الكتاب: إن الحيوان الأول: هو دولة أهل بابل. والحيوان الثانى: هو دولة أهل فارس. والحيوان الثالث: هو دولة اليونان. والحيوان الرابع: هو دولة رومية. وابن البشر: هو نبى صادق وفى ذلك تصديق قول الله فى التوراة لإبراهيم عليه السلام: «إنى أبارك إسماعيل ولدك وأعظمه جداً جداً». ومن تولى الله تعالى تعظيمه وتفخيمه وبركته، كيف لا يكون كذلك؟

### البشرى التاسعة والستون:

قال دانيال<sup>(١)</sup>: «سألتُ الله وتضرعتُ إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك فى غيرهم؟»

قال دانيال عليه السلام: فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه. فقال: السلام عليك يا دانيال. إن الله يقول: إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا علىّ وعبدوا من دونى آلهة أخرى، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب؛ فسلطتُ عليهم بختنصر. فقتل رجالهم وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرقتُ كتبهم. وكذلك فعل من بعده بهم. وأنا غير راض عنهم ولا مُقبلهم عشرتهم؛ فلا يزالون فى سُخطى حتى أبعث مسيحى وهو نبي بنى إسماعيل الذى بشرتُ به هاجر وأرسلتُ إليها ملاكى فبشرتها؛ فأوحى إلى ذلك النبي وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، أسرى به إلىّ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأذنيه وأسلم عليه، وأوحى إليه. ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة، حافظا لما استودع، صادعا بما أمر، يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظاً ولا غليظ، ولا صخباً فى الأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه. فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي».

قال المؤلف ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ حرفاً حرفاً مما أملاه عليه الملك حتى وصل إلى آخر أيام أمة بنى إسرائيل، وهلاكهم على يديه. ونبوته كبيرة. وهى الآن فى أيدي النصراني واليهود يقرءونها، وفيها ما وصفنا من إشادة الله بذكر هذه الأمة، وذكر نبيها، وأنها باقية إلى يوم القيامة. ولكن الحسد وفساد المرّبي؛ صار قنّاراً عن السعادة. والله الموفق.

(١) المؤلف ذكر النص بالمعنى وهو فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال.



### البشرى السبعون:

قال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله: «إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي؛ هو يعلمكم كل شيء». والفارقليط هو محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله بعد «المسيح» وهو الذي علم الناس كل شيء. قال يهودى لرجل من الصحابة: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخزأة. فقال: أجل. لقد نهى أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط<sup>(١)</sup>. وقد سماه المسيح «روح الحق» وذلك غاية المدحة وأعلى درجات المنحة. واعلم: أن النصارى اختلفوا في تفسير لفظ «الفارقليط» على أقوال: فقيل: إنه الحماد، وقيل الحامد، وقيل المعزى وأكثر النصارى على أنه المخلص.

فإن فرعنا عليه. فلا خفاء بكون محمد رسول الله ﷺ مخلصا للناس من الكفر والمعاصي والجهل، ومنقذهم من دركات الهلاك بإرشادهم إلى توحيد الله وعبادته. قال عليه السلام: «إني آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون في النار»<sup>(٢)</sup> وبذلك سمى المسيح نفسه في الإنجيل إذا قال فيه: «إني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم»<sup>(٣)</sup> والنصارى يقرءون في صلاتهم: «يا والدة الإله لقد ولدت لنا مخلصا» وإذا كان المسيح مخلصا ولا بد من مخلص آخر لأمته.

فأما على بقية الأقوال: فليس لفظ أقرب إلى محمد من الحامد والحماد. فقد وضع أن «الفارقليط» هو محمد عليه السلام.

### البشرى الحادية والسبعون:

قال يوحنا التلميذ أيضا لتلاميذه: «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا»<sup>(٤)</sup> آخر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) يوحنا ١٢: ٤٧.

(٤) كلمة «بيركليطوس» كلمة يونانية هي «أحمد» في اللغة العربية. Periqlytos والنصارى يعترفون بذلك، =

الذى لم يُطق العالم أن يقبلوه؛ لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاما لأنى سأتيكم عن قريب».

قد نقلنا تفسيرهم لـ «الفارقليط وأنه على صحيح أقوالهم «المخلص» وقد ذكر المسيح أنه لا بد من «فارقليط» آخر يثبت إلى الأبد. وثبتت النبى إلى الأبد ممتنع، فلم يبق إلا حمل الكلام على الشريعة التى جاء بها النبى. وهذه شريعة نبينا ﷺ باقية على أس قويم، ومنهج من الحق مستقيم، لا تنقض بوفاته ولا تنقض، ولا يتخلل الخلل خلالها ولا يعترض. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَوَخَّاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وقوله ﷺ: «لا نبى بعدى» فالنصرارى فى ذلك بين أمرين: وهو إما أن يقولوا: إنه محمد رسول الله. وإما أن يقولوا: إن المسيح أخلف قوله ولم يف بوعده وتركهم أيتاما بغير نبى يتكفل بأمورهم ولم يأتهم عن قريب كما وعد. بل إنما أراد هذا النبى المخلص هو الذى يأتهم عن قريب.

ولم أر أحداً من النصرارى يحسن تحقيق مجيء هذا «الفارقليط» الموعود به، إذ بعضهم يزعم أنه ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ. ففعلوا الآيات والعجائب. وذلك خلاف ما أخبر به المسيح، إذ المسيح ذكر «فارقليطاً» آخر وذلك يشير إلى أول تقدم لهم. وهذه الألسن لم يتقدم مجيئها ولم تُعرف أولاً، ثم ذلك كذب من قائله. إذ سير التلاميذ تشهد بأنهم بعد المسيح امتهنوا وقتلوا تقتيلاً، وعذبوا بأنواع العذاب. وذلك تكذيب لمن زعم أنه نزل عليهم من السماء ألسن من نار تؤيدهم على أعدائهم. ثم المسيح يقول: إن هذا «الفارقليط» الآخر يأتى بعده ويدوم مع الناس إلى الأبد ويعلم الخلائق كل شيء وأنه قد سمي روح الحق. فكيف تقول النصرارى: إنه هو هذا الذى يزعمون أنه ألسنة من نار نزلت ثم

= ويعترفون أن الكلمة العبرانية الأصلية يمكن أن تنطق بباركليت أو باركليت. لأن حروف العلة لم تكن موجودة قبل القرن الخامس. وباركليت صفة. وباركليت. نصّ فى الاسم. والنصوص التى ذكرها المؤلف عن اسم أحمد موجودة كلها فى إنجيل يوحنا من الأصحاح الرابع عشر فما بعده.

وقد لفا النصرارى فى حقيقة الباركليت لغوين؛ اللغو الأول: أنهم نطقوا الكلمة بفتح الباء. والصحيح: أنها بالكسر. واللغو الآخر: أنهم قالوا: إن الباركليت هو روح الله عز وجل وجعلوه أقتوما إلهيا ثالثا. وكتبوا أنه نزل من السماء فى عيد الحصاد - عيد الخمسين - ولبلى السنة التلاميذ، وارتفع عنهم إلى السماء لأعمال الرسل ١: ٢ - ٤ { والنصوص لا تساعدهم على هذا اللغو.

انقضت ومضت ولم تدم إلى الأبد ولم تعلم أحداً شيئاً؟ هل هذا إلا جهل من قائله، وحملٌ لكلام الأنبياء والرسل على الخلف والكذب؟

فقد وضح أن هذا الموعود به على لسان المسيح إنما هو محمد رسول الله ﷺ وقد وصفه المسيح بأنه لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه. يريد: أنه يأتي في زمن الغالب على أهله عبادة الأوثان، وتعظيم الصليبان، وسجر النيران. قد نبتت على ذلك أجسادهم، وثبتت عليه آباؤهم وأجدادهم. فما راعهم إلا رسول قد جاءهم من التوحيد بما لم يعرفوه، وهاجم جمعهم بفطم ما ألفوه. فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾؟ فلذلك لم يقبلوه. والنبى على الحقيقة لا يعرفه إلا من فاض عليه من فيضه، وارتاض في فسيح روضه.

### البشرى الثانية والسبعون:

قال يوحنا: «قال المسيح: من يحبني يحفظ كلمتي، وأبى يحبه وإليه نأتي، وعنده نتخذ المنزل، كلمتكم بهذا؛ لأنى عندكم مقيم، والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم. أستودعكم سلامي. لا تقلق قلوبكم ولا تجزع؛ فإنى منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوننى كنتم تفرحون بمضى إلى الأب، فإن أتم ثبتم في وثبت كلامى فيكم؛ كان لكم كل ما تريدون. وبهذا يجد أبى».

فقد شهد المسيح عليه السلام بأن محمداً هو «روح القدس» كما شهد أولاً بأنه روح الله، وأن الله أرسله، وأنه يعلم الناس كل ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم. وأخبر تلاميذه أنهم إن ثبتوا على وصيته فى تعظيم أمر هذا المخلص الثانى والتزام أوامره واجتناب نواهيه والحث على اتباعه؛ كان لهم ما أرادوا. نظير ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

قال المؤلف: إنه لما قربت مدة المسيح وانتهاء مقامه فى الأرض، ودنا رفعه

منها؛ حمل أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم. وكذلك فعل سائر الأنبياء والرسل - كما نقلنا عنهم .

### ولهم في ذلك مقاصد:

**أحدها:** أن يقوموا لله تعالى بما وجب من حقه في تعظيم من عظم من أهل صفوته، فقد قال الله تعالى في التوراة لإبراهيم: «إني سأعظمه جداً جداً» (١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ .

**والثاني:** أن يحصلوا لأئمتهم على أجرين، أجر الإيمان بنبي حاضر، ونبي كريم مرتقب ودليله قوله عليه السلام: «ثلاث يؤتون أجرهم مرتين» وذكر منهم: «رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدركه وآمن به» (٢) .

**والثالث:** دفع الشكوك عن ضعفاء أتباع هذا النبي. فإنه إذا اتصل بهم أن الأنبياء من المتقدمين قد تنبؤوا عليه وذكروه باسمه ووصفوا بلده وأرضه وقومه وميزته؛ زالت عنهم عوارض الشكوك فثبتوا فيهم. لذلك قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ وعز من قائل: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وقال سبحانه ﴿وَإِنَّ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ .

### البشرى الثالثة والسبعون:

قال المسيح وتبناً بذلك على شهادة الرسول له بالنبوة والرسالة، وتكذيب

(١) في التوراة عن إسماعيل عليه السلام: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمه وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يولد. وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧ : ٢٠] قوله «كثيراً جداً» في العبرانية «بماد ماد» وقوله «أمة كبيرة» في العبرانية «بلجوى جدول» وقد حذف المحرف اسم محمد، ووضع بدله في سياق بركة إسماعيل ما يدل على اسمه بحساب الجمل هكذا:

ب=٢ / م=٤٠ / أ=١ / د=٤ / م=٤٠ / م=١ / د=٤ / أ=١ / د=٤ / م=٤٠ / م=٤٠ / د=٤ / المجموع = ٩٢ .

أيضاً: ل=٣٠ / ج=٣ / و=٦ / ي=١٠ / ح=٣ / د=٤ / و=٦ / ل=٣٠ / المجموع = ٩٢ ومحمد = ٩٢

هكذا: م=٤٠ / ح=٨ / م=٤٠ / د=٤ / المجموع = ٩٢ .

(٢) رواه البخاري .

اليهود فيما رموه به من الكذب والزور، ونسبوه إلى أمه الطاهرة من الفجور. قال فيما حكاه يوحنا عنه: «إذا جاء الفارقليط الذي أبى أرسله، روح الحق الذي من أبى هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه».

تدبروا - أتمّ الله علينا وعليكم نعمة الإسلام ووفقنا وإياكم لشكر متابعتة عليه السلام - ما اشتملت عليه فصول «الفارقليط» من الإفصاح بشأن رسول الله ﷺ.

واعلموا: أن رسول الله ﷺ قد شهد للمسيح في غير موضع من الكتاب العزيز بالنبوة والرسالة، وصدقه فيما جاء به من عند الله. كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وقد أكذب اليهود في فريتهم على المسيح وعلى أمه إذ نسبوه إلى بنوة الزنا. وقالوا: إن به شيطانا يتخبطه ويغويه، وزعموا: أن «بعل زبول» رئيس الشياطين<sup>(١)</sup>. هو الذي يُعينه على الآيات والعجائب. كما شهد بذلك الإنجيل. فلهذا استشهد المسيح بمحمد رسول الله ﷺ فقال: «روح الحق الذي أبى أرسله هو يشهد لي» وقول المسيح هذا يُشعر بتقدم رسالة محمد رسول الله ﷺ لأن المسيح عليه السلام ذكر ذلك بلفظ الماضي فقال: «الله أرسله» ولم يقل: إنه يرسله. ويؤيد ذلك: قول محمد رسول الله ﷺ وقد سُئِلَ: متى وجبت لك النبوة؟ فقال عليه السلام: «كنت نبيا وإن آدم لمجندل في طيئته»<sup>(٢)</sup>، وقول المسيح للتلاميذ: «ذكرتُ لكم هذا قبل أن يكون حتى إذا كان؛ لا تشكوا» تحريض لهم على متابعتة، والمشاركة إلى مبايعته. والكلام وإن كان مع من كان حاضرا من التلاميذ. والمطلوب منه ما قدمناه من المقاصد الثلاثة.

وقد روى: أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أدرك بعض الحوارين وهو سلمان الفارسي. وبوصية ذلك الحوارى أسلم سلمان<sup>(٣)</sup>. ولا جرم أن طائفة من

(١) متى ١٢: ٢٢ + .

(٢) راجع إنجيل برنابا في معنى هذا الحديث وراجع كتابنا البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل - فصل السيا المنتظر.

(٣) مسند ابن حنبل.

النصارى عند مبعثه ابتدرت إلى الإيمان كنصارى نجران، و هلم جرا الداخلون فى دين محمد ﷺ من النصرارى واليهود أكثر من الخارجين منه، فما يحصى من أسلم منهم من علمائهم، وصنفوا الكتب فى معائب ما كانوا عليه ومحاسن ما صاروا إليه. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. وحق القول على آخرين فلم يستيروا بنور الهدى، وصدف بهم عن وصايا المسيح ما حق عليهم من الارتكاس فى مهاوى الردى. فهم المرادون بقول الكتاب العزيز: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾؟ ويقول إشعياء النبى عليه السلام: «عرف الثور والحمار ربّه، وجهل ذلك بنو إسرائيل»<sup>(١)</sup> ولقد بكتهم بطرس صاحب المسيح فى الفصل الثالث من رسالته الثانية فقال: «لقد كان خيرا لهم ألا يعرفوا طريق الحق من أن يعرفوه، ثم ينصرفوا إلى خلافه ولنوكهم الظاهرة أنلتهم الأمثال الصادقة القائلة: إنهم كالكلب العائد فى قيئه، والخنزير الذى اغتسل ثم تمرغ فى الحمأة»<sup>(٢)</sup>.

### البشرى الرابعة والسبعون:

قال المسيح فيما رواه يوحنا أيضا: «إن خيراً لكم أن أنطلق؛ لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء فهو يؤبّخ العالم على الخطيئة، وإن لى كلاما كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق. ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتى، ويعرفكم جميع ما للأب».

قال المؤلف: فى هذا الفصل عدة معانى فليتبهرها اللبيب:

منها: أن المسيح عليه السلام اعترف بأن هذا «الفارقليط» الآتى أفضل منه. إذ قال: «إن الخيرة لهم فى انطلاقه ومجيء الفارقليط الآخر».

ومنها: قوله «فإذا انطلقت أرسلته» وهذا صحيح المعنى من حيث أن مجيء المصطفى موقوف على ذهاب المسيح.

ومنها: أنه أخبر: «أن هذا الآتى هو الذى يؤبّخ العالم على الخطيئة» وقد فعل

(١) إشعياء ١: ٣.

(٢) بطرس الثانية ٢: ٢١ - ٢٢.

ذلك رسول الله وويخ العالم على خطاياهم. المجوس على عبادة النار، وويخ اليهود على عبادة عزير والعجل، وويخ النصارى على عبادة الثالوث، وويخ الصابئة على عبادة الكواكب، وويخ العرب والهنود على عبادة الأصنام والانداد<sup>(١)</sup>. فكان أمره فى ذلك مصححا لما نطق به المسيح من أنه إذا جاء عليه السلام ويخ الأمم على الخطيئة.

ومنها: أن المسيح أخبر أن هذا «الفارقليط الآخر الآتى هو الذى يخبرنا بكل ما يأتى، ويعرفنا كل شيء للأب» وهذا حال محمد رسول الله ﷺ فإن أبوا ذلك فليخبرونا من هو الذى جاء مخلصا «فارقليط» آخر بعد المسيح. فويخ العالم على الخطيئة، وأرشد الخلق إلى عبادة الله وطاعته، وحذّره من عصيانه ووبال مخالفته، وعرفهم بالله تعالى عليهم من الحقوق فى أنفسهم وأموالهم، ودامت شريعته واستمرت مع الناس إلى الأبد؟

وقد قال المسيح فى الفصل الأول: إن هذا الرجل الآتى بعده يعلم الناس كل شيء وإنه يدوم معهم إلى الأبد. فليوجدوا ذلك، وإلا فليكذبوا قول المسيح هذا، ويردوا صحته. فقد دار أمرهم فيه بين الإسلام أو تكذيب المسيح فى خبره. فإن رجعوا القهقرى وزعموا أنها الألسن النارية التى يزعمون أنها نزلت من السماء على التلاميذ وانقضت ومضت. قلنا: الويل لكم. ألم يقل المسيح: «إن هذا الفارقليط شيء واحد؟ فكيف يقولون: إنها عدة وجماعة نزلت؟ وقال: «إنه يدوم إلى الأبد» عندكم. فكيف تزعمون أنه أقام أياما قلائل ثم ذهب؟ لقد كاد الله هذه العقول، وحاد بها عن سواء السبيل.

وفى هذا الفصل من كلام المسيح دلالة على أن كل ما ينطق به محمد ﷺ من آية مبرورة، وسنة مأثورة. وموعظة وأدب، ونهى وطلب؛ فهو متلقى بالقبول، إذ يقول: «إنه لا يتكلم من عنده بل بما يسمع» نظيره: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ .

(١) سبق أن بينا أن العرب لم يكونوا كافرين. والذين كفروا هم اليهود وهم الذين وأدوا البنات كما هو مبين فى المزمور المائة وستة.

### البشرى الخامسة والسبعون:

قال المسيح فيما حكاه يوحنا التلميذ عنه: «قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح: يا سيد آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم؟ فقال المسيح: يا هذه آمنى فإنه ستأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للأب».

قال المؤلف: وهذا القول من المسيح تنويه بأمر الكعبة، فإن التوجه إليها على يد محمد ﷺ نَسَخَ ما عداها. وصار السجود لله تعالى. لا فى أورشليم ولا فى غيرها، بل إلى جهة الكعبة لا غير.

### البشرى السادسة والسبعون:

قال المسيح لمن حضره: <sup>(١)</sup> «الحق أقول لكم: إنه سيأتى قوم من المشرق والمغرب فيتكتون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب، وتخرج بنو الملكوت إلى الظلمة

(١) النص فى متى ٨ ولاحظ: «بنو الملكوت» ومعناها: أن كل من يعبد الله فإنه يكون فى ملك لله. أى ملكوته. وأن كل من يعبد الشيطان فإنه يكون فى ملك الله. أى ملكوته. والداعون إلى ملك الله هم بنو إسرائيل بشرية موسى. ثم إنهم استكبروا وعتوا عتوا كبيرا، وقالوا ليس علينا فى الأمين سبيل، وامتنعوا عن الدعوة. فمن يدعو من بعدهم غيرهم؟ يقول المسيح: بنو إسماعيل بشرية محمد ﷺ. وسينضم إليهم جميع الأمم؛ فيكونون مملكة لله. وفى أيام المسيح كان اليهود لا يؤمنون ولا يدعون. إلا قليلا. وقد بين لهم أن الأمم إذا دعوا إلى الله فإنهم يعبدون الله أكثر منهم. يقول متى: «ولما دخل يسوع كفر ناحوم، جاء إليه قائد مائة، يطلب إليه ويقول يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجا مستعذبا جدا. فقال له يسوع: أنا أتى وأشفية. فأجاب قائد المائة وقال: يا سيد. لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي؛ لأنى أنا أيضا إنسان تحت سلطان. لى جند تحت يدي. أقول لهذا: اذهب، فيذهب، ولآخر: ايت فيأتى، ولعبيدي: افعل. فيفعل. فلما سمع يسوع تعجب. وقال للذين يتبعونه: الحق أقول لكم: لم أجد ولا فى إسرائيل إيمانا بمقدار هذا. وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ويتكثرون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المائة: اذهب، وكما آمنت؛ ليكون لك فبرا غلامه فى تلك الساعة».

{ممتى ١: ٨ - ١٣}.

لاحظ: تواضع قائد المئة. وهو من الأمم وليس من اليهود. ولاحظ: أن الأمم سيدخلون فى الملكوت الجديد، ولن يدخل اليهود. وكل الداخلين فيه هم شبه الأنبياء الذين آمنوا بالله فى الدنيا. شبههم فى الإيمان. وإذا ماتوا فإنهم من بعد الموت سيكونون كلهم فى مملكة واحدة عند الله، كما كانوا فى مملكة واحدة فى الحياة الدنيا.



البرانية خارجا، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان».

قال المؤلف: وذلك القول من المسيح تنويه بأمة محمد إذ ليسوا من الذين خاطبهم المسيح بهذا الكلام. فهم الذين يكونون في رفقة إبراهيم وإسحق ويعقوب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

### البشرى السابعة والسبعون:

قال متى التلميذ: «سأل التلاميذ المسيح فقالوا: يا معلم لماذا تقول الكتبة إن إيلياء يأتي؟ فقال عليه السلام، إن إيلياء يأتي ويعلمكم كل شيء: وأقول لكم إن إيلياء قد جاء فلم يعرفوه، بل فعلوا به كالذى أرادوا» (١) .

وقد فسروا إيلياء بأنه نبي، وقد ذكر: «أن إيلياء قد أتى ولم يعرفوا قدره» فلا بد من الوفاء بقول المسيح أن إيلياء يأتي ويعلم الناس كل شيء. ولم يأت بعد المسيح من علم الناس كل شيء من أمر الدنيا والآخرة، سوى محمد رسول الله ﷺ .

### البشرى الثامنة والسبعون:

قال يوحنا الحواري: «قال المسيح إن أركون العالم سيأتي وليس له في شيء» (٢)

قال المؤلف: «الأركون» بلغتهم: العظيم القدر، و«الأركنة» هم العظماء. وقد قال إشعياء في وصف محمد رسول الله ﷺ: «أركون السلام» (٣) يعني عظيم الخير والبر. ومعنى: إن أركون العالم سيأتي، وليس له في شيء: يشير إلى «الشیطان» بمعنى: أننى بلغت للناس اسم محمد وأوصافه. فإذا جاء الشيطان فى وقت بعثته ليصرفهم عن الإيمان به؛ فإنه لا يكون عليّ لوم فى أننى قصرت فى البلاغ.

(١) متى ١٧: ١٠ + ومتى ١١: ١ .

(٢) هذا فى نبوة بيراكليت والمراد بأركون العالم: الشيطان.

(٣) إشعياء ٩: ٦

وقول المسيح عليه السلام: «إن أركون العالم؛ يدان»<sup>(١)</sup> يعنى به: أن الشيطان سيحاسب أشد المحاسبة، إذا صرف الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ .

### البشرى التاسعة والسبعون؛

قال يحيى بن زكريا - عليهما السلام - لأصحابه: «إن الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى وأنا الا أستحق أحل معقد خفّه» .

وما ذلك إلا محمد عليه السلام. ولا يليق أن يكون المسيح أصلاً؛ لأن المسيح جاء مع يحيى لا بعده. فيحى أكبر منه بستة أشهر لا غير، كما نطق به الإنجيل .

### البشرى الثمانون:

قال متى التلميذ: <sup>(٢)</sup> «قال المسيح: ألم تقرأوا أن الحجر الذى أرذله البناءون

(١) فى الأصل: يعنى عظيم الخير والبر. وقال المسيح عليه السلام: «إن أركون العالم؛ يدان» يشير إلى السلطان الظالم. والإدانة: هى شدة المحاسبة. فقول المسيح: إن أركون العالم سيأتى وليس لى شيء. يريد أن الفارقليط الذى قدمنا ذكره يأتى ويستولى على سائر الملك، وينسخ كل شرع، فلا يبقى مع شرعه شرع معتبر ولا حكم مقرر.

(٢) فى الأصحاح السابع من سفر دانيال:

أن أربع ممالك تقوم على أرض فلسطين، هى بابل وفارس واليونان والرومان. ثم يظهر نبي؛ فيطرد الرومان. ويؤسس لله تعالى ملكاً قائماً على شريعة من الله. وقد عبر دانيال عن هذا النبي بلقب «ابن الإنسان» لأنه رأى ما رأى فى حلم ليل. وكان اليهود ينتظرون هذا النبي، الملقب بابن الإنسان. ويطلقون على مملكته «ملكوت الله» أو «ملكوت السموات» وفى أيام المسيح عيسى عليه السلام ابتدأ دعوته فى بنى إسرائيل باقترب «ملكوت الله» ففى إنجيل مرقس: «وبعدما أسلم يوحنا؛ جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله. ويقول: «قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله؛ فتوبوا، وآمنوا بالإنجيل» [أمر ١: ١٤ - ١٥] وفى إنجيل متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرر فى برية اليهودية قائلاً: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣: ١] .

«من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز، ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧] وقد ضرب المسيح مثلاً للأمة الإسلامية فقال: «بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأى مثل نمثله؟ مثل حبة خردل، متى زُرعت فى الأرض؛ فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض. ولكن متى زُرعت؛ تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتأوى تحت ظلها» [أمر ٤: ٣٠ - ٣٢] .

مثل الكرامين الأردباء:

ثم ضرب المسيح مثلاً لانتقال الملكوت من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل. فقال: «كان إنسان رب بيت =

صار رأسا للزاوية؟ من عند الله كان هذا، وهو عجيب في أعيننا. ومن أجل ذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرته. ومن سقط على هذا الحجر؛ يتشدخ، وكل من سقط عليه؛ يحرقه».

فليت شعري من هي هذه الأمة التي دُفِعَ لها ملكوت الله فأكلت ثمرته بعد المسيح غير أمة محمد؟ ومن هو الذي كل من غزاه؛ انشدخ، وكل من تولّى هو غزوه وقتاله؛ محرقه. سوى محمد ﷺ وأمته؟  
فإن زعم النصارى أنه عنى بالحجر نفسه.

قلنا لهم: ما هكذا أخبرتمونا عنه بل الذي حكيتم لنا: أن شرذمة من اليهود وقعوا عليه فمحقوه وقتلوه وصلبوه، وهذا شيء لم نسمعه إلا منكم ولا نُقَلَّ إلينا إلا عنكم. وإذا قلت: إن أراذل اليهود ظهروا عليه وشدخوه؛ بطل قولكم أن

=غرس كرما، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجاً، وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهايون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن. قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأعداء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».

لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تحمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترصّص، ومن سقط هو عليه؛ يسحقه» (متى ٢١: ٣٣ - ٤٤).  
لاحظ:

- ١ - انتقال الملكوت من اليهود إلى أمة أخرى.
  - ٢ - والأمة الأخرى مرموز لها بالحجر المرفوض من البنائين؛ وهذا كناية عن أن النبي الآتى سيكون من نسل هاجر، المحترق في أعين اليهود.
  - ٣ - وأن داود قد تنبأ عن هذا النبي الآتى من النسل المحترق في المزمور المائة والثامن عشر.
- ومثل الأمة الإسلامية في التوراة هو:

«هلوليا. غنوا للرب ترنيمة جديدة. تسيحته في جماعة الأتقياء؛ ليفرح إسرائيل بخالفه ليبتهج بنو صهيون بملكهم. ليسبحوا اسمه برقص. بذف وعود. ليرغوا له؛ لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص، ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرغوا على مضاجعهم. تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدّين في يدهم. ليصنعوا نقمة في الأمم، وتآدييات في الشعوب. لأسر ملوكهم بغير، وشرقاتهم بكيول من حديد؛ ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هلوليا».

المسيح عنى بالمثل نفسه، فإن أبيتتم إلا أن يكون المسيح هو رأس الزاوية؛ فقد أكذبتم نفوسكم فى القتل والصلب والإهانة؛ لأن الرأس من الناس والرئيس منهم هو الذى يرتفع ويجلّ عن امتداد يد الهوان إليه. فإن تبتم على دعوى القتل والصلب والإهانة؛ تعين صرف المثل المذكور إلى من جاء بعد المسيح.

ولم يأت بعده من صيرره الله رأسا للعالم وأوتيت أمته ثمرة الملكوت فأكلتها سوى محمد وأمته. وقد أخبر المسيح عليه السلام بأن اليهود والنصارى يُسلبون الملك والرئاسة. ويصير ذلك إلى المسلمين. إذ يقول: «إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تأكل ثمرته».

والمسيح عليه السلام صادق فى قوله، محق فى خبره. ولم يأت بعد أمة المسيح من صار إليها الملك والرئاسة والشريعة القائمة والكلمة القاهرة؛ سوى هذه الأمة العربية التى تنبأ بها الأنبياء قبل المسيح - كما قدمنا.

فهذا ما بقى فى الإنجيل من البشرى برسول الله مما حماه الله عن أيدي الأعداء.

### البشرى الحادية والثمانون؛

قال يوحنا التلميذ فى كتاب رسائل التلاميذ المسمى فراكسيس: «يا أحبائى إياكم أن تؤمنوا بكل روح، مَيَّزُوا الأرواح التى من عند الله من غيرها، واعلموا: أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسداً نيا؛ فهى من عند الله، وكل روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسداً نيا؛ فليست من عند الله. بل من المسيح الكذاب الذى سمعتم به. وهو الآن فى العالم» (١).

فقد شهد الحواري بأن محمداً من عند الله؛ لأن محمداً قد آمن أن المسيح قد جاء وكان جسداً نيا. فأما اليهود فلم يؤمنوا بالمسيح ولا كثير من أهل ذاك الزمان. واليهود إلى الآن فى انتظار مسيح آخر. ولا مسيح يأتى سوى المسيح الدجال الكذاب الذى حذرت منه الأنبياء - عليهم السلام - فهذا الحواري يوحنا قد

(١) يوحنا الأولى ٤: ١ - ٣ .

شهد بصدق محمد وأمه، وأن اعتقادهم في المسيح هو الاعتقاد الحق. وقد أكذب النصراني بقوله هذا في دعوى ربوبية المسيح، إذ فرق في قوله بين الله وبين المسيح، وشهد أن الله غيره وأنه غير الله.

### البشرى الثانية والثمانون:

قال شمعون الصفا - رئيس الخواريين - في كتاب فراكسيس: «إنه قد حان أن يبتدأ الحكم من بيت الله ابتداء» (١).

فبيت الله الذى ذكره الخوارى هو الكعبة - شرفها الله - ومنها: كان ابتداء الحكم الجديد، ولا يحسنُ تنزيلُ هذا الكلام على بيت المقدس لأن حكم ذاك كان مستمرا عند صدور هذ الكلام من شمعون، ولا يليق إلا بشرع جديد مبتدأ. ولا يقال فيما كان مستمراً أنه حان أن يبتدأ.

### البشرى الثالثة والثمانون:

قال فؤس - الذى يسمونه فولس الرسول - فى رسالة من رسائله. وهى الرابعة إلى بعض إخوانه: «إنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة. فأما ابن الأمة فكان مولده كمولد سائر البشر، وأما ابن الحرة فإنه ولد بالعدة من الله. وهما شبيهان بالناموسين والغرضين، أما هاجر فشيبة بجبل سيناء الذى فى بلاد أرابيا الذى هو نظير أورشليم هذه. وأما سارة فهى نظير أورشليم التى فى السماء» (٢).

فقد أفاد قول فؤس هذا أمورا:

منها: أن إسماعيل وأمه هاجر قد كانا أوطنا أرض العرب - أرابيا - لأن عجمة فولس تسمى العرب «الأرب» فنقل العين همزة.

ومنها: أن جبل سيناء متصل بوادى العرب التى هى «أرابيا» وهو الذى قالت عنه التوراة: «جاء الله من سيناء».

ومنها: أن بيت مكة نظير بيت المقدس، بشهادة فولس.

(١) بطرس الاولى ٤: ١٧.

(٢) غلاطية ٤: ٢٢ - ٢٦.

ومنها: أن كلا الولدين صاحب ناموس وشريعة وأحكام وفرائض. قد تعصب فولس هذا على إسماعيل وأمه فى موضعين من هذا الكلام. وهما قوله: إن إسماعيل مولده كمولد سائر البشر وتشبيهه هاجر بالكعبة التى فى الحجاز، وسارة بالكعبة التى فى السماء. وقد غلط فولس فىهما جميعا.

أما قوله «إن إسماعيل لم يولد بعدة من الله تعالى» فليس الأمر كما ذكر بل ما ولد إسماعيل إلا بعد أن من الله على إبراهيم به - على ما بيته من التوراة .  
أما قوله «إن هاجر شبيهة بسينا» فمن غلطه أيضا، وسوء استنباطه واستخراجه. وذلك أن هذا التشبيه الذى صار إليه ليس منصوبا عليه. لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى شيء من النبوات البتة. ولم يتقدم إلى القول به أحد من الحواريين، فلم يبق الإنجيل فولس هذا «إن الحرة فى الجملة أفضل من الأمة»؟ فسبب الأمة بيت الله فى الأرض، وسبب الحرة بيت له فى السماء؛ استحسانا لذلك بعقله. وذلك شيء لا اعتبار له ولا تعويل عليه.

وتحكيم العقل فى كل مورد ومصدر؛ جهل وخرق من فاعله، فالفاضل فى الحقيقة من كان عند الله فاضلاً أو شهدت له نبوة نبي بالفضل.

وقد اعتبرنا - رحمك الله - شهادات التوراة والنبوات والأنجيل الأربعة؛ فلم نجد لما ذكره هذا الرجل من تفضيل سارة وابنها على هاجر وابنها أصلا يتمسك به، بل قد وجدنا التوراة خاصة تشير إلى تفضيل هاجر وابنها. وذلك فى عدة مواضع:

منها: أنا وجدنا التوراة تنطق صريحا أن الله ارتضى هاجر لبكر إبراهيم، ورأينا التوراة فضلت البكر من الأولاد فى الميراث وحسن الثناء؛ فجعلت للبكر سهمين من الميراث، ولمن سواه سهم واحد. وقالت فى حق بعضهم: «ابنى بكرى أرسله يعبدني»<sup>(١)</sup> فمن ولدت البكر لإبراهيم أفضل ممن لم تلده؛ لأن الشجرة إنما يُعرف فضلها من ثمرتها. وقد أثمرت هاجر بكرا طيبا.

ومنها: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «دع أمتك وابنك ولا يهمنك أمرهما»<sup>(٢)</sup>

(١) خروج ٤: ٢٢ + .

(٢) تكوين ٢١: ١٢ + .

وتكفل الله بهما وتولاهما. وإنما يتولى الله الصالحين من عباده، فتسلمهما سبحانه من يد إبراهيم خليله وكان خير كافل لهما.

ومنها: ظهور الملك لهاجر ومكالمتها من غير حجاب ورأفته بهما وقوله لها: «شدى يديك بهذا الصبي؛ فإن الله تعالى قد سمع تضرعك، وأن ولدك هذا يعظمه الله جدا جدا»<sup>(١)</sup> وهذا لم يتفق لسارة أصلا.

ومنها: تفجير الله لها عين ماء من أرض صلد وبرية معطشة موحشة. كل ذلك قد شهدت به التوراة، فمن رام غضاً من هاجر وابنها من اليهود والنصارى؛ فقد أزرى على نفسه وكشف عورته بيده، وأبان عن جهله بالتوراة والنبوات.

ومنها: جعل بيتها<sup>(٢)</sup> ومسكنها وضريحها بيتا مقدسا محجوجا إليه تُعَفَّرُ الملوك والأكابر جباهها بترابه ويطوفون به كما يُطَافُ بعرش الرحمن. لا مندوحة لمن استطاع إليه سبيلا عن إتيانه وحجّه.

ومنها: سلامة نسلها من المسخ. فلم يمسخ أحد من أولاد هاجر قردة ولا خنازير، ولم يلعن صريحا كما لعن بنو إسرائيل على لسان موسى وإشعيا وداود وعيسى ابن مريم في نبواتهم وصحفهم - على ما تشهد به التوراة وكتب الأنبياء . ومنها: تنبؤ الأنبياء - عليهم السلام - عليها، وعلى نسلها، وموضع سكنها. وشهادتهم بدوام مملكتهم، وقيام شريعتهم، ولزوم أحكامهم إلى قيام القيامة.

فليوجد لنا فولس هذا المتعصب على أبويننا اللذين كانا في كفالة الله واحدا من هذه الفضائل لمن تعصب له ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

### البشرى الرابعة والثمانون:

قال موسى في السفر الأول من التوراة: «قال إبراهيم: يا رب ها أنا ميت وليس لى ولد وإنما يرثنى غلامى أليعازر الدمشقي، فقال الله: كلا. لا يرثك هذا

(١) تكوين ٢١: ١٧ + .

(٢) المراد بجعل بيتها: الكعبة البيت الحرام ليس على أنها مدفونة فيه بعد موتها بل على معنى أن بولس يجعل سارة رمزا للمسجد الأقصى، وأورشليم. ويقول إنه هو بيتها.

بل ابنك الذى يخرج من صلبك هو الذى يرثك، فاخرج وانظر إلى نجوم السماء. فإن كنت مُحصِيها فإنك ستحصى ولدك أيضا» (١).

وما نعلم الآن من طبق الأرض وملا أكناف الدنيا من ولد إبراهيم سوى ولد إسماعيل. فأما اليهود من ولد إسحق فهم خول وذمة لبنى إسماعيل فى سائر الأرض كلها، وإنما ورد ذلك مورد الامتتان والإنعام على إبراهيم، ولم يكن الله تعالى ليتمن على خليله بالأولاد الدبرى المسوخين قرده وخنازير وعباد العجول. وأما النصارى من ولد إسحق فمشردون. شردهم بنو إسماعيل خَلْف منقطع البحور وفى أطراف مغرب الأرض.

فهذه نبوة ظاهرة، وآية قاهرة لا يقدر مخالف على جحدها وردّها.

### البشرى الخامسة والثمانون؛

وفى هذا السفر الأول من التوراة قال موسى عليه السلام: «فلما أصبح إبراهيم أخرج هاجر وولدها إسماعيل، ودفع لها زادا ومزادا، وانتهى فى أمرهما إلى ما أمره به ربه تعالى، فحملت الصبى على كتفها وشخصت فوصلت إلى برية سبع؛ فنقد ماؤها، فوضعت الصبى تحت شجرة شبيح وانتبذت عنه قدر رمية حَجَر. قالت: لا أشاهد موته.

فبينما هى تبكى إذ سمع الله صوت الصبى. فنادى مَلِك الله هاجر من السماء فقال: ما بالك يا هاجر. ليفرج كريك وروعك. فقد سمع الله صوت الصبى. قومى فاحمليه وتمسكى به؛ فإن الله جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جداً جداً. وأن الله فتح عينيهَا فرأت بشر ماء؛ فدننت وملأت المزادة وشربت وسقت الصبى، وكان الله معها ومع الصبى، حتى تربى، وكان مسكنه فى برية فاران».

فهذه خمس وثمانون بشارة عن الأنبياء وأتباع الأنبياء. وقد تضمنتها كتب الله المنزل من لدن إبراهيم الخليل إلى أتباع المسيح منوّهة باسم محمد صريحا، واسم أرضه التى يخرج منها، وبلده التى نشأ بها. مصرحة بتعظيم شأنه، وتفخيم أمره. شاهدة بأنه عليه السلام خاتم الأنبياء، وأنه حبيب الله وروحه، ومختاره من

(١) تكوين ١٥: ٢٠ + .



عباده. مُعرِّفة العباد بعظم خطره عند الله، وزلفته لديه، وأن دينه خير الأديان  
وشريعته خير شريعة. وملته أفضل ملّة، وأمه أصدق أمة، وأن شريعته ناسخة  
لجميع الشرائع، وأنها لا تُنسخ بل تبقى ما بقيت الدنيا.

قال المؤلف: وإنما نقلت قليلاً من كثير، ويسيراً من خطير، ولو استوعبتُ .  
جميع ما في كتب الله من الإشادة بذكر المصطفى ﷺ وذكر أمته؛  
لأطلت الكتاب، وخرجت إلى حد الإسهاب.  
فهذا هو القسم الأول من هذا الباب.

والله الموفق

## القسم الثاني من هذا الباب

### في آيات رسول الله ﷺ

#### وإثبات معجزاته الباهرة للعقول الخارقة للعادة

واعلم: أنه قد كان في الأنبياء - عليهم السلام - من له الآية والنبوءة معا. مثل: موسى والمسيح. وقد ذهبت آياتهما بذهابهما. فلم يبق في أيدي الناس منها إلا ذكرها. ومنهم: من كانت له آية، وليست له نبوءة مذكورة مثل اليسع؛ فإنه أحيًا ميتًا في حياته بعد وفاته. ولم ينقل عنه أنه تنبأ نبوءة البتة. ومنهم من كانت له نبوءة ولم يكن له آية. مثل حزقيال النبي وهوشع ومنهم من لم تكن له آية ولا نبوءة وهو معدود في الأنبياء. مثل ملاخي وناحوم.

وقد أثبت أهل الكتاب نبوءة جماعة من النسوان. مثل مريم وحنّة وخلدي واستار ورفقا. ولم يكن لواحدة منهن كتاب ولا آية. وهن معدودات في زمرة الأنبياء عندهم.

فأما سيدنا محمد ﷺ فقد جمع الله له النبوءة والآية والتنبؤ. فتنبأ به الأنبياء، وأخبروا بمجيئه قبل كونه - على ما تقدم في القسم الأول من هذا الباب. وأما النبوءة فأخبر ﷺ بذلك، وأنبا وعرف بأشياء كثيرة من المغيبات التي لا يتصور الوقوف على علمها إلا بتوقيف من الله تعالى، وإنباء منه سبحانه. وكان ذلك يصدر منه على أنواع:

فمنه: ما أخبر به ﷺ مما وقع واتفق وسلم في الأزمان الماضية، والعصور المتفرقة. من عظام الأمور، ومهام الخطوب، من مبتدأ خلق الله للعالم إلى قيام القيامة. فذكر شأن آدم وحواء، وشأن مشاهير بنى آدم مثل شيث وإدريس ونوح وإبراهيم والأسباط ويوسف وموسى والمسيح. وسرد قصصهم ومجرياتهم، وذكر مشاهير سير الملوك والجبابة والفراعنة وما اتفق للأنبياء والأصفياء معهم.

هذا مع القطع بأميته<sup>(١)</sup> عليه الصلاة والسلام وأنه كان عربياً لا يُحسن الخطّ، ولا قرأ ولا سمع كتاباً قط. بل إنما نشأ بأرض قفار بين أجبلٍ وسباسب منقطعة الأطراف عن العمران. فوافق خبره ما في صحف الأولين لم يخرم منه حرفاً.

ومنه: ما أخبر به أصحابه وحواريه وأهل بيته. فوقع في زمانه، واتفق في أيامه. ومن أخبر إنساناً في نفسه بما لم يلفظ به، لم يُمتر في أنه صادق مُحق.

ومنه: ما أخبرنا به أنه سيقع بعد موته بزمان. فوقع كما أخبر عليه السلام ولم يغادر منه حرفاً واحداً. وذلك مُودع في كتابه الذي جاء به من عند الله وفي سنته الصادقة التي نقلها إلينا نَقْلَةً هذا الكتاب. فلو تطرق التكشيك إليها؛ لتطرق إلى الكتاب العزيز. وقد ثبت نقل الكتاب بأقوالهم وصح؛ فكذلك ثبتت السنة بأقوالهم أيضاً. والحكم فيهما واحد من حيث لزوم العمل. قال عليه الصلاة والسلام: «أوتيت القرآن ومثله معه».

ولو قال قائل من اليهود والنصارى: لعل أصحاب هذا النبي تمالؤوا على دعوى هذه المغيبات والآيات لنيبهم. وقيدوها في كتابه وسننه وترويجا وإفكا؛ لقبولوا بمثل ذلك فيمن يتمون إليه. فما أجابوا به عن أنفسهم؛ كان جواباً مناً لهم. وكل سؤال انقلب على سائله، سقط جوابه عن المسئول.

فهذا ما يتعلق بإنبائه عن الغيب الذي لا يدخل تحت مقدرة البشر.

وأما آياته عليه الصلاة والسلام وخوارقه ومعجزاته: فكثيرة جداً. وقد صنف

(١) إعجاز القرآن في اللفظ والمعنى. ومعاني القرآن كثيرة وهي في قصص الأولين، وأحوال الأنبياء والصالحين، وأطوار الإنسان وهو جنين. وتكوين الأفلاك ودورانها، وابتدائها وانتهائها. والتنبؤ بالغيب الذي سيكون في الدنيا وفي الآخرة. والإشارة إلى ما سيوجده الله من العلوم في الذرة والملك والظب والهندسة. وما شابه ذلك. وكل ذلك ناطق به أمي ما كان يدرى ما الكتاب ولا الإيمان. وما كان يكتب، ولا يقرأ. ولم يختلف إلى معلم أو مؤدب، ولم يخالط أهل العلم ولم يجتمع بهم. فإذا قال قائل: إن إعجاز القرآن في نوع كذا، دون نوع كذا من المعاني. أو قال قائل: إن إعجاز القرآن بالفصاحة والبلاغة لا غير، أو قال قائل إن إعجازه بجودة النظم وحلاوة السبك بالتمام الحروف وعدم التناثر في ترتيب الحروف في الكلمة الواحدة، ويسكت عن الكلام في المعاني؛ ليوهم القارئ أو السامع أن الإعجاز في اللفظ فقط؛ فإن ذلك يكون جهلاً بوجوه الإعجاز، أو لغواً فيه.

العلماء وأرباب السير فيها التصانيف الكثيرة. ونحن نقصر في هذا المختصر منها على لُمة تُحصل الغرض. والمعونة من الله سبحانه:

### معجزة القرآن؛

قد اشتهر عند أهل التواتر: أن محمداً ﷺ كان أمياً عربياً ناشئاً بأرض لا علوم بها ولا معارف ولا كتب تتضمن معرفة أخبار المتقدمين. يعرفون ذلك من حاله ضرورة، فلم يفجأهم أن تلى عليهم كتاباً من الله فيه مائة وأربع عشرة سورة. وقال لهم: هذه آية صدقي، وإن من جاء منكم بمثل هذا الكتاب أو بعشر سُور من مثله أو بسورة واحدة من مثله؛ فلست صادقاً في أن الله أرسلني إليكم. فأحجموا ولم يُقدِّموا، وأصمتوا ولم يتكلموا<sup>(١)</sup>. هذا مع تقريرهم، وعيب

(١) ثبت نبوة محمد ﷺ بالقرآن لا غير. ولا ثبت له النبوة بالمعجزات الحسية. وذلك لأن القرآن ينفيها عن النبي ﷺ بصريح اللفظ. وما بنفسه الله لا يصح لإنسان أن يشبهه. والذين أثبتوا المعجزات الحسية محجوجون بالقرآن نفسه. فيكونون بإثباتها رادِّين للنبوة لا مثبتين لها. ففي القرآن عن جماعة من الناس هم اليهود لا العرب، أنهم طلبوا معجزات حسية كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام. وردَّ عليهم بأنه قادر على أن يعطيها للنبي ﷺ، ولكن لعدم الفائدة في إعطائها له؛ منعها عنه.

والدليل على عدم فائدتها في الإيمان: أنه أعطاها لأنبياء من قبله، ورآها أممهم، ولم تصرفهم عن الكفر بهم فأى فائدة في إعطائها لمحمد عليه السلام؟ يقول تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قَلِيلًا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَوْ لِمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ويقول المبتون للمعجزات الحسية من أهل الإسلام: إن الممتنع هو المعجزات الحسية التي طلبتها قريش خاصة. وهي: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾... الخ. وفي آيات القرآن ما يدل على أن الطالبين هم اليهود. وذلك لأن السائلين ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ هم اليهود. وقد رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أى ما أوتيتم من عيسى عليه السلام من العلم إلا قليلاً؛ لأنه قال لكم في الإنجيل عن «البيرقليط الروح القدس» وهو «أح مد» بلسانهم: إنه متى جاء «يعلمكم كل شيء»، ويذكركم بكل ما قلته لكم؛ وهذا هو النص من أعلام النبوة للماوردي: «إن البارقليط روح الحق الذي يرسله باسمي. هو يعلمكم كل شيء. إنسى سائل أن يعث إليكم بارقليط آخر؛ يكون معكم إلى الأبد. وهو يعلمكم كل شيء» وموضع الشاهد في الترجمة الحديثة هو: «وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء»، ويذكركم بكل ما قلته لكم؛ [يوحنا ١٤: ٢٦].

ثم حكى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾... الخ وقولهم هذا في كتبهم، في سفر إشعياء وغيره.

وما رد الله به على اليهود؛ يرد به على العالم أجمع؛ لأن القرآن للعالم أجمع. وقد رد بالمنع فقال: ﴿سَبِّحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؟

آلهتهم، وانتقاص أوثانهم وأصنامهم، وتسفيه أخلاقهم وإظهار تعجزهم على رءوس الملأ نيفا وعشرين سنة بقوله: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مِنِ اسْتِطْعَتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

فأخبر أنهم لا يقدرّون على ذلك ولا يفعلونه أبداً. فكان كما جزم وحتم. وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ وكلما زادهم تقرّيعاً ازدادوا خضوعاً. هذا وهم أهل البراعة فى النظم والنثر والخطب. يرتجلون ذلك ارتجالاً ويتنافسون فيه تنافساً ويتناقشون عليه مناقشة. فما عدلوا إلى الحرب إلا والذى دُعوا إليه من المعارضة أشق عليهم وأصعب.

**فمن وجوه إعجازه: حُسن تأليفه، ورقة ترصيفه وفصاحته وبلاغته الخارقة لعادة أهل البيان.** حتى قال البلغاء منهم حين سمعوه: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ثم هو فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون الماضية التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان - آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض، والتثام سرده، وتناسب وجوهه. مع نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب. المباين لأساليب كلام الفصحاء، ومناهج نثرها ونظمها.

**ومن وجوه إعجازه: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات مما لم يكن فوقه على الوجه الذى أخبر به.** كقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وكقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى آخرها. فدخل الناس فى دين الله أفواجا، ودخلوا المسجد الحرام آمنين كما قال عليه السلام. واستخلف الله أصحابه وأمه فى الأرض، ومكّن لهم

= وفى سورة العنكبوت يحكى عن أهل الكتاب فيقول ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ ثم يحكى عنهم ما حكاه عنهم فى سورة الإسراء وهو: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ورد عليهم بالمنع فقال: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾؟ فلماذا يقول الرواة إن الطالبين هم أهل مكة؟ ولماذا يقول المثبتون إن الممتنع هو المعجزات المقترحة لا غير؟ .

دينهم وملّكهم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، حتى دوّخوا البلاد وملأوا أقطار العالم. كما قال عليه السلام: «زُويت لى الأرض فأوريت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وتلا عليهم ذلك وأخبرهم به. وهم فى حالة لا يستطيع أحدهم أن يذهب بقضاء الحاجة. فكان كما أخبر ﷺ».

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فهو محفوظ من تغيير الأعداء والمخالفين وتبديلهم إلى قيام الساعة. هذا مع اشتماله على هتك أستارهم وإبداء عوارهم، وأنى يقدرُون ويستطيعون إضاعة ما تكفل الله بحفظه؟

ومن وجوه إعجازه: ما اشتمل عليه من تقرّيع اليهود والنصارى والمنافقين، بما اشتملت عليه كتبهم وصحفهم، بتكذيب من كذبوا من الرسل وقتل من قتلوا من الأنبياء وعبادتهم العجل وعزيرها والمسيح وأمه. فلا جرم أن كثيراً منهم لما عرفوا ذلك، وأدركته السعادة وساعده التوفيق؛ أسلم من فوره، وصدّق بنبوته وآمن برسالته. فسعد فى دنياه وأخراه. ومنهم من غلبت عليه شقاوته، وأدركته النفاسة وخشى أن يستلب الرئاسة؛ فاستمر على غيّه، وانهمك فى بغيه حتى هلك، وسكن من الجحيم فى أسفل درك. ثم هو فيما اشتمل عليه من توحيد البارى وتنزيهه وتقديسه وتحميده وتمجيده وتسيحه وتهليله وترغيه وترهيبه، ووصف البارى تعالى بسعة الرحمة والمغفرة والرضوان والحلم والصفح، وما أعد لعباده من البر والنعيم وإكرام النزل إن صاروا إليه؛ آية من الآيات. يعرفها ويقر بها من وقف على ذلك، وقابل به ما اشتملت عليه الكتب المتقدمة والصحف المتقدمة والصحف الدارسة - كما بيناه فيما مضى من هذا المختصر - فلو لم يأت رسول الله ﷺ بآية وخارق سوى واحدة من هذا الكتاب العزيز؛ لاستقلت ونهضت بإثبات النبوة. فكيف وقد أتى عليه السلام بخوارق عظام، وآيات طوال؟

### المعجزات الحسية:

#### معجزة انشقاق القمر:

قال ابن مسعود: واستدل رسول الله ﷺ على صدق نبوته بانشقاق القمر فرقتين. وقال ابن مسعود: لقد رأيتُ الجبل بين فرقتى القمر. فقال عليه السلام: «اشهدوا» فقالت كفار قريش: سحركم ابن أبى كبشة. فقال رجل: إن كان

سحر؛ فإنه لا يبلغ الأرض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا ذلك؟ فجاء الناس من الآفاق فأخبروا بمثل ذلك فقال الكفار: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ورواه خلق كثير من أعيان الصحابة وخيار المسلمين كأنس بن مالك وابن عباس وابن عمر وعلى بن أبي طالب وجبير بن مطعم. في خلق كثير. ورواه عن هؤلاء أعلام التابعين ووجوه الأمة. وقد تضمنها الكتاب العزيز. قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فلا التفات بعد ذلك إلى قول مخذول. ولو جاز رد هذه الآية؛ لجاز رد آية موسى وعيسى - عليهما السلام - والطريق في النقل واحد<sup>(١)</sup> وإذا كان إنما اعتماد المتأخر على نقل من تقدم. فَمَنْ

(١) يقول مؤلف أعلام النبوة: إن المعجزات الحسية واردة عن طريق رواية الواحد عن الواحد عن الواحد. فهي واردة عن طريق أحاديث الأحاد. ولما كان من المعلوم رد رواية الواحد، وقبول رواية الاثنين من أهل الصدق فصاعداً. اضطر إلى تقسيم أخبار الأحاد. فقال ما نصه:  
وأما أخبار الأحاد. فضريان:

أحدهما: أن يقترن بها ما يوجب العلم بمضمونها. وقد يكون ذلك من خمسة أوجه: أحدها: أن يُصدق عليه من يُقطع بصدقه. كالرسول أو من أخبر الرسول بصدقه؛ فيُعلم به صدق المخبر وصحة الخبر. والثاني: أن تجتمع الأمة على صدقه؛ فيعلم بإجماعهم أنه صادق في خبره. الثالث: أن يُجمعوا على قبوله، والعمل به؛ فيكون دليلاً على صدق خبره. الرابع: أن يكون الخبر مضافاً إلى حال. قد شاهدها عدد كثير، وسمعوا رواية الخبر؛ فلم ينكروه على المخبر. فيدل على صحة الخبر، وصدق المخبر. الخامس: أن تقترن بالخبر دلائل العقول. فإن كان مضافاً إليها؛ كان صدقاً لازماً؛ لأن ما وافقتها لا يكون إلا حقاً. وإن كان مضافاً إلى غيرها لم تدل موافقتها على صدق الخبر، وإن أوجب صحة ما تضمنه الخبر.

والضرب الثاني: أن ينفرد خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه. فهي أمانة تُوجب عليه الظن. ولا تقتضى العلم. يقوى إذا تطاول به الزمان، فلم يُعارض برّد ولا مخالفة. وإن تكرر في معناها ما يُوافقها؛ صار جميعها متواتراً، وإن كان أفرادها آحاداً. ١. هـ.

البيان:

الوجه الأول من الضرب الأول. منتف عن المعجزات الحسية؛ لأن من يُقطع بصدقه وهو الرسول ﷺ قال في حقها: ﴿وَمَا مَعْنَاهَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ فتكذيب الأولين بها؛ هو السبب في معناها. وعليه ينبغي ألا تكون دليلاً في إثبات النبوة.

والوجه الثاني منتف أيضاً. فإن الأمة مختلفة في عدالة الرواة الذين نقلوها. والوجه الثالث منتف بأن الأمة مختلفة في قبولها أو ردها. والوجه الرابع منتف بأن الذين نقلوا أحوال المشاهدين مختلف في عدالتهم. والوجه الخامس منتف بأن دلائل العقول لا ترد صريح القرآن بالمنع.

والضرب الثاني منتف. وذلك لأن نصوص القرآن الدالة على ظاهرها بإثبات المعجزة الحسية؛ هي أيضاً تدل بطريق الكناية على نفيها. وعليه لا قرينة ولا أمانة.  
ومن الشواهد على ذلك:

أصارهم بتصحيح أخبارهم أولى من غيرهم؟ هذا وهم ينقلون عن أسلافهم المنكر والمستحيل، ونحن إنما ننقل مُجَوِّزَات العقول.

وإن طعن في آية انشقاق القمر يهودي. قلنا له: ما دليلك على انشقاق البحر

لموسى؟

وإن شكك في ذلك نصراني. قلنا له: ما حجتك على انشقاق حجاب

الهيكل عند صلب الشَّبه الذى أشركته مع الله فى الربوبية؟ فإذا قال: النقل الصحيح والخبر الصحيح. قلنا: مَنْ أصار عبَاد الصليبان والعجول أولى بالقبول. من

أخبار الموحدين العدول؟!!

### معجزة حبس الشمس لرسول الله ﷺ ووقوفها عن جريانها؛

خَرَجَ الطحاوى فى مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها: أن النبى ﷺ كان يُوحى إليه ورأسه فى حجر عليّ فلم يصلّ على العصر حتى غربت الشمس. فقال عليه السلام: «أصليت العصر يا عليّ؟» قال: لا. فقال عليه السلام: «اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك؛ فاردد عليه الشمس». قالت أسماء: فرأيتها غربت. ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقفت على

1 = يقول تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إما أنه انشق وإما أنه لم ينشق وسينشق فى المستقبل. وهذا على ظاهر اللفظ. وإما أنه كناية عن وضوح أمر الإسلام كوضوح نور القمر. وكل ذلك فى تفسير القرطبي رحمه الله.

٢ - فى حديث البراء بن عازب بفتح الخندق: فيه ميمون أبو عبد الله. وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة.

٣ - فى حديث قول النبى لعنتبة بن أبى لهب: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» يعنى الأسد: فى إسناده ضعف.

٤ - فى حديث قول النبى ﷺ لرجل: «قبح الله شعرك» فصلح مكانه: انفرد به أبو نعيم.

٥ - حديث: دخل رسول الله ﷺ بمارية القبطية فى بيت حفصة بنت عمر.

وقد روى أبو سلمة: «فوجدتها معه تضاحكه»... إلخ قال أهل الحديث: هذا خبر باطل لا يصح ولا يثبت. فى إسناده موسى بن جعفر وخبره ساقط. وذكر الذهبى إسناده إلى العقيلي. ثم قال: هذا باطل.

٦ - حديث قول النبى لعثمان: «تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة» فى إسناده أحمد بن عبد الحميد الجعفي. وهو المتهم به. أى هو واضع هذا الحديث من قبله، ونسبه إلى النبى.

٧ - قول النبى عن استشهاد طلحة بن عبيد الله: فى سنده صاحب متاكير. وهو سليمان بن أيوب.

٨ - خبر النبى عن قتل الحسين: من وضع الرافضة وهم الشيعة.

هذا وفى كتاب أعلام النبوة - تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمن العك؛ أمثلة كثيرة.



الجبال. وذلك بالصهباء بخير.

قال العلماء: لا ينبغي لمن سبيله العلم؛ التخلف عن حديث أسماء؛ فإنه عَلمٌ من أعلام النبوة.

وروى يونس بن بكير عن ابن إسحق لما أسرى بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير. قالوا: متى تصل؟ فقال: يوم الأربعاء. فلما كان يوم الأربعاء؛ أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تصل بعد. فدعا، فزيد له في النهار ساعة، ووقفت الشمس عن جريانها وسيرها حتى وصلت العير فشاهدوها.

وإن اعترض على ما شهدت أسماء - رضى الله عنها - مُخالف من النصارى. قيل له: ألم تروا عن مريم المجدلانية التي أبرأها المسيح من الجنون؛ أمورا عظاما من أمور المسيح؟<sup>(١)</sup> فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: ما الذي جعل امرأة حديثة عهد بجنون أولى بالصدق والعدالة من امرأة لبيبة عاقلة؟

وإن قدح في ذلك يهودي. قيل له: ألم تحكوا عن مريم أخت موسى وهارون أمورا جمّة من أعلام موسى؟ فإذا كانت أخت الإنسان مؤتمنة على ما تحكيه من أعلام أخيها - وعزّه؛ عزّها لها. فاسماء أولى بذلك. وهي أجنبية<sup>(٢)</sup>.

### معجزة نبع الماء العذب من بين أصابع رسول الله ﷺ؛

والروايات فيه كثيرة. وأمره مشهور منشور بين أصحاب رسول الله ﷺ ورواه جمع كثير من الصحابة. منهم: أنس وجابر وابن مسعود. قال أنس وغيره: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي عليه السلام بوضوء، فوضع يده في الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه. قال أنس: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ فتوضأوا من عند آخره. قيل

(١) من المأثور عن مريم المجدلية: «قال لها يسوع: يا مريم. فالتفت تلك. وقالت له: ربوني الذي تفسيره يا مُعلم. قال لها يسوع: لا تلمسيني؛ لأنى لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلى والهيكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ» [يوحنا ٢٠: ١٦ - ١٨].

(٢) من المأثور عن مريم أخت موسى وهرون: «فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهن مريم: رغوا للرب؛ فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر» [أخروج ١٥: ٢٠ - ٢١].

له: فكتم كتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة رجل. وذلك بالسوق عند الزوراء.

وفى الصحيح: عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ بينما نحن مع رسول الله ﷺ ما معنا ماء، فأتى بماء فصبه في إناء، ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ.

وفى الصحيح أيضاً: عن جابر بن عبد الله عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه فقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك هذه. فوضع عليه الصلاة والسلام يده في الركوة، فجعل الماء يفور من أصابعه كأمثال العيون قال: فقلت: كم كتم؟ قال: لو كنا مائة ألف؛ لكفانا. كنا خمس عشرة مائة.

روى ذلك جمع كثير من الصحابة.

وعن عبادة بن الصامت في حديث مسلم الطويل في غزوة بواط. قال: قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد الوضوء» وذكر الحديث بطوله ولم يجد سوى قطرة في عزلاء شجبت فأتى به النبي عليه السلام فغمزه بيده وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: «ناد بجفنة الركب» فأتيت بها فوضعتها بين يديه فبسط يده في الجفنة وفرق أصابعه، وصب جابر عليه وقال: «بسم الله» قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه. ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء؛ فاستقوا حتى رويوا. فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع عليه السلام يده من الجفنة وهي ملاءى.

وبالجمل. فحديث نبع الماء من بين أصابعه عليه السلام متواتر مستفيض. وقد روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في غزوة تبوك أنهم وردوا العين وهي تبيضُ بشيء من ماء مثل الشراك. فغرفوا بأيديهم من العين في إناء حتى اجتمع منه شيء، ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعادها فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس.

قال ابن إسحاق: فانخرق من الماء وله حسن كحس الصواعق.

وروى البراء وسلمة بن الأكوع في قصة الحديبية أنه عليه السلام أتى بثرا ما

تروى خمسين شاة. قال: فنزحناه فلم ندع فيها ماء، فجلس عليه السلام على جانبها، وأتى بدلو ففضل فيها ودعا الله، فجاشت البئر بالماء، فارتووا وأرووا ركابهم.

وقيل: بل غرز عليه السلام سهما من كنانته في قعر البئر فروى الناس حتى ضربوا بعطن وكان عدتهم أربع عشرة مائة.

وروى أبو قتادة قال: اشتكى الناس إلى رسول الله ﷺ في بعض أسفاره العطش فدعا بميضأة ثم التقم فمها. فالله أعلم أنفث فيها أم لا. فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم، فَنَحِيلَ إِلَيَّ أَنهَا كَمَا أَخَذَهَا مِنِّي.

وروى مثله عن عمران بن الحصين.

وفي كتاب مسلم: أنه عليه السلام قال لأبي قتادة: «احفظ عليّ ميضأتك، فإنه سيكون لها نبأ». فكان ما ذكرت.

وعن عمران بن حصين: أنه ﷺ وأصحابه أصابهم عطش في بعض أسفاره. فبعث رجلين وقال: ستجدون امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان فأتيا بها. فذهبا إلى حيث ذكر رسول الله ﷺ فوجدها فأتيا بها النبي عليه السلام فجعل في إناء من مزادتيها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فتحت عِزَّالِيَّهَا وأمر الناس فملأوا أسقيتهم كلها حتى ملأوا كل إناء معهم.

قال عمران: وتخيّل إليّ أن المزدتين لم يزدادا إلا امتلاءً. ثم أمر عليه السلام فجمع لها من الأزواد حتى ملأوا ثوبها. وقال: «اذهبي فإننا لم نرأ من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا» الحديث بطوله.

فرجعت إلى قومها فكان ذلك سبب إسلامهم.

وقال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء؟» فجاء رجل بإداوة فيها نطفة من ماء فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقه، حتى تطهرنا عن آخرنا. فكانت أربع عشرة مائة.

وفي حديث عمر - وذكر ما أصابهم في جيش العُسرة من العطش حتى إن

الرجل لينحدر بعيره فيعصر فرثه فيشره - رغب أبو بكر إلى النبي ﷺ في الدعاء. فرفع يده فلم يرجعهما حتى أسكبت السماء؛ فملأوا ما معهم من آية. فلم يتجاوز السحابة العسكر.

وعن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال للنبي عليه السلام وهو رديفه بذى المجاز: عطشت وليس عندي ماء. فنزل نبي الله ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء. فقال: «اشرب».

وقيل له في سنة من السنين: هلك الناس من العطش. فاستسقى عليه السلام فلم يفرغ من دعائه حتى سقى الناس.

وجاء أهل العوالم يشكون كثرة المطر. فقال عليه السلام: «اللهم حوالينا ولا علينا».

قال المؤلف عفا الله عنه: هذه عدة من المعجزات تتعلق بهذا الفن، وفيها ما هو مساوٍ لآية موسى عليه السلام، وفيها ما هو أبهر للعقول من فعل موسى، إذ نبع الماء من الأرض والحجر معتاد لا عجب، فأما نبع الماء من أصابع يد آدمي فإنه هو العجب.

فإن نازع في هذه الآيات المتعلقة بسقى الخلق الكثير في المعاطش من بين أصابعه عليه السلام منازع من اليهود قيل له: من أين لك أن موسى عليه السلام سقى<sup>(١)</sup> بنى إسرائيل في التيه ماءً عذباً من حجر الصوّان؟ أذلك شيء عاينته أم هو الخبر والنقل والرواية؟ فإنه يفزع في ذلك إلى نقل اليهود. إذ لا طريق له سواه. فيقال له عند ذلك: ما الذي جعل عبّاد العجل وبعّلز بول الصنم والزهرة<sup>(٢)</sup>

(١) سقى موسى في التيه مذكور في الأصحاح العشرين من سفر العدد «وكلّم الرب موسى قائلاً: خذ العصا، واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك، وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطى ماءها. فتخرج لهم ماء من الصخرة، وتسقى الجماعة ومواشيهم. فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمر، وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة، فقال لهم: اسمعوا أيها المردة: أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء؟ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير؛ فشربت الجماعة ومواشيها» [عدد ٢٠: ٧ - ١١].

(٢) الزهرة هي السمّاة بالعزّي. وعبادة اليهود لصنم البعل مذكورة في قصة إلباس عليه السلام في سفر الملوك الأول ١٨ وأما «بعلزبول» فإنه اسم لرئيس الشياطين في الإنجيل وقد اتهم علماء اليهود المسيح بأنه يخرج الشياطين من أجساد الناس بواسطته [متى ١٢: ٢٤] وفي سفر إشعياء: «أما أنتم الذين تركوا الرب، ونسوا =

أولى بالعدالة من عباد الله المؤمنين المخلصين له؟ وإن نازع في ذلك نصراني. قيل له: ألم تروا أن المسيح عليه السلام لما قرب من اورشليم قال لرجلين من تلاميذه: «أذهبا إلى القرية التي أمامكما فإنكما ستجدان أتاناً وجحشا فأتيا بهما. ففعلا وأتيا بالأتان والجحش» فما دليلكم على تصحيح ذلك عن المسيح؟ أذلك مما يمكن اليوم معرفته دون الرواية؟ فما الذي جعلكم أحق بما تروون منا بما نروي عن ثقاتنا؟ وقد بعث نبينا رجلين ووصف لهما المرأة والماء الذي معها، وذلك أعجب من قول المسيح في الأتان والجحش<sup>(١)</sup>.

### معجزة تكثير الطعام ببركته ﷺ :

روى جابر بن عبد الله قال: سألت رجلاً رسول الله ﷺ طعاماً فأعطاه يسيراً من شعير. فما زال الرجل يأكل منه وأهله وضيافته حتى كآله بعد حين. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم».

وقال أبو طلحة في حديثه المشهور: أظعم رسول الله ﷺ ثمانين رجلاً من أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه.

= جبل قدسي، ورتبوا للسعد الأكبر مائة، وملأوا للسعد الأصغر خمراً مزوجة، فإني أعينكم للسيف... الخ [إش ٦٥: ١١ + ] في بعض التراجم «مئة».

(١) اعلم: أن زكريا نبياً عن محمد ﷺ بأنه سيكون متواضعاً، وسيفتح بلاد اليهود ويملك عليها، ولن يكون لليهود قوة من بعد ظهوره، وكفى عن تواضعه وتواضع أصحابه بركوب الحمار والجحش. ومحرفو الأنجيل وضعوا نبوءة زكريا على المسيح. وكتبوا: أنه دخل اورشليم راكباً عليهما، وملك على اليهود. كيف وهو لم يحارب حال دخوله؟ فنفى الأصحاح التاسع من سفر زكريا: «ابتهجى جدا يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت اورشليم. هو ذا ملكك من أفرايم، والفرس من اورشليم، وتقطع قوس الحرب، ويتكلم بالسلام للأمم. وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقصى الأرض».

إتاك ٩: ٩ - ١٠ .

وكتب محرف الإنجيل: «ولما قربوا من اورشليم وجاءوا إلى بيت فاجسى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: أذهبا إلى القرية التي أمامكما فليلقوا أثاناً مربوطة، وجحشاً معها؛ فحلاهما وأتيا بهما، وإن قال لكما أحد شيئاً. فقولا: الرب محتاج إليهما. فليلقوا يرسلهما. فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل: «قولاً لابنة صهيون: هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان» فذهب التلميذان... الخ [متى ٢١: ١ + ]

يريد أن يطبق نبوءة زكريا على عيسى عليه السلام وهي لا تنطبق عليه؛ لأن المركبة من أفرايم لم تقطع به. كناية عن إضعاف اليهود السامريين. ولأن الفرس لم يقطع من اورشليم. كناية عن إضعاف اليهود العبرانيين. ولم يمتد للمسيح سلطان من البحر أو من النهر.

وقال جابر بن عبد الله: أطعم رسول الله ﷺ يوم الخندق من صاع شعير وعناق ألف رجل حتى تركوه وانحرفوا، وإن البرمة لتغط كما هي وإن العجين ليخبز.

وقال أبو أيوب: صنعت لرسول الله ﷺ ولصاحبيه أبي بكر وعمر قدر ما يكفيهما من الطعام. فقال النبي عليه السلام: «ادع لى ثلاثين رجلا من أشرف الأنصار» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. ثم قال عليه السلام: «ادع لى ستين رجلا» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. ثم قال عليه السلام: «ادع لى سبعين رجلا» فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه. فلم يخرجوا حتى أسلموا وبايعوا. قال أبو أيوب فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلا.

وقال سمرة بن جندب: أتى عليه السلام بقصعة فيها لحم؛ فتعاقبوا من غدوة إلى الليل، يقوم قوم، ويقعد آخرون.

وقال عبد الرحمن بن أبي عمرة وسلمة بن الأكوع وأبو هريرة وعمر بن الخطاب: أصاب الناس مخمصة مع النبي ﷺ فى بعض مغازيه. فدعا بيقية الأزواد. فجاء الرجل بالقبضة من الطعام. وفوق ذلك. فجمعه على نطع. قال سلمة: فحزرتة كَرَبْضَةَ العَنَزِ ثم دعا الناس بأوعيتهم، فلم يبق فى الجيش وعاء إلا ملاًوه، ثم فضلت فضلة عن ذلك.

وقال أبو هريرة: أمرنى النبي ﷺ أن أدعو له أهل الصفة. فتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا قصعة فأكلنا ما شئنا وفرغنا. وهى مثل ما كانت حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه: جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ومنهم من يأكل الجذعة، ويشرب الفرق؛ فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعُسّ فشربوا حتى رووا، وبقي العس كأنه لم يشرب منه.

وقال أنس: بنى عليه السلام بزئب وأمرنى أن أدعو من لقيتُ. فدعوت من لقيت. فقدم إليهم مداً من تمر جعل حيسا فتناولوا منه حتى شبعوا وعدتهم زهاء

ثلاثمائة رجل. ثم قال لي: ارفع. فرفعت فما أدري أكان حين وضع أكثر أم حين رفع؟

وقال عمر: أمرني النبي ﷺ أن أزود أربعمائة راكب من أحمس. فقلت: ما عندنا إلا أصع من تمر. فقال عليه السلام: «أذهب وزودهم» فذهبت فزودتهم منه وكأنه بحاله.

ذكر هذه الآية جمع كبير من الصحابة.

وقال جابر في حديث وفاء دين أبيه بعد موته: بذلت لغرماء أبي من اليهود كل ماله. فلم يرضوا به. وكان مال أبي تمرا. ولم يكن في ثمره ستين ما يفى بدينهم. فجاء رسول الله ﷺ بعد جداد الثمرة وهي في البيادر فمشى بينها ودعا الله. قال جابر: فوفيتُ منه غرمائي، وفضل لنا مثل ما نجد في كل سنة. فتعجبت اليهود من ذلك.

وقال أبو هريرة: أصاب الناس مخمصة. فقال لي رسول الله ﷺ: «هل من شيء؟» فقلت: نعم شيء من تمر في مزود. قال: «فأتني به» فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ثم دعا بالبركة. ثم قال: «ادع عشرة» فدعوتهم. فأكلوا حتى شبعوا. ثم قال: «ادع عشرة» فأكلوا حتى أكل الجيش كله وشبعوا. فقال عليه السلام: «خذ ما جنت به» فأكلتُ منه حياة رسول الله وأبي بكر وعمر وجهزت منه كذا وكذا وسقاً في سبيل الله. قال أبو هريرة: وكان عدة ذلك التمر بضع عشرة تمرة.

وحديث أبي هريرة أيضاً حين أصابه الجوع: فاستتبعه النبي ﷺ فوجد قدحا من لبن. قد أهدى إلى رسول الله ﷺ فأمره عليه السلام أن يدعو أهل الصفة قال: فقلت في نفسي: ما هذا القدح فيهم. كنت محتاجا أن أصيب منه شربة أتقوى بها؟ فدعوتهم فقال: اسقهم. فشربوا حتى رووا من عند آخرهم. ثم قال عليه السلام: «بقيتُ أنا وأنت يا أبا هريرة. اقعدا فاشرب» فما زلت أشرب ورسول الله ﷺ يقول: «اشرب» حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا. فأخذ القدح وسمى الله تعالى وشرب الفضلة.

روى هذا الحديث: الجهم الغفير، والخلق الكثير من أصحاب رسول

الله ﷺ ثم تلقى ذلك التابعون بإحسان، ثم أخذ ذلك عنهم أكابرهم الأعلام من المسلمين.

فمن نازع في هذه الآيات البينات وتوقف في شيء منها أحد من أهل الكتاب. قلنا له: بأى وجه (١) ثبت عندك أن موسى أطعم قومه في البرية من سلوى وأطعم المسيح أصحابه ومن حضر إليه من أهل القرى خبزاً وسمكاً. وهم الجمع الكبير من سمك وخبز يسير. فأشبعهم وفضلت فضلة كبيرة. وبارك إلياس على دقيق الإسرائيلية فقام بها وأقربائها ثلاث سنين؟ فإذا فنزح إلى الروايات والأخبار الصحيحة عنده. قيل له: قد أجبت نفسك عنا وكفيتنا مؤنة الجواب أفإن رام قدحا في أخبارنا؛ لم ينفك من عكس ذلك عليه.

ومن معجزاته ﷺ كلام الحجر والشجر وشهادتهما له بالنبوة وإجابة داعيه ﷺ:

قال ابن عمر: كنا معه في سفر، فدنا أعرابي فقال: «يا أعرابي إلى أين تريد؟» فقال: إلى أهلي. قال: «هل أدلك على خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله» قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السمرّة التي بشاطيء الوادي» فأقبلت السمرّة تخد الأرض حتى قامت بين يديه. فاستشهدها ثلاثا فشهدت لله ولرسوله، ثم رجعت إلى مكانها.

وقال بريدة: سأل أعرابي رسول الله ﷺ آية. فقال: «قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك» قال: ففعل. فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها

(١) قد تغنى داود في مزاميره بالمن والسلوى. ولأنه طعام غير مألوف، سماه خبز الملائكة؛ لأن كل مالا يُعرف له سبب ينسبونه إلى الله «وأمطر عليهم منّا للآكل، ويرّ السماء أعطاهم. أكل الإنسان خبز الملائكة... الخ» [مزمور ٧٨].

وإطعام المسيح المذكور في الأصحاح السادس من الإنجيل يوحنا. وكانوا خمسة آلاف. وأكلوا وشبعوا من خمسة أرغفة شعير وسمكتان. وهى المائدة المذكورة في القرآن بمعنى البركة فى الطعام «فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. وأما يسوع فإذ علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده» يريد أن يقول: إن الناس ظنوا أن عيسى هو النبى المماثل لموسى إثنىة ١٨: ١٥ - ٢٢. ومن أوصافه أن يكون ملكا «له تسمعون» ولما رأى منهم هذا الظن. انصرف إلى الجبل ورفض الملك لئيبين لهم أنه ليس هو النبى الآتى على مثال موسى. وهو محمد ﷺ ومعجزة كف الدقيق لإلياس المذكورة فى الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول. وظل الدقيق لا يفرغ، وكوز الزيت لا ينقص لمدة ثلاث سنين [امل ١٨: ١].



وخلفها، ثم جاءت تخذ الأرض حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله. فقال الأعرابي: مرها فلترجع إلى موضعها. فأمرها فرجعت حتى استوت بمكانها كما كانت. فقال الأعرابي: مرني أن أسجد لك فأبى عليه السلام فقال: ائذن لي في تقبيل يدك ورجليك. فأذن له ﷺ.

وفى الصحيح عن جابر بن عبد الله في حديثه الطويل: ذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فلم يجد شيئا يستتر به. فإذا بشجرتين بشاطيء الوادي فأخذ بغصن من إحدى الشجرتين. وقال: «إنقادي بإذن الله» فانقادت معه كالبعير الذلول وفعل بالأخرى مثل ذلك. ثم قال: «التما عليّ بإذن الله» فالتأمتا. وفي رواية أخرى، قال: «يا جابر اذهب لهذه الشجرة تلحق بصاحببتها». فخرجت الشجرة حتى لحقت بأختها. فجلس خلفها فقضى حاجته.

وكذلك حكى أسامة بن زيد عن النخلات والحجارة، وأنه دعاها إلى رسول الله ﷺ فأقبلن يتعادين حتى قضى عليه السلام حاجته، ثم رجعن يتعادين إلى أماكنهن.

وقال يعلى بن مرة: رأيت شجرة من الطلح جاءت فأطافت برسول الله ﷺ ثم رجعت إلى منبتها. فقال عليه السلام: «إنها استأذنت في السلام عليّ». روى هذه المعجزات جماعة من علماء الصحابة وزهادهم. كعبد الله بن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلى بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم. وتلقى ذلك عنهم الجم الغفير والخلق الكثير من التابعين.

قال الأستاذ الإمام ابن فورك رحمة الله عليه: «بينما رسول الله ﷺ سائر ليلا اعترضت له سدرة، فانفجرت له نصفين فدخل بينهما، ومرّ وبقيت السدرة على حالها إلى يوم الناس هذا. وذلك بالطائف. وهي الآن تعرف بسدرة النبي ﷺ يحترمها الناس.

فإن ارتاب بشيء من هذه الآيات يهودى أو نصرانى يُقال له: ألسْتَ رَعْمَتَ:

أن موسى عليه السلام أقام عصاه فى قبة الزمان بين عصى قومه فاخضرت وذلت أغصانا وورقا وأثمرت لوزا؟<sup>(١)</sup> أأست زعمت فى إنجيلك: أن المسيح أتى شجرة تين وهو وأصحابه ليصيبوا منها فلما لم يجد فيها ثمرة؛ دعا عليها فبيست وجفت لوقيتها وساعتها وصارت جذعا يابسا<sup>(٢)</sup>؟ فما طريقك فى تصحيح ما ادعيته بعد ألفى عام؟ فإنه كلما رضى جوابا؛ خصم به.

### ومن معجزاته عليه السلام حنين الجذع:

وهو مشهور وحديثه متواتر. قد خرَّجه أهل الصحيح ورواه الأكابر من أصحابه منهم أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة قال الترمذى: وحديث أنس صحيح. قال جابر: كان فى المسجد جذع من النخل كان عليه السلام يقوم إليه فى خطبته، فلما اتخذ له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار. وفى رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره. فكثير بكاء الناس لما رأوه. وفى رواية المطلب: حتى تصدع وانشق. فجاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكت. فقال عليه السلام، «إن هذا بكى لما فقد من الذكر. فوالذى نفسى بيده لولا ما التزمته لم يزل هكذا» تحزنا على رسول الله ﷺ فأمر به ﷺ فدفن تحت المنبر.

وحكى الإسفرايينى: أن رسول الله ﷺ دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض فالتزمه. ثم أمره فعاد إلى مكانه.

وكان الحسن البصرى إذا حدث بحديث الجذع بكى. وقال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه. وروى حديث الجذع عالم كبير من أصحاب رسول الله ﷺ وتلقاه التابعون بإحسان. وهو من الأحاديث الصحيحة المستفيضة.

(١) العدد ١٧ .

(٢) متى ٢١ .

### ومن معجزاته عليه السلام تسبيح الطعام بين يديه ﷺ :

قال الصحابة: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام بين يدي رسول الله ﷺ وهو يؤكل .

### ومن معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده:

قال أنس: أخذ رسول الله ﷺ كفا من حصى؛ فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن .

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها. فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وقال جابر بن عبد الله: لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ﷺ .

وفي حديث العباس: إذ اشتمل عليه النبي ﷺ وعلى أهل بيته بملاءة ودعا لهم بالستر من الناس كستره إياهم بملاءته، فأمنت أسكفة الباب وجدوران البيت آمين آمين .

### ومن معجزاته ﷺ اضطراب الجبل لهيبته وسكونه بأمره:

عن أنس صعد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم. فقال عليه السلام: «اثبت أحد. فلأنا عليك نبي وصديق وشهيدان». فقتل عمر وعثمان .

ومثل ذلك عن أبي هريرة في حراء وطلحة والزبير فقال عليه السلام: «اسكن حراء فلأنا عليك نبي أو صديق أو شهيد» .

شاهد ذلك ورواه: جماعة من أعيان الصحابة ومشاهير الأمة .

### معجزة:

قال ابن عمر: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثم قال: «يمجد الجبار نفسه. فيقول: أنا الجبار أنا الكبير المتعال» فرجف المنبر حتى قلنا: ليخرن عنه .

### ومن معجزاته ﷺ سقوط الأوثان بإشارته:

قال ابن عباس: كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما مشبته الأرجل بالرصاص، فلما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح جعل يشير إليها بقضيب كان

فى يده ولا يمستها ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلى وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم.

ومثله فى حديث ابن مسعود.

### ومن معجزاته ﷺ سجود الأشياء له:

قال بحيرا الراهب حين رأى رسول الله ﷺ: هذا سيد العالمين بيعته الله رحمة للعباد، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك بذلك يا بحيرا؟ فقال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا سجد له، وخرَّ بين يديه ولا يسجد إلا لنبي.

### ومن معجزاته ﷺ إظلاله بالفمام:

ففى الحديث: أنه عليه السلام أقبل وغمامة تظله من الشمس. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجر. فلما جلس مال الفم إلىه. ورأت خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ حين قدم مع ميسرة غلامها من الشام وغمامة تظله من حرّ الشمس. ومن أنكر ذلك من اليهود والنصارى أورد عليهم مثله فى غمام موسى (١) وعيسى (٢) واضطرتهم الحال إلى التصديق وإلا شوشوا قواعدهم. إذ طريق الثبوت واحد.

### معجزة:

قالت عائشة: كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرَّ وثبت مكانه؛ فلم يجيء ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب.

### ومن معجزاته عليه السلام كلام العجماء وشهادتها له بالنبوة والرسالة:

قال عمر: إن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى ومعه ضبّ قد صاده. فقال: من هذا؟ قالوا: نبي الله. فقال: واللوات والعزى لا آمنت

(١) غمام موسى «ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب» [خروج ١٩: ٩].

(٢) غمام عيسى «إذا سحابة نير ظللتهم» [متى ١٧: ١ - ٨].

بك حتى يؤمن بك هذا الضب. وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ فقال النبي عليه السلام: «يا ضب» فأجابه بلسان ميين: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال: «من تعبد؟» قال: الذي فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه. قال: «فمن أنا؟» قال: رسول الله وخاتم النبيين. قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

وهذا أعجب من كلام الأخرس للمسيح، إذ كلام جنس الآدمى غير بعيد بخلاف الحيوان البهيم.

### ومن معجزاته عليه السلام: كلام الذئب وقد جرى ذلك مرارا:

قال أبو سعيد الخدري: بينا راع يرعى غنما له إذ عرض الذئب لشاة فانتزعها الراعى منه. فألقى الذئب. وقال للراعى: حلت بينى وبين رزقي. فقال الراعى: العجب من ذئب يتكلم بكلام الآدميين. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فجاء الراعى فأسلم، وحدث الناس بذلك.

وفى طريق آخر: أنت أعجب منى. أقمت فى غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه. قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها ينظرون إليه وإلى أصحابه. فأسلم الراعى لذلك.

وقال صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب: رأينا ذئبا يطرد ظيبا. فدخل الظبى الحرم. فانصرف الذئب. قال فعجبنا من ذلك. فقال الذئب: أعجب من ذلك: محمد ابن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللات والعزى لإن ذكرت هذا بمكة لتتركها خلوقا.

### معجزة:

قال أنس بن مالك: دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر حائط رجل من الأنصار، وفيه غنم. فسجدت لرسول الله ﷺ فقال أبو بكر: نحن أحق بالسجود لك منها يا رسول الله.

وقال أبو هريرة: دخل رسول الله ﷺ حائطا؛ فجاء بعير فسجد له.

وقال ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن أبي أوفى: كان ببعض حيطان المدينة جمل لا يدخل أحد الحائط إلا شدّ عليه الجمل، فلما دخل رسول الله ﷺ دعاه فوضع الجمل مشفّره في الأرض وبرك بين يديه؛ فخطمه. وقال: «ما بين السماء والأرض شيء إلا ويعلم أنى رسول الله ﷺ إلا عاصى الجن والإنس».

معجزة:

روى الإسفراييني: أن العَصْبَاء ناقة رسول الله ﷺ بعد وفاته لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت غما عليه ﷺ.

وروى: أن يَعْفُور - حمارة - بعد وفاته جاء إلى بئر فردى نفسه فيه، فهلك.

معجزة:

روى ابن وهب: أن حمام الحرم أظلت رسول الله ﷺ عام الفتح عند دخوله مكة، فدعا لها بالبركة.

معجزة:

وعن عبد الله بن قرط قال: قُرِبَ إلى رسول الله ﷺ بدنان خمس أوست في يوم عيد لينحرهن فادلفن إليه بأيهن يبدأ ﷺ.

معجزة:

قالت أم سلمة: بينا رسول الله ﷺ في صحراء إذ نادته ظبية: يا رسول الله. قال: ما حاجتك؟ قالت: صادنى هذا الأعرابي ولى خشفان فى ذلك الجبل أرضعهما وأرجع. قال: أو تفعلين؟ قالت نعم. فأطلقها فذهبت ورجعت. فانتبه الأعرابي وأسلم وخرّلى عن الظبية. فخرجت تعدو فى الصحراء وهى تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله.

ومن معجزاته تسخير السباع لغلماناه:

قال سفينة مولى رسول الله ﷺ: أرسلنى عليه السلام إلى معاذ باليمن فانكسرت بى السفينة. فطلعتُ إلى جزيرة فاستقبلنى الأسد. فقلت: أنا مولى رسول

الله ﷺ ومعى كتابه. فهمهم وجعل يغمزنى بمنكبه حتى أقامنى على الطريق. فلما رجعتُ من اليمن لقيتُ الأسدُ أيضاً فهمهم بشيء فقصصتُ ذلك على رسول الله ﷺ فقال: إنه يقول: «سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» وكذلك جرى لسفينة فى فتوح الشام.  
حكاه الواقدي.

### معجزة:

وأخذ رسول الله ﷺ بأذن شاة لعبد القيس بين أصابعه، ثم خلاها. فصار ذلك ميسماً وبقي فيها وفى نسلها بعد.

### معجزة:

أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه عطشاً فى بعض أسفاره وكانوا ثلاثمائة رجل فجاءته عترة فحلبها عليه السلام فأروى الجند وهم على غير ماء. ثم قال لرافع: «املكها وما أراك تقدر» فربطها فوجدها قد ذهبت. فقال عليه السلام: «إن الذى جاء بها هو الذى ذهب بها». رواه ابن قانع وغيره.  
قال المؤلف: هذه الآية نظير آية صالح عليه السلام.

### معجزة:

روى الواقدي: أن النبى عليه السلام أرسل رسله إلى الملوك يدعوهم إلى الدين والإيمان بالله عز وجل. فخرجوا متوجهين فأصبحوا فى يوم واحد، وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين أرسل إليهم<sup>(١)</sup>.

قال المؤلف: هذه الآية مضاهية لما حكاه أهل الإنجيل عن أصحاب المسيح الذين أرسلهم. فإن قَدَحُوا فيها، ومنعوا صحتَها؛ لم يسلموا من مقابلتهم بمثل

(١) فى الإصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل: «ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بفتنة من السماء صوت. كما من هبوب ريح عاصفة، وملا كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلا الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بالسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أع ٢: ١ - ٤] وهذا النص موضوع للغو فى حقيقة «بيركليت الروح القدس» الذى هو «أحمد» ﷺ [راجع البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل].

ذلك فيما نقلوه. إذ طريق الشبوت واحد.

### معجزة:

قال أبو هريرة: أهدت يهودية للنبي عليه السلام بخبير شاة مسمومة. فأكل وأكل القوم. فقال عليه السلام: «ارفعوا أيديكم إن الذراع تخبرني أنها مسمومة» (١) ثم قال لليهودية: «ما حملك على ذلك؟» قالت: «قلتُ إن كان نبيا لم يضره، وإن كان ملكا أرحت الناس منه. فقال عليه السلام: «ما كان الله ليسلّطك عليّ».

روى ذلك جابر بن عبد الله، والحسن، وأبو سلمة، وأنس، وأبو هريرة وأبو سعيد. قال ابن عباس: فدفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها.

وقد خرّج حديث الشاة في الصحيح.

### معجزة:

روى فهد بن عطية قال: أتى رسول الله ﷺ بصبي وقد شبَّ ولم يتكلم قط. فقال له: «من أنا؟» فقال: أنت رسول الله.

وهذه الآية مضاهية لآية المسيح في كلامه المجنون الأخرس (٢). وكما لا يقدر تكذيب اليهود إليه؛ لا يقدر تكذيب النصارى لآية محمد عليه السلام.

### معجزة:

قال مُعَرِّضُ بن مُعَيْقَب: رأيت النبي ﷺ فرأيت عجبا، أتى بصبي يوم ولد. فقال له: «صدقت بارك الله فيك». وذلك في حجة الوداع بمكة. فهو مبارك الإمامة. صدق الله ورسوله.

### معجزة:

قال الحسن: أتى رجل رسول الله ﷺ فذكر أنه طرح بنية له في وادي

(١) من أوصاف محمد ﷺ في التوراة: أنه لا يُقتل بيد أعدائه إثنين ١٨: ١٥ - ٢٢ {وقد ذكر المؤلف هذا النص في نهاية الكتاب. وهو: «فأما الذي يقول مالم أمره به، أو يدعو باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك قتلا» ومحمد لم يقتل؛ فيكون هو.

(٢) شفاء المسيح للمجنون في الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس. وشفافه للمجنون الأخرس في الأصحاح التاسع من إنجيل متى.



كذا. فمضى معه إلى الوادى وناداهما باسمها: «يا فلانة أجيبي بإذن الله» فخرجت وهى تقول: لبيك وسعديك. فقال لها: «إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك إليهما» فقالت: لا حاجة لى بهما. وجدتُ الله خيرا لى منهما.

### ومن معجزاته: حياة الشاب الأنصارى بعد موته:

قال أنس: توفى شاب من الأنصار وله أم عجوز عمياء. قال أنس: فسجّيناها وعزّيناها. فقالت: أمات ولدي؟ قلنا: نعم. فقالت: اللهم إن كنت تعلم أنى هاجرت إليك وإلى نبيك، رجاء أن تعيننى على كل شدة؛ فلا تحملن عليّ هذه المصيبة. قال أنس: فما برحنا حتى كَشَفَ الثوب عن وجهه. فطعم وطعمنا.

قال المؤلف: قال نقلة الإنجيل: إن المسيح أحيا ابن الأرملة (١). وهذه الآية أعظم شأنا منها، إذ هى جرت على يد امرأة ضعيفة من أتباع نبينا محمد ﷺ ببركة هجرتها إليه ﷺ فكما لا يضر رد اليهود لآية المسيح؛ فكذلك لا يضر رد النصارى لآية محمد ﷺ.

### معجزة:

عن عبد الله بن عبيد الله الأنصارى قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن الشماس. وكان قتل باليمامة. فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم. فنظرنا فإذا هو ميت.

### معجزة أخرى من جنسها:

قال النعمان بن بشير: بينا زيد بن خارجة مارا فى بعض سكك المدينة إذ خرّ ميتا فرفع وسجّى فسمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا. وحسر عن وجهه وقال: محمد رسول الله النبى الأمى خاتم النبيين كان

(١) إحياء المسيح لابن أرملة ناين فى الأصحاح السابع من إنجيل لوقا «وفى اليوم التالى ذهب إلى مدينة تدعى ناين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير. فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة... إلخ». وفى الأصحاح الحادى عشر من يوحنا أنه أحيا رجلا اسمه «لعازر» وفى الأصحاح التاسع من إنجيل متى أنه أحيا ابنة بايروس.

ذلك فى الكتاب الأول. ثم قال: صدق صدق. ثم قال: السلام عليك يا رسول الله. ثم خرّ ميتا كما كان.

### معجزة:

قال سعد بن أبى وقاص وجماعة من الصحابة: لما كان يوم أحد أصيبت عين قتادة حتى وقعت على وجته. فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه. قال المؤلف: هذا أغرب مما نقلته التوراة عن يوسف الصديق - عليه السلام - فى عينى أبيه (١). فقد جمع الله لنبينا محمد ﷺ ما تفرق من آيات الرسل والأنبياء وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء.

### معجزة:

تفل رسول الله ﷺ على إثر سهّم فى وجه أبى قتادة الأنصارى فى يوم ذى قار. قال أبو قتادة: فما ضرب على ولا قاح.

### معجزة:

روى النسائى عن عثمان بن حنيف قال: جاء أعمى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لى بصري. قال: «انطلق. فتوضأ، ثم صلّ ركعتين. ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري. اللهم شفعه فيّ».

قال: فرجع الأعمى. وقد كشف الله عن بصره.

قال المؤلف: هذه الآية تؤمّه (٢) آية الإنجيل، وتؤمّه آية اليسع فى نؤمن الأرامى. وقد حكيناها فيما تقدم.

### ومن معجزاته عليه السلام إبراء علة الاستسقاء:

مرض ابن ملاعب الأسته بالاستسقاء. فبعث إلى رسول الله ﷺ رسولا، فأخذ عليه السلام قبضة من الأرض فتفل عليها، ثم أعطها رسولها فأخذها

(١) «يضع يوسف يده على عينيك» [تكوين ٤٦: ٤].

(٢) شفاء المسيح للأكمه فى يوحنا ٩ وشفاء اليسع لنعمان السريانى (الأرامى) فى الملوك الثانى ٥.

متعجبا، يرى أنه هزئ به. فأتاه بها. وهو على شفاً. فشربها الرجل. فشفاه الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله: حكى التوراة (١) أن موسى أمر قومه أن يسقوا من اتهمها زوجها بالزنا من طين يكون أسفل المذبح مخلوط (٢) بماء فإن كانت المرأة قد فجرت؛ أسفح بطنها وفخذاها، وإن كانت بريئة؛ سلمت من ذلك وحملت بزراع (٣). وهذه الآية أنزل منها.

### معجزة:

روى العقيلي عن حبيب بن فديك: أن أباه ابصت عيناه فكان لا يبصر بها شيئا. فنفت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر فرأيته بعدُ يدخل الخيط في الإبرة. وهو ابن ثمانين سنة.

### معجزة:

لما تعسر فتح خيبر قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فلما أصبح دعا علياً - رضوان الله عليه - وكان أرمداً، فجيء به. يُقاد. فتفل في عينيه. فبرأ لوقته وتقدم بالراية. وفي هذه القصة عدة من الآيات: شفاء عينيه، والإخبار عن دوام حياته، وحياة الرسول إلى الغد، وأن خيبر قبل الغد مع كونها محصورة، وأن علياً - رضوان الله عليه - محبوب الله، وأن الفتح يكون على يده.

### معجزة:

ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره. فتفل عليه رسول الله ﷺ فبرأ. وتفل على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر؛ فبرأت.

(١) حكم اللعان المذكور في الأصحاح الخامس من سفر العدد ويسمى بشريعة الغيرة. ويأخذ الكاهن ماء مقدسا ويضع فيه من الغبار الذي في أرض المسكن، ويستحلفها الكاهن ويهددها بأن يجعل الرب فخذا ساقطة وبطنها وارما. وإن كانت بريئة «تتبرأ وتحبل بزراع».

(٢) في الأصل: مخلوط برماد بقرعة.

(٣) في الأصل: وحملت بذكر.

وأصاب السيف رجل زيد بن معاذ؛ فتفل عليها رسول الله ﷺ؛ فصحت وبرأت.

### معجزة:

انكسرت ساق عليّ بن الحكم يوم الخندق. فتفل عليها رسول الله ﷺ فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه.

### معجزة:

اشتكى عليّ وجعا. فركله برجله وقال: اللهم اشفه، فما اشتكى ذلك الوجع بعد.

### معجزة:

قطع أبو جهل يوم بدر، يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ وألصقها فلصقت وصحت مثل أختها. رواه ابن وهب.

قال المؤلف: هذه والله أبهر للعقول من آية الإنجيل في اليد اليابسة (١)، وفي أذن العبد ملخس ليلة الفزع (٢). فالويل لمن كذب بشيء من ذلك.

### معجزة:

أصيب شق خبيب بن يساف يوم بدر، حتى مال. فردّه رسول الله ﷺ بيده ونفت عليه، فبرأ وصح.

قال المؤلف: هذا نظير ما حكوه من شفاء المخلّع في الإنجيل (٣).

### معجزة:

جاءت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ بصبي لها لم يتكلم، فأخذ عليه السلام ماء فتمضمض به وغسل يديه، فأعطاها إياه وأمر بسقيه الصبي. ففعلت. فبرأ الغلام (٤) وعقل عقلا يفضل عقول الناس، وتكلم.

(١) متى ٩: ١٢ - ١٣ .

(٢) يوحنا ١٠: ١٨ .

(٣) شفاء المفلوج في متى ٩: ١ - ٢ .

(٤) يا سيد غلامي مطروح في البيت [متى ٥: ٨ - ١٣] .

وهذه نظيرة آية الإنجيل وأبهر منها.

### معجزة:

قال ابن عباس رضى الله عنه: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بابن لها، به جنون. فمسح صدر الصبي. فشعّ ثعة. فخرج منه مثل الجرو الأسود. فذهب وعوفى الغلام.

قال المؤلف: من نازعنا فى هذه الآية وما يشاكلها قلنا له: ما دليلك على أن المسيح أخرج الجنى من ابن الرجل الذى سأل، ومن مريم خادمته<sup>(١)</sup>؟ فما أجب به؛ فهو جواب لنا.

### معجزة:

كان فى كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة. فشكاها إلى رسول الله ﷺ فما زال عليه السلام يمسحها بكفه المباركة حتى رفع كفه. وقد زالت ولم يبق أثر.

### معجزة:

سألت جارية رسول الله ﷺ طعاما. وهو يأكل فأعطها من بين يديه. وكانت قليلة الحياء. فقالت: إنما أريد من الذى فى فيك. فناولها من فيه. ولم يكن عليه السلام يسأل شيئا فيمنعه. فلما استقر فى جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها ببركة رسول الله ﷺ.

### ومن معجزاته ﷺ إجابة دعائه:

وهذا باب متسع جدا. وإجابة دعائه ﷺ متواتر معلوم ضرورة. فكان إذا دعا لرجل؛ أدركت الدعوة ولده وولد ولده. قال أنس: قالت أمي: يا رسول الله خُويدمك أنس. ادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتته» قال أنس: فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى؛ ليعادون اليوم على نحو المائة. وما أعلم أحدا أصاب من رفيع العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيديّ هاتين

(١) متى ١٧ ولوقا ٨ وكان فى مريم سبعة شياطين.

مائة من ولدي، ولا أقول سقطا ولا ولد ولد». ودعا ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة. قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحتها ذبا. ومات عبد الرحمن فحفر الذهب في تركته بالفؤوس حتى مجّلت منه أيدي الرجال. وكان له أربع زوجات فأخذت كل زوجة في ربع الثمن مائة ألف درهم. وقيل: بل صوّحت مطلقته في مرضه على ثمانين ألف. وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألفا بعد صدقاته الماشية في حال صحته وعوارفه الكثيرة، وأعتق يوما ثلاثين عبدا، وتصدق في مجلس واحد بقافلة فيها سبعمائة جمل بما عليها من البر والبضاعة، حتى أقتابها وأحلاسها - رضى الله عنه - كل ذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ.

ودعا عليه السلام لسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته. فما دعا قط إلا استجيب له. فكانت دعوته مشهورة.

ودعا عليه السلام أن يُعزّ الله الإسلام بعمر. فاستجيب له وعزّ به الإسلام. قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وأصاب أهل الإسلام عطش فقال عمر: يا رسول الله ادع لنا أن يسقينا. فدعا عليه السلام فجاءت سحابة فسقت الناس حاجتهم، ثم أقلعت.

ودعا عليه السلام في الاستسقاء. فسقوا، فجاءه أهل العوَالى يشكون كثرة المطر وتهديم الدور؛ فدعا ﷺ برفعه؛ فأقلع.

وقال عليه السلام لأبي قتادة: «أفلح وجهك. اللهم بارك له في شعره وبشره» فعاش سبعين سنة. وكان ابن خمس عشرة سنة.

وقال للناطقة الجعدي: «لا يفض الله فاك» قال: فعاش مائة وعشرين سنة، وقيل: أكثر من ذلك. فما سقطت له سنّ.

وقال لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فسمى بعدُ الحبر وترجمان القرآن. وقال لعبد الله: «اللهم بارك له في صفقة يمينه» فما اشترى قط إلا ربح فيه.

ودعا - عليه السلام - للمقداد بالبركة. فصارت عنده غرائر من المال.

ودعا بمثل ذلك لعروة بن أبي الجعد. فقال عروة: لقد صرت أقوم في السوق؛ فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا. وقال البخاري في حديثه: فكان لو اشترى التراب؛ لربح فيه، وندت له ناقة؛ فدعا الله فجاء بها إعصار ريح، حتى ردها عليه صلى الله عليه وسلم.

ودعا عليه السلام لأم أبي هريرة وقد كانت نالت منه. فأسلمت من ساعتها وقصتها مشهورة. ودعا لعلی رضوان الله عليه أن يكفى الحر والبرد، فكان عليّ بعدها يلبس لباس الصيف في الشتاء، ولباس الشتاء في الصيف. ولا يصيبه حر ولا برد.

ودعا لفاطمة - سلام الله عليها - ألا يجيئها. قالت: فما جعت قط بعدها.

وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه. فقال: «اللهم نور له» فسطع نور بين عينيه. فقال الطفيل: اللهم في غير وجهي. فإني أخاف أن يقولوا مثله فتحول النور إلى طرف سوطه. كالقنديل، فكان يضيء في الليلة المظلمة. فسمى ذا النور. ودعا عليه السلام على مضر. فأقحطوا حتى استعطفته قريش. فدعا لهم فسقوا وأخصبوا.

ودعا عليه السلام على كسرى أن يمزق الله ملكه ففعل الله ذلك وقتله ابنه شيرويه ولم يبق بعدها للفرس قائمة. وأخبر عليه السلام فيروز عامل كسرى في الليلة التي قُتل فيها وهو بالمدينة. فكان الأمر كما أخبر. فأسلم فيروز ومن معه. وقطع عليه إنسان صلته. فدعا عليه أن يقطع الله أثره فأقعد. وقال لآخر: «كل يمينك» فقال: لا أستطيع. فقال له: «لا استطعت» فلم يرفعها بعد إلى فيه.

وقال لعتيبة بن أبي لهب: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» فأكله الأسد بعد أن حرسه أهله وصانوه.

ودعا على النفر الذين وضعوا السلي عليه. وهو ساجد وسماهم واحدا واحدا. قال ابن مسعود: فلم ينج منهم واحد. لقد رأيتهم قتلى يوم بدر.

وكان الحكم بن العاص يَخْتَلِجُ بوجهه في مجلس رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «كذلك فكن» فأبتلى بهذه العلة إلى أن مات.

قال المؤلف: هذه الآية نظيرة ما في الإنجيل من دعاء المسيح على شجرة تين فيبيت (١).

ودعا عليه السلام على مُحَلِّمِ بن جَثَامَةَ. فهلك. فلفظته الأرض. فواروه. فلفظته أيضا دفعات. فجعلوه بين رضمتين - وهما جانبا الوادى - ثم رضموه بالحجارة.

وجحد رجل بيع فرس - وهى التى شهد بها خزيمه - فقال: اللهم إن كان كاذبا؛ فلا تبارك له فيها. فأصبحت من ليلتها على ثلاث قوائم.

### ومن معجزاته ﷺ انقلاب الأعيان له:

روى الفِريرى عن البخارى بإسناده عن أنس بن مالك: أن أهل المدينة فزعوا مرة، فركب رسول الله ﷺ فرسا لأبى طلحة كان بها قطاف فكان بطينا. فلما رجع عليه السلام. قال: «إنا وجدناه لَبَّحْرًا» فكان بعدُ لا يُجَارى.

وخَفَّقَ فرسا لُجَعِيلِ الأشجعى بمخفقة كانت فى يده وبارك عليها. فلم يملك رأسها إلا نشاطا، وباع من باطنها بائنى عشر ألفا.

وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة. فردَّ هَمَلًا لا يُسَير. وكانت شعرات من شعره ﷺ فى قلنسوة خالد بن الوليد؛ فلم يشهد بها قتالا إلا رُزِقَ النصر.

وفى الصحيح عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها: أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يُستشفى بها.

وكانت قصعته عليه السلام عند بعض العلماء. وكان يجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون ببركتها.

وأخذ جهجاه الغفارى القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته. فصاح

(١) متى ٢١.



على حنظلة بن حذيم وبارك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه وبالشاة قد ورم ضرعها فيضعه على موضع كف رسول الله ﷺ فيذهب الورم ويجد الشفاء. ونضح وجه زينب بنت أم سلمة بماء، فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما في وجهها. ومسح على رأس صبي به عاهة؛ فبرأ واستوى شعره. وفعل ذلك بجماعة من المجانين والمرضى؛ فشفوا وصحوا.

قال المؤلف: وعند هذه الآية؛ صح قول إشعياء النبي حيث يقول متنبها على محمد رسول الله ﷺ: «روح الرب عليّ لأنه من أجل هذا مسحني وأرسلني؛ لأنذر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية، وأبشّر بالسنة المقبولة» (١) فقد أُنذر العميان وأطلق الأسارى من أيدي ملوك. مثل كسرى وغيره، وكانت العرب في إسارهم يؤدون لهم الإتاوة والخراج. وبشّر بالسنة المقبولة [سنة ظهوره] ﷺ وأطلق المجانين من أيدي الشياطين.

وأناه رجل به أدرة فأمره عليه السلام أن ينضحها بماء من عين كان رسول الله ﷺ يميح فيها. فذهب الرجل وفعل ذلك فشفى من أدرته.

قال المؤلف عفا الله عنه: هذا أعجب من قول اليسع لنعمان الأبرص (٢): اذهب إلى عين كذا وانغمس فيها سبع مرات؛ فبرئ، والطف من قول موسى لأخته مريم (٣) وقد تبرصت: أخرجني عن عسكرنا وابعدي عنه سبعة أيام. حتى عوفيت، وأعظم من آية الإنجيل التي حكوها في صاحبة النزيف (٤) وعن طاوس قال: لم يؤت النبي ﷺ بأحد به جنون فصكّ في صدره إلا ذهب الجنون عنه.

قال المؤلف: هذا الطف مما فعل المسيح إذ ما خرج (٥) الجنى من الصبي الذي كلمه أبوه فيه، حتى صرع الصبى ولبطه وكاد أن يموت. وهذا طاوس يخبر أنه

(١) إشعياء ٦١ : ١ - ٢ .

(٢) الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني.

(٣) الأصحاح الثاني عشر من سفر العدد.

(٤) «وإذا امرأة نارفة دم» [أمتى ٩ : ٢٠ + ] .

(٥) في الأصحاح التاسع من مرقس في هذه المعجزة: «كل شيء مستطاع للمؤمن» - «فصار كميت حتى قال كثيرون: إنه مات؛ فأمسكه يسوع بيده، وأقامه فقام» .

### ومن معجزاته ﷺ بركة يده في إمرارها على ضروع الشياه الحوائل فتدر البانها،

كفعله في شاة أم معبد، وشاة معاوية بن ثور، وشاة أنس، وغنم حليمة مرضعته. وشارفها، وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم يَنْزُ عليها فحل، وشاة المقداد.

وكل ذلك مستفيض عند أهل العلم والحديث.

### ومن معجزاته تحويل الماء لبناً.

وهو أعجب من تحويل الماء خمرا وزيتا كما حكى أهل الكتاب (١). عن كتابي الإنجيل وسفر الملوك.

قال حماد بن سلمة: رَوَد رسول الله ﷺ أصحابه من ماء، بعد أن أوكاه ودعا فيه. فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فَحَلَّوْهُ فوجدوه لبناً طيباً وفي فمه زبدة. وهذا أنزل من تحويل الماء دما، كما فعل موسى بمصر (٢).

ومسح عليه السلام بيده المباركة رأس عمير بن سعد وبارك، فعاش ثمانين سنة لم يشب رأسه. كل ذلك ببركة يد رسول الله ﷺ.

وفعل ذلك بغير واحد من المسلمين. منهم السائب بن يزيد ومدلوك. ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره؛ فكان يوجد له طيب يغلب طيب نسائه.

وجرح عائذ بن عمرو يوم حنين. فسَلَّت الدم عن وجهه، ودعا له. فكانت له غرة كغرة الفرس ببركة يد نبي الله ﷺ.

ومسح على رأس قيس بن زيد الجُدَامِي ودعا له؛ فعاش مائة سنة ورأسه أبيض. وموضع كف النبي ﷺ وما مرت عليه يد رسول الله ﷺ أسود غريب، فكان يُدعى الأغر.

وكذلك فعل بعمرو بن ثعلبة الجهني. ومسح على وجه رجل من المسلمين فكان لا يزال على وجهه نور. وكان لوجه قتادة بن مُلحان بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرأة لأنه ﷺ مسح بيده على وجهه. ووضع يده عليه السلام

(١) يوحنا ٢ والملوك الثاني ٤ .

(٢) تحويل الماء إلى دم مذكور في الأصحاح السابع من سفر الخروج.

على حنظلة بن حذيم وبارك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه وبالشاة قد ورم ضرعها فيضعه على موضع كف رسول الله ﷺ فيذهب الورم ويجد الشفاء. ونضح وجه زينب بنت أم سلمة بماء، فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما في وجهها. ومسح على رأس صبي به عاهة؛ فبرأ واستوى شعره. وفعل ذلك بجماعة من المجانين والمرضى؛ فشفوا وصحوا.

قال المؤلف: وعند هذه الآية؛ صح قول إشعياء النبي حيث يقول متنبثا على محمد رسول الله ﷺ: «روح الرب عليّ لأنه من أجل هذا مسحني وأرسلني؛ لأنذر العميان بالنظر والمأسورين بالتخلية، وأبشّر بالسنة المقبولة»<sup>(١)</sup> فقد أنذر العميان وأطلق الأسارى من أيدي ملوك. مثل كسرى وغيره، وكانت العرب في إسارهم يؤدون لهم الإتاوة والخراج. وبشّر بالسنة المقبولة {سنة ظهوره} ﷺ وأطلق المجانين من أيدي الشياطين.

وأناه رجل به أدرّة فأمره عليه السلام أن ينضحها بماء من عين كان رسول الله ﷺ يمجّ فيها. فذهب الرجل وفعل ذلك فشفي من أدرته.

قال المؤلف عفا الله عنه: هذا أعجب من قول اليّسع لنعمان الأبرص<sup>(٢)</sup>: اذهب إلى عين كذا وانغمس فيها سبع مرات؛ فبرئ، وألطف من قول موسى لأخته مريم<sup>(٣)</sup> وقد تبرصت: أخرجني عن عسكرينا وابعدي عنه سبعة أيام. حتى عوفيت، وأعظم من آية الإنجيل التي حكوها في صاحبة التزيف<sup>(٤)</sup> وعن طاوس قال: لم يؤت النبي ﷺ بأحد به جنون فصكّ في صدره إلا ذهب الجنون عنه.

قال المؤلف: هذا ألطف مما فعل المسيح إذ ما خرج<sup>(٥)</sup> الجنى من الصبى الذى كلمه أبوه فيه، حتى صرع الصبى ولبطه وكاد أن يموت. وهذا طاوس يخبر أنه

(١) إشعياء ٦١ : ١ - ٢ .

(٢) الأصحاح الخامس من سفر الملوك الثاني .

(٣) الأصحاح الثانى عشر من سفر العدد .

(٤) «وإذا امرأة نارفة دم» {متى ٩ : ٢٠ + } .

(٥) فى الأصحاح التاسع من مرقس فى هذه المعجزة: «كل شيء مستطاع للمؤمن» - «فصار كميت حتى قال كثيرون: إنه مات؛ فأمسكه يسوع بيده، وأقامه فقام» .

بمجرد مس رسول الله ﷺ صدر المجنون يذهب جنونه .  
وأخذ عليه السلام قبضة من تراب يوم حنين، ورمى بها وجوه الكفار،  
وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا يمسخون التراب عن أعينهم .  
وشكا إليه أبو هريرة النسيان وقلة الحفظ؛ فأمره ببسط ثوبه والنبي يحدث  
فلما حدثه؛ ضمَّ الثوب إلى صدره. قال أبو هريرة: فما نسيت شيئاً سمعته بعد .  
وكان جرير بن عبد الله لا يثبتُ على الخيل فضرب رسول الله ﷺ في  
صدره ودعا له؛ فكان أثبت العرب وأفرسهم .  
ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان دميماً ودعا له؛ ففرَّع  
الرجال تماماً وطُولا .

### ومن آياته عليه السلام اطلاعه على الغيوب وإعلام الله له بما يكون قبل كونه؛

قال العلماء والأئمة: وهذه المعجزة من جملة معجزاته معلومة لنا على  
القطع، واصله إلينا بتواتر النقل؛ لكثرة روايتها، واتفاق معانيها .  
قال حذيفة: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون إلى أن  
تقوم الساعة إلا حدثنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وقد علم أصحابي  
هؤلاء: أنه ليكون منى الشيء؛ فأعرفه . فأذكره كما يذكر الرجل وجهاً إذا غاب  
عنه، ثم إذا رآه عرفه .  
ثم قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله  
ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً، إلا قد  
سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته .  
وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في  
السماء إلا ذكّرنا منه علماً .

وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به رسول الله ﷺ أصحابه من  
الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن  
حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة؛ لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى، وتفتح

خيبر على يد علي في غد يومه، وأخبرهم بما يفتح على يد أمته من الدنيا وما يؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر. وأنه ستكون لهم أنماط. ويغدو أحدهم في حلّة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحيفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة، وأنهم سيمشون المطيطاء. وتخدمهم بنات فارس والروم ويقاتلهم الترك والخزر والروم. وأخبرهم بذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده. وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده. وأخبرهم أن الروم ذوات قرون إلى آخر الدهر. وأخبرهم بذهاب الأملث فالأملث من الناس. وقبض العلم وظهور الفتن والهرج. وقال: «إنه زُويت له الأرض فأريت مشارقتها ومغاريها، وسيلغ ملك أمتي ما زوى له منها».

فلهذا امتدت مملكة أمته صلوات الله عليه وسلامه من المشارق إلى المغرب. كما ترى حتى بلغت من أقصى الهند إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نأوهم حتى يأتي أمر الله. وهم كذلك. فقيل: يا رسول الله وأين هم يومئذ؟ قال: ببيت المقدس». وأخبر عليه السلام بملك بني أمية واتخاذهم مال الله دُولاً. وأخبر بخروج بني العباس بالرايات السود. وملكهم أضعاف ما ملكوا. وأخبر عليه السلام بخروج «المهدي»<sup>(٢)</sup> وأخبر بما ينال أهل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين - وأخبر بقتل علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - وأن أشقى الناس الذي يخضب لحيته الكريمة من رأسه.

وقال عليه السلام: «يُقتل عثمان. وهو يقرأ بالمصحف»، وأن الله سُلِبَسه قميصاً، وأن المنافقين يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقال عليه السلام: «إن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا» وأخبر عليه السلام بقتال الزبير لعلي. وأخبر: أن عماراً تقتله الفئة الباغية. وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس».

(١) في نظر المؤلف.

(٢) أحاديث خروج المهدي ثابتة بروايات الأحاد. انظر كتابنا أزمة الأمم - مكتبة الإيمان بالمنصورة.

وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين: «إنه لمن أهل النار» فقتل نفسه.

وقال عليه السلام لجماعة فيهم أبو هريرة وسمره بن جندب وحذيفة: «آخركم موتاً في النار» فكان بعضهم يسأل بعضاً، فكان سمره آخرهم موتاً هرم. فاصطلى بالنار فاحترق فيها.

وقال في حنظلة الغَسِيل: «سلوا زوجته فلما رأيت الملائكة تغسله». فأخبرتهم أنه خرج للحرب جنباً أعجله الحال عن الغسل. قال أبو سعيد: وجدنا رأسه يقطر ماء. وقال عليه السلام: «الخلافة في قريش» فما هي لم تتعداهم. وقال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير»، فكانا وهما الحجاج والمختار. وقال: «إن فاطمة أول أهل بيته لحوقاً به» فكانت وأنذر عليه السلام بالردة.

وقال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً» فكانت كذلك بولاية الحسن رضوان الله عليه.

وأخبر بشأن أويس القرني ووصفه بحليته وأن له والدة وأنه كان به برص فدعا الله فشفاه إلا موضع الدرهم، وأن علياً وعمر سيلقيانه. فكان كل ذلك - صلوات الله على سيدنا محمد وآله.

وأخبر عليه السلام أنه سيكون بعده ثلاثون دجالاً فيهم أربع نسوة وآخرهم الدجال الكذاب. وكلهم يكذب على الله وعلى رسوله.

وقال عليه السلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» الحديث. فكان الأمر كذلك وقال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه».

وأخبر عليه السلام بظهور القدرية والرافضة والخوارج. ووصفهم بصفاته والمُخَدَج الذي فيهم وأن سيماهم التَّحْلِيْق.

وأخبر عليه السلام بأن رعاء الشاة يتناولون في البنيان، وأن الأمة تلد ربّتها، وأن قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً. وهو الذي يغزوهم. وأخبر عليه السلام بأن أمته يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة.

وأخبر فقال: «لو أن الدين والعلم عند الثريا؛ لناله رجل من فارس» فكان جميع ما قاله وأخبر به ﷺ. وهاجت ريح في غزاته. فقال عليه السلام:

«هاجت لموت منافق» فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك. وقال لجلسائه: «ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد» قال أبو هريرة: فذهب القوم وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدًا يوم اليمامة.

وأخبر عليه السلام بالذي غلّ خرزا من المغنم، فوجدت في رحله. وبالذي غلّ الشملة. وأخبر بناقته وحيث هي باقية حين ضلت، وكيف تعلقت بشجرة بوادي كذا؛ فوجدت على النعت الذي ذكر. وأخبر بكتاب حاطب إلى أهل مكة، وبالمال الذي تركه العباس عند أم الفضل. فكان ذلك سبب إسلامه. وأخبر عليه السلام بأنه سيقتل أبي بن خلف فقتله. وقال في عتبة بن أبي لهب: «إنه سيأكله الأسد» فأكله بعد أن حُرِس. وأخبر عن مصارع أهل بدر قبل كونها، فكان جميع ذلك. وقال: إن «الحسن» يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وأخبر عليه السلام بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا. وبينه وبينهم أكثر من شهر. وأخبر بموت النجاشي ومات وهو بأرض الحبشة وبينهما ما قد علم. وأخبر فيروز بقتل كسرى يوم قُتل، فأسلم فيروزُ ومن معه. وأخبر أبا ذر بتطريده، ورآه في المسجد نائمًا وحده. فقال: كيف بك يا أبا ذر إذا أخرجت منه؟ قال: أسكن المسجد الحرام. قال: فإذا أخرجت منه - الحديث بطوله - فجرى ذلك كله. وأخبر بعيشه وحده، وبموته وحده. فمات بالرّبذة وحده. وقصته مشهورة.

وأخبر عليه السلام بأن أسرع أزواجه لحوقًا به؛ أطولهن يدا. فكانت «زينب» لطول يدها بالصدقة. وأخبر بقتل الحسن - رضوان الله عليه - بالطف، وأخرج بيده تربة وقال: «في هذه مضجعه». وقال لزيد بن صوحان: «يسبقه عضو منه إلى الجنة» فقطعت يده في الجهاد.

وقال في الذين معه على الجبل: «اثبت حراء. فإنما عليك نبي وصديق. وشهيد» فقتل عمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير. وطعن سعد.

وقال لسراقة: «كيف بك إذا ألبست سوارى كسرى؟» فلما أتى عمر بهما ألبسهما إياه. وقال: الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

وقال عليه السلام لعمر في سهيل بن عمرو حين قال له ما قال: «عسى أن

يقوم مقاماً يسرك يا عمر» فقام بمكة حين بلغه وفاة رسول الله ﷺ وخطب خطبة ثبت فيها بصائرهم على الإسلام. وكذلك فعل بالشام أيضاً.  
وقال لخالد بن الوليد حين وجهه لأكيدر: «إنك ستجده يصيد البقر» فكان الأمر كذلك.

إلى ما أخبر به - عليه السلام - جلساءه من أسرارهم وبواطنهم، ونبه عليه السلام من أسرار المنافقين وكفرهم وإلحادهم، حتى صار أحدهم يقول: لأصحابه: اسكت. فوالله لو لم يكن عنده من يُخبر؛ لأخبرته حجارة البطحاء.  
وأعلم رسول الله ﷺ أصحابه بصفة السحر الذى سحره ليبيد بين الأعصم. وحيث جعله. فَوُجِدَ على تيك الصفة، وفى ذلك المكان. وأعلم قريشاً: أن الأرضة قد أكلت صحيفتهم التى كتبها على بنى هاشم خلا قوله: باسمك اللهم. ووصف عليه السلام لقريش «بيت المقدس» حين كَذَّبُوهُ فى خبر الإسراء. وأعلمهم بشأن العير الواصلة؛ فلم يخرم من ذلك حرف.  
إلى ما أخبر به عليه السلام من الحوادث التى ستكون. ولما تجيء بعد. كقوله: «عُمران بيت المقدس؛ خراب يثرب. وخراب يثرب؛ خروج الملحمة. وخروج الملحمة؛ فتح القسطنطينية».  
وهذا نوع من معجزاته لا يكاد يحصر لكثرتة واتساعه.

### ومن آياته عليه السلام عصمته من أعدائه على كثرتهم:

قال الله له: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآيات.  
قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُحْرَسُ حتى نزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج عليه السلام رأسه من القبة. فقال: أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمنى ربي عز وجل.

وكان عليه السلام إذ نزل منزلاً؛ اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه



أعرابي وهو غورث بن الحارث. فاخترط سيفه وقال: من يمنك مني؟ فقال: «الله» فأرعدت يده وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دمه. والحديث في الصحيح. فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وجرى ذلك له مرات، منها يوم بدر. وقد انفرد عن أصحابه. ومنها في غزوة غطفان مع رجل يقال له دعثور بن الحارث. وأنه أسلم. فلما رجع إلى قومه الذين أغووه بذلك قالوا له: أين ما كنت تعدنا؟ وكان أسلمهم وأشجعهم قال: إنني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري. فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي؛ فعرفت أنه ملك فأسلمت. وكانت حمالة الحطب تضع العضاة - وهي جمر - على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يطؤها كثيبا أهيل.

وقد ذكر ابن إسحق: أن حمالة الحطب حين بلغها قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وذمها الله مع زوجها أت رسول الله ﷺ وهو جالس ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة. فلما وقفت عليهما؛ لم تر سوى أبي بكر. وأخذ الله ببصرها عن نبيه؛ فلم تره. فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه هجاني. والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه (١).

وقال الحكم بن أبي العاص: تواعدنا على النبي ﷺ حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشيا علينا. فما أفقنا حتى قضى صلاته، وانصرف إلى أهله. ثم تواعدنا ليلة أخرى فجننا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه.

(١) من الأقوال في ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أن اللهب هو النار. وفي اللغة العربية: يقال: أبو الشر. للعاكف عليه. لا أن الشر يلد، أو يولد. ويقال: أبو الخير. لجلاب الخير للناس. وللمستحق للجنة. في مقابل أبو اللهب للمستحق للنار كأنه يقول: تعس وخاب من يستحق النار، لأنه اسم رجل بعينه هو «أبو لهب» ولما فرغ من الرجال، شرع في الكلام على النساء الساعدين لأرواحهم في فعل الشر. فقال: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي التي تتبع عورات الناس وتنقل عنهم كلاما لتوقمهم في الفتن والاختلاف. شُبِّهَتْ بِحَاطِبٍ يَحْتَطِبُ فِي اللَّيْلِ؛ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ عُودٍ مِنْ خُرُوعٍ وَلَا عُودٍ مِنْ أَسٍ. وربما وهو يَحْتَطِبُ تَلْدَغُهُ أَمْعَى فِي جَنَحِ الظَّلامِ. وغرضها من التبع مساعدة رجلها في الشر والجزاء: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ على طريق المشاكلة. فإنه لما شبهها بالاحتطب، ومن لوازم عمله حبل يربط به حطبه؛ جعل لها جزءا على سبيل الكناية هو أن الحبل الكريه المؤلم يطوق عنقها بدل قلاند الجواهر الغالية الثمن والحسنة المنظر. ويجمع ذلك كله: أن الاشرار من الرجال والنساء في نار جهنم. والمراد بهم ههنا اليهود.

وعن عمر قال: تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة؛ لقتل رسول الله ﷺ فجننا منزله فسمعناه يقرأ: ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ فضرب أبو جهم على عضدي. وقال: اتج. وفررنا هارين.

ولما اجتمعت قريش على قتل نبي الله وبيّتوه؛ خرج عليهم رسول الله ﷺ فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم. فذّر التراب على رؤوسهم وذهب. فجعل الرجل يتناول من على رأسه ترابا، وذهبوا خائبين. ومن هذا القبيل كفاية الله له في الغار بما هيا الله له من الآيات، من نسج العنكبوت على باب الغار. حتى قال أمية بن خلف حين قالوا: ندخل الغار: إن على الغار من نسج العنكبوت ما أرى: أنه قبل أن يولد محمد. ووقفت حمامتان على فم الغار. فقالت قريش: لو كان فيه أحد، لما كان هناك الحمام.

وقصته مع سراقه؛ مشهورة. وذلك أن قريشا جعلت في رسول الله الجعائل. فركب سراقه بن مالك وأتبعه حتى إذا قرب منهما دعا عليه رسول الله ﷺ فساخت قوائمه فرسه في أرض صلبة ومحجر صلّد؛ فخر عنها واستقسم بأزلامه. فخرج له ما يكره، ثم اتبعهما ثانية حتى إذا دنا منهما وسمع قراءة، رسول الله ﷺ ورسول الله لا يلتفت. قال أبو بكر: أتينا يا رسول الله. فقال: ﴿لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فساخت قوائمه فرسه ثانية إلى ركابها. فخر عنها، وزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان. فناداهم بالأمان. فكتب له النبي ﷺ كتاب أمان كتبه أبو بكر، وقيل كتبه ابن فهيرة، وأمره النبي ﷺ أن لا يدع الطلب يلحق بهم. فانصرف سراقه يقول للناس: كفيتهم ما ههنا. ووقع في نفسه ظهور النبي ﷺ.

ورآهم آخر من الرعاة فخرج يندد، يُعلم قريشا، فلما ورد مكة ضرب الله على قلبه فأنسى ما قَدِمَ له، حتى رجع إلى موضعه.

قال ابن إسحق: وجاءه أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه، فلزقت بيده وبسبت يده إلى حدّ عنقه. فرجع القهقري وسأله. فدعا له حتى انطلقت يده. وكان حَلَفَ لقريش لئن رآه ليدمغنه. فسألوه عن

شأنه فذكر أنه عَرَضَ له دونه فَحُلَّ ما رأى مثله؛ هَمَّ به أن يأكله. فقال عليه السلام: «ذلك جبريل لو دنا مني لأخذه».

وذكر السمرقندي: أن رجلا من بنى المغيرة أتى النبي ﷺ ليقتله؛ فطمس الله على بصره فلم يره، وكان يسمع قراءته ولا يهتدى إليه؛ فرجع إلى أصحابه؛ فلم يره حتى نادوه.

وعن أبي هريرة قال: إن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمداً ليؤذينه، فلما صلى النبي أعلموه. فأقبل فلما قرب منه ولَّى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا يديه. فسُئِلَ عن ذلك. فقال: لما دنوتُ منه أشرفتُ على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه، وأبصرتُ هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض (١). فقال عليه

(١) نشيد موسى عليه السلام:

تمهيد:

مهدت التوراة لنص النشيد بما نصه:

«وقال الرب لموسي: هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت. ادع يشوع، وقف في خيمة الاجتماع؛ لكي أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا في الخيمة وتراءى الرب في الخيمة في عمود سحب، ووقف عمود السحاب على باب الخيمة. وقال الرب لموسي: ها أنت ترقد مع آبائك؛ فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنيين في الأرض، التي هو داخل إليها، في ما بينهم، ويتركني وينكث عهدي. الذي قطعته معه. فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهي عنه. فيكون مأكلا، وتصيبه شرور كثيرة، وشدائد. حتى يقول في ذلك اليوم: أما لأن إلهي ليس في وسطي، أصابتنى هذه الشرور، وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم، لأجل جميع الشر الذي عمله. إذ التفت إلى آلهة أخرى. فالآن اكتسبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلم بنى إسرائيل إياه. ضعه في أفواههم؛ لكي يكون لى هذا النشيد، شاهدا على بنى إسرائيل. لأنى أدخلهم الأرض التي أنسنت لأبائهم. الفائضة لنا وعسلا. فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى. ويعبدونها، ويزدرون بي، وينكثون عهدي. فمتى أصابته شرور كثيرة، وشدائد؛ يجاوب هذا النشيد أمامه، شاهدا. لأنه لا يُنسى من أفواه نسله. إنى عرفت فكره الذي يفكر به اليوم، قبل أن أدخله إلى الأرض. كما أقسمتُ.

فكتب موسى هذا النشيد، في ذلك اليوم، وعلم بنى إسرائيل إياه» [تث ٣١: ٤ - ٢٢].

نص نشيد موسي:

«انصتى آيتها السموات؛ فاتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي. يهطل كالمنطر تعليمي، ويقطر كالندى كلامي. كالظل على الكلا، وكالوايل على العشب. إنى باسم الرب أنادي: أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة. لا جور فيه. صديق وعادل هو.

أفسد له الذين ليسوا أولاده. عيبتهم. جيل أعوج ملتو. أرب تكافنون بهذا يا شعبا غيبا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عمك وأشاك؟ أذكر أيام القدم، وتاملوا سنى دور فدور. اسأل أباك؛ فيخبرك=

=وشيوخك؛ فيقولوا لك. حين قَسَمَ العليّ الامم. حين فَرَّقَ بنى آدم؛ نَصَبَ تخوما لشعوب حسب عدد بنى إسرائيل. إن قَسَمَ الرب؛ هو شعبه. يعقوبُ جيلَ نَصِيْبِهِ. وجده في أرض قَفَرٍ، وفي خلاء مستوحش خَرَّبَ. أحاط به ولاحظه وصانه كحديقة عينه. كما يُحْرِكُ النَّسْرُ عَشَّهُ، وعلى فراخه يرف، ويسبط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه؛ هكذا الرب وحده؛ اقتاده، وليس معه إله أجنبي. أركبه على مرتفعات الأرض؛ فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلا من حجر، وزيتا من صَوَانِ الصخر، وزبُدة بقر، ولبن غنم، مع شحم خراف، وكباش. أولاد باشان. وتيوس مع دَسَمِ لُبِ الحنطة. ودم العنب، شربته خمرا.

قَسَمَ يَشُورون ورفس. سَمِنَتْ وغلقت، واكتسبت شحما. فرفض الإله الذى عمله، وغى عن صخرة خلاصه. أغاروه بالاجانب، وأغاظوه بالارجاس. ذبحوا لاوثان. ليست الله. لآلهة لم يعرفوها. أحداث قد جاءت من قريب، لم يرهبها أبواؤكم. الصخرُ الذى ولدك؛ تركته. ونسيت الله الذى أبدك.

فراى الرب. ووذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهى عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم؟ إنهم جيل متقلب. أولاد لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس لها. أغاظوني بأباطيلهم. فأنأغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية؛ أغيظهم.

إنه قد اشتعلت نار بغضبي، فتتقد إلى الهاوية السفلى. وتاكل الأرض وغلَّتْها، وتُحرق أسس الجبال. أجمع عليهم شرورا. وأنفذ سهامى فيهم. إذ هم خاؤون من جوع، ومنهوكون من حمي، وداء سام. أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة رواحف الأرض.

من خارج؛ السيفُ يُثكل، ومن داخل الخدور؛ الرعبةُ. الفتى مع الفتاة، والرضيع مع الأشيب. قلت: أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاية العدو، من أن يُنكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه. إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفظنوا بهذه، وتأمالوا آخرتهم. كيف يطرُد واحد ألفا، ويهزم اثنان روبة؟ لولا أن صخرهم باعهم، والرب سلّمهم. لأنه ليس كصخرنا صخرهم، ولو كان أعداؤنا القضاة. لأن من جفنة سدوم جفتهم، ومن كروم عمورة.

عنيهم عنب سَم، ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حمة الثعابين، وسَمُ الأصلال القاتلُ. ليس ذلك مكنوزا عندي، مختوما عليه فى خزائني؟ لى النعمةُ والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم (١). إن يوم هلاكهم قريب، والمهيات لهم مُسرعة؛ لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يُشفق. حين يرى أن اليد قد مضت، ولم يبق محجورا ولا مطلقا. يقول: أين آلهتهم. الصخرةُ التى التجأوا إليها التى كانت تأكلُ شحم ذبائحهم، وتشرب خمر سكانهم. لتقم، وتساعدكم، وتكن عليكم حماية.

انظروا الآن. أنا أنا هو، وليس إله معى. أنا أميت وأحيى. سَحَقْتُ وإنى أشفي، وليس من يدي مخلص. إنى أرفع إلى السماء يدي وأقول: حى أنا إلى الأبد إذا سننتُ سيفى البارق، وأمسكت بالقضاء يدي؛ أرد نقمة على أضدادي، وأجارى مبغضى. أسكر سهامى بدم، ويأكلُ سيفى لحمأ بدم القتلى والسبايا، ومن رموس قواد العدو.

تهللوا أيها الامم. شعبه؛ لأنه يتقم بدم عبيده، ويردُّ نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه. عن شعبه=

(١) هذا دليل على يوم القيامة / انظر كتاب حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب - تأليف / أحمد حجارى السقا -

={ث ١: ٣٢ - ٤٣}.

هذا هو نشيد موسى عليه السلام. وهو نبوءة عن النبي الامى الآتى إلى العالم على مثال موسى، فى آخر أيام بركة إسحق عليه السلام. وقد طبق بولس هذه النبوءة على عيسى عليه السلام فى رسالته إلى أهل روما. فقال: «تهللوا أيها الأمم، مع شعبه» (رو ١٥ : ١٠).  
واعلم:

١ - أن نبوءة نشيد موسى تدل على أن الملائكة النورانيين الذين هم فى السماء سينصرون محمداً ﷺ وأصحابه فى المارك الحربية .

٢- وأن التوراة والإنجيل قد صرحا بأن أصحاب محمد ﷺ ملائكة مجازا. لا حقيقة. على حد قوله تعالى: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقد نزلت الملائكة النورانيون على النبي وأصحابه فى غزوة بدر الكبرى، ليعلم اليهود أنه هو النبي المكتوب عندهم فيؤمنوا به، ولكن الرواة قد قالوا: إن معركة بدر قد كانت بين النبي وبين كفار قريش؛ ليفوتوا على العالم الغرض من نزول الملائكة يوم بدر. وهم محجوجون بقوله: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى لياخذ المسلمون من بعد النصر جزءا من أملاك اليهود. وقد بينا ذلك فى كتابنا الموسوم بالبداية والنهاية لامة بنى إسرائيل .

وأما أن أصحاب النبي يلقبون بالملائكة مجازا. ففى نبوءة موسى عليه السلام: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من مساعير، وتلالا من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» {ث ٢: ٣٣ - ٣} فإن التوراة اليونانية تترجم: «وأتى مع عشرة آلاف قديس» وتترجم القديس بالملك. أى أتى مع جماعات من الملائكة. وفى الإنجيل متى يقول المسيح عيسى عليه السلام عن محمد وأصحابه: «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب... الخ» {متى ٢٥: ٣١ +}.

والنص اليونانى لنبوءة نشيد موسى يختلف عن النص العبرانى فى آخرها. وقد استشهد بها بولس بالنص اليونانى فى رسالته إلى أهل روما. فقال: «تهللوا أيها الأمم مع شعبه» (رو ١٥ : ١٠) وأخذ نبوءات التوراة التى هى عن محمد ﷺ ووضعها على عيسى عليه السلام فى رسالته إلى العبرانيين فقال: «لأنه لمن من الملائكة قال قط: «أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك» وأيضا: «وأنا أكون له ابا وهو يكون لى ابنا» وأيضا: متى أدخل البكر إلى العالم يقول: «ولتسجد له كل ملائكة الله» وعن الملائكة يقول: «الصانع ملائكته رياحا وخدامه لهيب نار» وأما عن الابن: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحسبت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» «وأنت يارب فى البدء أسست الأرض والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كوثب تبلى، وكردها تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفسى» ثم لمن من الملائكة قال قط: «اجلس عن يمينى حتى أضع أقدامك موطشا لقدميك»؟ ليس جميعهم أرواحا خادمة مرسله للخدمة لاجل العتيدى أن يرثوا الخلاص»؟

{حب ١}.

السلام: «تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا».

وعن شيبه بن عثمان الحجبي قال: لما كان يوم حنين وكان حمزة قد قتل أبي وعمي. قلت: اليوم أدرك ثأري من محمد. فلما اختلط الناس آتيت من خلفه ورفعت سيفي لأصبه عليه. فلما دنوت منه ارتفع لي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا، وأحسّ بي النبي ﷺ فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إليّ. فما رفعها إلا وهو أحبّ الخلق إليّ. وقال لي: «أدن فقاتل» فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي. ولو لقيت تلك الساعة أبي لأوقعت به دونه.

وعن فضالة بن عمير قال: أردتُ قتل النبي ﷺ عام الفتح. وهو يطوف بالبيت. فلما دنوت قال: «أفضالة؟» قلت: نعم. قال: «ما كنتَ تحدث به نفسك؟» قلت: لا شيء. فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري؛ فسكن

= لاحظ: ١ - تهلّلوا أيها الأمم مع شعبه ٢ - ولتسجد له كل ملائكة الله. فإنهما من نبوة واحدة هي نبوة نشيد موسى بحسب النص اليوناني. ولاحظ: أنه أخذ عدة نبوءات ووضعها تحت بعضها. وطبقها على المسيح.

ومؤلف تخجيل الإنجيل طبق بعضهن على محمد ﷺ في ثنايا الكتاب. ومؤلف التخجيل هذا؛ لم يفتن إلى نصرته الله لمحمد وأصحابه بالملائكة الحقيقيين، وهو يتكلم في نشيد موسى، ولم يفتن إلى فعل بولس في رسالته إلى أهل روما في بدء الرسالة إلى العبرانيين. وقد بينا كل ذلك في كتابنا اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة. تطابق نبوة نشيد موسى مع القرآن الكريم:

- ١ - اليهود نقضوا عهد الله «وینکث عہدی الذی قطعته معہ» ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ ﴾.
- ٢ - عبد اليهود الأصنام «ويفجر وراء آلهة الأجنيين» وفي القرآن أنهم عبدوا صنم البعل في أيام إلياس عليه السلام.
- ٣ - «هكذا الرب وحده اقتاده، وليس معه إله أجني... الخ» وفي القرآن: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾... الخ.
- ٤ - «هم أغاروني بما ليس إلهًا. أغاظوني باباطيلهم. فأننا أغيرهم بما ليس شعبًا. بامة غيبة أغيظهم» متطابق مع سورة الجمعة.
- ٥ - «أنا أنا هو وليس إله معي» متطابق مع ﴿ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾.
- ٦ - «ولتسجد له كل ملائكة الله» في النص اليوناني. وهو محذوف من العبري والسامري معناه أن الملائكة تخضع له نصرته. وهذا مذكور في سورة آل عمران والأنفال.

قلبي . فوالله ما رفع يده حتى ما خلق الله من شيء أحب إلى منه ﷺ .  
 ووفد عامر بن الطفيل وأريد بن قيس على رسول الله ﷺ وكان عامر  
 قال لأريد: أنا أشغل عنك وجه محمد بالحديث؛ فاضربه أنت . فلما خرجا من  
 عنده ولم يصنع شيئا . قال: أين ما عزمت عليه؟ قال: والله ما هممتُ به إلا وجدتك  
 بيني وبينه . أفأضربك بالسيف؟

ومن عصمة الله له: أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به قريشا ووصفوه  
 لهم وأخبروهم بسطوته بهم، وحضوهم على قتله . فحماه الله وعصمه من كل  
 سوء حتى بلغ فيه كرامته .

قال المؤلف: وقد روى عن أفاضل الصحابة: أنهم سمعوا ليلة ولادة رسول  
 الله ﷺ يهوديا ينادى صاحبه على أطم من أطام المدينة: يا فلان إنه قد طلع في  
 هذه الليلة نجم أحمد . وذلك مواطيء لقول المجوس الذي حكاه النصارى في  
 إنجيلهم عند مولد المسيح .

وأنى لهم بتحقيق تلك الحكاية عن المجوس إلا بالطريق التي ثبتت به  
 أخبارنا؟ فإن قدحوا في صحة أخبارنا لم يسلموا من مثل ذلك فيما صاروا  
 إليه . وقد حكى النصارى: أن أم المسيح حين خافت عليه هيرودس هربت به إلى  
 مصر وهو طفل <sup>(١)</sup> . فأما رسول الله فعصمه الله من كيد أعدائه . وهو بين  
 أظهرهم، وقد جهدوا جهدهم .

فلم نحتج إلى ما نقله المخالفون .

### ومن معجزاته عليه السلام إمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له؛

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا  
 الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقال عز من قائل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ ﴾  
 الآيتين وقال: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وقد رأى الجن  
 جماعة من أصحاب نبينا عليه السلام . وكذلك شاهدوا جبريل وهو يسأل رسول

(١) متى ٢ واعلم: أن لوقا روى أن المسيح إلى سن الثالثة عشرة كان في هيكل سليمان يتعلم العلم . فلماذا  
 قالوا بذهابه إلى مصر وهو صغير؟ راجع كتابنا اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة .

الله ﷺ عن الإسلام والإيمان، ورأى جبريل عليه السلام ابن عباس وأسامة وغيرهما. وأبصر سعد جبريل وميكائيل عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله في صورة رجلين عليهما ثياب بيض. وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ. ورأى ابن مسعود الجن مع رسول الله ﷺ. ولما قتل مُصعب بن عمير أخذ راية المسلمين مَلَك على صورته. فكان النبي عليه السلام يقول له: «تقدم يا مصعب». فقال: لست بمصعب. فعرف أنه مَلَك.

قال المصنف: إن طعن في هذه الشهادات المتضافرة يهودى أو نصراني؛ وَرَد عليهم فيما حكوه عن بطرس<sup>(١)</sup> وابنى زيدى من أنهم رأوا الملائكة بالجبل وقد جاءت للمسيح. وكذلك ما رواه اليهود من مجيء الملائكة لإبراهيم ولوط وموسى<sup>(٢)</sup>.

وكل سؤال انعكس على السائل؛ سقط جوابه عن المستؤل.

وقد أرى النبي ﷺ جبريلَ لحمزة في الكعبة. فخر حمزة مغشيا عليه.

وحكى جماعة من العلماء: أن عمر بن الخطاب قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل شيخ في يده عصا. فسلم على النبي ﷺ فردّ عليه النبي. وقال: «نغمة الجن فمن أنت؟» قال: أنا هامة بن الهيثم بن لاقش بن إبليس. فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده.

في حديث طويل وأقرأه عليه السلام سورا من القرآن.

وقد حكى الواقدي: أن خالدًا قتل العزى عندما هدم بيتها.

### ومن دلائل نبوته ما نطقت به قداماء الشعراء الموحدين من التنويه بشأنه ﷺ؛

مثل تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤى وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكره سيف بن ذى يزن الملك، وما عرف به زيد بن عمر وبن نفيل، وورقة بن نوفل، وعثكلان الحميرى وشامول صاحب تبع.

وما حكاه علماء اليهود وأسلم لَمَّا حقق أمره. مثل عبد الله بن سلام وابنى سعية وابن يامين ومخبريق وكعب الأحبار. من أحبار اليهود وعلمائهم. وكذلك ما

(١) يشير إلى التجلى على جبل طابور وظهور موسى وإيلياء معه فى متى ١٧ .

(٢) تكوين ١٨ وغيره .



حكاه أبحار النصارى ومتدينوهم مثل بحيرا الراهب ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود، والنجاشى ملك الحبشة، وسلمان، وأساقفة نجران ممن آمن وحقق وأسلم وصدق.

### ومن دلائل نبوته عليه السلام ما نطقت به الكهان،

مثل: شافع بن كليب، وشقّ وسطيح وسواد بن قارب الدوسي، وخنافر. وأفعى نجران وجذّل الكندي، وابن خلصة الدوسى وسعدى بنت كريز، وفاطمة ابنة النعمان.

إلى ما سمع من الأصنام ونطقت به هواتف الجان، ووجد مكتوبا على الحجارة المدفونة بالقلم الأول. إلى ما ظهر عند مولده من الآيات؛ مما حكته أمه والنسوة الثقات. من كونه حال بروزه كان رافعا بصره إلى السماء وأنها رأت نورا خارجا معه، ورأين النجوم وقد تدلّت من الأفق، والنور قد أضاء حتى ملأ الأرض. إلى ما جرى عند ولادته من ارتجاج أبواب كسرى وسقوط شرفاته، وغيض ماء بحيرة طبرية، وخمود نار فارس. وكان لها ألف عام لم تخدم. وحراسة السماء بالشهب، وقطع رُصد الشياطين. وكونه عليه السلام لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر؛ لأنه نور كله، وكان الذباب لا يسقط على جسده وثيابه.

وأعلم أصحابه بموته ودنو أجله، وأخبرهم أن قبره بالمدينة يكون. فى بيت سكنه. ونداء الملائكة عند غسله: «ألا تنزعوا قميص نبي الله ﷺ».



## كرامات الأولياء

**ومن دلائل نبوته** على يد أصحابه وأمه من الكرامات والآيات البيّنات: وذلك زيادة في تخصيصه وآياته وصدقه وزُلفته عند الله تعالى. وهذه الدلالة متسعة جدا؛ فلنقتصر منها على لمعة يسيرة تحصلُ الغرض. ففي صدور الكرامات والآيات على يد الأتباع؛ برهان ظاهر على صدق المتبوع.

قالت عائشة: لما حضر أبا بكر الوفاة قال: يا بنية إن أحب الناس إليّ بعدى أنت. وإن أعزّ الناس عليّ فقره بعدى أنت. وإنى كنت نحلّتك جداد عشرين وسقا من مالي؛ فوددت والله أنك حزّتيه، وإنما هم أخواك وأختاك. قالت: هذان أخواي. فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة. فقد ألقى في روعى أنها جارية. فولدت أم كلثوم.

وروى عن عمر أنه نادى: يا سارية الجبل. يقول ذلك لبعض أمراء المسلمين حين أحاط به العدو، وبينهما أكثر من شهر، فأسمع الله سارية صوتّه؛ فكانت سبب سلامة المسلمين. وهذه كرامة لا توازيها كرامة.

وروى سيف بن عمر الأسدي: أن عمر اعترض الذين سيّروهم إلى الغزاة. فرأى فيهم فتية فكرههم وتفرّس فيهم الشر، وتعجب الناس من كراهيته فيهم، ولم يرد أن يشهر أمرهم للناس، فكان فيهم من غزا عثمان وقتله وقتل على بن أبي طالب وأثاروا الفتن على الناس بعد.

وروى أن عليا - رضوان الله عليه - قدم عليه قوم من الخوارج. من أهل «البصرة» فيهم رجل يُقال له: الجعد بن بَعَجَة. فقال له: اتق الله يا عليّ فإنك ميت. فقال عليّ - رضوان الله عليه -: بل مقتول. ضربةً على هذا تخضب هذه - يعنى لحيته من رأسه - عهد معهود وقضاء مقضى ﴿وَقَدْ حَآبٍ مِّنْ أَفْتَرَىٰ﴾.

ولما حضر الناس لبيعة عليّ جاءه عبد الرحمن بن ملجم المرادي فردّه مرتين أو ثلاثا. ثم أتاه، فقال: ما يحبس أشقاها ليخضبن هذه من هذه ثم تمثّل:

أشدُّ حَيَازيمِك للموت	فإن الموت لاقبـيك
ولا تجزع من الموت	إذا حلّ بـواديك

ودعا عبد الله بن جحش قبل يوم أحد بيوم فقال: اللهم إنا لاقوا عدونا غدا، وإنى أقسم عليك يارب أن يقتلونى ويبقروا بطنى ويجدونى. فإذا قلت لي: لم فُعل بك هذا؟ فأقول: اللهم فيك. فلما التقوا؛ فعلوا به ذلك. فمر عليه الذى سمعه بالأمس يدعو بذلك. فقال: اللهم أما هذا فقد استُجيب له، وأنا أرجو أن يعطى ما سأله فى الآخرة.

وذكر سيف بن عمر: أنه لما كانت وقعة البحرين. والمسلمون أميرهم العلاء بن الحضرمي. فلما كانوا بالدنهان حيث لا ماء. أراد الله أن يرهم آية عظيمة. فلما نزل الناس؛ نَفَرَت ركبهم فى جوف الليل. فلم يبق معهم منها بعير ولا زاد ولا مزاد. وذلك حين نزل الناس وقبل أن يَحْطُوا. فهجم عليهم من الغم ما لم يهجم على أمة حتى أفضى بعضهم إلى بعض فنادى منادى العلاء: أن اجتمعوا. فاجتمعوا إليه. فقال: ما هذا الذى ظهر فيكم وغلب عليكم؟ فقالوا: كيف لا نكون كذلك ونحن إن بلغنا غدا لم تَحْم شمسه حتى نصير حديشا. فقال: لا تراعوا. أَلستم مسلمين؟ أَلستم فى سبيل الله؟ أَلستم أنصار الله؟ قالوا: بلى. قال: فأبشروا. فوالله لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم.

فلما طلع الفجر صَلَّى بنا، ومنا المتيمم ومنا من بات على طهوره لعدم الماء. فلما قضى صلاته جثا على ركبتيه وجثا الناس؛ فنصب فى الدعاء ونصبوا معه. فلمع لهم سَرَاب مع طلوع الشمس. فالتفت إلى الصَّف، وقال: أريد من ينظر ما هذا؟ فرجع فقال: سراب. فأقبل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر فكذلك ثم لمع آخر فقال: العلاء: ماء. فقام وقام الناس فنزلوا على ماء كثير فشربوا واغتسلوا. فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَد من كل وجه؛ فاناخت إليهم وعليها أزوادهم. فقام كل رجل منهم إلى ظهره فأخذه. فما فقدوا سِلْكا فأرووها وشربوا العَلَّ بعد النَّهْل. ثم تروحووا.

قال: وفيهم أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ فعمد إلى إداوة فملاها ثم تركها على الماء. فلما أبعدها قال أبو هريرة لرفيقه: ارجع بى إلى الماء. فرجع فإذا الإداوة مملوءة والأرض بلاقع. فحقق وحققوا أنها آية من الله عز وجل.

ولما انتهى العلاء إلى البحر وجد العدو قد تحرّز من المسلمين في الجانب الآخر. فجمع المسلمين وخطبهم فقال: إن الله له الحمد. قد أراكم من آياته في البر ماء تعتبرون به في البحر. فانهضوا إلى عدوكم، واستعرضوا البحر إليهم. فإن الله قد جمعهم لكم بدارين. فقالوا: نفعل والله ولا نهاب بعد الدهناء أحدا. فارتحلوا بأجمعهم حتى جاءوا ساحل البحر. فدعا ودعوا: «يا أرحم الراحمين، يا كريم يا حلیم، يا أحد يا صمد، يا حيّ يا محيي الموتى، يا حيّ يا قيوم، لا إله إلا أنت يا ربنا» فأجازوا البحر بإذن الله يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء، يغمر أخفاف الإبل. وإن ما بين الساحل و «دارين» مسيرة يوم وليلة لسفن البحر في بعض الأحوال، فالتقوا بعدوهم. فما تركوا منهم مُخبرا، وسبوا الذراري، واستاقوا الأموال. فبلغ سهم نَقْل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين. فلما فرغوا من عدوهم؛ رجعوا عودهم على بدنتهم حتى عبروا أيضا. فقال عفيف بن المنذر شاعرهم:

ألم تر أن الله ذلّل بحرّه      وأنزل بالكفار إحدى الجلائل  
دَعَوْنَا الذي شَقَّ البحار فجاءنا      بأعجب من قَلَق البحار والأوائل

ولما اتصل الخبير بأبى بكر رضى الله عنه قال: إن هذا من عظيم الآيات، اللهم اخلف محمدا فينا.

### ومن كرامات هذه الأمة كلام العجماء:

روى سيف بن عمر: أن سعدا والمسلمين بالقادسية وهم في الغزاة قرموا إلى اللحم. فأرسلوا مَنْ يطلب لهم شيئا من الغنم والبقر؛ فتحصن أصحابها، وأحرزوا ماشيتهم. فرأى عاصم بن عمرو رجلا على أجمة. فسأله أن يدلّه على البقر والغنم. فحلف له وقال: لا أعلم. وإذا هو راعى تلك الأجمة. فصاح منها ثور: كذب والله ها نحن أولاء. فدخل فاستاق الثيران؛ فأتى بها العسكر، فقسمها عاصم على المسلمين فأخصبوا. وبلغ ذلك الحجّاج بن يوسف أيامه؛ فأنكره. فحضر إليه جماعة ممن سمعوا الثور يقول ذلك؛ فشهدوا به عنده.

ومن كراماتهم المشهورة: أن أسيد بن حُضير وعباد بن بشر كانا عند نبي الله

عليه السلام في ليلة ظلماء حندس يتحدثان حتى إذا خرجا من عنده أضاءت لهما عصا أحدهما؛ فمشيا في ضوئها. فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه؛ فمشى في ضوئها.  
انفرد بإخراجه البخاري.

ومن ذلك: أن أم أيمن مولاة رسول الله عليه السلام خرجت من مكة مهاجرة إلى رسول الله عليه السلام إلى المدينة. وهي ماشية ليس معها زاد. وهي صائمة في يوم شديد الحر. فأصابها عطش شديد. فبينما هي بالروحاء أو قريبا منها إذا بحفيف شيء فوق رأسها. قالت: فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض. قالت: فدنا مني حتى إذا كان حيث أستمكن منه؛ تناولته فشربت منه حتى رويت. قالت: فلقد كنت بعد ذلك أطوف في الشمس في اليوم الشديد الحر كي أعطش. فما عطشت بعدها.

ومن ذلك أيضا: أن البراء بن مالك لقي جيشا من المشركين. وقد استعلى المشركون على المسلمين. فقالوا له: يا براء إن رسول الله قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك. فأقسم على ربك. فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. فمَنَحُوا أكتافهم. ثم التقوا أيضا على قنطرة السوس وقاتلوا في المسلمين. فقالوا له: أقسم يا براء على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم. فمَنَحُوا أكتافهم.

وفي رواية: أنه لما كان يوم تشر انكشف المسلمون. فقال البراء: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني ببيك. فمَنَحُوا أكتافهم؛ فاستشهد.  
ومن ذلك أيضا: أن الملائكة كانت تُسَلِّمُ على عمران بن الحصين وتصافحه. فلما اكتوى انقطع عنه. فلما كان قبيل موته، عاودته فسَلِّمَتْ عليه - رضى الله عنه.

ومن ذلك: قال بعضهم. غزونا مع العلاء بن الحضرمي «دارين» فدعا بثلاث دعوات فاستجيب له فيهن. نزلنا منزلا فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده. فقام فصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ

منه ونشرب فإذا تروضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا. فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء؛ فتروضأنا منه وتزودنا.

قال الراوي: فملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أو لا؟ فسرنا قليلا ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي. فجئت إلى ذلك المكان فإذا به كأنه لم يصبه ماء قط، وأخذت إداوتي. ثم سرنا حتى أتينا «دارين» والبحر بيننا وبين العدو. فقال: «يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم؛ إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك. اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا».

وتفحّم البحر؛ فحضنا ما يبلغ لبودنا. فخرجنا إليهم. فلما رجعنا مرض بفؤده؛ فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه. فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير. فقال بعضنا لبعض: فلو رجعنا فاستخرجناه ثم غسلناه. فرجعنا فطلبناه فلم نجده. فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا على يا حكيم؛ أخف عليهم موتي، ولا تطلع على عورتى أحداً. فرجعنا وتركناه.

ودخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة؛ فعالجها الأطباء فلم يقدرُوا عليها؛ حتى وصلت إلى صماخه، فأسهرت ليله، ونغصت عيش نهاره. فشكا ذلك إلى بعض أصحاب الحسن. فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوه العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة. قال: وما هي رحمك الله؟ قال: «يا على يا عظيم يا حلیم يا حكيم». فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكّت الحائط وبرأ.

قال المؤلف: هكذا رأيتها في عدة مصنفات وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقصان. فالرأى أن يدعو الإنسان بهذه الرواية مرة، وبالرواية الأخرى مرة أخرى؛ ليأتى على كل ما ورد منها.

وقال ثابت البناني: شكّا قِيمُ أنس بن مالك إلى أنس عطش أرضه. فصلى أنس ودعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه، وملأت صهريجه؛ فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه؟ فنظر فإذا هي لم تعد أرضه.

وقالت مولاة أبي أمامة الباهلي: كان أبو أمامة يحب الصدقة، ويجمع لها

الدنانير والدرهم والفلوس وما يؤكل. حتى البصلة ونحوها. فلا يقف سائل إلا أعطاه ما تهيأ له. قالت: فأصبحنا يوماً وليس معنا ولا عندنا شيء من الطعام وليس في البيت سوى ثلاثة دنانير. فوقف به سائل فأعطاه ديناراً. ثم آخر فأعطاه ديناراً. ثم وقف ثالث فأعطاه الثالث. قالت: فغضبتُ. فاستلقى على فراشه وأغلقتُ عليه الباب حتى أذن المؤذن بالظهر فجتته فأيقظته فراح إلى مسجده صائماً. فرقتُ عليه فاستقرضتُ ما هيأت له به عشاء وسراجاً، ووضعت المائدة ودنوتُ من فراشه لأمهد له. فوجدت تحته ثلاثمائة دينار. فقلت في نفسي: ما صنع الذي صنع إلا ثقة بذلك. فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار؛ فتركتها على حالها حتى انصرف عن المسجد بعد العشاء. فلما دخل البيت ورأى ما هيأت له؛ حمد الله وتبسم في وجهي وجلس وتعشيتُ. فلما فرغ قلتُ: يغفر الله لك جئت بما جئت به ثم تركته بمضيعة. قال: وما ذاك؟ قلت: ما جئت به من هذه الدنانير. ورفعتُ الفراش عنها. ففرع حين رآها وقال: ويحك ما هذا؟ قلت: لا أعلم إلا أني وجدتُها ههنا على ما ترى. قالت: فكثرتُ فزعه.

وقال ميمون بن مهران: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف. فلما وضع ليصلى عليه. جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه. فالتمس فلم يوجد. فلما سوّى عليه، سمعنا صوتاً ولا نرى شخصاً يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً \* فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي \* وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾.

ولما أتى العطاء إلى زينب زوجة رسول الله ﷺ من عمر - رضوان الله عليه - وقسمته في وجوه البرّ رفعت يديها إلى السماء. وقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. فماتت قبل أن يدركها.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: أسلمت أم شريك عُرَيَّة بنت جابر ابن حكيم الدوسية، وجعلت تدخل على أهل مكة فتدعو النساء إلى الإسلام سراً. تُرغبهن فيه، فلما ظهر أمرها لأهل مكة قالوا: نبعثك إلى قومك. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء. ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني. وكانوا إذا نزلوا منزلاً أو ثقوني في الشمس واستظلوا هم وحبسوا

عنى الطعام والشراب. فبينما هم كذلك وأنا فى الشمس إذا بشيء بارد على صدرى فإذا هو دلو من ماء. فشربتُ منه قليلاً، ثم نزع منى فرفع. ثم عاد فتناولتهُ فشربت منه ثم رُفِعَ مراراً ثم نزل لى فشربت حتى رويت ثم صببتُ سائره على جسدى وثيابى. فلما استيقظوا وجدوا أثر الماء على ثيابى ووجدوا هيئتى حسنة. فقالوا: حَلَلْتِ سقاءنا فشربتِ منه. قالت: لا والله ولكنه كان من الأمور كيت وكيت. فقالوا: لئن كنتِ صادقةً. لدينُك خير من ديننا. فلما نظروا إلى أسقيتهم؛ وجدوها كما تركوها؛ فأسلموا. ثم جاءت هى فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ بغير مهر؛ فقبلها ودخل بها.

وكانت حفصة ابنة سيرين تُسرج المصباح وتقوم إلى مصلاها، فرجما طُفِيء المصباح فيضىء لها البيت حتى تصبح.

قال المؤلف: ووقفتُ على كرامة غريبة لسلف هذه الأمة: وهى ما رواه سيف ابن عمر فى الفتوح قال: حاصر المسلمون بهرسيير من أرض العراق. فلما اشتد عليهم الحصار، وأبطأ على المسلمين الفتح؛ أشرف عليهم رسول من الحصن. فقال: إن الملك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من «دجلة» إلى الجبل، ولكم ما يليكم من دجلة إلى الجبل؟ أما شبعتم، لا أشبع الله بطونكم؟ أفبدر الناس أبو مفرز الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله بشيء لا يدري ولا نحن ما هو. فأجابه بالفارسية وهو لا يعرف من الفارسية شيئاً ولا نحن.

فرجع الرسول إلى الملك بما سمع من أبى مفرز ورأيانهم يقطعون إلى المدائن هارين. فقلنا له: يا أبا مفرز ما قلت له؟ قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدرى ما هو إلا أن عَسَى سَكِينَةٌ، وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذى هو خير. وأتى الناس يسألونه عن ذلك حتى جاءه سعد. فقال: يا أبا مفرز ما قلت للرسول فوالله إنهم لهُرَاب؟ ثم نادى سعد فى الناس ثم نَهَدَ بهم فوجد القوم قد هربوا وتركوا المدينة، ووجدوا منهم قوما خارج المدينة فأسروهم، وسألهم المسلمون: لأى شيء هربوا وتركوا المدينة؟ فقالوا: بعث الملكُ إليكم يعرض عليكم الصلحَ فأجاب متكلمكم: إنه لا صلح بيننا أبداً حتى نأكل عَسَل «إفريدين» بأترج «كوثي» فقال



الملك: لا طاقة لأحد بهؤلاء. وأسرع في الجلاء والهرب.

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه: لما ولى عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

قال رعاة الشاء في رموس الجبال: مَنْ هذا الخليفة الصالح <sup>(١)</sup> الذى قد قام على الناس

(١) يقول كثيرون من المسلمين: إن دعوة موسى عليه السلام كانت خاصة ببني إسرائيل من دون الناس، ولم

تكن عالية لجميع الأمم إلى زمان محمد ﷺ. والقرآن لا يشهد بصحة هذا القول. وإنما يشهد بعالية

دعوة موسى إلى حين نسخها بالقرآن الكريم. وبيان ذلك: أن الأمم فى زمان موسى كانوا عباد أصنام،

وكانوا على شرائع قد وضعوها لأنفسهم لم يأذن بها الله فمن يهديهم إلى الله؟ هل يرسل إليهم

ملائكة؟ هل يرسل لكل مدينة رسولا من أهلها، ويوحى إلى كل رسول بشرية؟ إن الذى حدث فى زمان

موسى: هو أنه اختار بني إسرائيل من الأمم، واختار موسى من بني إسرائيل وأوحى إليه بالتوراة، شريعة

واحدة لجميع الأمم، يُبلغها إليهم بنو إسرائيل فى زمان موسى ومن بعده. إلى أن يتم الدين ويكمل

بمحمد ﷺ. يدل على ذلك من القرآن الكريم: **قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾** -

**﴿ وَأَنَّىٰ فَضَّلْتُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾** - **﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾**

وآل إبراهيم مُصطفى منهم آل عمران إلى أن يأتي دور بني إسماعيل فى الدعوة وهذا الاختيار، وهذا

التفضيل، وهذا الاصطفاء من أجل **﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** وقد فتح

بنو إسرائيل بلاد الأمم وملكوها ونشروا فيها التوراة. ففى القرآن: أنهم فتحوا الأرض المقدسة، وأن يونس

أُرسل إلى أهل نينوى، وأن موسى طلب من المصريين أن يؤمنوا بالله، وأن سليمان نشر الإسلام فى

اليمن على شريعة التوراة. وظل بنو إسرائيل يقاتلون فى سبيل الله إلى زمان سبى بابل سنة ٥٨٦ ق م.

ومن هذا الزمان تخلوا عن دعوة الأمم، وقصروا التوراة عليهم، واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم.

فلما ظهر محمد ﷺ، ودعا بنو إسماعيل الأمم بالقرآن. أصبح المختارون والمفضلون والمصطفون هم

بنو إسماعيل. بدل بنو إسرائيل الذين كانوا فى البدء أئمة. ويوجد فرق بين «كان» و«أصبح» فكان تدل

على زمن أمة قد انقضى، وأصبح تدل على زمن أمة قائمة بالفعل. وهما أمتان وشعبان وشريعتان. أولى

الأمتين قد خلت. أى كان لها زمن. والآخرى قائمة فى زمانها الذى يعلم الله بدها ويعلم نهايته. ويقول

الله عن أمة بني إسرائيل: **﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾** ويقول عن أمة بني إسماعيل: **﴿ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا**

**تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** .

لاحظ: قوله: **﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾**.

وفى الإنجيل عن اختيار الله لبني إسرائيل فى السابق: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم... والذين

سبق فعينهم؛ فهؤلاء دعاهم أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء برهم. والذين برهم فهؤلاء مجدهم

أيضا. فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا فمن علينا؟... من سيشتكى على مختارى الله؟» (روا: ١٩: -).

ثم بين أن الاختيار قد نزع من بني إسرائيل إلى الأمم فى شخص المسيح عيسى عليه السلام. بحجة

هي: أنه النبى الأمى الآتى على مثال موسى (١٨: ١٥ - ٢٢) وإذا صح وثبت أنه هو محمد رسول

الله يثبت أن الاختيار قد نزع من بني إسرائيل إلى أ - بنى إسماعيل ب - والامم فى شخص محمد ﷺ

بحجة هي: أنه هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى.

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم: **﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**

**وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** عمن يتكلم بلفظ **﴿ كُنْتُمْ ﴾** هل يتكلم عن أمة اليهود؟ هل يتكلم عن أمة بنى

إسماعيل؟ لا بد من تعيين واحدة من هاتين الامتين، يشهد القرآن بقوله **﴿ كُنْتُمْ ﴾** على أمة قد كانت قائمة =

«بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر على شريعة. ويدل لفظ «أمة» في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ على أنها أمة بني إسرائيل لقوله عنها: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد أثبت الله مقارنة بين طائفتين من الأمة التي قد خلت. في الكف عن الدعوة وفي القيام بها. فقال: ﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ووصف قيامها بالأوصاف التي كانت في الطائفة التي كفت عن الدعوة. فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وقال: إن الأمة القائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من أهل الكتاب. ومدحها وأثنى عليها. وهذا يدل على أن أهل الكتاب أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ولا يُعرف المعروف والمنكر إلا من آيات التوراة. فيكون أمرهم ونهيهم بها. دليلاً على أنها كانت لجميع الأمم. فلماذا يُقال بالخصوص في شريعة موسى؟ وفي القرآن: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ أي مطالباً. وعلل فعلهم هذا بالأمر بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ فهل قولهم هذا الذي يدل على تعديهم على الأمم هم على حق فيه؟ هل يرضى الله بظلم الأمم؟ هل سمح لبني إسرائيل بكل أموال الناس بالباطل؟ حاشا وكلا. ولذلك أعلن للعالم بأنهم كاذبون في قولهم هذا بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه كذب؛ لأنه ما اختارهم لحمل رسالته لظلم الأمم بل لهداية الأمم. فقد قال الله لإبراهيم: «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي» [تلك ٢٢: ١٨] ومباركة الأمم به؛ لا تكون بظلم أبنائه لهم، بل برحمة أبنائه بهم.

واضطرب مفسرو القرآن في معنى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ولم يضبطوا المعنى. مع علمهم بأن ﴿كُنْتُمْ﴾ تدل على زمان قد تم وانقضى. وأمة محمد ﷺ ما تم زمانها، وما انقضت أيامها. ففي تفسير ابن جرير الطبري: «اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة خاصة، من أصحاب رسول الله ﷺ وقال آخرون: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ أخرجوا للناس في زمانكم. وقال بعضهم: عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس. وكان الحسن يقول: نحن آخرها وأكرمها على الله».

ثم قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي ٣١٠ هـ.

«فإن سأل سائل فقال: وكيف قيل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ وقد زعمت أن تأويل الآية: أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت. وإنما يقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لقوم كانوا خياراً؛ فتغيروا عما كانوا عليه؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهب إليه، وإنما معناه: أنتم خير أمة. كما قيل: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ وقد قال في موضع آخر: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ فإدخال كان في مثل هذا، وإسقاطها بمعنى واحد؛ لأن الكلام معروف معناه.

ولو قال أيضاً في ذلك قائل: ﴿كُنْتُمْ﴾ بمعنى التمام؛ كان تأويله: خلقتم خير أمة. أو وجدتم خير أمة؛ كان معنى صحيحاً. وقد زعم بعض أهل العربية: أن معنى ذلك: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عند الله في اللوح المحفوظ ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أهل طريقة. ١ هـ.

النقد:

١ - إنه لحظ معنى كان التي تدل على زمان قد تم وانقضى. فقسم المسلمين في عهد محمد ﷺ إلى قسمين أ - مهاجرين ب - وأنصار وجعل ﴿كُنْتُمْ﴾ للمهاجرين. ويلزم على هذا الرأي. أن معنى الآية =

قال: فقليل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والسباع عن شائنا.

قال مالك بن أنس - الإمام - رضى الله عنه: كان يونس بن يوسف من العباد ومن خيار الناس. فذهب يوما إلى المسجد؛ فلقىته امرأة في طريقه فوق في

=يكون قد تم في بدء نزول القرآن. ولا ينسحب معناها إلى يوم القيامة. وهذا هو الرأى الأول. ومعنى الرأى الثانى هو نفسه معنى الرأى الأول: لأن إخراجهم في زمان النبوة. هو نفسه تقسيمهم إلى مهاجرين وأنصار. ومعنى الرأى الثالث هو معنى الرأين السابقين؛ لأن قوله عنهم كانوا خيرا أمة. يدل على زمن النبوة. وقال ابن جرير: إن معنى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ هو نفس معنى ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد أن يقول: إن ﴿كُنْتُمْ﴾ معناها ﴿أَنْتُمْ﴾ أى لا تدل على الماضي. فلتنظر فى ما قبل الآية وما بعدها وأيضا فى كلمة ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ وإن قبل الآية هو فى اليهود المشبهين بالدواب التى لا تعقل. وما بعدها هو فيهم. والذكرى تدل على زمان قد تم وانقضى. فإن الذى يتذكر الآن شيئا. يكون على علم به فى زمان قد تم وانقضى. أى أنهم كانوا قلة ضعفاء فى زمن وبهم الآن كثيرة أقوياء؛ فلينذكروا الماضى ليشكروا الله. وينسحب هذا الذى قلناه على ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنْتُمْ كَثِيرًا﴾ فإن أهل مدين كانوا قليلين فى زمن، وكثيرين فى زمن شعيب عليه السلام. وفى النص ﴿كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ وأما قوله إنه يصح أن تكون كان تامة. فإنه مردود بقوله ﴿أُخْرِجَتْ﴾ الذى يدل على الماضى كدلالة كنتم. وقوله إن الخيرية فى اللوح المحفوظ؛ أرك من أن يتكلم فيه. وقوله خير أهل طريقة؛ لغو لا طائل من ورائه؛ لأن الإشكال ليس فى الطريقة، وإنما فى ﴿كُنْتُمْ﴾ الدالة على الماضى.

والمعنى الصحيح:

يأمر الله أمة محمد ﷺ بالتقوى وعدم التفرقة. ثم نقول لهم: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بشريعة القرآن. وإن فعلتم ذلك تكونون خير أمة أخرجت للناس. واعلموا يا أمة محمد: أن بنى إسرائيل من قبلكم كانوا خير أمة، حينما كانوا يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر بشريعة التوراة. ثم خاطب بنى إسرائيل عن طريق القرآن فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ثم خاطب الله العالم بقوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أى من الخير لهم أن يدخلوا مع بنى إسماعيل والأمة فى شريعة القرآن. فإنهم إن دخلوا يكونون مع بنى إسماعيل ومن دخل فى دينهم من الأمم مشتركين فى أنهم جميعا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عوضا عن كانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ثم قال عن طائفة منهم: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ \* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ \* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ وصف هذه الأمة ١- بأنها قائمة. أى ما تزال على قيد الحياة. والموجود الآن من أهل الكتاب أ اليهود ب - والمسيحيون ج - والصابئون اتباع نبي الله يحيى عليه السلام. أما اليهود والمسيحيون فإن الله قد وصفهم بالشرك. فلم يبق من الثلاثة إلا الصابئون ٢ - يتلون آيات الله. أى يقرأون التوراة ويدرسونها ٣ - وهم يسجدون. أى متواضعون وخاشعون لله ٤ - يؤمنون بالله ٥ - ويأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر على شريعة موسى ٦ - ويسارعون فى الخيرات.

ووصف هذه الأمة هو نفسه الذى جاء فى قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ .

نفسه منها فقال: اللهم إنك جعلت بصرى لى نعمة. وقد خشيتُ أن يكون عليّ نعمة؛ فأقبضه إليك. قال: فعمى. وكان ابن أخ له يقوده إلى المسجد. فإذا استقبل الجدار؛ اشتغل الصبي يلعب مع الصبيان. فلإن نابتة نائبة حصَّب الصبي؛ فأقبل إليه. فبينما هو ذات يوم ضحوة فى المسجد؛ إذ أحس فى بطنه بشيء؛ فحصبَ الصبي؛ فشغل الصبي مع الصبيان حتى خاف الشيخ على نفسه. فقال: اللهم كنتَ جعلتَ لى بصرى نعمة، فخشيتُ أن يكون عليّ نعمة فسألْتُكَ فقبضته إليك، وقد خشيتُ الآن الفضيحة؛ فاردد عليّ بصرى. فانصرف إلى منزله بصيرا بغير قائد. قال مالك: فرأيتُه أعمى ورأيتُه بصيرا صحيحا.

وحج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة. فلما قدم المدينة بعث إلى جعفر بن محمد وقال: أحضروه إلى متعبا، قتلنى الله إن لم أقتله.

فتغافل عنه الربيع؛ لينساه. ثم أعاد للربيع. وقال: ابعث من يأتى به. قتلنى الله إن لم أقتله. فلما كان فى الثالثة أحضره الربيع.

وقال: أبا عبد الله. اذكر الله. فإنه قد أرسل إليك للتى لا شوى لها. فقال جعفر رضوان الله عليه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ثم أعلم المنصور بحضوره. فلما دخل قال: يا عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يؤدُّون إليك زكاة أموالهم، وتُلحد فى سلطانى وتبغيه الغوائل. قتلنى الله إن لم أقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر. وأنت من ذلك السُّخ. فقال له المنصور: إلى. أنت عندى يا أبا عبد الله البريء الساحة، والسليم الناحية، القليل الغائلة. جزاك الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم دعا بالغالية والطيب؛ فغلَّفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة، ثم قال: فى حفظ الله وكلايته. ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله بجائزته وكسوته. سر أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه.

قال الربيع: فلحقته بذلك. فقلت له: إنى قد رأيت من هذا الرجل فى أمرك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيتَ فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت

عليه؟ قال: قلت: «اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بركنك الذى لا يُرام، واغفر لى بقدرتك على؛ فلا اهلك وأنت رجائى. اللهم إنك أكبر، وأجلّ من أخاف وأحذر. اللهم بك أدفع فى نحره، وأستعيذُ بك من شره».

### مسألة:

إن قال بعض النصارى: إنه لا نبي بعد المسيح.

أكذبه: ما فى كتاب فراكسيس - وهو رسائل الحواريين - إذ قال فى الفصل الحادى عشر منه: «إنه قدم فى تيك الأيام أنبياء من بيت المقدس. فقام أحدهم يسمى أغابوس. فتنبأ لهم وقال: إنه سيكون فى هذه البلاد قحط شديد» (١).

وقال أيضا فى هذا الفصل: «إنه كان فى بيعة أنطاكية أنبياء منهم برنابا وشمعون ولوقس وماناين وشاؤل. فهؤلاء الخمسة بأنطاكية» (٢).

وقال أيضا فى الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب: إنه كان لفيلبس المبشر أربع بنات متبنات» (٣).

وقال لوقا فى كتاب فراكسيس أيضا: «إن نفر المتوجهين إلى أنطاكية كان نزولهم على بيت عنيا لأنهم كانوا أنبياء».

قال مؤلفه: من زعم أنه لا نبي بعد المسيح؛ فهو جاهل بدين النصرى إذ لا خلاف عندهم: أن فوئس صاحب الأربع عشرة رسالة؛ هو رسول جاء بعد رفع المسيح. وقد حكى فى رسالته: أنه أدرك من أصحاب المسيح شمعون الصفا ويعقوب. فقد بطل قول من قال: إنه لا نبي بعد المسيح.

فإن قيل: فقد حدّرنا المسيح - عليه السلام - فى الإنجيل من الأنبياء الكذبة الذين يلبسون لباس الحملان، وهم فى الباطن بصور الذئاب الضارية. ثم وصفهم فقال: «من ثمارهم تعرفونهم».

قلنا: هذا تصريح من المسيح عليه السلام بمجيء النبي الصادق. إذ خصّ

(١) لفظ الأنبياء يطلق عندهم مجازا على العلماء. والنص فى الأصحاح الحادى عشر من سفر الأعمال.

(٢) أعمال ١٣.

(٣) أعمال ٢١.

التحذير بالكذبة. ولولا ذلك لم يقل: «ومن قبل ثمارهم تعرفونهم» ولقال: لا نبى بعدي، ولم يحوجهم إلى الاستدلال بثمارهم على كذبهم. كلا. ولكنه صريح بمجيء النبي الصادق. ونصّ عليه في غير موضع من إنجيله - كما تقدم - ثم الكاذب من لم يقيم على نبوته برهان. وقد جاء نبينا محمد رسول الله ﷺ بآيات ظاهرة، ودلالات متضافرة. كانشقاق القمر، وتسليم الحجر، واستجابة الشجر. وإبراء الأبرص والأجذم والمجنون والأدر، ونطق الذراع وخسف الأرض بعده عند الإتيان. وتفجير الماء، ونطق العجماء. والإخبار عن الغيوب، والنصر في مواطن الحروب. والكتاب العزيز الذي أخرج الشقاشق، وفضح المنافق. وعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، وأناط الفصحاء والحكماء حبالهم بحبله.

قال المسيح عليه السلام: «ومن قبل ثمارهم؛ تعرفونهم»<sup>(١)</sup> وقد علم الموافق والمفارق: أن محمدا ﷺ لم تثمر شجرة دعوته عبادة غير الله؛ فلم يشرك مع الله سواه، ولا جعل له نداً من خلقه، ولا ادعى له ولداً، ولا قال اعبدوا إلهين اثنين ولا ثالث ثلاثة، ولا عبّد رجلاً ولا عبّلاً ولا كوكباً ولا وثناً، بل أمر بعبادة الله. إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، والإخلاص له وتنزيهه عن النقائص والآفات، والحلول في المحدثات، والتدنس بالزوجات. ولم يجعل الله ولداً ولا والدأ، بل خلع الأنداد، ونبذ الأضداد. وأمر بطاعة الله، ونهى عن معصيته، وزهد في الدنيا، ورغب في الآخرة. وجاء بكتاب من عند الله يشتمل على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلّة أرحم وحفظ الجار وفرض الصدقات. والأمر بالصيام والصلاة والحث على محاسن الأخلاق ومكارم العادات. ثم كسر الأصنام، وعطل الأوثان، وأحمد النيران، وأعلن بالأذان. فأما هو في نفسه ﷺ فأرعى على سائر الأمم في العبادة، وتقدم إخوانه من المرسلين في الإرشاد والإفادة.

(١) «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين ياتونكم ببياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة. وأما الشجرة الرديّة فتصنع أثماراً رديّة. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديّة، ولا شجرة رديّة أن تصنع أثماراً جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تقطع وتلقى في النار. فإذا من ثمارهم تعرفونهم» متى ١٥: ٧ - ٢٠.

فهذه ثمار محمد ﷺ التي صارت أعلقُ به من الغرام بنبي عذرة، والإقدام بابن أبي صفرة.

وقد بين يوحنا الإنجيلي: أن التحذير إنما كان من الدجال. فقال في رسالته الثانية: «إنه قد خرج في العالم ضللاً كثيرين لا يعترفون بالمسيح الجسداني، فمن كان من هؤلاء؛ فهو الضال المضلّ، فأما المقيم على تعليم السيد المسيح؛ فالأب يكون معه»<sup>(١)</sup> والتعليم الذي أمر به المسيح: هو توحيد الباري وتنزيهه.

وقوله: «أنا نبي الله ورسوله وعبد، لا أعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني»<sup>(٢)</sup> كما تقدم. فهذا تعليم المسيح الذي دعا إليه وعلمه، فمن أقام عليه فهو مؤمن بالمسيح، ومن راعمه فهو الضال المضل. كما أخبر المسيح عليه السلام.

قال المؤلف عفا الله عنه: واعلم: أنه لو جاز أن يتمسك بنهي عيسى في الإنجيل عن الأنبياء الكذبة في رد محمد ﷺ لجاز أن يتمسك بنهي موسى في التوراة عن الأنبياء الكذبة في رد عيسى<sup>(٣)</sup>. فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة بعد ذكر النبي الصادق: «فأما الذي يقول مالم أمره به أو يدعو باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك قتلاً. فإنما يريد أن يضلكم عن الطريق» ثم قال: «إن أشكل عليكم معرفة مالم أقله مما قلته: فانظروا. فإنني لا أتم قول الكاذب ولا أكمل فعله؛ لأنه قال مالم أقله. وإن ما تقولُه كذب وجراً وصفاقة وجه؛ فلا تخافوه ولا تفزعوا منه».

ولمَّا لم يقدح ذلك في حق عيسى؛ لم يقدح مثله من الإنجيل في حق محمد ﷺ.

فإن قيل: فمن هم الكذبة الذين ذكروا في توراة موسى وإنجيل عيسى؟

(١) رسالة يوحنا الرسول الثانية.

(٢) يوحنا ٦: ٣٨.

(٣) كلام المؤلف هنا يدل على أنه ينقل عن غيره وهو غير فاهم لمعنى ما ينقله. وذلك لأنه قال إن قول موسى: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من إخوتك مثلي له تسمعون... الخ» يدل على محمد ﷺ وكرر ذلك في القسم الأول من هذا الباب. وهو هنا يطبق نفس النبوة على عيسى عليه السلام فأخبر الباب متناقض مع أوله. والنص بتمامه في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو الذي أشار الله إليه في القرآن بقوله: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [ت ١٨ ويوحنا ١].

قلنا: لا يلزمنا بيانهم، ولكننا نتبرع بذلك ونقول: قد نجم كذابون، ونَبِّغ متمحلون. وقد أخبر بمجيئهم بطرس صاحب المسيح فقال: «اعلموا: أنه ما جاء قط نبوة من مشيئة البشر، بل من روح القدس سيق بها قوم عند الله مُطَهَّرُونَ، وقد كان أيضا في الشَّعْب أنبياء كذبة. كما أنه يكون أيضا فيكم معلمون كذبة. أولئك الذين يدخلون إلى فرقة الهلكة، ويفتنن بنجاستهم قوم كثير، ويفترون على صحة الحق. أولئك الذين دينونتهم لا تبطل وهلكتهم لا تنعس»<sup>(١)</sup>.

فأخبر بطرس بأنه قد كان كذا ويكون في شَعْب بنى إسرائيل من يفترى على الله الكذب.

قلت: وقد جرى مثل ذلك من أراذل العرب وأدعياء النبوة الكاذبة جماعة. كالأسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة، وطليحة وسجاح في آخرين. فحام على أكثرهم حَمَام الحمام، وصرعوا بسيوف أهل الإسلام. وأحق الله الحق وأبطل الباطل، وحلّى نبيه حلية الرسالة وعطل العاطل.

فإن قيل: قال المسيح في الإنجيل: «إنه سيقوم مسحاء كذاب وأنبياء كذبة ويأتون بآيات وعلامات؛ فيضلوا الناس إن قدروا على ذلك» وحتى يتم ما قاله دانيال عليه السلام في نبوته<sup>(٢)</sup>.

قلنا: أما المتنبئون فقد ذكرنا مجيئهم، وكيف أكذبهم الله وأبادهم. وأما المسيح<sup>(٣)</sup> الكذاب فهو الدجال الكذاب الضال المضل الذي حذرته الأنبياء قومهم. وقال فيه نبينا محمد ﷺ: «إنه جعد قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبه طافية، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن. بين عينيه «ك ف ر» يقرأه كل مؤمن ومؤمنة. كاتب وغير كاتب تتقدمه سوء مجاعة».

فقال أعرابي: بأبي أنت يا رسول الله بلغنى أن الدجال الكذاب يجيء إثر جوع ومعه جبال من الثريد، أترى لى - صلى الله عليك - أن أتبطن من ثريده،

(١) بطرس الثانية ١: ٢١ + .

(٢) متى ٢٤: ٢٤ و ١٥ .

(٣) المسيح لم يقل سيقوم مسيح كذاب واحد بل قال «سيقوم مسحاء كذبة» بصيغة الجمع. ثم أعطى علامات للصادق.



حتى إذا تزلعتُ آمنت بالله وكفرت بالدجال؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إذا يكفيك الله بما يكفى به المؤمنين».

واعلم: أن قصة الدجال مشهورة عند سائر الأمم<sup>(١)</sup>، ولم يبعث نبي بعد نوح عليه السلام إلا وقد حذره قومه. وقصة صاف بن صياد صحيحة عند أهل الحديث. ونحن نؤثر الاختصار.

وقد شهد يوحنا الإنجيلي: بأن المسيح الكذاب الآن؛ موجود في الدنيا غير أنه لم يظهر بعد. فقال في الفصل الرابع من رسالته الأولى: «إن المسيح الكذاب الذى سمعتم به، سيأتي، وإنه الآن فى العالم»<sup>(٢)</sup>.

وذلك مصدق لما ذكره محمد رسول الله ﷺ فى شأن ابن صياد اليهودي.

وقد أظن فؤلؤس فى ذكره فى الرسالة التاسعة، وحذر إخوانه من فتنه فقال: «يا إخوتى أطلب إليكم ألا تعجلوا ولا تشدهوا من كلمة ولا من روح ولا من رسالة تأتاكم؛ فإنه لعل إنسانا يُظفيكم بنحو من الأنحاء، وليس يكون ذلك حتى يأتى العتو أولاً، ويظهر إنسان الخطيئة ابن البوار الصداد اللداد، ويستكبر على كل. حتى يجلس فى هيكل الله ويخبر عن نفسه، وإنما هو الأثيم الذى يأتى فى آياته بالقوى والآيات والعجائب الكاذبة ومكائد الشيطان، وجسده بيده سيدنا يسوع المسيح بروح فيه»<sup>(٣)</sup>.

وقد شهد يوحنا الإنجيلي فى رسالته الأولى: أن الدجاجة من بنى إسرائيل لا من غيرهم. فقال: «إن هذه الساعة هى آخر الزمان. وقد سمعتم أنه يجيء المسيح الكذاب، والآن قد كان مسيحيون كذابون كثيرون. ومناً خرجوا»<sup>(٤)</sup>.

فأخبر: أن الدجاجة الكذابين من بنى إسرائيل لا من بنى إسماعيل وقد قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريباً من ثلاثين كلهم يزعم

(١) ليس من نصوص على الشهرة راجع كتاب أزمة الأمم - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٢) يوحنا الأولى ٤: ٣ وغرض محرفي الإنجيل غير غرض مؤلف الكتاب.

(٣) تسالونيكي الثانية الأصحاح الثاني.

(٤) يوحنا الأولى ٢: ١٨.

أنه رسول الله» وفي رواية: «فيهم أربع نسوة».

فإن قيل: كيف يجوز إجراء الخوارق على يدي أرباب المخارق؟ قلنا: قال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني: «أما على يد مدعى النبوة؛ فلا وأما على يد مدعى الربوبية؛ فنعم. إذ الأول يؤدي إلى إفحام الرسل، والتباس دليل التصديق على المكلفين، بخلاف ذلك في مدعى الربوبية؛ فإن سمات الحدّث عليه ظاهرة». والذي ارتضاه الأئمة: أن الله يفعل ما يريد، ويضلّ من يشاء من العبيد. غير أن الكاذب؛ يُنتج الله له ما يناقضه، أو يخلق العلم الضروري بالمكلفين بكذبه».

والذي يدل على جريان الخارق، على يد المارق؛ نصُّ التوراة والإنجيل والقرآن والسنة - كما تقدم.  
والله أعلم وأحكم.

**نجز الكتاب الملقب بتخجيل من حرف التوراة والإنجيل. والله الحمد.**

**رحم الله من قرأه، ودعا مؤلفه بالرحمة والرضوان، وكاتبه، وجميع المسلمين.**

**وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه،**

**وأتباعه، وذرياته، والتابعين، وتابعي التابعين. إلى يوم الدين.**





## فهرس الكتاب

٣	.....	مقدمة
٣	.....	مؤلف الكتاب
١٧	.....	مقدمة المصنف
٢٧		<b>الباب الأول</b>
٢٧		<b>هي كون المسيح عبداً من عبيد الله بقوله وقتواه</b>
٢٧	.....	نبوءة العبد المسالم في سفر إشعياء
٢٧	.....	الأدلة على عبودية المسيح لله من الأناجيل
٢٧	.....	الدليل الأول
٣٠	.....	الدليل الثاني
٣٠	.....	الدليل الثالث
٣٦	.....	الدليل الرابع
٣٨	.....	الدليل الخامس
٣٩	.....	الدليل السادس
٤١	.....	الدليل السابع
٤٢	.....	الدليل الثامن
٤٢	.....	الدليل التاسع
٤٣	.....	الدليل العاشر
٤٤	.....	الدليل الحادي عشر
٤٥	.....	الدليل الثاني عشر
٤٧	.....	الدليل الثالث عشر

- ٤٨ ..... الدليل الرابع عشر
- ٥٠ ..... الدليل الخامس عشر
- ٥١ ..... الدليل السادس عشر
- ٥٢ ..... الدليل السابع عشر
- ٥٣ ..... الدليل الثامن عشر
- ٥٤ ..... الدليل التاسع عشر
- ٥٦ ..... الدليل العشرون
- ٥٧
- الباب الثاني**
- ٥٧
- هي إثبات نبوته وتحقيق رسالته**
- ٥٧ ..... قول اليهود في معجزات المسيح
- ٥٨ ..... الأدلة من الإنجيل على أن المسيح رسول الله
- ٥٨ ..... الكلام في أن المسيح كلمة الله
- ٦٢ ..... الرد على الناسوت واللاهوت
- ٦٣ ..... معنى سجود الأبرص للمسيح
- ٦٧ ..... معجزة اليسع عليه السلام مع نعمان الأرامي
- ٦٨ ..... عدم علم المسيح بالغيب
- ٧٠ ..... الأصغر في ملكوت الله
- ٧٢ ..... التجديف على الروح القدس
- ٧٣ ..... معجزة يونس عليه السلام
- ٧٥ ..... معجزة المائدة السماوية للمسيح
- ٧٦ ..... دعوة المسيح إلى الزهد
- ٧٧ ..... المسيح يقول: «لا صالح إلا الله وحده»
- ٧٨ ..... نبوءة بيت الله للصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص

- ٨٠ ..... دعاء المسيح على أورشليم بالخراب
- ٨١ ..... تبشير المسيح بالسنة المقبولة
- ٨٣ ..... قول اليهود عن المسيح : «قد قام فينا نبي عظيم»
- ٨٤ ..... جهود بولس في تحريف النصرانية
- ٨٦ ..... اختيار المسيح لسبعين رسولاً
- ٨٧ ..... مذاهب النصارى في التثليث
- ٨٩ ..... معنى قول الناس عن المسيح : إنه هو النبي حقاً
- ٩٠ ..... عدم شفاعة المسيح لليهود
- ٩٢ ..... اشتمال الجنة والنار على الأكل والشرب والنكاح
- ٩٧ ..... مثل العذارى العشر في الإنجيل
- ٩٨ ..... مائدة من السماء من خمسة أرغفة وحتوتين
- ١٠٠ ..... معجزة المسيح في تحويل الماء إلى خمر
- ١٠١ ..... النبوة في النساء
- ١٠٢ ..... اعتراف المرأة السامرية بنبوة المسيح
- ١٠٤ ..... اعتراف المسيح بأنه رسول الله
- ١٠٦ ..... شريعة الختان في التوراة والإنجيل
- ١٠٨ ..... معنى «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»
- ١٠٩ ..... معجزة إحياء لعازر من الأموات
- ١١٣
- الباب الثالث**
- ١١٣
- في تأويل ظواهر الإنجيل**
- ١١٣ ..... الابن والاب
- ١٣٢ ..... استشهاد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية
- ١٣٥ ..... كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح لله

- ١٤١ الباب الرابع
- ١٤١ في التعريف بمواضع التحريف في الأناجيل
- ١٥٤ ..... فساد المنقول عن يوحنا
- ١٥٧ ..... فساد المنقول عن فولس
- ١٧٣ الباب الخامس
- ١٧٣ في أن المسيح عليه السلام وإن قصِدَ وطلب؛ هما قتل وما صلب
- ١٧٤ ..... سبب قول النصارى بقتل المسيح
- ١٩٠ ..... المسائل العشر المفحمت للنصارى
- ٢١٣ الباب السادس
- ٢١٣ في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملاحدة
- ٢١٣ ..... الرد على قولهم بالتواتر في صلب المسيح
- ٢١٥ ..... الرد على قولهم بأن إلقاء الشبه ضلال
- ٢١٦ ..... هل الإنسان مسير أم مخير؟
- ٢٥٣ ..... الجزء الثاني
- ٢٥٥ ..... زيادات في موضوع إلقاء شبه المسيح على غيره
- ٢٥٩ ..... مشابهة معجزات المسيح لغيره من الأنبياء
- ٢٧٣ الباب السابع
- ٢٧٣ في إفساد دعوى الاتحاد
- ٢٧٣ ..... أصول أقانيم النصارى
- ٢٨٤ ..... القول في إبطال الثلاث
- ٢٨٧ الباب الثامن
- ٢٨٧ في الإبانة عن تناقض الأمانة
- ٢٨٧ ..... نص الأمانة (وهو قانون الإيمان)

## الباب التاسع

٣٠٥

في إثبات الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود

٣٠٥

٣٠٥ ..... أولاً : فضائح اليهود

٣٠٦ ..... تحريف عزرا للتوراة عمداً

٣٠٦ ..... اليهود عبدوا الأصنام

٣٠٦ ..... العرب لم يعبدوا الأصنام

٣١٢ ..... دليل من التوراة على نسخها

٣١٣ ..... قصة العبد المؤيد

٣١٤ ..... المسيح لم ينسخ حرمة يوم السبت

٣٣٤ ..... ثانياً : فضائح النصارى

٣٣٩ ..... يد الله تخرج من الكنيسة

٣٣٩ ..... تعليق الصليب بحجر المغناطيس

٣٤٠ ..... الثريا المعلقة

٣٤٠ ..... نزول مريم من السماء

٣٤٠ ..... عيد النور في بيت المقدس

٣٤١ ..... قبلة اليهود والنصارى

٣٤٢ ..... عدم نجاسة البول والغائط

٣٤٢ ..... الاعتراف للكاهن

٣٤٣ ..... صيام هرقل

٣٤٤ ..... عيد ميكايل

٣٤٤ ..... معنى «الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر»

٣٥٨ ..... الكذب في التوراة

٣٦٧ ..... الصلاة لمريم



٣٧٥	الباب العاشر
٣٧٥	في البشائر الإلهية بالعزة المحمدية
٣٧٦	البشرى لهاجر <small>رضي الله عنها</small>
٣٨٠	نبوءة المزمور ٤٥
٣٨١	نبوءة المزمور ٤٨
٣٨١	نبوءة الإكليل المحمود
٣٨٢	نبوءة إشعياء ٤٢
٣٨٢	نبوءة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
٣٨٣	نبوءة المزمور ١٢٠
٣٨٤	نبوءة المزمور ١٤٤
٣٨٤	نبوءة إشعياء ٢١
٣٨٥	نبوءة إشعياء ٦٠
٣٨٥	نبوءة إشعياء ٥٤
٣٨٦	نبوءة إشعياء ٤٩
٣٨٨	نبوءة العبد المسالم في إشعياء ٤٢
٣٨٨	نبوءة إشعياء ٣٥
٣٨٨	نبوءة إشعياء ٤٠
٣٨٩	نبوءة إشعياء ٤١
٣٨٩	نبوءة إشعياء ٥٧
٣٩٠	نبوءة إشعياء ٥
٣٩٠	نبوءة إشعياء ٤٩
٣٩٩	نبوءة يوثيل عن استفتاح اليهود على الذين كفروا
٤٠١	نبوءة ميخا

٤٠١	.....	نبوءة حبقوق
٤٠٢	.....	نبوءة صفنيا
٤٠٢	.....	نبوءة زكريا
٤٠٣	.....	نبوءة إرمياء
٤٠٥	.....	نبوءة حزقيال
٤٠٦	.....	نبوءة دانيال
٤٠٦	.....	(إلى أمة معدودة)
٤٠٩	.....	نبوءة دانيال عن نهاية بني إسرائيل على يد المسلمين
٤٢٧		<b>القسم الثاني من هذا الباب هي آيات رسول الله ﷺ</b>
٤٢٧		<b>وابتات معجزاته الباهرة للعقول، العارقة للعادة</b>
٤٢٩	.....	معجزة القرآن
٤٣١	.....	المعجزات الحسية
٤٣١	.....	معجزة انشقاق القمر
٤٣٣	.....	معجزة حبس الشمس لرسول الله ﷺ
٤٣٤	.....	معجزة نبع الماء العذب من بين أصابعه
٤٣٨	.....	معجزة تكثير الطعام ببركته
٤٤٣	.....	حنين الجذع
٤٤٤	.....	تسيح الطعام
٤٤٥	.....	سجود الأشياء له
٤٤٥	.....	إظلاله بالغمام
٤٤٥	.....	كلام العجماء
٤٤٦	.....	كلام الذئب
٤٤٧	.....	تسخير السباع لغلمانه

- ٤٧٥ ..... كرامات الاولياء
- ٤٨٦ ..... مسألة
- ٤٨٩ ..... الخصوص والعموم في دعوة موسى عليه السلام
- ٤٩٣ ..... الفهرس